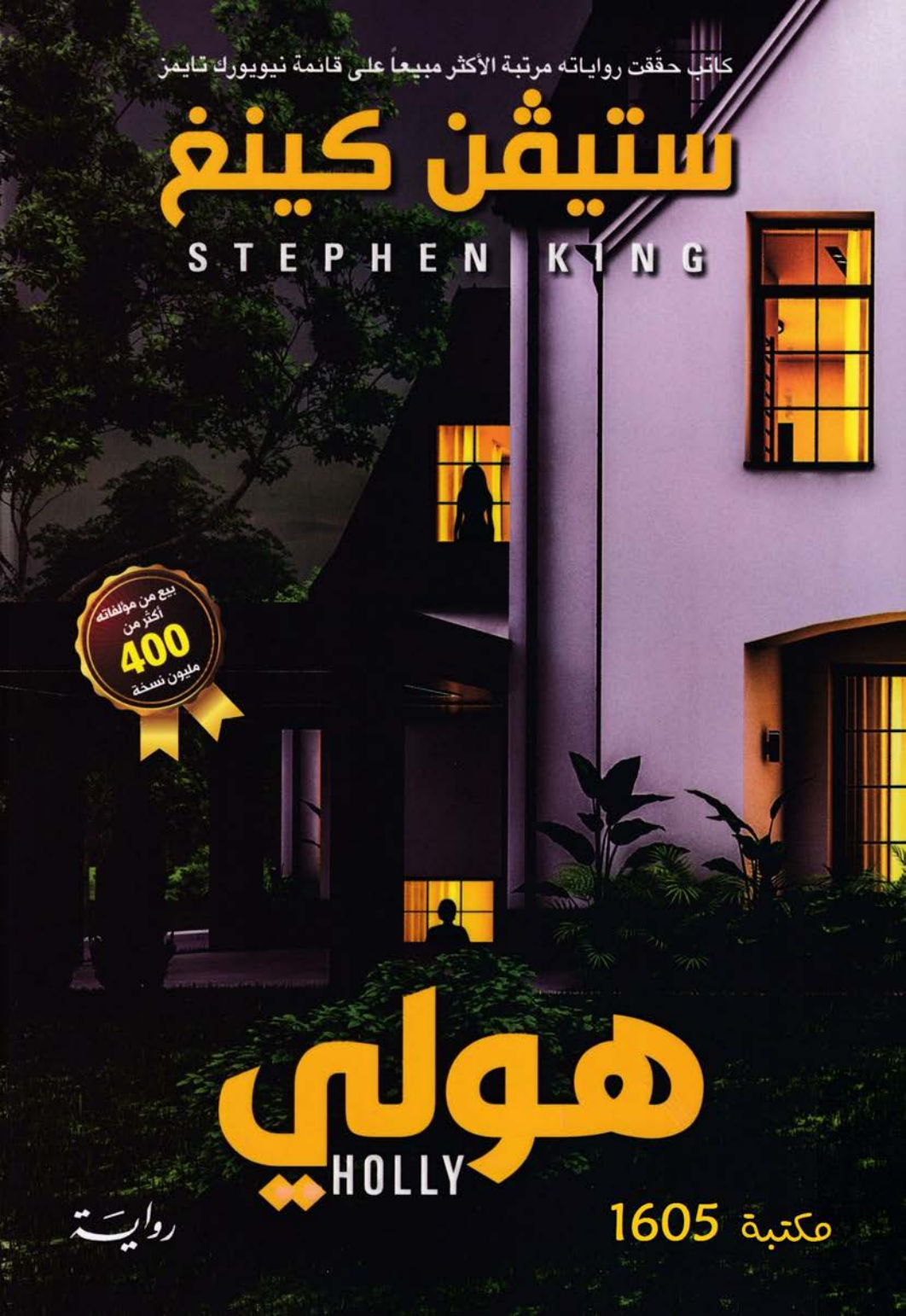
كاتب حقّقت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز
ستيفن كينغ
STEPHEN KING
بيع من مؤلفاته أكثر من 400 مليون نسخة
هولي
HOLLY
رواية
مكتبة 1605

هولي
HOLLY

لن ننسى تشرين .. 23

لن ننسى غزة والشهداء

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

HOLLY
by Stephen King

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من المؤلف عبر
Published by agreement with the Lotts Agency Ltd., 68 Jay Street, Suite 201, Brooklyn, N.Y. 11201, U.S.A (Agent).
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون
Copyright © 2023 by Stephen King
All rights reserved
Arabic Copyright © 2023 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2023 م - 1445 هـ

ردمك 978-614-01-3640-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر:

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

التوزيع في المملكة العربية السعودية
دار إقراء للنشر

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

23 11 23

مكتبة
t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون**

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

هولي
HOLLY

رواية

مكتبة 1605

ستيفن كينغ
STEPHEN KING

تعريب
ماجد حامد

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

17 تشرين الأول 2012

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

إنها بلدة قديمة، ولم تعد في حال جيدة، والبحيرة التي بنيت البلدة إلى جوارها ليست في حال جيدة هي الأخرى، ولكن هناك أجزاء منها لا تزال جميلة. ربما يتفق السكان القدامى على أن أجمل ما في هذه البلدة هو منطقة سوجار هايتس، وأفضل شوارعها هو شارع ريدج، وهو شارع قليل الانحدار يمتد لمسافة ميلين من جامعة بيل للفنون والعلوم إلى ديرفيلد بارك. تصطف على جانب هذا الشارع منازل جميلة يقطنها مُدرّسون في الكلية، كما يقطن بعضها الآخر الناجحون من أصحاب الأعمال في البلدة: الأطباء والمحامون والمصرفيون ورواد الأعمال. معظم هذه المنازل مبنية وفقاً للنمط الفيكتوري: واجهاتها بديعة المظهر، ونوافذها مقوسة، تكثر فيها التفاصيل الزخرفية الجميلة.

ديرفيلد بارك حيث ينتهي شارع رود ليست بمساحة الحديقة التي تقع في قلب مانهاتن، ولكنها ليست أصغر منها بكثير، إنها فخر البلدة، حيث تعمل مجموعة من البستانيين بشكل دؤوب للحفاظ عليها بأبهى حُلة، ولكن شارع ريد بانك الذي يقع إلى الجهة الغربية من ديرفيلد بارك يُعتبر منطقة مهملة حيث يتجمع فيه بعد الغروب مروجو المخدرات ومتعاطوها وحيث تحدث بعض السرقات، إن منطقة الغابات مقابل ريد بانك تشغل مساحة ثلاثة فدادين فقط من أصل 740، أما سائر المساحة فهي عبارة عن أرض تغطيها الحشائش والأزهار والممرات التي يتجول فيها العشاق، بالإضافة إلى المقاعد التي يقرأ عليها الرجال العجائز الصحف (ولكن في هذه الأيام أخذت أعداد الذين يقرأون بواسطة الأجهزة الإلكترونية تزداد) وحيث تتبادل النساء الأحاديث وهنّ يدفعن أطفالهن الرضع في عربات باهظة الثمن. هناك بركتان، وأحياناً يمكن رؤية رجال أو فتيان يبحرون بالقوارب في إحداهما، أما الأخرى، فيسبح فيها البجع والبط ذهاباً وإياباً. كذلك هناك ملعب للأولاد. كما أن ديرفيلد بارك تضمّ- فيما تضم- كل

وسائل الترفيه باستثناء حمام سباحة عام؛ وكثيراً ما ناقش مجلس البلدة الفكرة، ولكنه في كل مرة كان يؤجلها، بحجة الحدّ من الإنفاق كما تعلمون.

مقارنة بمثل هذه الفترة من شهر تشرين الأول فإن هذه الليلة تبدو دافئة نسبياً، ولعل الرذاذ الخفيف الذي يتساقط أبقى المتنزهين والمتريضين في منازلهم، باستثناء خورخي كاسترو، مُدرّس الكتابة الإبداعية والأدب اللاتيني في جامعة بيل. مع أنه يُدرّس الأدب اللاتيني إلا أنه ولد في أميركا وترعرع فيها، ويحب أن يُخبر الناس أنه أميركي حتّى النخاع.

أكمل خورخي أربعين عاماً في شهر تموز، وأدرك في قرارة نفسه أنه ما عاد ذلك الشاب القادر والقوي. إذ عندما يبلغ المرء الأربعين، فيصبح لزاماً عليه التوقف عن خداع نفسه بالتظاهر بأنه لا يزال شاباً. وإن لم تكن قد وصلت إلى هذه القناعة، وإن كنت ممن يؤخذون بهذا الكلام الذي يرفع من المعنويات مثل «الأربعين هو الخامسة والعشرون الجديدة»، فستجد نفسك فجأة وقد بلغت الخمسين، وقد برز بطنك أعلى حزامك، وامتلأت خزانتك بالأقراص الخافضة للكوليسترول. عندما يكون المرء في العشرين من عمره يعامله جسده بتسامح، وعندما يصبح في الأربعين يصبح التسامح مشروطاً. إن خورخي كاسترو لا يرغب في أن يبلغ الخمسين ليكتشف حينها أنه أصبح مجرد رجل أميركي آخر سمين وضعيف.

يفترض بالمرء أن يولي جسده عناية خاصة ما إن يبلغ الأربعين. لذا فإن خورخي يشرب عصير البرتقال في الصباح (البوتاسيوم) ويتبعه في معظم الأحيان بالشوفان (مضادات الأكسدة)، ولا يتناول اللحوم الحمراء سوى مرة واحدة في الأسبوع. وهو عندما يشعر بالجوع، فإنه يتناول السردين المعلب اللذيذ والغني بالأوميغا 3. أضف إلى ذلك أنه يمارس تمارين رياضية خفيفة صباح كل يوم ويركض مساءً، لا يركض بسرعة ولفترة طويلة، بل يركض بما يكفي ليحسن من فعالية جهازه التنفسي ويمنح قلبه الأربعيني قليلاً من التمرين ليبقى قوياً (معدل النبض في الراحة: 63). لطالما كانت رغبة خورخي أن يبدو في الأربعين عندما يبلغ الخمسين، إلا أن الكلمة الفصل في هذا الأمر لا تكون دائماً إلا للقدر.

2

حتى في الليالي التي يكون فيها الرذاذ خفيفاً، فإن خورخي لا يبدل روتينه المعتاد، فهو يركض من المنزل الذي يقيم فيه مع فريدي ويبعد نصف ميل عن الكلية حتى يبلغ ريدفيلد. حيث يمرّن ظهره، ويشرب قليلاً من مشروب الفيتامينات الذي يحتفظ به في حقيبته الصغيرة، ثم يعود إلى منزله راكضاً كما أتى. أشعره الرذاذ بالانتعاش والراحة لأن أياً من الراكضين أو المشاة أو بعض راكبي الدراجات -لم يعترض طريقه- أما البعض الآخر من راكبي الدراجات فهم الأسوأ، لأنهم يعتقدون وبثقة أن لهم الحق في استعمال الرصيف بدلاً من الطريق، مع أن هناك مسرباً مخصصاً لهم. في هذا المساء، بدا الرصيف، كما البلدة، وكأنهما ملك له، فهو لم يحتج حتّى للتلويح إلى الأشخاص الذين يجلسون على شرفات منازلهم أو في أفنيتها الأمامية الجميلة، لأنهم فضّلوا اتقاء الرذاذ والبقاء داخل جدران منازلهم.

باستثناء واحدة: الشاعرة العجوز. إنها تتدثر بمعطف ثقيل مع أن الحرارة لا تزال في منتصف الخمسينات عند الثامنة، لكنها تشعر بالبرد لأن وزنها انخفض إلى 110 أرطال ولطالما حذّرها الطبيب بضرورة زيادة وزنها. لم تكن تشعر بالبرد بقدر ما كانت تشعر بالجفاف- جفاف الموهبة- فهي تأمل الليلة أن تكتب قصيدة وهي لا تحتاج سوى إلى العثور على مطلعها، وبعد ذلك فإن الأبيات باعتقادها ستتوالى بيتاً تلو آخر، وهي التي لم تستطع أن تكتب قصيدة واحدة منذ منتصف الصيف، إنها تشعر بحاجة مُلحّة لكتابة قصيدة لتتأكد أن بئر موهبتها لم تنضب بعد.

بعد أن أُلهمت السطر الأول انقطع حبل أفكارها. ولاحظت أن شاباً (عندما تكون أنت في الثمانينات، فإن من هم في الأربعين يبدون لك في ريعان الشباب) يمر على الجانب الآخر من الطريق بخطوات سريعة. تعرفت إليه؛ إنه الكاتب المقيم الذي يعتقد أن غابرييل غارسيا ماركيز هو أفضل روائي في العالم، هذا الشاب شعره طويل وشاربه قصير، كلما رأته كانت تتذكر شخصية ساحرة من فيلم الأميرة العروس: «اسمي إينيجو مونتويا، قتلت أبي، وأنا أستعد للموت». يرتدي هذا الشاب سترة صفراء مع خط فوسفوري يمتد على طول الظهر وبنطال ركض ضيق جداً.

شعرت بالحاجة إلى دخول المنزل بعد أن أُلهمت بيت قصيدتها الأول وأرادت

أن تبدأ الكتابة. لكنها بقيت حيث تقف لبرهة، تراقب الدوائر الفضية تدور حول أعمدة الإنارة. حدّثت نفسها إنها تبدو وكأنها هالات، لا يمكنني استخدام تلك الكلمة في القصيدة ولكن الصورة ترسخت في ذهنها.

نظرت مجدداً إلى الشاب الذي يركض مرتدياً سترة صفراء ظلّت تنظر إليه إلى أن ابتلعه الظلام. وبعد قليل، همت الشاعرة العجوز بالوقوف، إلا أن مفاصلها آلمتها، ولكنها نهضت بصعوبة في النهاية ودخلت منزلها مترنحة.

3

زاد خورخي من وتيرة ركضه، وشعر بتجدد نشاطه، فقد امتلأت رئتاه بالأوكسجين النقي، وتدفقت الأندروفينات عبر جهازه العصبي. لقد أصبح قريباً من الحديقة التي ينبعث من مصابيحها المتفرقة ضوء أصفر ساحر، كان المرأب الصغير القريب من الملعب فارغاً، باستثناء شاحنة فُتح بابها الجانبي وبرز منه منحدر بلغ الإسفلت المبلل، ورأى رجلاً مسناً يجلس على كرسيّ مدولب وقد وقفت بالقرب منه امرأة تحاول الاعتناء به.

توقف خورخي، وانحنى واضعاً يديه على ركبتيه، في محاولة منه لاستعادة انتظام أنفاسه، وليلقي بالوقت نفسه نظرة على الشاحنة، لاحظ أن لوحتها باللونين الأبيض والأزرق وعليها إشارة كرسيّ مدولب.

نظرت إليه المرأة. في البداية لم يتعرف إليها، لأن الإضاءة في المرأب لم تكن جيدة. سألها خورخي: «مرحباً، هل تحتاجين إلى مساعدة؟».

لوّح الرجل الذي يجلس على الكرسي بطريقة واهنة، وسألته المرأة: «هل أنت السيد كاسترو؟ خورخي كاسترو».

تعرف إليها الآن، إنها الأستاذة إيميلي هاريس، التي تدرّس الأدب الإنكليزي... أو التي كانت تُدرّس الأدب قبل أن تتقاعد، وهذا زوجها وهو مُدرّس أيضاً، لم يكن يعرف أنه مقعد، فهو لم يلتقِ به كثيراً، لأنهما يعملان في قسمين مختلفين، ولكنه يظن أنه كان سليماً معافى في المرة الأخيرة التي رآه فيها. ولكنه كان يرى إيميلي كثيراً في لقاءات هيئة التدريس المختلفة وفي الفعاليات الثقافية. شعر خورخي بأنه ليس من

المفضلين لديها، خاصة بعد اجتماع القسم حول ورشة الشعر التي لم تعد موجودة الآن. كان ذلك الاجتماع محتدماً.

ردّ: «نعم، هذا أنا، أفترض أنكما ترغبان في العودة إلى المنزل يبدو أنكما تبللتما.»

قال السيد هاريس: «إنها فكرة سديدة». كان يرتدي سترة رقيقة، وبدا جلياً أنه يرتجف «هل تظن أنك قادر على دفعي صعوداً على هذا المنحدر أيها الشاب؟». سعل وتنحنح، وسعل مجدّداً. بدت السيدة هاريس متعبة ومشوشة قليلاً وهي التي تبدو حازمة ومؤثرة في الاجتماعات الأكاديمية. تساءل خورخي كم مضى عليهما هنا في هذا الشارع، ولماذا لم تتصل بشخص ما طالبة المساعدة. ربما هي لا تملك هاتفاً، وربما نسيته في المنزل، شأنها شأن كل المتقدمين في السن، ولكن لا يبدو أنها تجاوزت السبعين من العمر بخلاف زوجها الجالس على الكرسيّ المدولب فهو يبدو أكبر منها بكثير.

«أعتقد أنني أستطيع، هل تستطيع إرخاء الفرامل؟».

قالت إيميلي: «بالتأكيد يستطيع». وتراجعت لتفسح مجالاً لخورخي كي يمسك بمقبضي الكرسيّ ويحركه كي يصبح قبالة المنحدر. أرجع الكرسي حوالى عشر أقدام ليبعده عن المنحدر، فهو يريد الاستفادة من القوة التي قد يحصل عليها نتيجة دفع الكرسي على الأرض المستقيمة حتى يتمكن من دفعه بسهولة إلى أعلى المنحدر، فلقد قدّر أنه ثقيل الوزن، فهو لا يريد أن يشعر بالإحراج عندما لا يستطيع مواصلة دفعه بعد أن يصل إلى منتصف المنحدر، كما أنه لا يريد أن ينقلب الكرسي لا سمح الله ويسقط عنه العجوز أرضاً.

«هيّا بنا، تمسك سيد هاريس، قد يهتز الكرسي قليلاً».

تمسك هاريس بجانبي الكرسي، وعندها لاحظ خورخي أن كتفيه عريضتين أسفل سترته وعضليتين، لا بد أن من يفقدون القوة العضلية في سيقانهم يعوّضون عنها في أماكن أخرى، اندفع خورخي مسرعاً صوب المنحدر.

صاح السيد هاريس وبدا مبتهجاً.

بدا الأمر سهلاً في القسم الأول من المنحدر، ولكنه ما لبث أن فقد زخمه، فما كان من خورخي إلى أن انحنى ليزيد من قوة الدفع لديه، في غضون ذلك فكّر أن

لوحات السيارات في هذه الولاية تكون باللونين الأحمر والأبيض، ولكن لوحة هذه الشاحنة زرقاء وبيضاء، وهي تعود للولاية المجاورة، مع أن السيد والسيدة هاريس يعيشان مثله في شارع ريدج ولطالما لمح السيدة هاريس في فناء منزلها الأمامي، وتذكر أنه لم يسبق له أن رأى هذه الشاحنة في الطريق، مع أنه سبق له أن رأى السيدة هاريس تقود سيارة سوبارو، وقد وضعت ملصقاً على الجزء الخلفي من السيارة يشير إلى أنها من مؤيدي أوباما.

في الوقت الذي أوشك فيه الوصول على إلى أعلى المنحدر، بات ظهره شبه متوازٍ مع الأرض، وامتدت يداه إلى أقصى حدّ، وانثنى حذاؤه الرياضي المرن، لدغته حشرة في الجزء الخلفي من عنقه. شعر وكأنها حشرة كبيرة من الطريقة التي انتشر فيها الألم، ربما هي نحلة، وربما عانى من ردّ فعل تحسّسي، لم يسبق له أن تحسّس، ولكن دائماً هناك مرة أولى بخصوص كل شيء. فجأة، تشوشت رؤيته، وشعر بالضعف في يديه، وانزلقت قدماه على المنحدر، وانتهى به المطاف راكعاً على إحدى ركبتيه.

حدّث نفسه إن الكرسيّ المدولب سينزلق إلى الخلف وسيسقط عليّ.

ولكن ذلك لم يحدث، لأن رودني ضغط على زرّ فاشتغل محرك الكرسيّ ودفع به بهدوء إلى داخل الشاحنة. نهض السيد هاريس عن الكرسي، وتحرك حوله بنشاط، وحدّق إلى الرجل الراكع على المنحدر، والذي التصق شعره بجبينه وقد بلل العرق وجنتيه، قبل أن ينهار ويسقط أرضاً ويصطدم وجهه بالمنحدر.

صاحت إيميلي: «لقد قُضي الأمر، وبطريقة مثالية».

فقال رودني: «هيّا، ساعديني».

أمسكت إيميلي بكاحلي خورخي، وأمسك رودني بذراعيه وسحباه إلى داخل الشاحنة، وبعد ذلك سحبا المنحدر. رودني (الذي هو في الواقع أيضاً البروفيسور هاريس) توجّه إلى المقعد الأيسر، في الوقت الذي جثت فيه إيميلي وربطت يدي خورخي بواسطة أربطة الكابلات، لقد فعلت ذلك على سبيل الحيطة وليس لأنه ضروري، فقد غطّ خورخي في نوم عميق وشخر بصوتٍ عالٍ.

سأل رودني هاريس، البروفيسور في قسم علوم الحياة في كلية بيل: «هل كل شيء على ما يرام؟».

أجابته إيميلي بصوت مفعم بالحماسة: «كل شيء على ما يرام... لقد نجحنا، لقد أمسكنا باللعين».

ردّ عليها رودني: «احترسي يا عزيزتي إلى ما تقولينه، ولكن إذا كنتِ تريدين الحق، فيمكننا القول إننا نجحنا في الإمساك باللعين». قال ذلك وتحرّك بالشاحنة من المرأب وبدأ يصعد التل.

رفعت الشاعرة العجوز رأسها من دفتر عملها، الذي طبع على غلافه صورة شاحنة حمراء، رأت شاحنة تمرّ أمام منزلها، ثم عاودت الكتابة.

استدارت الشاحنة، وتوجهت إلى شارع ريدج 93، حيث يقع منزل آل هاريس الذي يقطنان فيه منذ حوالى خمسة وعشرين عاماً. والذي تعود ملكيته إليهما وليس للجامعة. ارتفع أحد بابي المرأب، فدخلت الشاحنة القسم الأيسر، ثم أُغلق الباب وعاد السكون ليخيّم على شارع ريدج، وعاد الضباب ليجول حول مصابيح أعمدة الإنارة.

4

ببطء استعاد خورخي وعيه، وشعر أن رأسه يكاد ينفجر من الألم، كان فمه جافاً، ومعدته متشنجة. لم يعرف كم أفرط في الشرب، ولكن ما يتذكره أنه أفرط كثيراً، وإلا فكيف اعتراه هذا الصداع الرهيب؟ ولكن أين شرب؟ هل كان في حفل لأعضاء الهيئة التعليمية؟ أم في ندوة كتابة حيث أفرط كما كان يُفرط عندما كان طالباً، هل للأمر علاقة بشجاره الأخير مع فريدي؟

فتح عينيه، وخشي أن تنتابه موجة جديدة من الصداع بسبب ضوء المصباح المتوهج، ولكن ضوء المصباح لم يكن ساطعاً. بدا أنه مستلقٍ على بساط يوغا أو فراش، ورأى إلى جانبه دلواً بلاستيكياً شبيهاً بتلك الدلاء التي تباع في وولمارت أو دولار تري. عرف سبب وجود هذا الدلو، وشعر في الوقت نفسه بما شعرت به كلاب بافلوف عندما كان الجرس يرنّ، لأنه بمجرد أن نظر إلى ذلك الدلو انقبضت معدته بشدة. جثا وتقيأ بقوة، توقف وتنفس قبل أن يتقيأ مجدّداً.

شعر بصداع شديد واعتقد أن رأسه سينشقّ، فأغمض عينيه الدامعتين وانتظر حتى يتلاشى الألم. في النهاية، حدث ذلك، لكن طعم القيء في فمه وأنفه كان كريهاً. ومن

دون أن يفتح عينيه، بحث عن الدلو وبصق فيه حتى أصبح فمه نظيفاً قدر المستطاع.

عندما فتح عينيه مجدّداً، رفع رأسه بحذر فرأى قضباناً، إنه في زنزانة واسعة. لا بد أنه يمكن التحكم بمقدار سطوع المصابيح العلوية، لأن الغرفة التي تقع فيها الزنزانة كانت مظلمة، وكانت أرضيتها الإسمنتية نظيفة جداً، بحيث يمكن للمرء أن يضع الطعام عليها ويأكل، ولكنه لم يشعر برغبة في الأكل. كان نصف الغرفة المقابل للزنزانة فارغاً يتوسطه درج ورأى مكنسة مسندة إلى الجدار، ورأى خلف الدرج ورشة جيدة التجهيز وقد عُلقت أدواتها على الجدار وتدلت من خطافات.

جال بعينيه في أرجاء الزنزانة، وأخافه ما رآه. لم تخفه قناني مياه داساني الموضوعة على صندوق برتقالي، بل الصندوق البلاستيكي الأزرق في الزاوية؛ إنه بورتا جون، نوع من المراحيض المتنقلة التي يستخدمها المرضى الذين يستطيعون النهوض من الفراش ولكنهم لا يستطيعون الوصول إلى مرحاض.

لم يستطع خورخي الوقوف، لكنه تمكن من الزحف حتى وصل إلى بورتا جون ورفع الغطاء، رأى سائلاً أزرق وشم رائحة المُطهر القوي فدمعت عيناه. أغلقه وزحف مجدداً صوب الفراش. بالرغم من حال الاضطراب التي يعاني منها، عرف ما يعنيه وجود بورتا جون: لقد أراد شخص ما أن يبقيه هنا لفترة طويلة؛ إنه مخطوف. لم تخطفه عصابة تعمل لصالح أحد الكارتيلات، وهو ليس في المكسيك أو كولومبيا. في البدء بدت له الفكرة غير منطقية، لكنْ زوجين مسنين هما من خطفاه أحدهما زميل له في الكلية، وإن كان هذا قبو منزلهما فهو في مكان لا يبعد كثيراً عن منزله، حيث يجلس فريدي في غرفة المعيشة يقرأ كتاباً ويشرب...

ولكن فريدي رحل، غادر بعد شجارهما الأخير، وكان غاضباً كالعادة.

تفحص القضبان، إنها من الحديد الصلب وملحومة بدقة، لا بد أنها لُحّمت هنا، بل الأمر مؤكد، لأنه ما من أحد يبيع زنزانات جاهزة، أمسك بيديه أحد القضبان وهزّه، إنه جامد وصلب جداً.

وعندما نظر إلى السقف لاحظ أنه مغطى بألواح من الفلين العازل للصوت، ولاحظ شيئاً آخر؛ هناك كاميرا مصوبة إلى الأسفل، نظر إليها وصاح:

«هل من أحد هنا؟ ماذا تريد مني؟».

«لم يلقَ ردّاً. فكّر أن يصرخ ويطالب بإطلاق سراحه، ولكن هل سيفيده الصراخ بشيء؟ هل سيحتجز أحدهم شخصاً في قبو وداخل زنزانة مزودة بدلو للتقيؤ ومرحاض بورتا جون إذا كانت لديه النية أن يهرول بسرعة مع أول صراخ ويقول: «أنا آسف، آسف، لقد حدث خطأ كبير».

إنه يشعر بحاجة إلى التبول، مثانته مليئة بالسوائل، أمسك بالقضبان ليساعد جسده على النهوض، شعر بموجة جديدة من الصداع لم تكن بالشدة التي شعر بها لحظة استعادته الوعي، مشى مترنحاً صوب مرحاض بورتا جون، رفع الغطاء وفتح سحاب بنطاله وحاول التبول. في البداية لم يستطع، مع أنه كان يشعر بحاجة مُلحّة، وهو الذي كان يولي حرصاً شديداً على خصوصيته، فهو يتجنب المراحيض المشتركة في الملعب، لم يستطع أن يتجاهل الكاميرا التي تصوره. شعر بشيء من الخصوصية عندما تذكر أنه يوليها ظهره. فكر كم بقي حتّى نهاية الشهر، وكم بقي حتّى عيد الميلاد، عيد الميلاد السعيد، وهذا ما أشعره بالاسترخاء، فتبوّل لدقيقة كاملة، ثم أمسك بقنينة المياه داساني، سكب قليلاً من الماء في فمه وبصقه في المرحاض بعد أن تمضمض به، ثم شرب ما بقي من ماء.

عاد إلى القضبان، ونظر عبر الغرفة الطويلة: نظر إلى النصف الفارغ الذي يلي الزنزانة، وإلى الدرج، وإلى ورشة العمل. نظر إلى المنشار الحزامي ومنشار الميتر الذي سبق له أن نظر إليهما مراراً وتكراراً. ربما لم يكن من المناسب لرجل سجين أن يهتم لرؤيتهما، ولكن من الصعب تجاهلهما. ومن الصعب أيضاً عدم التفكير في الصوت العالي الذي يصدره المنشار الحزامي عندما يمزق الصنوبر أو الأرز: يرررروو.

تذكر عندما كان يركض تحت رذاذ المطر، تذكر إيميلي وزوجها. تذكر كيف تلاعبا به ثم حقناه بشيء ما.

لماذا؟ ما الذي يريدانه منه؟

خاطب الكاميرا: «هل تريدان أن نتحدث؟ أنا جاهز».

لم يلقَ ردّاً. ما من صوت في الغرفة سوى صوت قدميه وصوت الخاتم وهو يرتطم بقضبان الزنزانة، لقد حصل على هذا الخاتم وذلك بنزعه من إصبع والده بعد دقائق من وفاته في المستشفى، ومنذ ذلك الحين فإن هذا الخاتم لا يفارق إصبعه.

كم من الوقت مضى عليه هنا؟ ألقى نظرة على ساعته التي لا تعمل بالبطارية؛ إنها ساعة تعمل بالتعبئة اليدوية، وهي أيضاً ذكرى أخرى حصل عليها من والده المتوفى، إنها متوقفة وتشير إلى الواحدة وخمس عشرة دقيقة، ليس بوسعه أن يعرف متى توقفت ظهراً أو عند منتصف الليل، ولم يستطع تذكّر المرة الأخيرة التي عبأها فيها.

آل هاريس. إيميلي ورونالد. أو هل هو روبرت؟ يعرف من هما، وهذا أمر مربك إلى حدّ ما، أليس كذلك؟

لا شكّ أنه مرتبك الآن.

عندما تبيّن له أن لا جدوى من الصراخ في غرفة معزولة صوتياً... عاوده الصداع، فجلس على الفراش منتظراً حدوث شيء ما، منتظراً أن يأتي شخص ما ويشرح له سبب ما يحدث.

5

لا تزال المادة التي حقنوه بها تؤثر فيه، لذلك نام نوماً خفيفاً، وعندما أمال رأسه سال لعابه من زاوية فمه، بعد وقت قليل – ظلت الساعة تشير إلى الواحدة وخمس عشرة دقيقة وفقاً لساعة والده – فُتح الباب أعلى الدرج، وشرع أحدهم بالنزول. نظر خورخي إلى الأعلى (شعر بشيء من الصداع، ولكنه لم يكن شديداً) رأى حذاء أسود، ثم رأى جوربا يغطي الكاحلين، ثمّ بنطالاً بنياً، وبعدها مئزراً زهرياً. إنها إيميلي وهي تحمل صينية.

وقف خورخي وسألها بصوت عالٍ: «ما الذي يحدث هنا؟».

لم يلقَ ردّاً على سؤاله، اكتفت إيميلي بوضع الصينية على بعد قدمين من الزنزانة. على الصينية، هناك مغلف بني منتفخ مثبت في الجزء العلوي من كوب بلاستيكي كبير، من النوع الذي تستعمله لوضع القهوة عندما تكون في رحلة طويلة في السيارة. وإلى جانب الكوب هناك طبق يحتوي شيئاً مقززاً: قطعة من اللحم الأحمر الداكن تطفو في سائل أحمر داكن. ما إن نظر خورخي إلى الطبق حتى شعر برغبة في التقيؤ.

قال خورخي بتحدٍّ: «إذا كنت تظنين يا إيميلي أنني سأتناول ما هو موجود في الطبق فأنت مخطئة».

لم يلقَ رداً. أمسكت إيميلي بالمكنسة ودفعت الصينية عبر فتحة أسفل قضبان الزنزانة (فكّر خورخي، لقد خططا لكلّ شيء) انقلب الكوب عندما اصطدم بقضبان الزنزانة، لأن ارتفاع الفتحة لم يكن يتجاوز عشرة سنتمترات. تعرّف إلى قطعة اللحم التي تسبح في الدماء؛ إنها كبد نيء. وقفت إيميلي بشكل مستقيم، أعادت المكنسة إلى مكانها... ابتسمت له وكأنهما في حفلة ملعونة أو شيء من هذا القبيل.

كرر خورخي: «لن آكل».

هذه المرة قالت إيميلي: «سوف تأكل».

بعد ذلك، صعدت الدرج مجدّداً. سمع صوت إغلاق الباب وإقفال القفل.

عندما نظر خورخي إلى الكبد النيء، شعر أنه سيتقيأ من جديد، ولكنه أمسك بالمغلف الموضوع على الكوب، إنه شيء يسمى كاتشافا، ووفقاً لما هو مدوّن على المغلف إنه عبارة عن مشروب غازي غني بالعناصر المغذية ويزود بالطاقة اللازمة لخوض المغامرات.

شعر خورخي بأنه اكتفى من المغامرات، بغض النظر عن المدة التي استغرقتها. أعاد المغلف إلى الكوب وجلس على الفراش، أغمض عينيه، وحرّك الصينية إلى اليمين واليسار.

6

نام، واستيقظ، ثم نام مجدداً، وأخيراً استيقظ. لم يعد يشعر بالصداع أو بالتشنج في معدته. أعاد ملء ساعة والده وضبط على الثانية عشرة من دون أن يعرف إن كان الوقت ظهراً أو مساء، فهذا ليس بالأمر المهم، فكل ما يريد معرفة هو مقدار الوقت التي يمرّ عليه في هذه الزنزانة. في نهاية المطاف، سيأتي شخص- ربما الرجل المجنون- وسيخبره لماذا هو هنا وما هو المطلوب منه حتى يُطلق سراحه. خمّن خورخي أنهما سيطلبان منه شيئاً تافهاً، فقد بدا له أنهما ثنائي مجنون. هناك الكثير من الأساتذة المجانين، لقد مرّ عليه كثير من الأساتذة خلال فترة إقامته التي كانت كافية ليعرف ذلك، ولكن جنون آل هاريس هو من نوع مختلف.

في النهاية، أخذ مغلف الكاتشافا من الكوب، خمّن أنه يفترض به خلطه مع ما

بقي من ماء في القنينة. الكوب من ديلونز، وهي استراحة شاحنات في ريدلاند حيث سبق لخورخي وفريدي أن تناولا الفطور هناك بين الحين والآخر. يا ليته هناك الآن. يودّ أن يكون في كنيسة آيرز تشابل، يستمع إلى إحدى خطب القس غالاتين المملة. يودّ أن يكون في مكتب الطبيب، يجري فحصاً مخزياً. يودّ أن يكون في أي مكان آخر غير هذا المكان الذي هو فيه الآن.

ليس لديه سبب للثقة في أي شيء يقدمه له هذان المجنونان، ولكن بعد أن خف الغثيان شعر بالجوع. في العادة، هو يتناول وجبة خفيفة قبل أن يركض، ولكنه يتناول كمية أكبر من السعرات الحرارية بعد أن ينتهي من التمرين. المُغلف مغلق، وهذا يعني أنهما لم يعبثا به، لكنه أخذ يتفحصه بعناية للتأكد من عدم وجود ثقوب صغيرة (ثقوب إبرة) قبل أن يمزقه ويفرغ محتواه في الكوب، ويضيف الماء، ويغلق الغطاء، ويهزه جيداً كما دوّن على المغلف. تذوقه، ثم شربه بسرعة. إنه لذيذ إلى حد ما.. شوكولاتة...!؟ مثل الفرابيه؟! إذا كانت الفرابيه مصنوعة من مكونات نباتية.

عندما شرب كل ما في الكوب، نظر إلى الكبد النيء مرة أخرى. حاول دفع الصينية عبر الفتحة إلى الخارج، في البداية لم يستطع لأن الجزء المفصلي يفتح إلى داخل الزنزانة فقط. رفع الجزء المفصلي بأظافره ودفع الصينية إلى الخارج.

«مهلاً».صرخ صوب الكاميرا المصوّبة نحوه. «مهلاً، ماذا تريدان؟ دعونا نتحدث، دعونا نضع حداً لكل هذا».

لم يلقَ ردّاً.

مكتبة
t.me/soramnqraa

7

مضت ست ساعات

هذه المرة نزل السيد هاريس الدرج. إنه يرتدي بيجاما وينتعل خفاً. كتفاه عريضتان لكنه نحيل في الأسفل، طبع على قماش البيجاما صورة شاحنات إطفاء، بدت البيجاما وكأنها تخص طفلاً كبير المقاس. فقط النظر إلى هذا الرجل العجوز يعطي خورخي كاسترو شعوراً بالواقعية، هل يمكن حقاً أن يحدث هذا؟

«ماذا تريد؟».

لـم يلـقَ ردّاً مـن هاريـس، اكتفى بالنظر إلى الصينية على الأرض الخرسـانية. نظر إلى الفتحة، ثم إلى الصينية بضع مرات أخرى للتأكيد: صينية، فتحة، فتحة، صينية. ثم جلب المكنسة ودفع الصينية مجدّداً عبر الفتحة.

شـعر خورخي أنه ما عاد يطيق صبراً. فدفع الصينية إلى الخارج. تناثر الدم على ساق بيجاما هاريس. أخفض هاريس الجزء العلوي من المكنسة ليدفع الصينية مجدّداً، ثم رأى أنه سـيتورط في أمر لا طائل منه. أعاد المكنسـة إلى مكانها، واسـتعد للصعود مجدّداً. لم يكن قوياً ولكنه بدا ماكراً.

قال خورخي: «عدْ، ودعنا نتحدث رجلاً إلى رجل».

نظر إليه هاريس، وتنهّد كما يتنهّد والد يتعامل مع طفل عنيد: «يمكنك الحصول على الصينية عندما ترغب في ذلك، أعتقد أننا أكدنا ذلك».

«لـن آكل، سـبق لـي أن أخبـرت زوجتـك بذلك، أضف إلى ذلـك أن اللحم نيء، ومضى عليه وقت طويل بحرارة الغرفة...».وألقى نظرة على ساعة والده.

«أكثر من ست ساعات.»

لـم يلـقَ ردّاً من البروفيسـور المجنون، صعد الرجل الـدرج، وأغلق الباب وأقفل القفل.

8

عندما نزلت إيميلي كانت ساعة والده تشير إلى العاشرة. استبدلت البنطال البني بآخر زهري وخف. فكّر خورخي هل حلت ليلة أخرى؟ هل هذا ممكن؟ إن عدم معرفة الوقت أكثر إزعاجاً من النظر إلى طبق اللحم النيء، من الصعب التعود على عدم معرفة الوقت، ولكن هناك شيء آخر لا يمكن التعود عليه.

نظرت إلى الصينية، ونظرت إليه، وابتسمت قبل أن تهم بالمغادرة.

«مرحباً، إيميلي. هل يمكننا أن نتحدث؟».

لم تلتفت إليه، ولكنها وقفت عند الدرج، وأصغت.

«أحتاج إلى الماء. شـربت قنينة واحدة واسـتخدمت الأخرى لخلط المشـروب. كان لذيذاً بالمناسبة.»

«لن تحصل على الماء قبل أن تأكل». قالت ذلك وصعدت الدرج.

9

مضى الوقت. مرت أربع ساعات. لقد تفاقم عطشه. لم يكن يُحتضر أو شيئاً من هذا القبيل، ولكن لا شك في أنه يعاني من الجفاف بسبب التقيؤ، وبسبب الكاتشافا... شعر أن الكاتشافا التصق بجدران حلقه، ولكن القليل من الماء سيفي بالغرض، وينظّف حلقه، نظر إلى المرحاض، لم يُفكر في الشرب من المرحاض الذي سبق له أن تبوّل فيه.

نظر إلى الكاميرا: «من فضلكما، دعونا نتكلم، أنا أتوسل إليكما». بدا صوته غريباً بالنسبة إليه، لم تعد كلماته واضحة لأن لعابه أصبح سميكاً.

لم يلقَ ردّاً

10

بعد ساعتين

لم يكن يُفكّر بشيء سوى أنه عطشان. لقد قرأ قصصاً عن رجال وجدوا أنفسهم عالقين في المحيط فبدأوا في شرب الماء المالح الذي يطفون عليه، مع أن شرب ماء البحر يؤدي بسرعة إلى الجنون. هذا ما قرأه في القصة، على أية حال، ولكنه لم يهتم إن كان ما ورد ي القصة صحيحاً أم لا، لأن أقرب محيط يبعد عنه نحو ألف ميل، ليس هنا من شيء سوى الماء الفاسد في مرحاض بورتا جون.

في النهاية، استسلم للأمر. حرك أصابعه أسفل الفتحة، واستند إلى إحدى ذراعيه، ومدّها حتى وصل إلى الصينية. في البداية، لم يتمكن من الإمساك بها بشكل صحيح بسبب العصارة. بدلاً من سحبها نحوه، نجح في دفعها قليلاً أكثر على الأرضية. بذل قصارى جهده وأخيراً تمكن من أن يلتقطها بأطراف أصابعه، سحبها عبر الفتحة. نظر إلى اللحم، وأغمض عينيه وتناول قضمة ثم أخرى، ثم شعر بالغثيان

حدّث نفسه: لا تفكر، امضغ وابلع.

اِعتبره محاراً نيئاً، أو بلغماً ينزلق عبر المريء. فتح عينيه ونظر إلى الكاميرا، كانت رؤيته مشوشة لأن عينيه ترقرقتا بالدمع. «هل يكفي هذا؟».

لـم يلـقَ ردّاً. فـي الواقـع، لم يكن الأمر مجرد لقمة، لقد كان في البداية، ولا يزال لديه الكثير ليتناوله.

صرخ: «لماذا؟». ما الذي تهدفان إليه.

لم يلقَ ردّاً. ربما لا يوجد مكبر صوت، ولكن خورخي لا يعتقد ذلك. يعتقد أنهما يستطيعان سماعه بالإضافة إلى رؤيته، وإذا كانا قادرين على سماعه، فيمكنهما الردّ.

قال بانكسـار: «لا أسـتطيع، ما كنت لأرفض لو كنت أسـتطيع، ولكنني للأسف لا أستطيع».

لكن تبيّن له أنه يسـتطيع. لقمة تلو الأخرى، أكل الكبد النيء. في البداية، شـعر برغبة جامحة للتقيؤ، ولكنها تلاشت في النهاية.

«لا يكفـي هـذا فقـط». فكـر خورخي وهو ينظر إلـى بركة الهلام الأحمر المتجمد على الصحن الفارغ. «لم يختفِ، لقد هزمته وأُجبرته على الانصياع».

رفع الصحن صوب الكاميرا. في البداية، لم يحدث شيء، ثم انفتح الباب أعلى الدرج ونزلت المرأة. وقد لفت شعرها حول أسطوانات تصفيف الشعر، وطلت وجهها بنوع من الماسـك الليلي، كانت تحمل بإحدى يديها قنينة مياه دسـاني، وضعتها على الأرض بعيداً من متناول يد خورخي، ثم أمسكت بالمكنسة.

أمرته قائلة: «اشرب العصارة».

همس خورخي: «رجاءً لا تفعلي ذلك. رجاءً توقفي».

ربمـا كانـت الأسـتاذة هاريـس متقاعدة في قسـم اللغـة الإنكليزيـة، وربما تُدرّس فصولاً بين الحين والآخر وتشـارك في الندوات وتحضر الاجتماعات. لم تقل شـيئاً، ولكـن الهـدوء الـذي لمحـه في عينيها أقنعه. لقد بدت وكأنها تذكّره بأغنية بلوز قديمة: لا جدوى من البكاء والتوسل.

أمال الصحن، فانزلقت العصارة الهلامية إلى فمه، وتناثرت قطرات على قميصه، ولكن معظم الدم انزلق إلى حلقه. إنه مالح وزاد في عطشـه. أراها أن الصحن أصبح فارغـاً، وتوقـع منهـا أن تطلـب لحـس ما بقـي، ولكنها لم تفعل، بل دفعـت قنينة المياه بالمكنسة لكي تمررها عبر الفتحة، أخذها خورخي وفتح الغطاء وشرب نصفها.

بدا منتشياً

أسندت إيميلي المكنسة مجدداً إلى الجدار، وعاودت صعود الدرج: «ماذا تريدين؟ قولي لي ما الذي تريدينه وسأنفذه، أقسم بالله».

توقفت للحظة، لم تقل سوى: «شاذ». وتابعت صعود الدرج، قبل أن تغلق الباب وتقفل القفل.

22 تموز 2021

1

في عالم اجتاحه الوباء، تطوّر تطبيق زوم بشكل كبير وغير متوقع. إذا عاودنا النظر إلى الخلف، يذكّرنا هذا بالعام 2020 الذي بدأت فيه هولي بالتواصل عبر هذا التطبيق. نحن نتحدث عن فترة طويلة ظلت محفورة في الذاكرة، وكأنها أطول بكثير من سبعة عشر شهراً فقط. أيام كانت فيها الانقطاعات المتكررة في الاتصال جزءاً لا يتجزأ من التجربة، ففي بعض الأحيان يكون زوم أداة مفيدة للتواصل، وفي أحيان أخرى يكون مصدراً للإرباك والصداع.

من بين الناس، نجد هولي غيبني، التي تعشق الأفلام وتقضي أوقاتها في رؤية إبداعات هوليوود الفنية العظيمة والبسيطة على حدٍّ سواء، مع أنها لم تقصد مسرحاً حقيقياً منذ الربيع، وهي المعجبة بـ«ونان البربري». وهو فيلم الثمانينيات الكلاسيكي، وأحبت كثيراً قول البائع المتجول في الفيلم عن الإله ست وأتباعه: «قبل سنتين أو ثلاث، كانوا مجرد طائفة صغيرة من الأفاعي. والآن، هم في كل مكان».

إذا كان يجوز لنا أن نستعير هذا القول، نجد أنه يتناسب تماماً مع تطبيق زوم. فقد كان في العام 2019، مجرّد تطبيق يحاول التنافس مع غيره مثل فيس تايم وغو تو ميتينغ، ولكن الآن وبفضل فيروس كورونا (كوفيد–19)، أصبح حاضراً في كل مكان، مثل إله الشر ست وأتباعه. وبهذا الانتشار الواسع، تطورت التقنيات المستخدمة فيه وتحسنت جودة الخدمة التي يقدمها.

قد تصلح الجنازة التي ستحضرها هولي عبر زوم لتكون مشهداً في دراما تلفازية، حيث يتم التركيز على كل من يلقي كلمة تأبين للراحلة العزيزة، مع عرض بعض اللقطات العرضية للمعزين الحزينين في منازلهم.

لكن، مع كل تلك التطورات والتحسينات، ترفض هولي استخدام خاصية الفيديو.

فقد اختارت أن تظل كما هي، كتومة ومتحفّظة، رغم كل القوة والتقدم الذي حققته الأدوات التكنولوجية.

تدرك هولي تماماً أن شعور الناس بالحزن والانهيار خلال الجنازات شيء طبيعي، لكنها لم ترغب في أن يشاهدها أحد في حال من الضعف، وخاصة زملاؤها في العمل وأصدقاؤها. لم ترغب أن يروا عينيها المحمرتين، وشعرها المتشابك، ويديها المرتجفتين أثناء قراءتها تأبينها القصير والصادق بقدر الإمكان. والأهم من ذلك كله، لم ترغب أن يروها وهي تدخن سيجارة بعد مرور سبعة عشر شهراً على إصابتها بفيروس كورونا (كوفيد). فقد عادت إلى التدخين وإلى شرب الكحول.

مع اقتراب الجنازة من الانتهاء، عرضت شاشة هولي شريطاً يحتوي على صور الراحلة العزيزة في وضعيات مختلفة، وعزفت في الخلفية أغنية «شكراً على الذكرى». لفرانك سيناترا. لم تستطع هولي تحمل البقاء لفترة أطول، لذا نقرت على خيار المغادرة. وأخذت سحبة من سيجارتها، ثمّ رنّ هاتفها وهي تنفث الدخان.

لم ترغب هولي في التحدث إلى أي شخص في ذلك الوقت، ولكن المتصلة كانت باربرا روبينسون، لذا كان عليها الردّ على المكالمة.

قالت باربرا: «لقد غادرتِ، من دون حتّى وضع مربع أسود عليه اسمك».

ردّت هولي قائلة: «لم تعنِ لي هذه الأغنية شيئاً، وفي أي حال لقد انتهت الجنازة».

سألت باربرا: «لكنك بخير، أليس كذلك؟».

أجابت هولي: «نعم، ولكن الآن أحتاج إلى...».ثمّ قاطعت نفسها، فلم تكن هولي متأكدة تماماً إن كانت بخير أم لا. حاولت إيجاد كلمة تقبلها باربرا، وهل ستتمكن هولي من إنهاء هذه المكالمة قبل أن تنهار؟ ثمّ استكملت قائلة: «أحتاج أن أكون وحدي لفترة قصيرة».

أجابت باربرا: «أفهم، سأكون إلى جانبك في أي وقت إذا احتجتِ إليّ، سواء كان هناك حجر صحي أم لا».

كل واحدة منهما تعرف أن الحجر الصحي اختياري أكثر منه إجباري، حيث صمم حاكمهم على حماية الحريات الفردية بغض النظر عن عدد الأشخاص الذين قد يصابون أو يموتون. ولله الحمد، كان معظم الناس يأخذون -في كل الأحوال-

احتياطاتهم بشكل مقبول.

أجابت هولي: «لا حاجة إلى كل ذلك».

قالت باربرا: «حسناً. أعلم أن الوضع سيئ يا هولي – والتوقيت سيئ – ولكن عليكِ أن تكوني قوية قليلاً. لقد تجاوزنا الأسوأ». قد يكون كلامها صحيحاً – أو على الأقل جزئياً – إذا تَذكّرنا حادثة شيت أوندوفسكي في نهاية العام الماضي.

واصلت باربرا قائلة: «ستأتي اللقاحات الداعمة قريباً، أولاً للأشخاص من ذوي الجهاز المناعي الضعيف، ثمّ لكبار السن الذين تعدّوا سن الخمسين والستين، ولكن سمعت في المدرسة أنها ستصبح متاحة للجميع بحلول الخريف».

أجابت هولي: «حسناً».

قالت باربرا: «وبالإضافة إلى ذلك، لقد غادر ترامب السلطة».

قالت هولي في سرّها: رحل وترك وراءه بلداً في حال صراع داخلي، من سيضمن أنه لن يعود مرّة أخرى في العام 2024؟ ثمّ تذكّرت كلمات آرني في فيلم المدمر: «سأعود».

سألت باربرا: «هولي أمازلتِ معي؟».

أجابت هولي: «أنا معك، ولكنني كنتُ أُفكر». إنها تفكر في تدخين سيجارة أخرى، فمنذ أن عاودت التدخين، ما عادت سيجارة واحدة تكفيها.

قالت باربرا: «أحبك، وأفهم أنك بحاجة إلى بعض الوقت لتختلي إلى نفسك، ولكن إذا لم تتصلي بي مرّة أخرى الليلة أو غداً، سأتصلُ بك. أعتقد أن هذا تحذير مناسب».

أجابت هولي: «حسناً»، وأنهت المكالمة.

مدّت يدها بحثاً عن علبة سجائرها، ثمّ دفعتها بعيداً، ووضعت رأسها فوق ذراعيها المتشابكين وشرعت بالبكاء. كانت تبكي كثيراً في الآونة الأخيرة. هي دموع الارتياح بعد فوز بايدن في الانتخابات، ودموع الرعب كردّ فعل متأخر على سقوط شيت أوندوفسكي؛ الذي كان وحشاً يتظاهر بأنه إنسان. بكت دموع غضب أثناء أعمال الشغب التي حدثت أمام مبنى البرلمان كما بكت بعدها، أما اليوم فهي تذرف دموع حزن وخسارة، وارتياح في الوقت نفسه. هذا مروّع، لكنها تفترض أنه أمر طبيعي بالنسبة إلى البشر.

في آذار 2020، اجتاح فيروس كورونا (كوفيد–19) دور رعاية المسنين في الولاية التي نشأت فيها هولي. ولم تبدُ هذه المشكلة مزعجة بالنسبة إلى خالها هنري، وهو الذي يعيش مع والدتها في ميدوبروك إستيتس. في تلك الفترة، كان هنري قد فقد عقله، ولحسن الحظ، لم تلاحظ هولي ذلك. بدا هنري طبيعياً إلى حدّ ما خلال زياراتها النادرة له. واحتفظت شارلوت بمخاوفها بشأن شقيقها في داخلها، ملتزمة بقاعدتها الخاصة: إذا لم تتحدث عن شيء وإذا لم تعترف به، فإنه غير موجود. هذا هو السلوك ذاته الذي كانت والدتها تعتمده حين تجنبت الجلوس مع ابنتها هولي حين بلغت الثالثة عشرة من عمرها للحديث عن نموّ ثدييها.

بمرور الوقت، أصبح من الصعب على شارلوت إخفاء حقيقة مرض شقيقها العقلي. فاستعانت بابنتها وصديق ابنتها جيروم لمساعدتها في نقل هنري إلى دار رعاية المسنين رولينغ هيلز. في تلك الأثناء، بدأت الحالات الأولى للسلالة المتحوّرة دلتا تظهر في الولايات المتحدة.

انتشرت السلالة المتحوّرة دلتا في دار رعاية المسنين رولينغ هيلز. رفض المدير اللقاحات، مدّعياً أنه قرأ في الإنترنت أنها تحتوي على أجزاء من أنسجة أجنّة مُجهضين، بعد فترة فُصل من عمله، لكن الضرر كان قد وقع. اجتاح متحور دلتا دار رعاية رولينغ هيلز، وسرعان ما أصيب به أكثر من أربعين شخصاً من كبار السن بدرجات مختلفة من المرض. مات العشرات، ولم يكن الخال هنري واحداً منهم، فهو حتّى لم يمرض. لقد أخذ جرعتين من اللقاح – رفضت شارلوت تلقي اللقاح بالرغم من إصرار هولي – وعلى الرغم من أن نتيجة اختبار فيروس كورونا (كوفيد) لديه كانت إيجابيّة، إلا أنه لم يعانِ من أيّ أعراض سوى القليل من سيلان الأنف.

توفيت شارلوت.

في التفاصيل، رفضت شارلوت أخذ اللقاح أو وضع القناع لأنها من أشد المؤيدين لترامب. كانت تستغل أي فرصة للتباهي بهذا الأمر أمام ابنتها. وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت تضطر لوضع القناع عند زيارتها البنك المحلي في كروغر، حيث كانت ملزمة بذلك. واحتفظت بقناع أحمر اللون كُتب عليه «اجعل أميركا عظيمة مرّة أخرى». لاستخدامه في هذه المناسبات بالتحديد.

في الرابع من تموز، شاركت شارلوت في مسيرة احتجاجية مناهضة لوضع الأقنعة في عاصمة الولاية، وحملت لافتة كتب عليها «جسدي، اختياري».(مع ذلك لم تؤثر هذه الشعارات في موقفها القوي المعارض للإجهاض). في السابع من تموز، فقدت حاسة الشم وبدأت تعاني من السعال. في اليوم العاشر، نُقلت إلى مستشفى ميرسي، الذي يبعد تسعة مبانٍ عن دار رولينغ هيلز لرعاية المسنين حيث كان شقيقها يعيش هناك بحال جيدة... على الأقل من الناحية الجسدية. في اليوم الخامس عشر، وُضعت على جهاز التنفس الصناعي.

خلال الفترة القصيرة والقاسية من مرض شارلوت، تواصلت معها هولي عبر تطبيق زوم. مع أن شارلوت استمرت في الادعاء بأن الكوفيد مجرد خدعة، إلا أنها كانت تعاني بشدة من أعراض الإنفلونزا. توفيت شارلوت في العشرين من تموز، ولولا مساعدة صديق هولي، بيت هنتلي، لكانت جثتها ستوضع في الشاحنة المبردة التي استخدمت كملحق للمشرحة. ولكن جثتها نُقلت إلى دار جنازة كروسمان، حيث نظّم مدير الجنازات جنازتها عبر تطبيق زوم بسرعة. بعد مرور عام ونصف العام على انتشار الوباء، أصبح لديه خبرة كبيرة في مجال إقامة جنازات عبر الإنترنت.

أخيراً، بدأت هولي بالبكاء على نفسها. فكّرت في مشاهدة فيلم، ولكن الفكرة لم تستقطبها كثيراً، وهذا نادراً ما يحدث. فكرت في الاستلقاء والاسترخاء، لكنها كانت تنام كثيراً منذ وفاة شارلوت. تعتقد أن هذه هي طريقة عقلها في التعامل مع الحزن. لا ترغب في قراءة كتاب أيضاً، فهي تشك في قدرتها على التركيز ومتابعة قراءة الكلمات في هذا الوقت.

ببساطة، تركت والدتها فراغاً كبيراً. كانت علاقتهما صعبة، وتدهورت تلك العلاقة عندما قررت هولي الانسحاب منها. وبفضل بيل هودغز، تمكّنت هولي من تحقيق بعض نجاح في أن تبتعد عن حزنها، وأن تسد شيئاً من ذلك الفراغ الذي حصل بعد وفاة الأم. لذا فإن حزن هولي كان أشد عمقاً عندما توفي بيل بسبب سرطان البنكرياس، ولكن الحزن الذي تشعر به الآن أكثر تعقيداً، لأن شارلوت غيبني كانت دائماً امرأة صريحة للغاية، وتميل إلى الحب القوي والحماية المفرطة، خاصة عندما يتعلق الأمر بابنتها. وقد تفاقمت الخلافات بينهما بسبب مواقف شارلوت المؤيدة للرئيس السابق.

نادراً ما تبادلتا الزيارات، وكانت الزيارة الأخيرة في عيد الميلاد الماضي، حيث حضّرت شارلوت جميع أطعمة هولي المفضلة، وكل طبق يذكر هولي بطفولتها التي أمضتها وحيدة وتعيسة.

لدى هولي هاتفان على مكتبها: هاتفها الشخصي وهاتف العمل. كانت شركة فايندرز كيبرز مشغولة خلال فترة الوباء، على الرغم من أن التحقيقات أصبحت صعبة إلى حدّ ما. فقد تم إغلاق الشركة الآن، ويقول بيت هنتلي إن الإغلاق سيستمر حتّى الأول من آب. فكّرت هولي في إضافة جملة أن سبب إغلاق الشركة هو «وفاة أحد أفراد الأسرة» للرد المباشر من خلال مكنة الإجابة على كل اتصال بهاتف المكتب، ولكنها قررت أن هذا لا يعني أحداً. ثمّ تحققت من هاتف المكتب، على الرغم من أنها تتصرف بدون وعي في الوقت الحالي.

لاحظت هولي أن لديها أربع مكالمات فائتة خلال الأربعين دقيقة الماضية، من الرقم نفسه، وأن المتصل ترك أربع رسائل صوتية. للحظة، فكّرت في حذف تلك الرسائل من دون الاستماع إلى محتواها، حيث كانت تُفضّل مشاهدة فيلم أو قراءة كتاب بدلاً من القيام بأي شيء آخر.

فكّرت هولي في أنها لن تكون مضطرة لمعاودة الاتصال إذا استمعت إلى الرسائل، لذا ضغطت على زر الاستماع للرسالة الأولى. وصلتها الرسالة الصوتية الأولى في الساعة 1:02 بعد الظهر، في الوقت الذي بدأت فيه جنازة شارلوت غيبني.

بدأت بينيلوبي دال رسالتها بالقول: «مرحباً، معك بينيلوبي دال. أعلم أن الوكالة مغلقة حالياً، ولكنني أتصل بخصوص أمر في غاية الأهمية. في الواقع، إنها حالة طارئة. أتمنى أن تعاودي الاتصال بي في أقرب وقت ممكن. لقد اقترحت عليّ المحقّقة إيزابيل غاينز الاتصال بوكالتك».

كانت هولي تعرف إيزي غاينز بالفعل، فقد كانت رفيقة بيت هنتلي عندما كان يعمل في الشرطة. مع ذلك، لم يكن هذا ما لفت انتباهها في الرسالة. ما لفت انتباهها حقاً هو مدى تشابه صوت بينيلوبي دال مع صوت والدتها في آخر أيامها. لم يكن الصوت بحدّ ذاته ما أثار اهتمامها، بل كان القلق الملموس المتجسّد في الصوت. لطالما بدت شارلوت قلقة بشأن شيء ما، ونقلت هذا القلق المستمر إلى ابنتها كما

ينتقل الفيروس. في الواقع، كان الشبه واضحاً بين هذا القلق وكيفية انتقال فيروس كورونا.

قررت هولي عدم الاستماع إلى بقية رسائل بينيلوبي المقلقة. ستضطر السيدة بينيلوبي للانتظار. بالتأكيد، لن يتمكن بيت من القيام بأي عمل لبعض الوقت؛ فقبل أسبوع من وفاة شارلوت، كانت نتيجة اختباره لفيروس كورونا إيجابية. سبق له أن تلقى جرعتين من اللقاح ولم يكن وضعه حرجاً؛ قال إنه يعاني من أعراض نزلة برد حادة بدلاً من أعراض الإنفلونزا؛ ولكنه يخضع للحجر الصحي الآن وسيستمر في ذلك لبعض الوقت.

وقفت هولي عند نافذة غرفة المعيشة في شقتها الصغيرة ونظرت إلى الشارع. تذكرت آخر وجبة تناولتها مع والدتها. كانت شارلوت سعيدة وهي تتحدث بصوت مفعم بالقلق: «عشاء عيد الميلاد الأصيل، تماماً كما اعتدنا في الأيام الخوالي». كان العشاء عبارة عن ديك رومي جاف وبطاطا مهروسة متكتلة وهليون ذابل. كانت تلك الوجبة فظيعة، والأفظع من ذلك أنها كانت الأخيرة. تساءلت هولي إذا كانت قد قالت لوالدتها: «أحبك يا أمي».قبل أن تغادر في صباح اليوم التالي. تعتقد هولي أنها قالت ذلك، ولكنها غير متأكدة. ما تذكره بوضوح هو الارتياح الذي شعرت به عندما انعطفت بسيارتها ولم تعد ترى منزل والدتها في مرآة الرؤية الخلفية.

2

تركت هولي سجائرها على حاسوبها المكتبي ثم عادت لإحضارها. أخذت سيجارة وأشعلتها، نظرت إلى هاتف المكتب الذي كان على قاعدة الشحن. قررت الاستماع إلى رسالة بينيلوبي دال الثانية التي بدأت بالاعتراض.

أعلمت بينيلوبي دال هولي بأن المدة المسموحة لهذه الرسائل قصيرة جداً. وأعربت عن رغبتها في التحدث إلى هولي أو إلى السيد هنتلي، أو إلى الاثنين معاً، بشأن ابنتها بوني التي اختفت قبل ثلاثة أسابيع في الأول من تموز. مبدية استياءها من سطحية تحقيقات الشرطة، وذكرت أنها قد أبلغت المحقّقة غاينز بذلك.

قالت هولي، وهي تنفث الدخان من فتحتي أنفها: «أخبرت المحقّقة غاينز بذلك

وجهاً لوجه». تتميز إيزي بشعرها الأحمر، وعينيها الرماديتين. وهي محقّقة جيدة. لمعت في رأس هولي فكرة، إنها ستحاول أن تُشرك إيزابيل في عملها إذا بقي بيت على قراره بالتقاعد. من دون تردد، استمعت هولي إلى الرسالة الثالثة، وكان عليها أن تكمل الاستماع إلى الرسالة حتّى النهاية. ومع أنه يمكنها أن تُخمن ما حدث، فمن الممكن أن تكون بوني دال قد هربت، لكن والدتها لم تقبل مثل هذا الاحتمال.

«تعمل بوني مساعدة أمين مكتبة في حرم جامعة بيل، في راينولدز. أُعيد فتح المكتبة في حزيران لطلاب الصيف، وأُجبروا على وضع القناع للدخول. أعتقد أنهم سيُطلب منهم قريباً أيضاً إظهار بطاقة اللقاح، على الرغم من أنهم لم...».

فكّرت هولي متى ستصل إلى النقطة المهمة، ثمّ ضغطت على زر تسريع التسجيل، فتحدثت بينيلوبي بسرعة أكبر.

«تستخدم بينيلوبي دراجتها للذهاب إلى وظيفتها، وقد حذّرتها من أن ذلك غير آمن. لكنها أصّرت على أنها تعتمر خوذة، وكأن ذلك سيحميها من الحوادث المحتملة أو صدمة سيارة. توقفت بوني في جيت مارت لتناول مشروب غازي، وكانت هذه آخر...». بدأت بينيلوبي في البكاء، وكان من الصعب على هولي أن تستمع إلى ذلك. أخذت هولي سحبة من سيجارتها، ثمّ أطفأتها.

تابعت بينيلوبي: «آخر مرّة شوهدت فيها. أرجوك ساعديني...».

انتهت الرسالة وهولي تقف وتحمل هاتف المكتب بيدها، وتستمع بانتباه إلى المحتوى الصوتي الذي يُنقل عبر مكبر الصوت. بعد ذلك، جلست ووضعت الهاتف برفق على قاعدة الشحن المخصصة له.

للمرة الأولى منذ إصابة شارلوت بالمرض، وبالتحديد منذ أدركت هولي أنها لن تتحسّن، قررت هولي أن تُنحي حزنها جانباً وتركّز على سماع القصة الكاملة، أو على الأقل كل ما سمعته من بينيلوبي القلقة.

قررت هولي الاتصال ببيت، مع أنه قد لا يكون على دراية بالتفاصيل الكاملة للقصة. كما قررت أن تفكر في مكالمات الفيديو القليلة التي أجرتها، وآخرها تلك المكالمة التي كانت مع والدتها، وكيف رأت في عيني شارلوت تعكسان الخوف بعدما وضعت على جهاز التنفس الاصطناعي.

أجاب بيت على الاتصال منذ الرنة الأولى بصوت خشن قائلاً: «مرحباً، هولي. أنا آسف جداً بشأن والدتك».

قالت هولي: «شكراً لك».

قال: «كان خطاب تأبينك عظيماً. كان قصيراً لكنه مؤثر. أتمنى فقط أن أحصل على... فقط أتمنى لو استطعت رؤيتك. ما الأمر، هل هناك خلل في حاسوبك؟».

على الرغم من أن هولي كانت قادرة على الادعاء بحصول خلل في حاسوبها، إلا أنها اعتادت على قول الحقيقة في معظم الأحيان، إلا في تلك الحالات النادرة التي تشعر فيها بعدم القدرة على البوح بها. لذا، أجابته قائلة: «لا، ليس من خلل في حاسوبي، كل ما في الأمر أنني أوقفت خاصية الفيديو. أنا في حال سيئة. كيف حالك يا بيت؟».

سمعت صوت البلغم عندما تنحنح، وأجابها قائلاً: «أنا لستُ سيئاً، ولكنني كنت أفضل في الأمس. يا ربي، أتمنى أن لا تكون رحلتي طويلة».

سألته: «هل اتصلت بطبيبك؟».

ضحك بيت ثمّ قال: «سأحاول أيضاً الاتصال بالبابا فرانسيس. هل تعرفين كم عدد الحالات الجديدة التي ظهرت في المدينة في الأمس؟ 3400 حالة. إن عدد الإصابات يتزايد بشكل كبير». ثمّ عاود السعال.

سألته: «ماذا عن الطوارئ؟».

قال بيت: «سأستمر في تناول العصير والباراسيتامول. وأسوأ ما في الأمر هو التعب الشديد الذي أشعر به طوال الوقت. في كل مرّة أتوجه فيها إلى المطبخ، أشعر بأنها رحلة طويلة ومرهقة. وعندما أذهب إلى الحمام، أجلس وأتبول بنفس طريقة الفتيات. أعتذر عن استرسالي في الشرح».

في الحقيقة لقد استرسل كثيراً، ولكنها لم تشعره بذلك. لم تعتقد أن عليها أن تشعر بالقلق بشأن بيت، فعادةً لا تكون المتحوّرات خطيرة، ولكن ربما كان وضعه مقلقاً بعض الشيء.

سألها: «هل اتصلت بي للدردشة فقط، أم أنك تريدين شيئاً ما؟».

قالت: «لا أريد أن أزعجك إذا...».

قال: «تفضلي، أزعجيني. أعطني شيئاً لأفكر فيه. هل أنت بخير؟ هل أنت

مريضة؟».

قالت: «أنا بخير. هل تلقيت مكالمة من امرأة اسمها...»

قال: «بيني دال. صحيح؟ لقد تركت لي أربع رسائل صوتية على هاتف الشركة حتّى الآن».

قالت: «وتركت لي أربعاً أيضاً. هل استمعت إليها؟».

عرفت هولي أنه لم يستمع إليها، وتوقعت أن بينيلوبي القلقة قد بحثت عن موقع فايندرز كيبرز أو ربما استخدمت تطبيق فيسبوك للبحث. واكتشفت هولي أنها وجدت رقم الشريكين، وكان أحدهما ذكراً والآخر أنثى. فاتصلت بينيلوبي القلقة بالشريك الذكر، لأنه وبحسب وصفها، عندما تواجه مشكلة عادة ما تستعين بالجواد أولاً، وتترك الفرس بمثابة خيار احتياطي، وبدا أن هولي اقتنعت أنه يفترض بها أن تؤدي في فايندرز كيبرز دور الفرس التي تساعد وتدعم.

تنهّد بيت مرّة أخرى، وعندما تحشرج أصدر صوتاً مزعجاً، ثمّ قال: «هولي أود أن أذكّرك بأن الشركة مغلقة حالياً، في حال نسيت ذلك. وبسبب وضعي المزري الحالي، لا أعتقد أن التحدث إلى أم مطلقة تبكي سيجعلني أشعر بتحسن. ولا أعتقد أن ذلك سيجعلك تشعرين بتحسن أنت الأخرى، خاصة بعد فقدانك والدتك. انتظري حتّى شهر آب، ربما بحلول ذلك الوقت، ستكون الفتاة قد تواصلت عبر تطبيقات مثل مومزي من فورت واين أو فينيكس أو سان فرانسيسكو». ثمّ سعل بشدة مرّة أخرى وتابع: «أو يعثر رجال الشرطة على جثتها».

قالت: «يبدو أنك تعرف شيئاً ما، بالرغم من أنك لم تتحدث إلى الأم، هل نُشرت القصة في الصحف؟».

قال: «أوه نعم، لقد كانت قصة كبيرة. يا للسخرية، كُتب عنها سطران فقط في صحيفة بوليس بين خبرين، أولهما خبر عن رجل عارٍ فقد وعيه في شارع كمبرلاند، وثانيهما عن ثعلب مسعور يتجول في ساحة مرأب وسط المدينة. ليس من شيء لافت في صحف هذه الأيام باستثناء أخبار كوفيد والأشخاص الذين يتجادلون حول الأقنعة. الأمر أشبه بوقوف الناس تحت المطر وتجادلهم إن كانوا قد تبللوا أم لا». توقف قليلاً، ثمّ أضاف على مضض: «تقول السيدة في رسالتها الصوتيّة إن إيزي أرشدتها إلينا، لذلك

اتصلت بها».

كانت ابتسامات هولي قليلة هذا الصيف، إلا أن واحدة بقيت ترتسم على وجهها الآن. من الجيد أن تعرف أنها ليست الوحيدة المدمنة على الوظيفة.

بدا الأمر وكأن بيت استطاع رؤية الابتسامة على وجه هولي، مع أنهما لا يتحدثان عبر مكالمة فيديو، قال لها: «لا تكبّري المواضيع، اتفقنا؟ كان عليّ مكالمة إيزي على أيّ حال، كي أطمئن عليها».

قالت: «وماذا قالت لك؟».

قال بيت: «إنها بخير من ناحية المرض. لكنها ناحت كثيراً بسبب حبيبها الأخير. سألتها عن بوني دال، فأخبرتني أنهم يتعاملون معها على أنها شخص مفقود. وهناك أسباب وجيهة لذلك وفقاً لما قالته. أفاد الجيران أن هناك العديد من المشاكل والخلافات الحقيقية بين الشابة ووالدتها في السابق. وعُثر على رسالة وداع مكتوبة بخط اليد موضوعة على مقعد دراجة بوني. وقد صُدمت الأم لأنها اعتبرتها نذيراً للمصائب، أما إيزي فوصفت الرسالة بأنها غامضة».

سألته: «ماذا كُتب فيها؟».

أجابها: «كلمتان فقط. لقد اكتفيت. وهذا قد يعني أنها غادرت المدينة، أو...»

قاطعته: «أو انتحرت. ماذا يقول أصدقاؤها عن حالتها الذهنية؟ أو الأشخاص الذين يعملون معها في المكتبة؟».

أجابها: «أنا لست على دراية بأي تفاصيل حول ذلك». وعاد ليسعل مرّة أخرى. ثمّ قال: «لقد تركت القضية في هذا الحال، على الأقل حتّى الأول من آب. إما أن تستمر القضية كما هي حتّى ذلك الحين، أو تكون قد حلت وقتها».

قالت هولي: «إما هذا أو ذاك».

قال: «صحيح، إما هذا أو ذاك».

سألته: «أين وجدوا الدراجة؟ قالت السيدة دال إن ابنتها توقّفت لشراء مشروب غازي في جيت مارت ليلة اختفائها. هل كانت هناك؟». فكّرت هولي، هناك ثلاثة فروع صغيرة على الأقل لجيت مارت في المدينة، وربّما أكثر.

أجابها: «أعيد وأكرّر، ليس لديّ أيّ فكرة. سأستلقي الآن. ومجدداً، أنا متأسف

جدّاً لوفاة والدتك».

قالت: «شكراً. عدني بأن تطلب مساعدة صحيّة إذا لم تتحسن».

قال: «أنت مزعجة يا هولي».

قالت مبتسمة: «نعم، أنا جيدة في الإزعاج، أليس كذلك؟ لقد تعلّمت ذلك من والدتي. عدْني الآن».

قال: «حسناً». على الأرجح أنه قال ما لم يرد القيام به. ثمّ تابع: «هناك شيء آخر».

سألت: «ما هو؟». ظنّت أن الأمر يتعلق بالقضية (هكذا تفكّر هولي)، لكن الأمر لم يكن كذلك.

قال: «لن تقنعيني أبداً بأن هذا الفيروس المقرف حدث بشكل طبيعي، وأتى إلينا من الخفافيش أو التماسيح الصغيرة أو أي شيء آخر من الأسواق الرطبة الصينية. لقد تمّ تصنيعه. كما قال جدي: إنه ليس طبيعياً».

قالت: «تبدو مصاباً بجنون الارتياب يا بيت».

قال: «هل تعتقدين ذلك؟ اسمعي، الفيروسات تتحوّر. إنها مهارة البقاء على قيد الحياة. لكنها عرضة للتحوّر إلى سلالة أقل خطورة. كما حدث مع أنفلونزا الطيور. لكن هذا الفيروس يزداد سوءاً. أصاب متحوّر دلتا الأشخاص الذين أخذوا جرعتين من اللقاح، وأنا واحد منهم. والأشخاص الذين لم يعانوا من أعراض خطيرة أثناء إصابتهم بمتحوّر دلتا، يحملون أربعة أضعاف الحمل الفيروسي، وبالتالي ينقلون العدوى بشكل أكبر. هل يبدو لكِ أن رأيي فيه عشوائية؟».

قالت: «من الصعب معرفة ذلك، قد يتحوّر دلتا إلى شيء أضعف». ما يسهل معرفته هو أن بيت مقتنع بفكرته تماماً.

قال: «سنرى، أليس كذلك؟ عندما يأتي المتحوّر التالي، إن قدومه مؤكد. في هذه الأثناء، اتركي موضوع بوني دال، وابحثي عن شيء لتشاهديه على نيتفلكس. هذا ما سأفعله».

قالت: «نصيحة جيدة. اعتنِ بنفسك يا بيت». وأنهت المكالمة. لا تريد هولي مشاهدة أيّ شيء على نيتفلكس (تعتقد هولي أن معظم أفلامهم متواضعة بشكل غريب، حتّى الأفلام ذات الميزانيات الكبيرة منها).

لكن معدتها أصدرت صوت هدير خفيف، فقررت أن تتناول شيئاً ليريحها. ربّما حساء الطماطم وشطيرة الجبن المشوي. قد تكون أفكار بيت حول الفيروسات مجرّد كلام فارغ قرأه في الإنترنت، لكن نصيحته بشأن ترك قضيّة بينيلوبي بوني دال حالياً، كانت نصيحة جيدة لا شك في ذلك.

سخّنت هولي الحساء، وأعدت شطيرة الجبن، ووضعت عليها كثيراً من الخردل وقليلاً من التوابل، هكذا تفضلها. وقررت ألا تتصل ببينيلوبي دال.

3

لقد أقلقتها الرسالة التي عُثر عليها على مقعد دراجة بوني دال: لقد اكتفيت. سبق لهولي أن فكرت عدة مرات بالهرب من كل شيء، وترك رسالة مماثلة، ولكنها لم تفعل. وفي أحيان أخرى فكّرت في ترك كل شيء – على حدّ تعبير بيل – ولكن أفكارها هذه لم تجد لها حيزاً للتنفيذ.

حسناً... ربما لم تُفكّر كثيراً، بل مرّة أو مرتين.

اتصلت بالسيدة دال من هاتف مكتبها، فأجابت المرأة من الرنة الأولى. سألت بلهفة: «مرحباً؟ فايندرز كيبرز؟».

أجابت هولي: «معك هولي غيبني. كيف يمكنني مساعدتك سيدتي؟».

قالت بينيلوبي: «الحمد لله أنك اتصلت، ظننتك والسيد هنتلي في إجازة أو شيئاً من هذا القبيل».

سألتها هولي: «سيدتي هل يمكنك زيارتي غداً في مكتبي؟ إنه في...»

قاطعتها بينيلوبي: «مبنى فرانكلين، أنا أعرف العنوان وبالطبع سآتي. لم تساعدني الشرطة أبداً. في أي وقت سنلتقي؟».

سألت هولي: «هل يناسبك أن نلتقي عند التاسعة؟».

أجابت بينيلوبي: «رائع. شكراً جزيلاً لك. آخر مرّة شوهدت فيها ابنتي كانت الأول من تموز في تمام الساعة الثامنة إلا أربع دقائق، هذا ما أشار إليه مقطع الفيديو في المتجر...».

قاطعتها هولي: «سنتحدث في التفاصيل غداً، لكن لا يمكنني أن أعدك بشيء سيدة

دال. ستلتقين بي وحدي لأن شريكي مريض».

قالت بينيلوبي: «يا إلهي، كوفيد؟».

قالت هولي: «نعم، ولكن أعراضه خفيفة، والآن أودّ أن أطرح عليك بعض الأسئلة.. ذكرتِ في رسالتك الصوتية أن بوني شوهدت آخر مرّة في جيت مارت. كثيرة هي فروع جيت مارت في المدينة، في أي فرع كانت؟».

قالت بينيلوبي: «الفرع القريب من المتنزه، في شارع ريد بانك، هل تعرفين المنطقة؟».

أجابت هولي: «نعم، وهل عثروا على دراجتها هناك؟». سبق لهولي أن تزودت بالوقود من ذلك الفرع لجيت مارت مرّة أو مرتين.

قالت بينيلوبي: «لا، عثروا عليها بالقرب من مبنى فارغ لا يبعد إلا قليلاً عن ريد بانك، كثيرة هي المباني الفارغة هناك، لكن ذاك المبنى كان ورشة لإصلاح السيارات، أو شيء من هذا القبيل. كانت دراجتها متوقفة هناك، أمام تلك الورشة».

سألت هولي: «لم تكن هناك محاولة لإخفائها؟».

أجابت بينيلوبي: «كلا، لا شيء من هذا القبيل. قالت محقّقة الشرطة غاينز التي تحدثتُ إليها إنهم يشكون بأنها تعمدت ترك دراجتها هناك حتّى يعثروا عليها، لأن محطة الحافلات والقطارات لا تبعد سوى ميل من هناك، ومن هناك تستطيع الوصول إلى وسط المدينة؟ لكنني قلت لها أن بوني لن تترك دراجتها وتمشي بقية الطريق، فلم يبدُ لي مثل هذا التصرف منطقياً». انفعلت السيدة، ودخلت في إيقاع هستيري تعرفه هولي جيداً. إذا لم توقفها هولي الآن، فقد تستمر المكالمة ساعة وربما أكثر.

قالت هولي: «اسمحي لي أن أقاطعك سيدة دال...».

قالت بينيلوبي: «بيني، نادِني بيني».

قالت هولي: «حسناً يا بيني. سنتحدث عن كل هذا غداً. نحن نتقاضى أربعمئة دولار في اليوم، والحدّ الأدنى للاستعانة بخدماتنا هو ثلاثة أيام، بالإضافة إلى النفقات، والتي سأفصّلها لك. نتعامل بالماستر أو الفيزا أو الشيك الشخصي. لا نتعامل بأميركان إكسبرس، لأنها...» أرادت هولي أن تقول إنها الشركة الأسوأ. لكنها كبحت لسانها وقالت: «شركة يصعب التعامل معها. هل تناسبك شروطنا؟».

لـم تتـردد بينيلوبـي بالقول: «نعم، بالتأكيد. سـألتني المحقّقـة غاينز إن بدت بوني مكتئبـة، وأنـا أعـرف مـا الـذي كانـت تُلمّح إليه، كانـت تفكر في الانتحـار، لكن بوني تتمتـع بـروح مرحـة، حتّـى بعد انفصالهـا عن المغفل الذي كانت مهووسـة به، حزنت لأسبوعين وربما لثلاثة ثمّ استعادت طبيعتها المشرقة، حسناً، ربّما استمرّ حزنها لشهر فقط، ولكن...».

كررت هولي: «سـنتحدث غداً. يمكنك أن تخبريني بكل شـيء. مقرنا في الطابق الخامس. بيني؟».

قالت بينيلوبي: «نعم؟»

قالت هولي: «ضعي قناعاً، من نوع (أن 95)، إذا كان عندك واحد من هذا النوع، فأنا لا يمكنني مساعدتك إذا مرضتُ».

قالت بينيلوبي: «بالتأكيد سأضع قناعاً، هل يمكنني مناداتك بهولي؟».

لم تبدِ رفضاً لمناداتها بهولي، وأخيراً استطاعت إنهاء المكالمة.

4

عملت هولي بنصيحة بيت، وحاولت مشاهدة فيلم (سماءٌ قرمزية) على نيتفلكس، ولكنهـا توقفـت عن المشـاهدة عندما بدأت الأحـداث المخيفة. تابعت هولي كل مآثر جيسـون ومايـكل وفريـدي الدمويـة، وهـي تعـرف أسـماء كلّ الأفـلام التـي أدى فيها كريستوفر لي دور الكونت الدموي، ولكن بعد برادي هارتسفيلد وشيت أوندوفسكي – وخاصة أوندوفسكي – لا تعتقد أنها عادت تستمتع بأفلام الرعب كما كانت في السابق.

وقفت عند النافذة تتأمل السماء، تحمل منفضة سجائر في إحدى يديها، وسيجارة في اليد الأخرى. يا لها من عادة سيئة! أنها تفكر بالفعل في مقدار ما تريده من سجائر خلال اجتماعها مع بيني دال، لطالما كانت مقابلة الزبائن الجدد مرهقة. هولي محقّقة جيدة، وقد عرفت أنها ولدت من أجل هذه الوظيفة، لكنها تُفضل أن يلتقي بيت بالزبائن الجدد والترحيب بهم كلّما اسـتطاعت ذلك. وهي بالتأكيد ليسـت على اسـتعداد لفعل ذلك غداً. فكرت في اسـتدعاء جيروم روبنسـون ليكون معها، لكنه يعمل على مسـودة المحـرر لكتـاب عـن جده الأكبر، الذي كان شـخصية مميزة. سـيأتي جيروم إذا طلبت

منه، لكنها لا تريد أن تقاطع عمله. حان الوقت لتتقبّل الأمر وتقوم بذلك بمفردها.

فكّرت هولي، إن التدخين ممنوع في المبنى، وستجد نفسها مضطرة للتوجه إلى الممشى المجاور بمجرد أن تغادر السيدة دال.

تعرف هولي أن هذه هي الطريقة التي يُفكّر فيها المدمنون: يعيدون ترتيب حياتهم على أساس عاداتهم السيئة. التدخين سيئ وخطير... لكن لا يوجد ما يريحها أكثر من واحدة من تلك اللفائف الصغيرة المليئة بالتبغ. إذا استقلت الفتاة القطار، سيكون هناك سجل يثبت ذلك حتّى وإن دفعَت نقداً. سواء استخدمت شركة نقل غريهاوند، بيتر بان، ماجيك كاربت، أو لوكس. ولكن هناك شركتان مشبوهتان متخصصتان في السفر العابر. تراي ستايت وواحدة أخرى، ما كان اسمها؟

لم تتذكر الاسم، ولم ترد إجراء بحث على الإنترنت الليلة. بالإضافة إلى ذلك، هي لا تملك ما يثبت أن بوني دال استقلت الحافلة أو أمتراك للسكك الحديدية؟ فكرت كيف حصلت كلوديت كولبير على جولة لها ولكلارك غابل من خلال رفع تنورتها وتعديل جواربها. لم تتغير الأمور كثيراً... الفرق فقط أن بوني دال لم يكن عندها رجل قوي ليحميها. لا يمكن لها أن تكون قد قامت بهذه الرحلة ما لم تكن، قد عادت إلى حبيبها السابق الذي ذكرته والدتها.

لا جدوى من التفكير في الاحتمالات الآن، فهي ستزداد غداً على الأرجح، أو هذا ما تأمله هولي. إن التفكير في اختفاء بيني دال سيلهيها قليلاً عن موت والدتها الذي تسببت به رعونة سياسية غير مبررة.

توجهت هولي إلى غرفة نومها لترتدي بيجامتها وتتلو صلاتها.

10 أيلول 2015

إنها عطلة نهاية الأسبوع، وها هو كاري دريسلر الشاب اليافع، المرح، الأعزب، مقبول المظهر، الذي لا يولي المستقبل كثيراً من التفكير، يجلس على صخرة مرتفعة قليلاً عن العشب، يشاهد فيلم سارقو التابوت الضائع ويحتسي شراباً. في عطلة نهاية الأسبوع، سيكون هذا المكان – المعروف باسم سينما سيارات درايف إن روك– مزدحماً بالفتيان الذين يتسكعون، ويشربون الجعة، ويدخنون الحشيش، لكن اليوم هو الخميس، ويبدو أن المكان وكأنه محجوز له بالكامل، وهذا ما يفضّله.

تقع سينما درايف إن روك على الجانب الغربي من ديرفيلد بارك، بالقرب من الغابات. وهي منطقة كثيفة الأشجار، تتشابك فيها نباتات الأجمات. يستحيل رؤية جادة ريد بانك من معظم المواقع هناك، ناهيك عن شاشة ماجيك سيتي درايف إن، ولكن هناك جذع خشب كبيراً يمتد إلى الشارع، ربّما دفعت به الفيضانات أو الانزلاق الصخري الذي حدث منذ فترة طويلة.

في هذه الأيام، انخفض عدد زوار ماجيك سيتي كثيراً، لا أحد يريد قتل الحشرات والاستماع إلى الموسيقى التصويرية على الراديو بينما توجد ثلاث صالات سينما في المدينة، جميعها مجهزة بتقنية دولبي، إحداها مجهزة بتقنية آي ماكس، وهذا أمر رائع. لكنك لا تستطيع تدخين الحشيش في دور السينما. أما في درايف إن روك، فتستطيع تدخين كلّ ما تريد. وبعد مناوبة عمل طويلة مدتها ثماني ساعات، لا يريد كاري شيئاً أكثر من التدخين. يُعرض الفيلم بلا صوت بالطبع، لكن كاري لا يحتاج إليه. تعيد ماجيك سيتي عرض الأفلام للمرة الثانية، الثالثة، والرابعة على التوالي، لقد شاهد فيلم سارقو التابوت الضائع عشر مرات على الأقل، وحفظ الحوار بين الشخصيات عن ظهر قلب.

«الثعابين! لماذا يجب أن تكون ثعابين؟».

سيعرض فيلم إنديانا جونز والحملة الصليبية الأخيرة بعد فيلم سارقو التابوت الضائع، والذي سبق لكاري أن شاهده هو الآخر أربع مرات على الأقل. لن يبقى من

أجل هذا الفيلم. سينهي مشروبه، ويركب دراجته (المخبأة الآن بين الأدغال بالقرب من مدخل المنتزه الأقرب إلى درايف إن روك)، ثمّ يقودها بحذر إلى المنزل.

أوشكت سيجارة الحشيش أن تنتهي. احتفظ بالفلتر، وتفقد محتويات حقيبته، احتار بين تدخين سيجارة نحيفة أو ثخينة، ثمّ وأخيراً استقر رأيه على النحيفة. سيدخن نصفها، ويأكل شوكولا الكيت كات الذي وضعه في الحقيبة، ثمّ سيتدرّج عائداً إلى شقته.

شتّت الفيلم المعروض على بعد ربع ميل تقريباً انتباهه. وانتهى به الأمر بتدخين كامل سيجارته. علقت موسيقى جون ويليامز في رأسه، بدأ يدندنها بصوت منخفض، حرصاً على ألا يسمعه أحد في الجوار، غالباً لا يكون هناك أحد بالقرب منه هنا في الساعة العاشرة مساءً من ليلة الخميس، ولكن ذلك ليس مستحيلاً.

«زوم–دم–دم، زوم–دي–دا، زوم–دم–دم، زوم–دي–دا_».

فجأة، توقف لأنه سمع صوتاً... أليس كذلك؟ أمال رأسه جانباً ليصغي. ربّما كان يتخيل. لا تسبب له المنشطات الذعر عادةً، ولكن في بعض الأحيان...

عندما ظن أنه يتخيّل ما سمع، سمع الصوت مرّة أخرى. لم يكن قريباً، ولكنه لم يكن بعيداً أيضاً، قال: «إنه صوت البطارية يا عزيزي. أعتقد أنها ستتعطّل قريباً».

لا توجد مشكلة في نظر كاري، فحدّد موقع الصوت بسرعة. لا يعقل أنه آتٍ من جادة ريد بانك – أحد أجمل شوارع المدينة–هناك الكثير من الغابات ذات الممرات القليلة والتي تشهد ازدحاماً على الجهة الأخرى من الشارع. وفي الجهة المقابلة تقع مستودعات يو ستور إيت، وورشة تصليح سيارات، بالإضافة إلى قطعتين من الأرض البور. أقيم كرنفال صغير على إحداهما بعد عيد العمال. أما في القطعة الثانية، وبجوار متجر مهجور منذ مدّة طويلة، ركنت شاحنة فُتح بابها الجانبي وانبثق منها منحدر، وجلس شخص على كرسي مدولب إلى جانب المنحدر.

قالت الجالسة على الكرسي المدولب: «لا يمكنني البقاء هنا طوال الليل. اطلب المساعدة». بدا شيء من الخوف والانزعاج في صوتها.

قال الرجل الذي يقف إلى جانبها: «سأفعل، لكنني نسيت شحن بطارية هاتفي، وهو مغلق الآن. هل معك هاتف؟».

أجابت: «تركته في المنزل. ماذا سنفعل؟».

لم يخطر ببال كاري إلا بعد فوات الأوان، أن المرأة الجالسة على الكرسي المدولب والرجل الذي يرافقها تعمّدا رفع صوتيهما. لم يكونا يصرخان، بل كانا يتحدثان كما يتحدث الممثلون عندما يؤدون أدوارهم على خشبة مسرح مكشوف للجمهور. في وقت لاحق تبيّن له أنه هو ذلك الجمهور الذي كانا يؤديان الدور أمامه، وفكّر في المرات التي توقف فيها هنا لبعض الوقت في طريق عودته إلى المنزل من صالة البولينغ، وكم مرّة دخّن سيجارة الحشيش وشاهد فيلماً أثناء عودته على الطريق.

كاري شاب من طينة الأخيار، ويسعده تقديم المساعدة في بعض الأحيان، لذا لم يرد البقاء جالساً في الوقت الذي ذهب فيه الرجل بحثاً عمن يمدّ له يدّ العون.

بينما كان يعبر الطريق نازلاً المنحدر أبعد بيديه الأغصان حتّى لا تجرحه، ثمّ ركن دراجته جانباً، وعندما وصل إلى سياج إحدى حدائق ريد بانك، سار على الرصيف حتّى وصل إلى الشاحنة. وسأل بصوت عالٍ: «هل تحتاجون إلى مساعدة؟».

لم يخطر في باله إلا في وقت لاحق أن يسأل عن السبب الذي جعلهما يركنان شاحنتهما أمام متجر كويك بيك المهجور فهو لا يُعد مكاناً جميلاً.

بدا الرجل قلقاً وهو يسأله: «من هناك؟».

أجاب كاري: «أنا أدعى كاري دريسلر. هل أستطيع...؟».

سأله الرجل مستوضحاً: «كاري؟ يا إلهي، عزيزي كاري».

خطا كاري عدة خطوات، وعندما بدا له شكل الرجل واضحاً سأله: «أهذا أنت؟ كم هي الأرض صغيرة؟».

ضحك الرجل، وقال: «نعم، هذا أنا. اسمع يا كاري، لقد نفدت بطارية الكرسي المدولب الخاص بزوجتي، ولا أعتقد أنك تستطيع دفعها عبر المنحدر».

عبر كاري الشارع وقال: «أعتقد أنني أستطيع ذلك. معك إنديا جونز للإنقاذ».

ضحكت السيدة العجوز، وقالت: «لقد شاهدت هذا الفيلم في صالة سينما بيجو القديمة. شكراً جزيلاً لك أيها الشاب. أنت المنقذ».

أخبر رودي هاريس زوجته كيف تعرّف إلى الشاب الذي يمدّ لها يد العون. أمسك كاري مقبضي الكرسي المدولب، ووجّه الكرسي نحو المنحدر. تنحّى الرجل العجوز جانباً، واضعاً إحدى يديه في جيب سترة التويد التي يرتديها. وبما أن كاري كان منتشياً فلم يشعر عندما وخزت الإبرة رقبته.

23 تموز 2021

1

وصلت هولي إلى المرأب التابع لفورث ستريت والذي يبعد نصف شارع عن مبنى فرانكلين، واستخدمت بطاقتها، لرفع الحاجز الذي يُغلق المدخل، ودخلت بالسيارة. إنها الساعة 8:35 صباحاً، لقد وصلت قبل نصف ساعة تقريباً من موعدها المقرر مع بيني دال، لكن السيدة دال وصلت بدورها مبكرة. يمكنك تمييز سيارتها الفولفو على الفور، فقد ألصقت صوراً كبيرة لابنتها على شتى أنحاء السيارة، وألصقت ورقة مطبوعة على النافذة الخلفية (اعتقدت هولي أن ذلك يعدّ نوعاً من الانتهاك) كتب عليها: هل رأيت ابنتي بوني راي دال، إذا رأيتها اتصل بالرقم 216-555-0019.

ركنت هولي سيارتها من طراز تويوتا بريوس بجانب سيارة السيدة دال، مع أن المكان شبه فارغ؛ اعتادت هولي أن تكون كلّ المساحات ممتلئة بالسيارات بحلول الساعة التاسعة، حيث تظهر لافتة كُتب عليها (عذراً، المكان ممتلئ)، لكن ذلك كان قبل الوباء.

في الوقت الحالي، يعمل عدد كبير من الأشخاص من منازلهم، هذا إذا كان لديهم وظائف أصلاً، ولم يكونوا مصابين بالكوفيد. غادر معظم المصابين مستشفيات المنطقة، ولكن عندما وصل المتحوّر دلتا، عادت المستشفيات لتكتظ مجدّداً. لم تصل إلى طاقتها الاستيعابية القصوى، ولكنها أصبحت قريبة منها، وربما نرى في آب مجدّدا المصابين مستلقين في القاعات والممرات.

لم ترَ هولي أثراً للسيدة دال، وبما أنها وصلت في وقت مبكر، قررت أن تشعل سيجارة وجالت حول سيارة الفولفو، نظرت إلى الصور المعلّقة، بوني دال جميلة وأكبر سنّاً مما خمنت هولي. إنها في أواسط العشرينات تقريباً. السبب الأساسي الذي جعل هولي تعتقد أنها أصغر سنّاً كان ركوب بوني دال دراجتها من وإلى مكتبة، أما السبب

الثاني فهو مدى تشابه صوت بيني دال مع صوت أمها الراحلة. فافترضت بأن بوني ستبدو مثلها عندما كانت في التاسعة عشرة أو العشرين من عمرها: وجه شبيه بوجه إيميلي ديكنسون، وشعر مشدود إلى الخلف في تسريحة كعكة أو ذيل حصان، ابتسامة مزيفة (لم تُحب هولي أن يلتقط لها صور، ولا تزال كذلك إلى الآن)، وكانت ترتدي ملابس لا تجعلها شخصاً يسهل تمييزه عندما تكون بين حشد من الناس.

ولكن وجه هذه الفتاة يبدو مميزاً، فالابتسامة العريضة المرسومة على شفتيها توحي بالبهجة، وكذلك الطريقة التي سرّحت بها شعرها الأشقر، لم تُظهر الصور الملصقة على جانبي السيارة سوى وجه بوني، أما الصور الملصقة على الجهة الخلفية فأظهرتها وهي تقود دراجتها وترتدي بنطالاً أبيض وبلوزة ضيقة. لا يوجد وعي جسدي في هذه الصورة.

أنهت هولي سيجارتها، وأطفأتها، وعندما تأكدت من أنها انطفأت وضعتها في سلة القمامة إلى جانب البوابة، وبعد أن وضعت قطعة من الحلوى المنكهة في فمها وضعت قناعها، وتوجهت إلى مكتبها.

2

كانت بيني دال تنتظرها في الردهة، وعلى الفور لاحظت مقدار الشبه بينها وبين صورة ابنتها الملصقة على سيارة الفولفو مع أنها تضع قناعاً، وقدّرت أنها تبلغ الستين من العمر، سيبدو شعرها الرمادي أكثر جمالاً إن سرحته بشكل لائق. بدت ملابس السيدة دال غير أنيقة، عادة ما لا تعلق هولي على ما يرتديه الناس، فهي ليست اختصاصية في مجال الأزياء، بل هي أبعد ما تكون عن ذلك، ولكنها إذا كانت مكانها فلن ترتدي هذه البلوزة مع هذا البنطال. بعيداً عن مظهرها الخارجي، كُتب على قناعها (أن 95)، الاسم الأول لابنتها بأحرف حمراء زاهية.

قالت هولي: «مرحباً سيدة دال. أنا هولي غيبني».

لا تحب هولي المصافحة أبداً، لكنها مدّت يدها عن طيب خاطر.

صافحتها بيني دال بحرارة، وقالت: «شكراً جزيلاً لأنك وافقتِ على مقابلتي. شكراً جزيلاً لك».

قالت هولي: «لنصعد إلى المكتب». كان الممر فارغاً ولم يكن عليهما انتظار طابور المصعد. ضغطت هولي على زر الطابق الخامس. وقالت لبيني: «واجهتنا بعض المشاكل مع هذا الشيء اللعين العام الفائت، لكنه أُصلح الآن».

3

بدت منطقة الاستقبال هادئة جدّاً في ظل غياب بيت وباربرا روبنسون لمساعدتها (أو حتّى لمجرد قضاء الوقت). شغّلت هولي آلة صنع القهوة.

قالت بيني: «أحضرتُ كثيراً من صور بوني، التُقطت جميعها قبل عام أو عامين من اختفائها. لديّ الكثير من الصور لها، ولكن عندما كانت أصغر سنّاً، ولا تشبه الفتاة التي ستبحثين عنها؟ يمكنني إرسال بقية الصور إلى هاتفك إذا أعطيتني عنوان بريدك الإلكتروني». كان حديثها متقطعاً، وظلّت تلمس قناعها للتأكد من أنه في مكانه. سألت بيني: «هل أستطيع خلع هذا، كما تعلمين، أنا أخذت جرعتين من اللقاح، ونتيجة اختباري سلبية. وأجريت ليلة أمس الاختبار المنزلي».

قالت هولي: «سنخلع القناعين في مكتبي ونشرب القهوة. لدي بعض البسكويت، إذا لم تكن باربرا– الشابة التي تساعدني في بعض الأحيان – قد التهمته».

قالت بيني: «لا، شكراً».

ما كانت هولي بحاجة إلى أن تنظر لتعرف أن باربرا أكلته، فباربرا لا تستطيع أن تبعد يديها عن بسكويت الفانيليا. بعد ذلك قالت هولي: «رأيت صور بوني على سيارتك، إنها جذابة جداً».

عندما ابتسمت بيني تجعّدت عينيها خلف قناعها وقالت:

«أعتقد ذلك، أنا والدتها، فماذا سأقول أيضاً؟ ليست ملكة جمال أميركا، لكنها كانت ملكة حفلة التخرج في المدرسة الثانوية». ضحكت بيني بصوت عالٍ، تشبه ضحكتها ضحكة والدتها. تأمل هولي ألا تكون هذه المرأة قد أصيبت بالهستيريا، بعد ثلاثة أسابيع من فقدان ابنتها. لكنها لا تعرف، فهي لم يسبق لها أن فقدت ابنة. لكنها تتذكر تماماً شعورها عندما ظنّت أنها قد تفقد جيروم وباربرا، فقد كادت تُجن.

كتبت هولي عنوان بريدها الإلكتروني على ورقة ملاحظات، ثمّ سألت: «هل أنت

متزوجة سيدة دال؟».

وضعت السيدة دال الورقة داخل غلاف هاتفها، وأجابت: «سأصرخ إذا لم تبدئي بمناداتي بيني».

قالت هولي: «حسناً يا بيني».

قالت بيني: «مطلقة. تطلقت من هربرت قبل ثلاث سنوات. كانت الخلافات السياسية سبباً من أسباب طلاقنا - كلّ شيء بسبب ترامب - بالإضافة إلى العديد من الأسباب الأخرى».

سألت هولي: «كيف تعاملت بوني مع الأمر؟».

أجابت بيني: «تعاملت مع الأمر كشابة بالغة. إنها بالغة بالفعل، فقد كانت حينها في الحادية والعشرين من عمرها. بالإضافة إلى ذلك، في أول مرّة أتى فيها هيربي إلى المنزل مرتدياً قبعة كُتب عليها (اجعل أميركا عظيمة مرّة أخرى)، ضحكت بوني منه. كان... مممم... مستاءً».

إليكم علاقة أخرى تدهورت بسبب هذا الرجل السريع الكلام ذي ربطة العنق الحمراء. هذا ليس قدراً ولا مصادفة.

في غضون ذلك، أصبحت القهوة جاهزة. سألت هولي: «كيف تفضلين قهوتك يا بيني؟ أو هل تريدين شرب الشاي، وأظنّ أن لدينا مياهاً معدنية (بولند ووتر) ما لم يكن بيت أو باربرا...».

أجابت بيني: «سأحتسي القهوة من دون قشدة من فضلك، فقط القليل من السكر».

قالت هولي: «سأدعك تضعين السكر بنفسك». صبّت هولي القهوة في اثنين من أكواب فايندز كيبرز، والتي أصرّ بيت على طلبها. قالت هولي ولم تكن تنظر إلى بيني: «دعينا ننتهِ من النقطة الأولى على الفور يا بيني. هل يمكن أن يكون لطليقك علاقة باختفاء بوني؟».

ضحكت بيني بصوتٍ عالٍ مرّة أخرى، وقالت: «أنه في ألاسكا. بعد ستة أشهر من طلاقنا، غادر ليعمل بوظيفة إدارية في شركة شحن، وهو مصاب بكوفيد. رفض مثَله الأعلى وضع قناع، لذا رفض هيرب وضعه هو الآخر. إنه من أشد مؤيدي ترامب. إذا كنت تسألين عما إذا كان قد اختطف ابنته البالغة من العمر أربعة وعشرون عاماً، أو

أغراها بالانتقال إلى جونو للعيش معه، فالجواب هو لا. يقول إنه يتحسّن...»

خطر بيت على بال هولي في هذه الأثناء.

تابعت بيني: «... ولكن عندما أتكلم إليه عبر تطبيق فيس تايم، يستمر بالسعال – سعال – سعال، أزيز – أزيز – أزيز». بدت بيني مسرورة وهي تتحدث عن طليقها المريض.

4

في المكتب أزالا قناعيهما. قد لا تكون المسافة بين هولي وكرسي الزبون ست أقدام تماماً، لكنها قريبة من ذلك. قالت هولي لنفسها، الكمال عدوّ الخير. فتحت آيبادها، وكتبت في الملاحظات: بوني راي دال، أربعة وعشرين عاماً، اختفت في الأول تموز. إنها البداية.

قالت هولي: «لنبدأ، أخبرتني أن بوني شوهدت للمرة الأخيرة في متجر جيت مارت أليس كذلك؟».

قالت بيني: «نعم، في جادة ريد بانك. شقة بوني هي إحدى الشقق الجديدة المطلّة على البحيرة، عند الأرصفة القديمة، هل تعرفينها؟».

أومأت هولي برأسها. هناك العديد من الأبنية السكنية، وتُشيد أبنية كثيرة، قريباً لن تعود رؤية البحيرة ممكنة.

تابعت بيني: «يقع جيت مارت في منتصف المسافة التي تفصل عملها عن منزلها. إنه يبعد ميلاً ونصف الميل من المكتبة، وميلاً ونصف ميل من شقتها. الموظف هناك يعرفها، وقال إنها زارت المتجر في الأول من تموز في الساعة الثامنة وأربع دقائق».

كتبت هولي في الملاحظات: توقفت كعادتها عند متجر جيت مارت. نقرت على الأحرف من دون أن تنظر إلى الآيباد، من دون أن تكف عن النظر إلى عيني بيني.

قالت بيني: «عندي شريط فيديو كاميرا المراقبة. سأرسله لك، هل تودّين مشاهدته؟».

سألتها مستوضحة: «حقّاً؟ كيف حصلت عليه؟».

أجابتها بوني: «شاركته المحقّقة غاينز معي».

سألت هولي: «بناء على طلب المحامي الخاص بك؟».

بـدت بينـي فـي حيرة من أمرها، وأجابت: «ليس لدّي محام. وكّلت محامياً عندما اشـتريت منزلي في أبريفير، لكنني لم أوكل محامياً منذ ذلك الحين. شـاركتني الفيديو عندما طلبته منها».

فكّرت هولي، عملٌ جيد يا إيزي.

سألت بيني: «هل يفترض أن يكون لديّ محام؟».

أجابـت هولـي: «الأمـر يعـود إليـك، لكنني لا أعتقد أنك بحاجـة إلى محامٍ الآن. لنلقِ نظرة على الفيديو».

نهضت بيني، واقتربت من المكتب.

قالت هولي: «لا، أعطيني إياه فقط».

لـم تـرد هولـي أن تدنـو منهـا هذه المرأة وتتنفس بوجهها، بغـضّ النظر عن كونها قد تلقت جرعتين من اللقاح، وأجرت اختبار كوفيد في منزلها الليلة الماضية، لا تهتمّ هولي بكلّ ذلك. فهي وقبل الوباء ما كانت تحب اقتراب الغرباء منها، ولم تتغير.

فتحت بيني الفيديو وأعطت هاتفها لهولي، وقالت: «انقري فقط على التشغيل».

5

كانت الكاميرا موضوعة في مكان مرتفع ومصوبة نحو الأسفل، ولم تكن صورتها واضحة، لأن أحداً لم ينظف عدستها منذ فترة طويلة، هذا إن نُظفت أصلاً منذ أن رُكبت. تُظهر الكاميرا رُكن البيرة، والموظف، والباب الأمامي، والمرأب التعيس، وجزءاً صغيراً من شارع ريد بانك. تشير الساعة الرقمية في الزاوية اليسرى السفلية إلى الساعة 8:04 مساءً، والتاريخ هو 1 تموز 2021. لم يكن الظلام قد حلّ، ولكن كما يقول بوب ديلان، كان على وشك الحلول. لا يزال هناك بعض النور الذي يسمح برؤية بوني وهي تركن دراجتها وتخلع خوذتها وتفرد شـعرها، وقد بدا متعرقاً. كان الأسـبوع الأخير من شـهر حزيران والأسبوع الأول من شهر تموز حارين للغاية. في الواقع، كانا شديدي الحرارة.

وضعت خوذتها على مقعد دراجتها، وعندما دخلت المتجر كانت تحمل حقيبتها. كانت ترتدي بنطالاً بني اللون وقميص بولو عليه شعار جامعة بيل وتحته اسم الجامعة

على الجهة اليسرى. بالطبع، كان المقطع بلا صوت بالطبع. نظرت هولي إلى مقطع الفيديو المعروض أمامها بدهشة، كيف يمكن لشخص أن ينتقل من مكان نظيف جيد الإنارة إلى المجهول.

توجّهت بوني راي إلى البراد الخلفي، وجلبت زجاجة مشروب غازي، كوكاكولا أو بيبسي، وتوقفت في طريقها إلى ماكينة الدفع، لتتفقد رف الوجبات الخفيفة. أخذت إحداها، يبدو أنها اختارت هو هوس أو يوديلز، ولكن ذلك غير مهم لأنها أعادتها، تخيلت هولي أنها سمعت شارلوت غيبني تقول، يجب أن أحافظ على شخصيتي الأنثوية.

أظهر المقطع بوني وهي تجري محادثة قصيرة مع الموظف (متوسط العمر، أصلع، من أصل إسباني). لا بدّ أنهما كانا يتحدثان عن شيء مضحك لأنهما ضحكا. وضعت بوني حقيبتها على الطاولة، وفتحتها، ووضعت زجاجة المشروب الغازي بداخلها. كانت حقيبتها كبيرة بما يكفي لتتسع للأحذية التي تنتعلها في العمل، بالإضافة إلى هاتفها وكتاب أو كتابين. علّقت الحقيبة على كتفها وقالت شيئاً آخر للموظف، الذي رفع إبهامه إلى الأعلى، ثمّ غادرت. اعتمرت خوذتها، وركبت دراجتها. داست على الدواسات واتجهت بعيداً... لا نعرف إلى أين.

رفعت هولي رأسها وأعادت الهاتف، لترى بيني دال تبكي.

تجد هولي صعوبة في التعامل مع الدموع. هناك علبة مناديل إلى جانب ماوس الحاسوب. دفعتها نحو بيني ولم تنظر إليها، وعضّت على شفتها السفلية. رغبت بتدخين سيجارة. قالت: «أنا آسفة. أعرف كم يبدو الأمر صعباً عليك».

نظرت بيني إليها وقالت بنبرة تحدٍّ: «حقّاً؟».

تنهدت هولي وقالت: «لا، ربّما لا».

خيّم الصمت عليهما للحظات. فكّرت هولي في إخبار بيني أنها فقدت والدتها مؤخراً، لكن الأمر ليس نفسه. فهي تعرف أين هي والدتها: تحت التراب والأوساخ في سيدار ريست. بخلاف بيني دال التي تعاني من فجوة كبيرة في حياتها أحدثها غياب ابنتها.

سألت هولي: «ينتابني الفضول بشأن خوذة ابنتك. هل وجدوها مع الدراجة عندما

عثروا عليها؟».

فتحت بيني فمها، وقالت: «كلا، وجدوا الدراجة فقط. أتعرفين، لم تسألني المحقّقة غاينز عن ذلك، ولم أفكّر فيه».

فكّرت هولي، أفهم أن تغفل بيني عن هذا التفصيل، أمّا إيزي غاينز فلا تغفل عن هذا الأمر. سألت هولي: «ماذا عن حقيبتها؟».

أجابت بيني: «لم يجدوها، لكن هذا متوقع، أليس كذلك؟ قد تحملين حقيبتك بعد نزولك عن دراجتك، لا بد أنك لاحظتِ أنها كانت تحملها في المتجر، كما أنها لا تعتمر خوذتها طوال الوقت، أليس كذلك؟».

لم تجبها هولي، فما هو بينهما ليس محادثة، بل هو استجواب. وهي تحاول أن تبقى لطيفة بقدر ما تستطيع....

قالت هولي: «اهدأي يا بيني. أخبريني بكلّ ما تعرفينه. ابدئي بما تفعله بوني في مكتبة راينولدز، ومتى غادرتها ذلك المساء».

6

هناك أربعة أمناء مكتبات مساعدون في مكتبة راينولدز في حرم جامعة بيل للفنون والعلوم. في الصيف، تغلق المكتبة في تمام الساعة السابعة. أحياناً يظلّ أمين المكتبة، مات كونروي، حتّى يحين وقت الإغلاق، لكنه لم يبقَ تلك الليلة. شاهدت مارغريت برينر، إديث بروكينغز، لاكيشا ستون، وبوني دال آخر الزوار الذين أتوا بعد الساعة الخامسة. قبل الإغلاق، تفرّقوا وأجروا مسحاً سريعاً بحثاً عن أي شخص لم يسمع جرس الإغلاق أو اختار تجاهله أثناء قراءة صفحة أو تدوين ملاحظة. أخبرت بوني والدتها أنهم في بعض الأحيان يجدون أشخاصاً نائمين في غرفة القراءة أو بين الرفوف، وأنهم صادفوا في بعض الأحيان ثنائيات تغلبت عليهم عواطفهم بشكل صارخ، كما وصفته. فتّشوا الحمامات في الطابق الرئيسي والطابق الثالث. لم يجدوا أحداً تلك الليلة.

جلس الأمناء الأربعة لبعض الوقت في غرفة الاستراحة، لمناقشة خطط عطلة نهاية الأسبوع، ثمّ أطفأوا الأنوار. استقلت لاكيشا سيارتها وانطلقت بعيداً. ركبت بوني

دراجتها وتوجّهت إلى شقتها، التي لم تصل إليها. لم تكن بيني قلقة للغاية عندما اتصلت ببوني في صباح اليوم التالي وتلقّت بريداً صوتياً من الرنّة الأولى.

قالت بيني: «أردت أن أسألها إن كانت ستأتي ليلة الجمعة أو السبت لتشاهد فيلماً على نيتفلكس أو هولو»، ثمّ أضافت: «كنت سأعدّ لها الفشار».

سألت هولي: «هل هذا كلّ شيء؟». لم تكن هولي ببراعة بيل هودغز في كشف الكذب، لكنها لا تجد صعوبة في معرفة إن كان أحدهم يضللها.

تلوّن وجه بيني، وقالت: «حسناً... تجادلنا قبل بضع ليالٍ، اشتدّ الخلاف قليلاً. كما تعلمين، الأمهات والبنات... في العادة كنا نتصالح عندما نشاهد الأفلام، فنحن نحب الأفلام، وفي هذه الفترة أصبح هناك الكثير منها، أليس كذلك؟».

قالت هولي: «صحيح».

تابعت بيني: «توقّعت أنها ستتحدث عبر الهاتف، وأنها ستعاود الاتصال بي حال انتهائها».

لكنها لم تتصل. حاولت بيني الاتصال بابنتها مرّة أخرى عند العاشرة، ثمّ عند الحادية عشرة، وكانت النتيجة نفسها: رنّة واحدة وتُحول إلى البريد الصوتي. اتصلت بلاكيشا ستون، أقرب صديقة لبوني من العاملين في المكتبة، وسألتها إن كانت بوني لا تزال منزعجة منها. فنفت لاكيشا، لأن بوني لم تأتِ إلى المكتبة ذلك الصباح، وعندها بدأت بيني تشعر بالقلق، فتوجهت إلى شقة ابنتها فهي تمتلك نسخة من مفتاحها.

سألت هولي: «متى حدث هذا؟».

أجابت بيني: «كنت قلقة ولم أنتبه إلى الوقت، قرابة الظهر. لم أكن خائفة من إصابتها بكوفيد أو بشيء مثله – فهي تتخذ الإجراءات الوقائية دائماً، ولطالما كانت بصحة جيدة – لكنني ظللت أفكر بأنها انزلقت في الحمام، أو حصل لها حادث».

أومأت هولي برأسها، ولكنها تذكّرت الفيديو، لم تكن بوني راي تضع قناعاً عندما دخلت المتجر، شأنها شأن الموظف.

قالت بيني: «لم أجدها في شقتها، بدا كلّ شيء طبيعياً هناك، لذا استقللت سيارتي وتوجهت إلى المكتبة، وعندها تفاقم قلقي، لأنني لم أجدها هناك، ولأنها لم تعاود الاتصال بي. اتصلت بالشرطة وحاولت تقديم بلاغ عن شخص مفقود، لكن أخبرني

الرجل الذي تحدثت إليه -بعد أن جعلني أنتظر عشرين دقيقة- إن القانون يفرض أن تمر ثمان وأربعون ساعة على الأقل على الاختفاء قبل تقديم بلاغ عن «مراهق قاصر» واثنتان وسبعون ساعة بالنسبة إلى شخص بالغ. أخبرتُه أنها لا تردّ على هاتفها، وأنه مغلق، لكنه لم يهتم. طلبت التحدث إلى أحد المحقّقين، لكنه قال إنهم جميعاً مشغولون».

في السادسة مساء ذلك اليوم، وأثناء عودتها إلى المنزل، تلقت بيني مكالمة من لاكيشا صديقة بوني. أتى رجل إلى مكتبة راينولدز، وكان يضع في الجزء الخلفي من شاحنته الصغيرة دراجة بومونت سيتي زرقاء وبيضاء. يوجد في هذا النوع من الدراجات صندوق للطرود، وكانت بوني قد ثبتت عليه ملصق (مكتبة راينولدز). أراد مارفن براون- صاحب الشاحنة- معرفة إن كانت الدراجة تعود لأحد العاملين في المكتبة، أو أحد زوارها الدائمين، قبل أن يُسلمها للشرطة، وذلك بعد أن قرأ الملاحظة التي تركت على مقعد الدراجة.

قالت هولي: «لقد كُتب على الملاحظة لقد اكتفيت».

ترقرقت عينا بوني بالدموع، وقالت: «نعم».

قالت هولي: «لكنك لا تظنين أن ابنتك كانت لديها ميول انتحارية؟».

قالت بيني: «يا إلهي، بالطبع لا!» بدا ردّ فعلها على السؤال وكأنها تلقت صفعة، انسكبت الدموع على خدها، وتابعت: «يا إلهي، لا، سبق لي أن أخبرت المحقّقة بأنه لم يكن لديها أي ميول انتحارية».

قالت هولي: «تابعي».

تعرّف جميع الموظفين إلى الدراجة. اتصل مات كونروي أمين المكتبة الرئيسي بالشرطة واتصلت لاكيشا ببيني.

قالت بيني: «شعرت بأنني أنهار، فتذكرت كل فيلم شاهدته عن المتعقّبين المختلين».

سألت هولي: «أين عثر السيد براون على الدراجة؟».

أجابت بيني: «على بعد ثلاثة مبانٍ تقريباً من جيت مارت، على الجانب الآخر من ريد بانك. هناك ورشة تصليح للسيارات على الجانب الآخر من الحديقة. السيد براون

لديه ورشة إصلاح في الجانب الآخر من المدينة، ويبدو أنه يريد التوسع بعمله. قابله وكيل عقارات هناك ولاحظا معاً وجود الدراجة، فأقلقتهما الملاحظة التي وجداها على المقعد».

سألت هولي: «هل تحدثت إلى السيد براون؟».

أجابت بيني: «كلا، لكن المحقّقة غاينز اتصلت به».

قالت بيني: «تناقش السيد براون مع وكيل العقارات عمّا يُفترض بهما فعله بشأن الدراجة، فقال السيد براون إنه سيأخذها بشاحنته إلى المكتبة، ثمّ تباحثا بأمر ورشة الإصلاح».

سألت هولي: «من سبق له أن وصل أولاً براون أم وكيل العقارات؟».

أجابت بيني: «لا أعرف. لم أعر الأمر أهمية».

قد يكون الأمر كذلك، لكن هولي تريد معرفة كل التفاصيل. لأن القتلة في بعض الأحيان يُخبرون عن جثث ضحاياهم، وأحياناً يتصل مفتعلو الحرائق بقسم الإطفاء، فهذا يُشعرهم بالإثارة.

سألت هولي: «هل حدثت تطورات أخرى منذ ذلك الحين؟».

أجابت بيني: «لا لم تحصل أي تطورات». مسحت عينيها، وتابعت: «بريدها الصوتي ممتلئ، ولكنني لا أزال أحاول الاتصال بها في بعض الأحيان. فقط لسماع صوتها، كما تعلمين».

انفطر قلب هولي، لطالما أخبرها بيت أنها ستعتاد في النهاية على قصص الزبائن الحزينة، وأن قلبها سيتحجّر، لكن هذا لم يحدث حتى الآن، وهي لا تأمل أن يحدث أبداً. قد يكون قلبا بيت وإيزي غاينز متحجرين، لكن بيل لم يكن كذلك على الإطلاق، فقد أبدى اهتماماً على الدوام، ولكنه قال إنه لا يستطيع مساعدتها. سألت هولي: «ماذا عن المستشفيات؟ أفترض أن الشرطة تفقدتها أليس كذلك؟».

ضحكت بيني، وقالت: «سألت الشرطي -الذي أخبرني أن جميع المحقّقين مشغولون - إذا كان سيفعل ذلك، أو أنه يتوجّب عليّ فعله بنفسي. وقال إن علي تفقدها بنفسي، كما تعرفين، ابنتي هاربة، هذه مهمّتي. اتصلت بمستشفيات ميرسي، سانت جو، وكينر ميموريال. هل تعرفين ماذا كان ردهم؟».

تعرف هولي تماماً ما قالوا لها، لكنها تركت بيني تكمل قصتها.

قالت بيني: «قالوا إنهم لا يعرفون. يا لخيبة أملي بهم؟».

هذه المرأة مفجوعة، لذا فإن هولي كانت ستقول لها ما هو واضح لو أنها لمست أن هذه الأم ابتعدت قليلاً عن انشغالها التام بابنتها المفقودة فقط: جميع المستشفيات هنا وفي وسط غرب الولايات المتحدة ممتلئة. لم يعد هناك عدد كافٍ من الأطباء والممرضات. على الصفحة الأولى من جريدة الأمس، كان هناك صورة لبواب يضع قناعاً وينقل مريضاً إلى وحدة العناية المركزة في مستشفى ميرسي. ولولا نظم حفظ السجلات المحوسبة، لن يكون لدى مستشفيات المدينة فكرة حتّى عن عدد المرضى الذين يتلقون الرعاية، وبالتالي من الطبيعي أن تتأخر المستشفيات في إعطاء المعلومات للمرضى.

فكّرت هولي، عندما ينتهي هذا الأمر، لن يصدق أحد ما حدث بالفعل. وإذا صدّقوا، فلن يفهموا كيف حدث ذلك.

سألت هولي: «وهل تواصلت مع المحقّقة غاينز منذ ذلك الحين؟».

قالت بيني: «تواصلنا مرّتين خلال الأسابيع الثلاثة». قالت ذلك بمرارة، واعتقدت هولي أن لها الحق في ذلك. ثمّ تابعت: «كانت المرة الأولى عندما زارت منزلي لعشر دقائق. وكانت المرة الثانية عندما اتصلت بي، وقالت إنها أدرجت صورة بوني في النظام المحلّي للأشخاص المفقودين والمجهولين، وهي قاعدة بيانات للأشخاص المفقودين على مستوى البلاد، وفي المركز الوطني للأطفال المفقودين والمستغلين، وهذا...».

قالت هولي: «نعم أعرف ما هو». ظنّت هولي، بأن هذه لفتة جميلة من إيزي مع أن بوني راي دال ليست طفلة. غالباً ما ينشر الشرطيون الصور هناك إذا كان المفقود أنثى شابة. عدد الإناث المختطفات أكبر بكثير من الشبان، وطبعاً عدد الشابات الهاربات أكبر من عدد الشبان.

لكنها تعتقد أنه إذا قررت امرأة تبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً الهروب من كلّ شيء والبدء من جديد في مكان آخر، فلا يمكن وصفها بالهاربة.

ارتعشت بيني، وقالت: «لم تقدّم الشرطة أي مساعدة. صفر. تقول المحقّقة غاينز إنها ربما اختطفت، لكن الملاحظة التي تركتها تدلّ على أنها قررت الهروب. لكن

لماذا تهرب؟ فهي تعمل في وظيفة جيدة، وقريباً ستُرقى، ولديها صديقة مقربة لاكيشا! وأخيراً، تركَت حبيبها الفاشل».

سألت هولي: «ما اسم حبيبها الفاشل؟».

أجابت بيني: «توم هيغينز. كان يعمل في متجر للأحذية في مول المطار، وعندما أُغلق المتجر خلال موجة كوفيد الأولى، حاول الانتقال والإقامة مع بوني لتوفير الإيجار، لكنها لم تسمح له، وبسبب ذلك حصل خلاف كبير بينهما، وعندما أخبرته أنها تريد إنهاء علاقتهما قهقه وقال لها إنها لا تستطيع ذلك لأنه هو من يريد هجرها».

سألت هولي: «هل تعتقدين أن له يداً في اختفاء بوني؟».

أجابت بيني: «لا أعتقد». جمعت ذراعيها أمام صدرها، وكأنها لا تريد متابعة الحديث عنه. انتظرت هولي حتّى انتهى صمت بيني، هذه تقنية علمّها إياها بيل هودغز. تابعت بيني: «لا يستطيع هذا الرجل تنظيف أنفه من دون مشاهدة فيديو تعليمي، وهو غير ناضج تماماً. لا أعرف ما الذي أعجبها فيه، وعندما سألتها عن سبب إعجابها به لم أجد لديها إجابة».

هولي من محبي مسلسل العزوبية في الجنة، لذا يمكنها تخيل ما الذي جذبها إلى هذا الشاب. إنها لا تريد أن تقول ذلك، ولا يتعين عليها ذلك، لأن بيني قالتها بنفسها.

قالت بيني: «لا بد أنه كان رائعاً في الفراش، رجل حقيقي لستين دقيقة».

سألت هولي: «هل تعرفين عنوانه؟».

فتحت بيني هاتفها، وقالت: «2395 جادة إيستلاند. لكنني لا أعرف إن كان يعيش هناك الآن».

كتبت هولي ذلك، ثمّ سألت: «هل لديك صورة للملاحظة المتروكة؟».

تملك بيني صورة لها، قالت إن لاكيشا ستون التقطت صورة لها عندما أحضر مارفن براون الدراجة. نظرت هولي إلى الصورة ولم يعجبها ما رأت. أحرف كبيرة، مكتوبة بعناية: لقد اكتفيت.

سألت هولي: «هل هذا خطّ ابنتك؟».

تنهدت بيني، وقالت: «لست متأكدة. ابنتي لا تكتب بخط اليد، ما عاد أحد يكتب بيده هذه الأيام باستثناء التوقيع الذي بالكاد يقرأ – مجرد خربشات. لا تكتب رسائلها

عادةً بأحرف كبيرة، ولكن إذا أرادت أن تكون... لا أعرف...».

قالت هولي: «حازمة؟».

قالت بيني: «نعم، عندها ربما تفعل».

فكّرت هولي، قد تكون بيني محقة، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فلماذا تكتبه بأحرف كبيرة؟ لماذا لم تضع علامة تعجب أو علامتين؟ لا، لا تهتم هولي بهذه الملاحظة على الإطلاق. لم تستبعد أن بوني هي من كتبتها، ولكنها لم تصدق أنها فعلت ذلك.

سألت هولي: «أرجوك أرسلي لي صورة الملاحظة مع صور ابنتك. وأين تقيمين أنت يا بين؟».

قالت بيني: «رينر سيركل. 883 رينر، في آب ريفير».

أضافت هولي ذلك إلى ملاحظاتها.

سألت هولي: «وماذا تعملين؟».

أجابت بيني: «أنا المسؤولة الرئيسية عن القروض في فرع بنك نوربانك بجانب المطار. على الأقل هذا كان عملي، وأفترض أنني سأعود للعمل مرّة أخرى. أُغلقت ثلاثة متاجر لبنك نوربانك مؤقتاً؛ نسميها متاجر، وكنت أعمل في أحد هذه المتاجر الثلاثة».

سألت هولي: «ألا تعملين من المنزل؟».

أجابت بيني: «كلا. لكنني أتقاضى راتبي. هناك شيء واحد جيد في كل هذا... هذه الفوضى. تذكرت، عليّ إعطاؤك شيكاً». فتحت حقيبتها، وقالت: «لا بدّ أن يكون لديك المزيد من الأسئلة أيضاً».

قالت هولي: «صحيح، لكن أصبحت لديّ معلومات كافية لأبدأ العمل».

قالت بيني: «متى سأسمع منك؟»، وهي تكتب الشيك بسرعة وكفاءة، لم تجد مشكلة في ملء أي من خانات الشيك.

قالت هولي: «سأبدأ العمل في غضون أربع وعشرين ساعة».

قالت بيني: «إذا وجدت شيئاً يستحق أن تطلعيني عليه فلا تجدي حرجاً في الاتصال في أي وقت».

قالت هولي: «شيء آخر». عادة ما تخجل هولي من السؤال عن أي شيء شخصي، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بخلاف، لكنها لم تتردد هذا الصباح. سألتها: «أخبريني عن الخلاف بينك وبين ابنتك».

جمعت بيني ذراعيها مجدّداً ووضعتهما على صدرها، بقوة أكبر هذه المرة. تعرف هولي القليل عن لغة الجسد الدفاعية من خلال الكثير من التجارب الشخصية. «لم يكن شيئاً مهمّاً، مجرّد خلاف صغير».

انتظرت هولي.

تابعت بيني: «نحن نتجادل بين الحين والآخر، وهذا شائع بين أي أم وابنتها، أليس كذلك؟».

انتظرت هولي مجدّداً.

قالت بيني: «حسناً، ربما كان هذا الخلاف أكثر جدية، فعندما خرجت صفعت الباب خلفها. إنها فتاة طيبة وكان ذلك التصرف بعيداً عن شخصيتها. سبق لنا أن تجادلنا بخصوص توم، ولكن لم يؤدِ أي من جدالاتنا إلى مغادرتها المنزل، لقد شتمتها، ووصفتها بالوضيعة، يا ليتني لم أقل شيئاً مما قلته تلك الليلة، أو قلت بدلاً منذ لك حسناً، حسناً، دعينا ننسَ الأمر. لكن أنّى لي أن أعرف ما الذي سيترتب على كلامي».

سألت هولي: «ماذا كان سبب الخلاف؟».

أجابت بيني: «وظيفة ممتازة في نوربانك، في تجميع سجلات الجرد. في المكتب الرئيسي، العمل من المنزل مضمون، ألا يبدو عملاً رائعاً في ظل الظروف الحالية؟ كنت أحاول إقناعها بالتقدم للحصول على الوظيفة، فهي جيدة في التعامل مع الأرقام والأشخاص، لكنها لم تقتنع. أخبرتها عن زيادة الأجر التي ستحصل عليها، ومزايا العمل، والساعات الجيدة. لكنها لم تقتنع، في بعض الأحيان تكون عنيدة جداً».

فكرت هولي، انظروا من يتحدث، وتذكرت المشاجرات التي خاضتها مع والدتها، خاصة عندما بدأت العمل مع بيل هودغز. حصلت جدالات بعد أن كادت تُقتل هي وبيل أثناء مطاردة طبيب استحوذ عليه – ليس هناك طريقة أخرى لوصفه – برادي هارتسفيلد.

تابعت بيني: «قلت لها إن بإمكانها تغيير نمط لباسها، وشراء بعض الملابس اللائقة،

والتوقف عن ارتداء الملابس الشبيهة بملابس الهيبيين، فسخرت منّي، فوصفتها في تلك اللحظة بالوضيعة».

سألت هولي: «هل حدثت أي مشاجرات أخرى؟».

أجابت بين: «لا، لا شيء». كانت هولي تعرف أنها تكذب.

كتبت هولي ملاحظة أخرى، ثمّ نهضت، ووضعت قناعها.

سألتها بيني: «ماذا ستفعلين أولاً؟».

أجابت هولي: «سأتصل بإيزي غاينز. أعتقد أنها ستطلعني على التفاصيل، فنحن تعارفنا منذ سنوات».

أرادت التحدث إلى لاكيشا ستون، قبل أن تتحدث مع السيد براون صاحب الشاحنة الصغيرة. لأنه إذا كانت لاكيشا وبوني صديقتين مقربتين فسيكون لدى لاكيشا وصف أفضل لعلاقة الأم بابنتها. وعندها ستسألها عن سبب صفع بوني للباب. لا تريد هولي أن تبدأ بهذه القضية بتشبيه والدتها بوالدة بوني.

ذات مرة، قال لها بيل لا علاقة لك بالقضية. لا ترتكبي هذا الخطأ، لا تعتقدي بأنها تخصّك. إن هذا لن يساعدك أبداً، بل عادةً ما يجعل الأمور أسوأ.

22-25 تشرين الثاني 2018

1

إيم لا تحب هذه الفتاة.

لا يعني ذلك أنها تحبّ كاري دريسلر، وتحتقر كاسترو، ذلك الأحمق الإسباني. لكن هذه الفتاة، إلين كراسلو، مختلفة عنهما. هل لأنها أنثى؟ لا تعتقد إيم ذلك.

نزلت الدرج إلى القبو، تحمل صينية فيها رطل ونصف الرطل من الكبد النيء يسبح في الدم. سعره في كروغر ثلاثة دولارات واثنان وعشرون سنتاً. اللحوم باهظة الثمن هذه الأيام، وها قد تمّ إهدار القطعة الأخيرة. وصلت إيم إلى القبو، ورأت أن اليرقات والذباب تجمّعت على الطبق. كيف دخلت إلى هذه الغرفة المغلقة، وبهذه السرعة. لقد أغلقا كلّ شيء حتّى الشق الموجود في أسفل الباب المؤدي إلى المطبخ.

وقفت الفتاة خلف قضبان الزنزانة. إنها طويلة، وبشرتها بلون الكاكاو. شعرها أنيق وقصير داكن. اقتربت إيم من إلين، ولاحظت أن بعض المناطق في شفتي إلين متشققة ومتورمة. لكنها لم تبكِ أو تتوسل، على الأقل حتّى الآن.

أخذت إيم طبق الكبد من الصينية ووضعته على الأرض. ركعت لتقوم بذلك بدلاً من أن تنحني، فهي تعاني من عرق النسا، ولكن الألم محتمل اليوم. عندما يتفاقم الألم تصرخ مع كل خطوة. أخذت المكنسة ودفعت بها الطبق إلى داخل الزنزانة، فانسكب الدم على جانبي الطبق.. وكما فعلت إلين من قبل، سدّت الممر بقدمها.

قالت: «سبق لي أن قلت لك إنني نباتية. يبدو أنك لا تسمعين».

شعرت إيم بأنها تريد لكزها بالمكنسة. لكنها لم تفعل ليس لأنها تخشى أن تمسك إلين بمقبض المكنسة، بل لأنه لا يفترض بها أن تظهر أي مشاعر بما فيها الخوف. إلين مثل كاسترو ودريسلر، مجرّد حيوان في قفص، إنها ماشية. ويعدّ وكز الماشية تصرّفاً طفولياً، وكذلك الغضب منها، لا يُفترض بالمرء عند التعامل مع الحيوانات

سوى تدريبها.

رفضت إلين مخفوق البروتين أيضاً. عندما استيقظت شربت قنينتي الماء الصغيرتين اللتين كانتا في الزنزانة، شربت الأولى دفعة واحدة. أما الثانية فشربتها على دفعات، إلى أن أنهتها أخيراً. سحبت إيم قنينة ماء من جيب مئزرها، وقالت: «كلي طبق اللحم يا إلين، وعندها فقط يمكنك الحصول على هذه. جسمك لا يهتم بكونك نباتية، فهو بحاجة إلى الطعام». أمسكت القنينة وحرّكتها أمام عيني إلين، وأضافت: «والشراب».

لم تقل إلين شيئاً، واكتفت بالنظر إلى إيم، أمسكت يداها بالقضبان بشكل غير محكم وسدّت قدماها الممر. كانت نظرتها مخيفة. لا تريد إيم أن تفقد أعصابها، وتفكر أنها كانت ستشعر بالشعور نفسه إن كانت في حديقة الحيوانات والتقت عيناها بعيني نمر.

قالت إيم: «سأترك لك الطعام، حسناً؟ أريد أن أرى الطبق نظيفاً عندما أعود، وعندها سأمنحك الماء».

لم ترد إلين، أدركت إيميلي هاريس (الأستاذة الفخرية) أنها تستشيط غضباً. أكل كاسترو ودريسلر، وستأكل إلين أيضاً في النهاية. في النهاية ستستسلم.

استدارت إيم، وبدأت بصعود الدرج.

قالت الفتاة: «شعورٌ فظيع، أليس كذلك؟».

استدارت إيم إلى الوراء، مندهشة.

سألتها الفتاة مبتسمة: «عندما لا يفعل الناس ما تأمرينهم به. إنه أمر مروّع، أليس كذلك؟ أعني بالنسبة إليك».

قالت إيميلي في سرّها، أيتها الكلبة السافلة ثمّ قالت ما لم تكن لتسمح لنفسها بالتفوه به – إلا في مذكّراتها– خلال مليار سنة: أيتها السافلة السوداء العنيدة.

قالت إيم بلطف: «إنه عيد الشكر يا إلين. اشكريني وكلي».

قالت إلين: «أحضري لي سلطة من دون إضافات، وعندها سآكل».

قالت إيميلي في سرّها: يا لوقاحتك!، هل تعتقدين أنني خادمة، خادمة للسيدات.

ثم أقدمت على ما ستندم عليه في وقت لاحق. أخذت قنينة الماء من جيب

مئزرها، رفعتها إلى شفتيها وشربت. ثمّ سكبت ما تبقّى على قضبان الزنزانة.

لم تقل الشابة شيئاً.

2

اليوم التالي.

وقف رودني هاريس (أستاذ فخري في علوم الحياة) أمام الزنزانة مفكراً. نظرت إليه إلين كراسلو بهدوء، أو هذا ما بدت عليه. ظهرت بضع بثور على شفتيها الآن، وعلى جبهتها، وشحب لون بشرتها. لكن بريق عينيها الخضراوين المذهلتين ظلّ كما هو.

رودي عالم أحياء وخبير تغذية محترم. كان مدّرساً وقوراً يهابه طلابه قبل أن يتقاعد. ببليوغرافيا أعماله تملأ عشرات الصفحات، ولا يزال يقوم ببعض المراسلات في مختلف المجلات مع زملائه. فهو يصنّف نفسه الوحيد غير المغرور بين زملائه. كما قال شخص حكيم ذات مرة، حتى التباهي بالنفس لا يعتبر غروراً إن كان الأمر يستحق ذلك.

إنه لا يشعر بالغضب تجاه شابة مثل إيم (فمع أنها تقول إنها ليست غاضبة ولكن بما أنهما متزوجان منذ نصف قرن أصبح يعرفها أكثر مما تعرف نفسها)، ولكنه بالتأكيد يشعر بالحيرة بخصوص إلين. لا بدّ أنها كانت مشوّشة الأفكار عندما استيقظت، كما حدث مع الآخرين. يستخدم رودي وزوجته عقاراً قوياً لتخدير ضحاياهما، لكنها لم تبدُ مشوّشة. فربما كانت تعاني من السُكر – ولا بد أنها كانت كذلك – ولكنها لم تكن لتصل مع السكر إلى حال التشوش هذه. لم تصرخ طلباً للمساعدة، كما فعل كاري دريسلر (لابد أن الصراخ تسبب بزيادة شدّة صداعه، كما يعتقد رودي) وكما فعل خورخي كاسترو في النهاية. بالطبع، رفضت تناول الطعام طيلة ثلاثة أيام، كما أنه قد مضى يومان على آخر قطرة مياه شربتها.

أصبح لون الكبد الذي جلبته إيم في الأمس داكناً، وبدأت تفوح منه رائحة كريهة. لا يزال صالحاً للأكل، ولكنه لن يبقى كذلك لفترة أطول. غالباً ما ستتقيأه الفتاة بعد بضع ساعات، مما سيجعل الأمر برمته عديم الجدوى. والوقت يمرّ.

قال رودي: «ستتضورين جوعاً، إذا لم تأكلي يا عزيزتي»، كان رودي يميل إلى أن

يكون سريع الغضب والانفعال، وأحياناً كثير الصراخ. يرتفع صوته أحياناً عند الحديث عن عجائب المعدة وقد يصرخ أحياناً.

لم تقل إلين شيئاً.

قال رودي: «بدأ جسمك يأكل نفسه. هذا واضح على وجهك، وذراعيك، بالإضافة إلى الطريقة المنحنية التي تقفين فيها....».

لم تقل شيئاً، واكتفت بالنظر إلى وجهه. لم تسأل ما الذي يريدانه منها، وهو أمر محير أيضاً ومزعج في الحقيقة إلى حدّ ما. إنها تعرفهما، وتعرف أنه إذا سمحا لها بالرحيل، فسيقبض عليهما بتهمة الاختطاف (كأول تهمة مبدئياً)، لكنها لم تساومهما أو تستجدي عطفهما. فقط أضربت عن الطعام. أخبرت إيم بأنها ستأكل سلطة من دون إضافات، لكن هذا غير وارد. السلطات، سواء كانت بإضافات أو بلا إضافات، ليست سرّاً مقدساً. اللحوم سرٌّ مقدّس، الكبد سرٌّ مقدّس.

بدا رودي حزينا وهو يسألها: «ماذا سنفعل بك يا عزيزتي؟».

في هذه المرحلة، كان يتوقّع من السجين – السجين العادي – أن يقول شيئاً سخيفاً مثل دعني أُغادر، ولن أتفوه بأي كلمة لأي شخص. لكن هذه الفتاة الجائعة والعطشى لم تقل ذلك.

دفع رودي طبق الكبد باتجاهها، وقال: «كلي هذا، وستستعيدين قوتك مرّة أخرى. سيكون شعورك استثنائياً». ثمّ أضاف مزحة خفيفة: «سنحوّلك إلى لاحمة في أي وقت».

لم تردّ إلين، فبدأ رودي بصعود الدرج.

قالت إلين: «أعرف ما هذا».

استدار ورآها تشير إلى الصندوق الأصفر الكبير في نهاية الورشة. تابعت إلين: «أنها قطّاعة خشب. لقد أدرتها إلى الحائط حتّى لا أستطيع رؤيتها، لكنني أعرف ما هي. عمل عمي في الغابة في الشمال طوال حياته».

تفاجأ رودني هاريس بكلامها.

قالت إلين: «ستتخلص مني بواسطتها، أليس كذلك؟ ستسحبونني في خرطوم الآلة، ثمّ إلى كيس كبير، وبعدها سترمون الكيس في البحيرة».

نظر إليها، وسألها: «ماذا... لماذا تعتقدين ذلك؟».

قالت: «لأنه المكان الأكثر أماناً. مثل ما حدث في مسلسل دكستر، الذي يعرض قصة رجل يقتل الناس ويلقي بهم في خليج المكسيك. أظنك شاهدته».

لقد شاهده بالطبع.

هذا فظيع، تبدو وكأنها تقرأ أفكاره، أو بالأحرى أفكارهما. لأنه عندما يتعلق الأمر بالأسرى والسر المقدّس، يفكر هو وإيم بالطريقة نفسها. سألته: «لديك قارب. أليس كذلك يا أستاذ هاريس؟».

هذه الفتاة غلطة. إنها فتاة استثنائية، قد لا يصادفان مثلها في مئة عام.

صعد إلى الطابق العلوي ولم يقل شيئاً.

3

كانت إيم تقرأ في مكتبها المكتظ بمئات الكتب الموضوعة على الرفوف الممتدة من الأرض إلى السقف، بحيث بالكاد هناك مساحة تتسع لمكتبها. وُضعت بعض الكتب جانباً في زاوية لإفساح المجال لمجلد سميك طُبع على غلافه عينات كتابة بخطّ كبير وأنيق.

كانت هناك صورتان مؤطرتان على جانبي حاسوبها المكتبي. تُظهر الصورة الأولى رودي وإيم عندما كانا يافعين، كان رودي يرتدي بذلة رسمية (مُستأجرة)، وكانت إيم ترتدي فستان زفاف أبيض تقليدياً (اشتراه والداها لها). تُظهر الصورة الثانية رودي وإيم وهما أكبر سناً بكثير، كان رودي يعتمر قبعة الأميرال، وهي كانت تعتمر قبعة ديكسي، ويقفان أمام قارب (مينشيب 34) الذي اشترياه مؤخراً (واستخدماه برفق). تحمل إيم زجاجة شمبانيا رخيصة في يدها، والتي ستستخدمها قريباً لتعميد قاربهما ماري كاثر؛ ماري نسبة إلى ماري ستوبس[1]، وكاثر نسبة إلى من ويلا كاثر[2].

راقبت إيم على شاشة حاسوبها، إلين كراسلو وهي تجلس على الحصيرة في زنزانتها، وقد صالبت ساقيها، ووضعت رأسها بين يديها، وكتفاها ترتجفان. انحنى

---

(1) ماري شارلوت كارمايكل ستوبس (15 تشرين الأول 1880 – 2 تشرين الثاني 1958) كانت مؤلفة بريطانية، عالمة نباتات قديمة وناشطة من أجل تحسين النسل وحقوق المرأة. المترجم

(2) ويلا سيبرت كاثر كاتبة أمريكية معروفة برواياتها عن الحياة في السهول الكبرى. المترجم

رودي فوق إيم ليلقي نظرة على الشاشة.

قالت إيم: «ظلّت تقف هناك إلى أن رحلتَ، ثمّ انهارت».

رفعت الفتاة رأسها، ونظرت إلى الكاميرا. على الرغم من أنها كانت تبكي، إلا أن عينيها بدتا خاليتين من الدموع. فهي تعاني من الجفاف.

سأل زوجته: «هل سمعت كلّ شيء؟».

أجابته: «نعم، لديها حدس كبير، أليس كذلك؟».

قال: «ليس حدساً، إنه المنطق. بالإضافة إلى أنها تعرفت إلى قطّاعة الخشب. لم يتعرف الشابان إليها. ماذا سنفعل يا إيمي؟ أعطيني اقتراحات، من فضلك».

نظرا إلى الشابة في الزنزانة. لا يشعر أي منهما بالشفقة عليها، أو حتّى بالتعاطف معها. أنها مشكلة يجب حلها. بطريقة ما، يعتقد رودي أن حدوث المشاكل هو شيء جيد. لا يزالان جديدين نسبياً في هذا المجال. وبحس مفهوم العلماء، كلّ مشكلة تُحل تزيد من الكفاءة.

أخيراً قالت: «دعنا نرَ ماذا سيحدث غداً».

قال: «نعم، حسناً».

أمسك المجلد السميك الذي طُبع عليه عينات الكتابة. ستكون الكاتبة المقيمة في فصل الربيع هذا في ورشة بيل للخيال الأدبي، امرأة تدعى ألثيا غيبسون، وهي مؤلفة لروايتين نالتا تقييماً جيداً وحققتا مبيعات سيئة. كانت غيبسون سعيدة لجعل إيميلي هاريس تُغربل طلبات المتقدمين الأوائل، كما هو الحال مع العديد من المؤلفين المقيمين السابقين، وعلى الرغم من أن الأجر زهيد، لكن إيم تستمتع بالعمل. لقد رفض جورج كاسترو هذا العمل، معتقداً أن القيام بعملية الفرز المسبق دون مستواه. لاحظت إيم كم أن الفقراء متغطرسون، وتعتقد أنه من المحتمل أن يكون ذلك بمثابة تعويض.. الحبس الانفرادي.

سأل رودي: «هل من شيء جديد؟».

تنهدت إيم، ودلّكت أسفل ظهرها، وقالت: «حتى الآن لا شيء، سوى السخافات المعتادة. بدأت أعتقد أنه في غضون العشرين عاماً القادمة، لن يكون هناك أدب خيالي».

انحنى وقبّل شعرها الأبيض، وقال: «اصبري فقط يا حبيبتي».

4

ظهر اليوم الرابع والعشرين، نزلت إيم الدرج، ورأت الديدان والذباب يغطيان طبق الكبد. نظرت إليها بقرف وفزع وهي تزحف على قطعة اللحم الصالحة للأكل (حسناً، لقد كانت كذلك). لا شأن لها بالوجود هناك، وبهذه السرعة.

دفعت اللحم نحو الممر بالمكنسة. بدت إلين مرهقة، وكانت شقوق شفتيها تنزف، وبشرتها أصبحت بلون الطين، ولكنها مع ذلك أغلقت الممر بقدمها مرّة أخرى.

أخذت إيم قنينة ماء من جيب مئزرها. شعرت بالسعادة والمتعة عندما رأت إلين تلعق شفتيها، في محاولة غير مجدية منها لترطيب الشفتين الجافتين.

قالت إيم: «كليها يا إلين. تخلصي من الحشرات وتناولي الطعام. عندها سأعطيك الماء».

للحظة، اعتقدت إيم أن الفتاة العنيدة كانت على وشك الاستسلام، إلا أنها كرّرت ما تعودّت قوله: «أنا نباتية».

قالت إيم في سرّها؛ أنت وضيعة، هذا ما أنت عليه. وبالكاد استطاعت منع نفسها من قول ذلك في وجهها. إن هذه الشابة تُغضبها، إضافة إلى ذلك حال ألم عرق النسا دون نومها نصف الليل. وضيعة، متحاذقة. وضيعة سوداء.

ركعت على إحدى ركبتيها- وأبقت الأخرى مستقيمة، للتقليل من ألمها- والتقطت الطبق. لم تستطع منع نفسها من إطلاق صرخة اشمئزاز صغيرة عندما اقتربت حشرة من معصمها. حملت الطبق إلى الطابق العلوي، ولم تنظر إلى الخلف.

كان رودي جالساً إلى طاولة المطبخ، يأكل المكسرات من وعاء زجاجي. نظر إلى الأعلى وخلع نظارته، ودلّك جانبي جسر أنفه. وسألها: «لا؟».

أجابت: «لا».

قال: «حسناً. هل تريدينني أن أُقدم لها القطعة الأخيرة؟ أرى أن ظهرك يؤلمك للغاية».

قالت: «أنا بخير، وجاهزة للذهاب». حرّكت إيم الطبق، فانزلق الكبد المتعفن إلى الحوض. هناك حشرة أخرى على ساعدها. ضربتها، واستخدمت شوكة لرمي اللحم الفاسد الذي دفعته بعنف إلى أن انزلق في سلة القمامة.

قال رودي: «بهدوء. بهدوء يا إيم. نحن مستعدان لهذا».

قالت: «ولكن إذا رفضت أن تأكل، فهذا يعني الخروج للبحث عن بديل مرّة أخرى، والتوقيت مبكر جداً على هذه الخطوة».

قال: «سنكون حذرين للغاية، لا أستطيع تحمل رؤيتك بائسة إلى هذا الحد. وأيضاً، لا يزال هناك إمكانية».

التفتت إليه إيم، وقالت: «إنها تغضبني».

فكّر رودي، ما أسهل الغضب يا عزيزتي. أنت غاضبة، وأظنّ الشابة تعرف ذلك. وهي تعرف أنها لا تستطيع الانتقام منك إلا بجعلك تغضبين. لكنه لم يقل شيئاً من هذا، بل نظر إليها بعينيه اللتين لطالما أحبّتهما، واللتين لا تزال تحبّهما بعد كلّ هذه السنوات. نهض ووضع ذراعه حول كتفيها، وقبّل خدها، وقال: «عزيزتي إيم، أنا آسف لأنك تتألمين، وآسف لأنه يتوجّب عليك الانتظار».

ابتسمت له تلك الابتسامة التي سحرته، والتي لا تزال تسحره حتّى الآن، بالرغم من التجاعيد حول عينيها وزوايا فمها. وقالت له: «سننجح».

شغّلت آلة تصريف القمامة، التي أصدرت صوتاً لا يختلف كثيراً عن الصوت الذي تصدره آلة التقطيع في القبو عند تشغيلها. ثمّ جلبت قطعة كبد طازجة من الثلاجة.

سألها رودي: «هل تريدينني أن أنزله بدلاً عنك؟».

أجابته: «كلا».

5

في القبو، وضعت إيم طبق الكبد على الأرض. وقنينة مياه داساني المعبأة خلفه. نهضت إلين كراسلو، وسدّت الممر بقدمها قبل أن تمسك إيم بالمكنسة. وقالت مجدداً: «أنا نباتية».

قالت إيم: «أعتقد أننا فهمنا ذلك. فكّري جيداً، هذه فرصتك الأخيرة».

نظرت إلين إلى إيم بعينين متحجرتين... ثمّ ابتسمت. كانت شفتاها متشققتين وكانتا تنزفان. وقالت ببرود: «لا تكذبي عليّ يا امرأة. لقد فقدت كلّ فرصي عندما استيقظت هنا».

6

في اليوم التالي، نزل رودي إلى القبو، مرتدياً معطفه الرياضي المفضل، الذي كان يرتديه دائماً في المؤتمرات والندوات حيث كان عليه مناقشة بعض الحلقات أو تسليم بعض الأوراق. كان يعلم أن الكبد لا يزال خارج الزنزانة لأنه رأى بثّ الفيديو، لكن الطبق حُرّك. راقب هو وإيم الشابة مستلقية على جانبها، وكتفها تضغط على القضبان، في محاولة للوصول إلى قنينة الماء، لكنها لم تستطع بالطبع.

جلب لها رودي السلطة التي طلبتها. عادةً، ما كان يُضايق حيواناً في القفص أبداً، لكن هذه الفتاة تثير غضبه حقّاً. هدوؤها لا يتزعزع، هي فقط مضيعة للوقت.

قال: «من دون إضافات. لا نريد انتهاك مبادئك الغذائية».

وضع وعاء السلطة على الأرض، ورأى بوضوح الجوع على وجهها وهي تنظر إليه. دفعه بالمكنسة نحوها. سيتركها تأكل قبل أن يخلّصها من بؤسها. فكّر في الأمر، ورفضه، لقد أثارت غضب إيميلي.

دفعه إلى الزنزانة، التقطته، وقالت: «شكراً لك». اتسعت عيناها عندما رأته يقترب نحوها بمعطفه.

إنه 0.38 ليس هناك الكثير من الضوضاء والطابق السفلي عازل للصوت. أطلق عليها طلقة واحدة في صدرها. سقط الوعاء من يديها وتحطم. ووقعت الطماطم الكرزية على الأرض. ثمّ أطلق رصاصة أخرى أعلى رأسها، فقط للتأكد.

وقال: «يا لك من مضيعة للوقت».

ناهيك عن الفوضى التي يتوجب عليهما تنظيفها.

23 تموز 2021

1

بمجرد ذهاب بيني، أخرجت هولي علبة المناديل المبللة المضادة للبكتيريا من الدرج العلوي لمكتبها، ونظّفت كل جزء من المكتب حيث وضعت بيني يديها، وذراعي الكرسي الذي جلست عليه. ربما تبالغ في الحذر–لا يمكن تنظيف كلّ شيء، سيكون من الجنون حتّى المحاولة – ولكن هذا أفضل من الندم في وقت لاحق.

قصدت حمام السيدات وغسلت يديها، وعادت إلى مكتبها، وراجعت ملاحظاتها، وأعدّت قائمة بالأشخاص الذين تريد التحدث إليهم. ثمّ استراحت على كرسيها، وقد جمعت يديها على بطنها، ونظرت إلى السقف. ظهر تجعّد في جبهتها بين عينيها، ذلك التجعد الذي كانت باربرا روبنسون تدعوه بتجعد فِكر هولي. لم تكن حقيبة الظهر المفقودة هي التي تشغل فكر هولي. ما كان يشغل تفكيرها هو خوذة دراجة بوني راي، والدراجة نفسها. كلتاهما مثيرتان للاهتمام للغاية بالنسبة إليها، لأسباب مرتبطة ولكن مختلفة قليلاً.

بعد خمس دقائق تقريباً، اختفى تجعد جبهتها واتصلت بإيزابيل غاينز: «مرحباً يا إيزي. معك هولي غيبني. أتمنى ألا تمانعي اتصالي بك على رقم هاتفك الشخصي».

قالت: «لا على الإطلاق. آسفة جدّاً بشأن والدتك يا هول».

سألتها: «كيف عرفت؟». لم تكن إيزي حاضرة في جنازة زووم، إلا إذا كانت قد فعّلت خاصية غير متصل، وهذا يشبهها تماماً.

أجابت إيزي: «أخبرني بيري».

قالت هولي: «حسناً، شكراً لك. كان فقدها صعباً للغاية، وحدث في الوقت غير المناسب».

سألتها: «لم تأخذ لقاحاً؟».

أجابتها هولي: «لا، لم تأخذه». ربّما أخبر بيت إيزي بذلك أيضاً. لا تعرف هولي أن إيزي وبيري قد استمرا بالتواصل، لكنها باتت واثقة الآن من ذلك. قال لها بيل ذات مرّة، أن مثل هذا الترابط لا يتلاشى مطلقاً.

سألت إيزي: «كيف حال بيت؟».

أجابت هولي: «لا يتعافى بالسرعة التي كنت أتمناها».

قالت: «يؤسفني سماع ذلك. كيف يمكنني مساعدتك؟».

أخبرتها هولي أن بينيلوبي دال استخدمتها للبحث في قضية اختفاء ابنتها. لم تظن هولي أن إيزي ستشعر بأنها تتدخل في تحقيق الشرطة، وكان ظنّها في محلّه. كانت إيزي مسرورة بالفعل، وتمنّت لهولي حظّاً سعيداً.

قالت هولي: «لا تُصدق السيدة دال أن بوني غادرت المدينة، وهي ترفض بشدّة فكرة الانتحار. ما رأيك؟».

أجابت إيزي: «سأخبرك بشيء، لكن عليك أن تبقيه سرّاً بيننا».

قالت هولي: «بالطبع».

قالت إيزي: «لقد كنت أمزح يا هولي. أكاد أنسى في بعض الأحيان مدى فهمك الحرفي للكلام. أعتقد أن الشابة قررت الاختفاء عن الأعين في لحظة... أو أنها أختُطفت. وإذا خيرتني بين الاحتمالين فأنا سأرجّح الاختطاف، ربّما تبعه اغتصاب وقتل ثمّ التخلص من الجثة».

قالت هولي: «أوه».

قالت إيزي: «حسناً، لقد أبلغت الأشخاص المعنيين، وأبقيت شرطة الولاية على اطلاع».

سألت هولي: «هل كان مكتب التحقيقات الفيدرالي من بين الأشخاص المعنيين الذين بلّغتهم؟».

أجابت إيزي: «لقد أبلغت الضابط المسؤول في سينسيناتي. لن يقوموا بالتحقيق، فهم مشغولون بتحقيق كبير الآن، لكن تلك القضية أصبحت الآن على الأقل موجودة في قاعدة بياناتهم. إذا طرأ شيء بشأن قضية الآنسة دال، فسيعرفون. أما بالنسبة إلى المدينة هنا فأنت تعرفين الوضع المزري، وكوفيد زاد الأمور سوءاً، ولكن الآن لدينا

قضية مالك دوتون. أصبحت الأمور أهدأ الآن، لم يقم أحد بتحطيم نوافذ المتاجر أو إشعال النار في السيارات خلال الأسبوعين الماضيين، لكن لا يزال صدى القضية يتردد».

قالت هولي: «كان ذلك مؤسفاً». كان أكثر من ذلك بكثير، لكن قضية دوتون حسّاسة وقديمة: شاب أسود، كسر الضوء الخلفي لسيارة، وأوقف حركة المرور. قال الشرطي الذي اقترب منه، ابق يديك على عجلة القيادة، لكن دوتون مدّ يده إلى هاتفه.

قالت إيزي بحدّة: «كان ذلك غباءً وأمراً غير معقول. لم تسمعيني أقول ذلك».

قالت: «لا، لم أفعل».

قالت إيزي: «برّأت هيئة المحلفين الكبرى الوغد التوّاق لإطلاق النار – لم تسمعيني أقول ذلك أيضاً – لكنه هو على الأقل خارج الخدمة الآن، وهو ليس الوحيد أيضاً. بين كوفيد وقضية دوتون، قلّ عددنا بنسبة 25 بالمئة. وإذا فرض الحاكم وضع الأقنعة وأخذ اللقاحات على موظفي المدينة والولاية، فسيقلّ عددنا أكثر وأكثر».

أصدرت هولي صوتاً يشير إلى التعاطف. إنها متعاطفة، ولكن إلى حدّ معين. لقد كانت حالة إطلاق نار سيئة – إطلاق نار غير مُبرَّر، بغض النظر عمّا قالته هيئة المحلفين الكبرى – لا تفهم هولي سبب عدم قبول رجال الشرطة بأخذ اللقاحات. لا يرفض الجميع اللقاح بالطبع، لكن أقلية لا بأس بها تقبله. على أي حال، لقد تعودت هولي على هذا النوع من التذمر الذي لا يمكن لإيزي غاينز أن تحبسه، فهي في الأساس شخص غير سعيد للغاية.

قالت إيزي: «انظري يا هولي، أعرف أن السيدة دال تعتقد أننا خذلناها. ربما هي محقة. لكنهما كانتا تتجادلان طوال الوقت، كما قال الجيران، والبنية التحتية لهذه المدينة منهارة تقريباً. هل تعلمين أنهم أفرغوا السجون بسبب كوفيد؟ أعادوا الأشرار إلى الشارع؟ أحياناً أفكّر أنه من الجيد أن بيل لم يعش ليرى ما يحصل».

لا تفكر هولي بالطريقة نفسها، ليته عاش ورأى أي شيء. تسبّب موت والدتها بحزن جديد وأضاف إلى حزنها على وفاة بيل التي ما زالت تعاني منه.

تنهدت إيزي، وقالت: «أنا سعيدة لأنك تولّيت هذه القضية يا صغيرتي. أشعر بالأسف من أجلها، لكنني أرى أنها قد تتسبب لك بألم إضافي فوق ألمك. أعلميني

إذا احتجتِ إلى مساعدتي».

قالت هولي: «بالطبع، سأعلمك».

أنهت هولي المكالمة، وعاودت النظر إلى السقف. تفقّدت هاتفها لترى ما إذا كانت بيني قد أرسلت لها صور ابنتها. لكنها لم تكن قد أرسلتها بعد. قالت: «ساعدني يا إلهي لأبذل قصارى جهدي من أجل بيني دال وابنتها. إذا اختطف شخص ما تلك الشابة، آمل أن تظل على قيد الحياة، وأن أجدها بإرادتك يا ربي. جيد، ها أنا أدخن مرّة أخرى، وهذا أمر سيئ». تفكر في صلاة القديس أوغسطينوس، شبكت يديها وابتسمت قائلة: «ساعدني على الإقلاع عن التدخين... ولكن ليس اليوم».

فتحت درج كوفيد الخاص بها بعناية شديدة. هناك علبة أقنعة جديدة بجانب علبة المناديل. أخذت واحداً، وغادرت لتبدأ تحقيقها في اختفاء بوني راي دال.

2

بعد عشرين دقيقة، أصبحت هولي في جادة ريد بانك. مرت بجانب ديري ويب على بعد مسافة قصيرة من ديرفيلد بارك، حيث كانت مجموعة من الفتيان يتزلجون في مرأب السيارات شبه المهجور. اجتازت مركز تخزين جون بوي، ومحطة إيكسون المهجورة، ومتجر كويك بيك المهجور أيضاً، الذي كانت نوافذه الأمامية مغطاة بألواح خشبية.

اجتازت هولي قطعة أرض مليئة بالأعشاب، ثمّ وصلت إلى ورشة إصلاح السيارات حيث عُثر على دراجة بوني. إنه مبنى طويل متداعي السقف، جدرانه من الحديد المتموج الصدئ. تنبت حشائش وأزهار عبّاد الشمس في شقوق في المرأب ذي الأرضية الإسمنتية المتصدعة. بالنسبة إلى هولي، لا يبدو أنه مبنى يستحق التوفير، ناهيك عن الشراء، ولكن لابدّ من أن مارفن براون فكّر بشكل مختلف، بسبب لافتة بيع معلّقة أمام المبنى. تحتوي اللافتة على صورة لرجل مبتسم يُعرّف عن نفسه باسم جورج رافيرتي، وكيل العقارات في مدينتك. وقفت هولي أمام الأبواب، ودوّنت اسم الوكيل ورقمه.

تحتفظ هولي بعلبة قفازات في الدرج الأوسط من لوحة التحكم في سيارتها.

طلبتها باربرا روبنسون خصّيصاً من أجلها كهدية لعيد ميلادها، وكانت القفازات مغطاة بوجوه تعبيرية مختلفة: وجوه مبتسمة، وجوه عابسة، وجوه تقبّل، ووجوه حزينة. هذا مسل جداً. أخذت هولي زوجاً من القفازات، ثمّ اتجهت إلى صندوق سيارتها الصغيرة وفتحته. هناك معطف واقٍ من المطر مطوي بعناية فوق صندوق أدواتها. لن تحتاج إليه، فالنهار مشمس وحار، لكنها تحتاج إلى الحذاء المطاطي الأحمر الواقي. لا تشعر بالقلق من كوفيد فهي في العراء هنا، لكنها تريد تجنّب الشجيرات على جانبي الورشة المهجورة، والتي قد تعرّضها للتسمم بنبات اللَبْلاَب المُتَسَلِّق. أيضاً، قد يكون هناك ثعابين. هولي تكره الثعابين. جلدها فظيع، وعيونها السوداء أفظع، أووووه.

توقفت للحظة لتلقي نظرة على ديرفيلد بارك. معظم الشجيرات والأشجار في المنتزه هناك مُقلّمة ومنسقة، ولكن هناك على حافة ريد بانك، نمت الأشجار والشجيرات بحرية، حتّى أنها اخترقت السياج الحديدي، وحجبت عربات الأطفال عند قارعة الطريق. لاحظت شيئاً واحداً مثيراً للاهتمام: انحدار مائل، يشبه الوادي، تعلوه بلاطة صخرية. حتّى من الجانب الآخر من الشارع، تستطيع هولي رؤية أنه وضع علامة تحذير عليه، لذا لا بدّ أن الفتيان يتجمّعون هناك، ربما لتدخين الحشيش. تظنّ هولي أن الصخرة تطلّ على ورشة إصلاح السيارات على الجانب من الشارع. تتساءل عما إذا كان هناك أي فتيان في ذلك المساء عندما تركت بوني دراجتها، وفكّرت في الأطفال الذين رأتهم يتزلجون في مرأب ديري ويب.

انتعلت حذاءها الواقي، ووضعت ساقي بنطالها في داخله، ثمّ مشت على طول الجزء الأمامي من المبنى – مروراً بأبواب المرأب الثلاثة، ثمّ المكتب. لم تتوقع العثور على شيء، لكن بعض الأشياء الغريبة حدثت. وعندما وصلت إلى الزاوية استدارت وعادت. كانت تمشي الهوينى، حانية رأسها إلى الأسفل. لم تجد شيئاً.

الآن عليها التوجه إلى الجزء الصعب، المقرف.

مشت على الجانب الجنوبي من المبنى ببطء، أبعدت الشجيرات جانباً، وظلّت تنظر إلى الأسفل. رأت أعقاب سجائر، علبة تيباريلو فارغة، وعلبة وايت كانت صدئة، وجوراً رياضياً قديماً. سارت بشكل أسرع على طول الجزء الخلفي، لأن شخصاً ما

كان قد رمى زيتاً هنا (وهو أمر مرفوض تماماً) ولأن عدد الشجيرات كان أقل. ثمّ رأت شيئاً أبيض واقتربت لتفحّصه، فتبين لها أنه شمعة احتراق مكسورة.

استدارت هولي، ومشت أبعد بين الشجيرات. كان لون أوراق بعض الأشجار قريباً من الأحمر، وكان عليها مادة زيتية غريبة، شعرت هولي بالسعادة لأنها ارتدت القفازات. لم تجد خوذة دراجة بيني، لذا افترضت أنه ربما رُميت بعيداً خلف السياج المعدني للمتجر، وظنت أنها ستكون قادرة على رؤيتها، لأن المساحة هناك شاغرة.

في الجزء الأمامي من المبنى، لمع شيء ما بين تلك الأوراق الزيتية المريبة. دفعتها هولي جانباً، وحرصت على عدم لمس أي ورقة بجلدها، التقطت قرطاً عل شكل مثلث ذهبي. بالتأكيد لم يكن من الذهب، لا بدّ أنه اشتُري من تي جي ماكس أو آيسينغ فاشن. شعرت هولي بالإثارة، في بعض الأيام لا تعرف سبب قيامها بهذه الوظيفة، وفي أيام أخرى، كما اليوم، تعرف السبب بالضبط. عليها تصوير القرط وإرساله إلى بيني دال للتأكد إن كان لبوني، لكن ليس لدى هولي أدنى شك في أن القرط يخص بوني راي. ربّما سقط القرط منها من دون أن تشعر، لكن هناك احتمال آخر، ربما سُحبت بوني رغماً عنها، فسقط القرط منها بعد صراع.

فكّرت هولي؛ وماذا عن الدراجة؟ لم تكن خلف المبنى أو على أحد جانبيه، بل كانت أمامه. سأضطر للتأكد من ذلك، لكنني لا أعتقد أن براون ورجل العقارات توغلا بين الشجيرات كما توغلت. فكّرت هولي، أن هناك سيناريو واحداً منطقياً فحسب.

شدّت قبضتها على القرط حتّى شعرت بحوافه الحادة تؤلم راحة يدها، وقررت أن تكافئ نفسها بسيجارة. خلعت قفازيها المزينين بالوجوه التعبيرية ووضعتهما على أرضية سيارتها. اتكأت على الإطار الأمامي لسيارتها، على أمل ألا يراها أحد، وأشعلت السيجارة، معتبرةً أن المبنى فارغ.

أنهت سيجارتها، وأطفأتها على الأرض، ثمّ وضعتها في علبة معدنية تحتفظ بها في محفظتها كمنفضة سجائر محمولة. تحققت من هاتفها، ولاحظت أن بيني أرسلت لها ست عشرة صورة لابنتها، بينها صورة لبوني على دراجتها. هذه كانت أكثر صورة لفتت انتباه هولي.

كان هناك صورة لبوني ولشاب يُرجح أنه حبيبها السابق توم هيغينز، كانا متقاربين جداً، وقد تلامست جبهتاهما، وكانا يضحكان. كبّرت هولي الصورة بإصبعيها كي تركّز على وجه بوني.

إنها تضع قرطاً على شكل مثلث ذهبي.

3

هولي جيدة في التحدث إلى الغرباء، وحتّى في استجوابهم، فلقد تحسنت حالها وتغيرت نحو الأفضل، كانت فكرة تقديم نفسها لأولئك الفتيان الضاحكين الذين يتفوهون بالحماقات أمام ديري ويب تعيد لها ذكريات غير سارة. أو بالأحرى، تجعلها تعود إلى مرحلة الصدمة النفسية التي سبق لها أن مرت بها، عندما كان الفتيان يضايقونها بشكل دائم، ويسخرون منها في المدرسة الثانوية. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الفتيات، اللواتي كنّ يتنمّرن عليها بطريقتهنّ السامّة، لكن مايك ستوردفانت كان الأسوأ. مايك ستوردفانت، الذي بدأ يناديها بجيبا-جيبا، لأنها كانت (على حسب قوله) جيبا-جيبا-الثرثارة. سمحت لها والدتها بتغيير مدرستها الثانوية، لكنها عاشت بقية سنواتها الكارثية من التعليم الثانوي، خائفة من أن يتبعها ذلك اللقب مثل الرائحة الكريهة: جيبا-جيبا-غيبني.

ماذا لو بدت مثل جيبا-جيبا-الثرثارة عندما تتحدث إلى هؤلاء الأولاد؟ لكنها قالت في نفسها، كلا، لا أعتقد ذلك. كانت تلك فتاة أخرى.

لكن حتّى لو كان هذا صحيحاً (وهي تعرف أنه ليس صحيحاً تماماً)، قد يتحدثون بسلاسة أكثر مع شاب ليس أكبر منهم بكثير. تعلم هولي تماماً، أن هذه مجرّد حجة ومبرر لعدم رغبتها بالتحدث إليهم. ومع ذلك، اتصلت بجيروم روبنسون. على الأقل هي لا تقاطع عمله، فهو يستريح دائماً بحلول الظهيرة، والآن هو وقت الظهيرة تقريباً. أليست الساعة 10:50 قريبة جداً من فترة الظهيرة؟

صرخ جيروم: «هولي بيري!».

ردّت هولي: «كم مرّة طلبت منك أن لا تخاطبني بهذا اللقب؟».

قال: «لن أفعل ذلك مرّة أخرى، هذا وعد رسمي».

قالت: «هراء». وابتسمت عندما سمعت ضحكته. سألته: «هل أنت تعمل الآن؟ أنت تعمل، أليس كذلك؟».

قال: «توقفت عن العمل البائس قليلاً كي أجري بعض المكالمات. هل أنت بحاجة إلى معلومات. هل يمكنني مساعدتك؟ من فضلك قولي إنني أستطيع المساعدة. باربارا تعمل في الأسفل وهذا يجعلني أشعر بالذنب».

سألته: «ما الذي تعمل عليه؟».

أجابها: «لا أعرف، وتغضب عندما أسألها. وهذا يحدث منذ الشتاء الماضي. أعتقد أنها تعقد اجتماعات مع شخص ما حول هذا الموضوع الذي لا أعرف ماهيته. سألتها ذات مرّة عما إن كان رجلاً فقالت لي أن أهدأ، وبأنها سيدة، سيدة عجوز. ماذا يحدث معك أنتِ؟».

شرحت له هولي ما يحدث معها، وسألت جيروم إن كان لا يمانع باستجواب بعض الفتيان الذين يتزلجون على الألواح أمام ديري ويب.

قال: «خمس عشرة دقيقة وأكون عندك».

قالت: «هل أنت متأكد؟».

قال: «طبعاً. وهولي... أنا آسف جدّاً بشأن والدتك. لقد كانت شخصاً مميّزاً».

قالت هولي: «صحيح». جلست على قارعة الطريق، متكئة إلى إطار سيارتها، تسبب الحذاء الواقي الأحمر الغبي بتعرق قدميها، وكانت على وشك البكاء. مرّة أخرى. إنه أمر سخيف، سخيف حقاً.

قال: «كان تأبينك رائعاً».

قالت: «شكراً يا جيروم. هل أنت حقّاً...».

قاطعها قائلاً: «لقد طلبت مني ذلك، وأنا متفرّغ حقّاً. جادة ريد بانك، على الجانب الآخر من الغابة، عند لافتة العقارات، سأكون هناك في غضون خمس عشرة دقيقة».

وضعت هاتفها في حقيبة كتفها الصغيرة، ومسحت دموعها. لماذا تتألم إلى هذا الحدّ؟ لماذا، هي لم تكن مقرّبة من والدتها، وكانت غاضبة كثيراً من الطريقة الغبية التي ماتت بها؟ هل كانت فرقة جي جيلز هي التي قالت إن الحب مقرف؟ نظراً لأن أمامها وقتاً، سحبت هاتفها وقررت تضييع بعض الوقت.

4

كان المدخل المقنطر المؤدي إلى ديرفيلد بارك الأقرب للصخرة الكبيرة، محاطاً بلافتات: من فضلك أزل براز حيواناتك الأليفة واحترم متنزهك! لا ترمِ الأوساخ! بدأت هولي تمشي ببطء في الممشى المظلل الصاعد، دفعت جانباً بضعة أغصان متدلية، وظلّت تنظر إلى يسارها. اقتربت من القمة، وعندها رأت طريقاً يؤدي إلى الشجيرات المتشابكة. سارت فيه ووصلت في النهاية إلى الصخرة الكبيرة، والتي كانت محاطة بأعقاب السجائر وعلب البيرة، وزجاجات النبيذ المكسورة. من الواضح أنهم لم يلتزموا بما قيل في اللافتة.

جلست على الصخرة التي دفأتها أشعة الشمس. كما توقعَت، تتمتع بإطلالة ممتازة على جادة ريد بانك: يمكنها أن ترى محطة الوقود المهجورة، والمتجر المهجور، ومستودع يو ستور إيت، جيت مارت، وورشة تصليح السيارات والتي يفترض أنها ملك مارفن براون. يمكنها أن ترى شيئاً آخر أيضاً: شاشة العرض البيضاء لسينما درايف إن. تعتقد هولي أن أي شخص يجلس هنا في الظلام يمكنه مشاهدة العرض مجاناً، من دون صوت.

كانت تجلس هناك عندما ركن جيروم سيارته السوداء: فورد موستانغ، إلى جانب سيارة هولي تويوتا بريوس. خرج، وتلفت حوله. وقفت هولي على الصخرة، ووضعت يديها حول فمها، وصرخت: «جيروم، أنا هنا». رآها جيروم ولوّح لها.

صرخت هولي: «سآتي إليك».

أسرعت واتجهت نحوه، كان جيروم ينتظرها خارج السياج، عانقها بشدة. بدا لها أطول وأكثر وسامة من أي وقت مضى.

قال: «هذا المكان يدعى درايف إن روك، حيث كنت تقفين. إنه مشهور، على الأقل في هذا الجانب من المدينة. عندما كنت في المدرسة الثانوية، اعتاد الفتيان المجيء إلى هناك في ليالي الجمعة، والسبت لشرب الجعة وتدخين الحشيش، ومشاهدة ما كان يُعرض من أفلام في ماجيك سيتي درايف إن».

قالت هولي باستنكار: «يبدو هذا جلياً من مقدار القمامة في الأعلى، إنهم لا يزالون يأتون. ماذا عن ليالي الأسبوع الأخرى؟». اختفت بوني يوم الخميس.

قال: «لست متأكداً من وجود عروض في ليالي نهاية الأسبوع. يمكنك التحقق من ذلك، لكن دور العرض المغلقة أصبحت عروضها محصورة بعطلات نهاية الأسبوع فقط منذ كوفيد».

أدركت هولي وجود مشكلة أخرى. خرجت بوني من جيت مارت مع مشروبها الغازي عند الساعة 8:07، وحتّى تصل إلى ورشة إصلاح السيارات حيث عُثر على دراجتها، ستحتاج لدقائق معدودة فقط. لا يحلّ الظلام الكافي -لمشاهدة فيلم في درايف إن- في الأول من تموز قبل التاسعة مساءً على الأقل، ولماذا قد يجتمع الفتيان في درايف إن روك لمشاهدة شاشة فارغة؟

قال جيروم: «تبدين مُحبطة».

قالت: «مجرّد مشكلة بسيطة. دعنا نذهب للتحدث إلى هؤلاء الفتيان، ما لم يغادروا».

5

اختفى معظم المتزلجين، لكنهما وجدا أربعة جالسين حول إحدى طاولات النزهة بالقرب من مرأب ديري ويب، يأكلون البرغر والبطاطا المقلية. حاولت هولي التراجع، لكن جيروم منعها من ذلك، أمسكها من مرفقها وأبقاها إلى جانبه.

قالت: «طلبت منك أن تأخذ زمام المبادرة».

قال: «يسعدني تقديم المساعدة، لكن ابدئي أنتِ. سيكون هذا مفيداً لك. أظهري لهم بطاقتك».

خمّنت هولي من النظر إلى الفتيان أن متوسط أعمارهم هو اثنا عشر أو أربعة عشر عاماً، وهي متأكدة من ذلك. وضع أحدهم - مهرج المجموعة- بطاطس مقلية في أنفه.

قالت هولي: «مرحباً. اسمي هولي غيبني، وأنا محقّقة خاصة».

سأل أحدهم، وهو ينظر إلى جيروم: «حقيقية أم هراء؟».

قال جيروم: «حقيقية يا عزيزي».

ارتبكت هولي أثناء بحثها عن محفظتها، وأوقعت منفضة سجائرها المحمولة على الأرض، وأظهرت لهم بطاقة المحقّق الخاص. نظروا جميعاً إلى صورتها الفظيعة.

سحب مهرج المجموعة البطاطس من أنفه وأكلها، وهذا ما جعل هولي تشعر بالهلع والقرف.

قال المتحدث باسم المجموعة: «حسناً، أيا يكن، لكننا لسنا بوشاة»، إنه فتى ذو شعر أصهب ووجه منمش أسند لوح تزلجه الأخضر الليموني مقابل طاولة النزهة.

قال المهرج ذو الشعر الأسود الطويل القذر: «الوشاة وضيعون».

قال الفتى ذو النظارة: «الوشاة يحصلون على غرز».

أما الفتى الرابع ذو الوجه المليء بحبّ الشباب فقال: «الوشاة ينتهي بهم الأمر في الخنادق».

بعد أن أنهى الفتيان حديثهم، نظروا إليها منتظرين السؤال التالي. شعرت هولي بالارتياح عندما شعرت أن خوفها قد تلاشى. إنهم مجرّد فتيان انتهوا للتو من المدرسة الإعدادية (ربما لا يزالون فيها)، لن يسببوا لها أي خوف، بغضّ النظر عن قوافي الأغنية السخيفة التي قالوها.

قال جيروم للقائد: «لوح تزلّج رائع. هل هو من طراز بيكر؟ أو توني هوك؟».

ابتسم القائد وقال: «هل أبدو لك غنياً يا عزيزي؟ أنه مجرد ميترولر، لكنه جيد بالنسبة إليّ. حول انتباهه إلى هولي، وقال: «محقّقة خاصة مثل فيرونيكا مارس؟».

قالت هولي: «ليس لديّ الكثير من المغامرات مثلها»... على الرغم من أن لديها القليل من المغامرات بالفعل. ثمّ تابعت: «لا أريدك أن تشي بأحد. أنا أبحث عن شابة مفقودة، عُثر على دراجتها على بعد ربع ميل من هنا، في مبنى مهجور كان في السابق ورشة لتصليح السيارات. هل تعرف أي منكم إليها أو إلى الدراجة؟».

ثمّ أرتهم صورة بوني على دراجتها. مرّر الفتيان الهاتف بينهم. قال صاحب الشعر الطويل: «أظن أنني رأيتها مرّة أو مرتين. كانت تقود دراجتها على طريق ريد بانك. لكنني لم أرها منذ مدّة». فأوما الفتى الجالس بجانبه برأسه.

سألت هولي: «هل كانت تعتمر خوذة؟».

قال صاحب الشعر الطويل: «بالطبع، إنه القانون، وإلا سيسطر رجال الشرطة مخالفة».

سأل جيروم: «متى كانت آخر مرّة رأيتها؟».

نظر صاحب الشعر الطويل إلى صديقه، الذي قال: «ليس هذا الصيف. ربما في الربيع».

سأل جيروم: «هل أنت متأكد؟».

أجاب صاحب الشعر الطويل: «بالتأكيد، شابة حسنة المظهر، لا بدّ من أن نلاحظ وجودها. إنه القانون».

ضحك جميع الأولاد، وضحك جيروم معهم.

قال القائد: «هل تشكين أنها اختفت من تلقاء نفسها أم أن أحدهم اختطفها؟».

قالت هولي: «لا نعرف». أدخلت يدها في جيب بنطالها وتلمست القرط المثلث الشكل.

قال الفتى ذو النظارة: «هيّا، قولي الحقيقة. إنها جميلة المظهر ولكنها ليست مراهقة. لو أنها رحلت من تلقاء نفسها، لما كنت تبحثين عنها الآن».

قالت هولي: «والدتها قلقة للغاية».

وكأنهم سيفهمون معنى ذلك.

قال جيروم: «شكراً».

قالت هولي: «نعم، شكراً لك».

ثم سارا بضع خطوات، لكن الفتى ذا الشعر الأحمر أوقفهما، وقال: «هل تريدين معرفة والدة مَن تشعر بالقلق؟ إنها والدة ستينكي (النتن). هي نصف مجنونة، والشرطة لا تفعل شيئاً لأنها مدمنة على الكحول».

استدارت هولي، وسألت: «من هو ستينكي (النتن)؟».

27 تشرين الثاني 2018

سيكون شتاء هذه المدينة المجاورة للبحيرة بارداً، فقد هطلت ثلوج كثيرة، ولكن اليـوم وعلـى غيـر العـادة، بلغت درجة الحرارة 65 درجـة فهرنهايت، وتصاعد الضباب فوق شارع ريد بانك.

عند الساعة السابعة والربع كان بيتر ستينمان «ستينكي (النتن)».يركب لوح تزلجه مـن نـوع ألاميـدا علـى الرصيف الفارغ، ودفعه دفعة خفيفـة. إنه متجه إلى ديري ويب، حيث اللافتة الضخمة المُضاءة على شكل مخروط بوظة عملاق، والمحاطة بالضباب. نظر إلى اللافتة ولم يلحظ الشاحنة المتوقفة عند محطة إكسون المهجورة.

ذات مرة، منذ فترة طويلة (حسناً، منذ ثلاث سنوات، والتي تبدو لك فترة طويلة عندما تكون في الحادية عشـرة من عمرك)، كان سـتينمان الصغير معروفاً باسـم بيت بدلاً من سـتينكي (النتن). كان متوسـط الذكاء وخصب الخيال. يومها بينما كان يسـير متجهاً إلى مدرسـة نيل أرمسـترونغ الابتدائية (حيث كان في الصف الثالث المسـؤولة عنه السـيدة سـتارك)، تخيّل نفسـه جاكي شـان، يقاتل مجموعة من الأعداء في مستودع فارغ ويتمتع بمهارات متميزة في الكونغ فو. لقد هزم بالفعل أكثر من عشرة أشخاص، لكن أتى أشخاص آخرون وهاجموه. كان يسرح في خياله، ويصرخ («هاه!». و«يوه!». و«يا!». لدرجة أنه لم يلحظ كومة كبيرة من براز كلب، فداس عليها، ودخل مدرسة نيل أرمسـترونغ الابتدائية بحال مزرية. أجبرته السـيدة سـتارك على خلع حذائه الرياضي – كانت إحدى فردتيه ملطخة بالبراز حتّى شعار كونفيرس – وتركه في القاعة حتّى يحين وقت العودة إلى المنزل. رشّـت والدته الحذاء بخرطوم مياه ثمّ ألقت به في الغسـالة. خرج نظيفاً وكأنه حذاء جديد، ولكن بعد فوات الأوان، فقد أصبح لقبه منذ ذلك اليوم، وإلى الأبد، ستينكي (النتن) ستينمان بدلاً من بيت ستينمان.

هذه الليلة تمنى بيت أن يجد أحد زملائه المتزلجين يلعب في مرأب السـيارات. وبدل زميل رأى زميلين: ريتشي غلينمان (الفتى الذي اعتاد وضع البطاطس المقلية في

أنفه، وأحياناً في أذنيه) وتومي إديسون (ذا الشعر الأصهب والوجه المنمش، وزعيم عصابتهم الصغيرة). اثنان أفضل من لا شيء، لكن يبدو أن مالهما قد نفد، والوقت تأخر، وكانا يستعدان للمغادرة.

قال ستينكي: «هيّا، تسكعا معي لبعض الوقت».

قال ريتشي: «لا أستطيع، حان موعد برنامج المصارعة (دبليو إي سماكداون) يا صديقي. لا يمكنني أن أفوّت هذه المتعة».

أما تومي فقال بفظاظة: «لديّ واجب منزلي، تقرير عن كتاب».

غادر الفتيان، وقد تأبطا لوحي التزلج. تزلج ستينكي قليلاً، حاول القيام بقفزة على اللوح، لكنه وقع (كان سعيداً لأن ريتشي وتومي لم يرياه وهو يسقط). نظر إلى مرفقه المصاب، وقرر العودة إلى المنزل. إذا كانت والدته في الطابق العلوي، فسيتمكن من مشاهدة برنامج المصارعة (دبليو دبليو إي سماكداون) مع إبقاء مستوى الصوت منخفضاً حتّى لا يزعجها أثناء إنجاز عملها الممل في المحاسبة. إنها تعمل كثيراً منذ أن غيرت عاداتها. مطعم ويب مفتوح وبيت يشتهي برغر بالجبن، ولكنه لا يمتلك من النقود سوى خمسين سنتاً. بالإضافة إلى ذلك، كانت واندا الشريرة في الخدمة الليلة. إذا طلب منها دولاراً ونصف دولار من صندوق الإكراميات، ستسخر منه.

عاد إلى ريد بانك، وبمجرد أن أصبح خارج دائرة الضباب الذي يتسبب به مصباح الإنارة في القسم الأمامي من المرأب – حيث لا تستطيع واندا الشريرة رؤيته والسخرية منه– بدأ يتخيل الأعداء. الليلة، بعد أن أصبح أكثر نضجاً، يتخيل نفسه جون ويك. من الصعب هزيمة أعدائه بيد واحدة لأن يده الأخرى تحمل لوح تزلجه، لكنه يتمتع بمهارات رائعة وقدرات خارقة للطبيعة، وما إلى ذلك...

ناداه أحدهم: «أيها الفتى؟».

رأى رجلاً عجوزاً يقف في المرأب خارج نطاق كاميرا المراقبة (لا توجد سوى كاميرا مراقبة وحيدة في ديري ويب). بدا منحني الظهر وهو يتكئ على عصاه ويعتمر قبعة عريضة الحافة وكأنه أتى من أحد أفلام التجسس القديمة بالأبيض والأسود.

سأله: «هل أخفتكَ؟ أنا آسف، لكنني أحتاج إلى المساعدة. زوجتي على كرسي مدولب، كما ترى، ونفدت البطارية. لدينا شاحنة متصلة بمنحدر، لكن لا يمكنني دفع

كرسيها إلى الأعلى بنفسي. إذا كنت تستطيع المساعدة...».

كان ستينكي يتخيل نفسه بطلاً، وكان على أتم الاستعداد لتقديم المساعدة، وهو الذي قيل له مراراً وتكراراً ألا يتحدث إلى الغرباء، لكن يبدو أن هذا الرجل الغريب سيواجه مشكلة في دفع صف من قطع الدومينو، ناهيك عن دفع كرسي متحرك إلى أعلى منحدر. سأل ستينكي: «أين هي؟».

أشار الرجل العجوز إلى الجانب الآخر من الشارع. رأى ستينكي – على الرغم من الضباب المتصاعد– شاحنة متوقفة في محطة إكسون القديمة، وبجانبها كرسي مدولب يجلس فيه أحدهم.

يتناوب رودي وإيميلي على الكرسي المدولب في هذه التمثيلية، وكان دور رودي اليوم، لكن ألم عصبها الوركي تصاعد للغاية – ويرجع الفضل في ذلك إلى الشابة العنيدة اللعينة – وكانت حقاً تحتاج إلى الكرسي.

قال الرجل العجوز: «سأعطيك عشرة دولارات إذا ساعدتني بدفعها إلى أعلى المنحدر وإدخالها إلى الشاحنة».

فكّر ستينكي في البرغر الذي كان يشتهيه. إذا حصل على عشرة دولارات مقابل مساعدة الرجل العجوز سيتمكن من شراء البرغر بالإضافة إلى البطاطس المقلية ومخفوق الشوكولاتة، وسيبقى معه كثير من النقود. لكن هل كان جاكي شان سيأخذ المال مقابل القيام بعمل جيد؟

قال ستينكي: «كلا، سأفعل ذلك مجاناً».

قال الرجل العجوز: «هذا لطف منك».

مشيا معاً عبر الضباب، واتّكأ الرجل على عصاه. عبرا الطريق، وعندما وصلا إلى الرصيف أمام محطة الوقود، لوّحت له السيدة العجوز الجالسة على الكرسي المدولب، فبادلها التلويح والتفت إلى الرجل الذي يضع يده في جيب معطفه.

قال ستينكي: « كنت أفكر».

فسأله العجوز: «ما الذي كنت تُفكر فيه؟».

قال ستينكي: «ربمّا يمكنك إعطائي ثلاث دولارات. وعندها يمكنني شراء برغر رويال».

سأل الرجل العجوز: هل أنت جائع؟».

أجاب ستينكي: «أنا أشعر بالجوع طوال الوقت».

ابتسم الرجل، وربّت كتف ستينكي، وقال: «أفهم، يجب إسكات الجوع».

23 تموز 2021

1

سألت هولي: «هل أنت متأكد من الليلة التي اختفى فيها صديقك هذا؟». اشترى جيروم مخفوق الحليب للفتيان الذين التهموه بسرعة البرق.

قال تومي إديسون ذو الشعر الأصهب: «متأكد تماماً، فقد اتصلت والدته بوالدي وسألت إن كان موجوداً في منزلنا، وقد تغيب عن المدرسة في اليوم التالي».

قال ريتشي غلينمان، مهرج المجموعة ذو العادة المقززة: «حدث ذلك في وقت لاحق. بعد أسبوع أو أسبوعين حسب ما أعتقد».

سجّلت هولي أسماءهم في دفتر ملاحظاتها. قال آندي فيكرز، الفتى الذي يضع نظارة: «سمعت أنه هرب ليعيش مع عمه في فلوريدا. ذات مرّة، أُلقي القبض على والدته وهي تقود السيارة ثملة».

قال روني سويدروفسكي بجدية، الفتى الذي ملأ حبّ الشباب وجهه: «لم يهرب ولم يذهب إلى فلوريدا بل اختُطف».

أخفض روني سويدروفسكي صوته، وتابع: «سمعت أنه كان سليندرمان». ضحك الآخرون. لكمه ريتشي غلينمان على كتفه، وقال: «أيها المغفل سليندرمان مجرّد أسطورة مدنية، مثل ساحرة المنتزه».

قال روني: «آه، لقد أوقعت مشروبي».

سألت هولي تومي إديسون، الذي يبدو الأكثر ذكاءً: «هل تعتقد حقّاً أن صديقك بيتر اختفى في الليلة التي رأيته فيها آخر مرة؟».

أجابها: «لست متأكداً، حدث ذلك منذ أكثر من عامين، لكنني أظنّ ذلك. كما قلتُ لكِ، لم يأتِ إلى المدرسة في اليوم التالي».

قال روني سويدروفسكي: «لا أظنّ ذلك، اعتاد التغيب عن المدرسة طوال الوقت. لأن والدته...».

أصرّ ريتشي غلينمان على فكرته: وكرّر: «لقد اختفى في وقت لاحق، أعلم ذلك لأنني تسكعت معه بعد ذلك في المتنزه وفي الملعب».

تناقشا حول هذا الموضوع، وبدأ روني بتقديم حجة منطقية تُثبت وجود سليندرمان من وجهة نظره، الذي يسمع أيضاً أنه سبق له أن اختطف مُدرّساً من الكلية، لكن هولي اكتفت من الاستماع إلى ذلك. من شبه المؤكد أن اختفاء بيتر «ستينكي» ستينمان (إذا كان قد اختفى بالفعل) لا علاقة له باختفاء بوني دال، لكنها تنوي معرفة المزيد عن الموضوع، على الأقل لأن ديري ويب وورشة التصليح على بعد نصف ميل فقط. وكذلك الأمر بالنسبة إلى جيت مارت، حيث شوهدت بوني للمرة الأخيرة، فهو قريب أيضاً إلى حدّ ما.

نظر جيروم إلى هولي، التي أومأت له برأسها. حان وقت الذهاب. قال جيروم: «أتمنى لكم يوماً جميلاً يا رفاق».

قال تومي إديسون: «طاب يومك أيضاً».

أشار المهرج إليهما بإصبعه الملطخ بالكاتشب وقال: «فيرونيكا مارس وجون شافت».

تفرق الجميع وهم يضحكون.

توقفت هولي في منتصف الطريق عند ساحة المرأب وعادت إلى تومي، وقالت: «تومي، في الليلة التي رأيته فيها أنت وريتشي هنا، كان معه لوح تزلجه، أليس كذلك؟».

قال تومي: «دائماً يكون معه».

قال ريتشي: «وكان لوح الأميدا القديم ذو العجلة المائلة معه بعد أسبوع من ذاك عندما تسكعتما معاً».

سأل تومي: «لماذا؟».

أجابت هولي: «مجرد فضول».

وهذه هي الحقيقة. إنها فضولية بشأن كلّ شيء، هذه طبيعتها.

2

سحبت هولي القرط من جيبها وهما يمشيان عائدين إلى سيارتهما أعلى التل، وأرته لجيروم.

قال جيروم: «توقفي، هل هو لها؟».

أجابت: «شبه متأكدة من ذلك».

سأل: «لماذا لم يعثر عليه رجال الشرطة؟».

أجابت: «لا أعتقد أنهم بحثوا».

قال: «حسناً، لقد فزت بجائزة شيرلوك هولمز لأفضل تحرٍّ».

قالت: «شكراً لك يا جيروم».

سأل: «مَن منهما تصدّقين بشأن قضية ستينكي ستينمان؟ ذو الشعر الأصهب، أم المغفل؟».

نظرت إليه مستنكرة، وقالت: «لماذا لا ندعوه بيتر؟ ستينكي (النتن) لقب مزعج».

لا يعرف جيروم تاريخ حياة هولي بالكامل (أخته باربرا تعرف أكثر)، لكنه يعرف ردّ فعل هولي عندما يقول لها -عن غير قصد- شيئاً يتسبب بإزعاجها. قال جيروم: «بيتر. فهمت، فهمت. بيت الآن، بيت إلى الأبد. إذاً هل كانت الليلة التي رأوه فيها في ديري ويب هي آخر مرّة رأوه فيها، أو هل كان يتسكع مع ريتشي غلينمان بعد أسبوع من ذلك؟».

قالت: «أرجح أن تومي محقّ وأن ريتشي أخطأ بتذكّر الوقت. لقد كان ذلك قبل عامين ونصف، هذه فترة طويلة، وقد تختلط الأمور عليك في هذا العمر».

وصلا إلى ورشة تصليح السيارات. قال جيروم: «دعيني أعمل على قضية ستينمان قليلاً. هل يمكنني ذلك؟».

سألت هولي: «ماذا عن كتابك؟».

أجابها: «أخبرتك، أنا في انتظار المعلومات. نحن نتحدث عن شيكاغو قبل تسعين عاماً، وهذا يتطلّب كثيراً من البحث».

سألته: «هل أنت متأكد أنك لا تماطل؟».

قال لها وهو يبتسم تلك الابتسامة الرائعة: «هناك شيء من المماطلة، على ما أعتقد، ولكن مطاردة الفتيان المفقودين أكثر إثارة من مطاردة الكلاب المفقودة.» وهذا عمل جيروم المعتاد في فايندرز كيبرز. ثمّ سألها: «أنتِ لا تعتقدين بوجود ترابط بين قضية دال وستينمان، أليس كذلك؟».

أجابته: «إنهما من عمرين وجنسين مختلفين، وحدث ذلك قبل أكثر من عامين على الأرجح، لذا ربّما لا. ولكن ماذا أقول لك دائماً عن كلمة (ربّما) يا جيروم؟».

قال جيروم: «إنها خاملة».

قالت وهي تلهث وتضع يدها على صدرها: «نعم، لكن...».

سأل جيروم: «ماذا؟».

أجابت هولي: «لم نكن نضع قناعينا، لم أفكر في ذلك قط، ولا أظنهم فكّروا هم أيضاً».

قال جيروم: «لكنك أخذتِ جرعتين من اللقاح، وأنا كذلك».

قالت: «لكن هل تعتقد أن الفتيان تلقّوا اللقاح؟».

قال جيروم: «ربّما لا». ضحك عندما أدرك ما قاله، وتابع: «آسف، لا تموت العادات القديمة بسهولة».

ابتسمت هولي. العادات القديمة لا تموت بسهولة، وهذا بالضبط سبب رغبتها في سيجارة.

3

قال جيروم إنه سيتحدث إلى والدة الفتى. وبذلك يحسم الأمر هل اختُطف ستينمان أم أنه ذهب للعيش مع عمه أم ماذا. إذا كانت والدة ستينمان مدمنة على الكحول، كما قال آندي فيكرز، فربّما نُقل الفتى إلى رعاية للأطفال. يرى جيروم أن المهمّة تتلخص ببساطة في التأكد من عدم وجود ترابط بين قضية ستينمان وقضية دال.

وعدته هولي بمبلغ مئة دولار في اليوم بالإضافة إلى النفقات، على أن يعمل

على الأقل ليومين. إنها متأكدة من أنه سيقنع باربرا بالقيام بالعمل المتعلّق بالإنترنت، لكنهما سيختلفان، لذا لا بأس بذلك.

سأل: «ما الذي تنوين القيام به الآن؟».

أجابت: «أظنّ أنني سأتنزه في الحديقة، وأفكر».

قال جيروم: «حسناً، أنتِ بارعة في ذلك».

4

وجدت هولي الممر الذي يقودها يساراً إلى الصخرة الكبيرة المطلة على شارع ريد بانك. جلست هناك، وشرعت تُفكر.

لم تكف عن التفكير في خوذة دراجة بوني دال المفقودة. ربما سقط منها القرط من دون أن تشعر، لكن الأمر مختلف بالنسبة إلى خوذة الدراجة. إذا قررت بوني في لحظة ما، أنها سئمت من جدالها المستمر مع والدتها، وأنها تريد ترك كلّ شيء ومغادرة المدينة، فلماذا ستترك دراجتها وتأخذ خوذتها؟ ولماذا تترك في الأساس دراجتها باهظة الثمن؟ كي تُسرق؟ لحُسن حظها أنها لم تُسرق... هذا إذا افترضنا أن مارفن براون كان يقول الحقيقة. تعتقد هولي أن هذا التحليل يرضيها إلى حدّ ما.

خوذة الدراجة المفقودة هي أكثر ما يجعل هولي ميالة إلى الظن بأن بوني اختُطفت. تخيّلت هولي سيناريو حاولت فيه بوني الهروب من خاطفها المحتمل، فوصلت إلى نهاية ورشة إصلاح السيارات، وهناك تصارعت مع خاطفها، فسقط قرطها. وضعها الخاطف في شاحنته (تخيّلت هولي شاحنة صغيرة بلا نوافذ) وهي لا تزال تعتمر خوذتها. ربّما ضربها الرجل، وربّما ربطها، وربما قتلها هناك، ربما قصداً وربما عرضاً. ثمّ ترك الرسالة على مقعد الدراجة: لقد اكتفيت. إذا سرق شخص ما الدراجة، فهذا جيد، وإذا لم تُسرق، فسيفترض الجميع أنها قررت مغادرة المدينة، وهذا ما يريده الخاطف.

لم تكن هولي مع السيناريو المفترض (إذا كان قد حدث حقّاً)، لكنه ليس مستبعداً؛ بحلول الظلام، ومع حركة المرور القليلة في شارع ريد بانك، قد يبدو هذا الصراع القصير على أنه مجرد محادثة أو ترحيب صاخب بأحد المارين في الطريق.

أما بالنسبة إلى الاحتمال الآخر، فما هو مدى احتمال أن تقرر مغادرة المدينة فجأة؟ قد يقرر المراهق فجأة أنه سئم من كلّ شيء، مرّت هولي بمثل هذه الأوقات عندما كانت طالبة في المدرسة الثانوية، لكن الأمر مختلف بالنسبة إلى شابة تبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً وتعمل في وظيفة يبدو أنها مستمتعة بها؟ ماذا عن آخر راتب لها؟ هل بقي في مكتب رئيسها؟ هل قررت المغادرة من دون حقيبة سفر، واكتفت بما لديها في حقيبتها؟ لم تقتنع هولي بذلك، وهي متأكدة من أن إيزابيل غاينز لا تصدق ذلك هي الأخرى. ولكن إذا كان باستطاعة أي شخص أن يساعدها في التعرف إلى حال بوني الذهنية، فسيكون زميلتها في العمل لاكيشا ستون على الأرجح.

أنهت هولي سيجارتها، ووضعت العقب في العلبة المعدنية الصغيرة مع الأعقاب القديمة. رأت أعقاب سجائر متناثرة حول الصخرة الكبيرة، لكن هذا لا يعني أنها سترمي قذارتها هنا.

أخرجت هاتفها من حقيبتها. لقد فعّلت الوضعية الصامتة منذ مغادرتها مكتبها، وقد فاتتها مكالمتان منذ ذلك الحين، وكلتاهما من شخص يُدعى ديفيد إيمرسون. بدا الاسم مألوفاً، تعتقد هولي أنه يتصل بخصوص والدتها. لقد ترك لها رسالة صوتية، لكنها تجاهلته في الوقت الحالي واتصلت بجيروم، لم ترد أن تلهي نفسها خلال القيادة، لذا قالت له باختصار: «إذا تحدثت مع والدة بيتر ستينمان، وإذا كان الفتى قد هرب بالفعل، فاسأل إن كان قد ترك خلفه لوح التزلج الخاص به».

قال جيروم: «سأفعل ذلك. هل هناك شيء آخر؟».

قالت: «نعم، انتبه للطريق أثناء القيادة». أنهت المكالمة، واستمعت إلى البريد الصوتي.

«مرحباً، سيدة غيبني، أنا ديفيد إيمرسون. أرجوكِ، اتصلي بي في أقرب وقت يناسبك. يتعلّق الأمر بملكية والدتك». توقف قليلاً، ثمّ أضاف: «آسف جداً على خسارتك، كانت كلماتك رائعة في اللقاء الأخير».

تذكرت هولي الآن لماذا كان اسمه مألوفاً لها؛ ذكرت والدتها اسم إيمرسون في إحدى مكالماتهما عبر فيس تايم بعد أن دخلت شارلوت مستشفى ميرسي. حدث هذا

عندما كانت قادرة على التحدث، قبل أن يضعوها على جهاز التنفس الصناعي.

فكّرت هولي، وحده المحامي سيجد طريقة رائعة لتجنّب قول كلمة جنازة. أما بخصوص أملاك شارلوت... فلم تفكر هولي في الأمر.

لا تريد التحدث إلى إيمرسون، فهي ترغب في قضاء يوم لا تضطر فيه إلى التفكير في أي شيء سوى قضية دال، لذلك عاودت الاتصال به على الفور. توقفت قليلاً قبل أن تشعل سيجارة أخرى. انزرعت مقولة والدتها الصارمة في عقل هولي منذ أن كانت طفلة صغيرة: ما لا تريد القيام به، هو ما عليك القيام به أولاً، وهكذا ستتخلّص منه.

أجاب إيمرسون على مكالمة هولي بنفسه، مما جعل هولي تعتقد أنه يعمل الآن من منزله، شأنه شأن معظم الناس، دون مساعدة المحترفين التي كانت أمراً مسلماً به قبل كوفيد.

قالت: «مرحباً، سيد إيمرسون. معك هولي غيبني».

قال: «شكراً لأنك عاودتِ الاتصال، ومرّة أخرى، أنا آسف جداً لخسارتك».

أمعنت هولي النظر في شارع ريد بان، وهي تعتقد أن كلّ شيء هناك مهجور باستثناء مستودع يو ستور إيت. في هذا الجانب من الشارع، يقع القسم الأقل استخداماً من الحديقة، حيث يخشى المواطنون السير فيه إلا في وضح النهار. وهل هناك مكان أفضل من هذا إذا كنت تخطّط لاختطاف شخص ما؟

قال: «سيدة غيبني؟ هل تسمعينني؟».

قالت: «نعم. كيف يمكنني مساعدتك سيد إيمرسون؟ هناك شيء يتعلق بملكية والدتي، أليس كذلك؟ ليس هناك الكثير لنناقشه بشأن ذلك».

قال: «لقد تولّيت الأعمال القانونية لخالك هنري قبل تقاعده، لذا عينتني شارلوت لكتابة وصيتها، وجعلتني المنفذ. كان هذا بعد أن أصيبت بكوفيد، لا حاجة لقراءة وصيتها في تجمع عائلي...».

فكّرت هولي، أي عائلة؟ خاصّة بعد وفاة ابنة خالها جاني، واستقرار الخال هنري في دار رعاية المسنين رولينغ هيلز، لم يبقَ غيري في هذه العائلة.

قال: «... تركت لك».

قالت: «اعذرني؟ لم أسمع آخر شيء قلته».

قال: «آسف، كنت أقول إن والدتك تركت لك كلّ شيء باستثناء بعض الوصايا الصغيرة».

سألته: «هل تقصد المنزل؟».

لم يسعدها سماع ذلك، بل جعلها مستاءة. معظم ذكرياتها عن هذا المنزل (وتلك التي سبقته، في سينسيناتي) بائسة ومحزنة، وخاصّة ذكرى عشاء عيد الميلاد الأخير حيث أصرت شارلوت على أن تضع ابنتها قبعة بابا نويل التي اعتادت وضعها عندما كانت طفلة. إنه تقليد! صرخت والدتها وهي تقطع الديك الرومي الجاف كالصحراء. هكذا: هولي غيبني البالغة من العمر خمسة وخمسين عاماً تعتمر قبعة بابا نويل.

قال: «نعم، المنزل وكلّ مفروشاته. أعتقد أنك قد ترغبين في بيعه، أليس كذلك؟».

بالطبع، أخبرته بأنها تريد بيعه، لأنها تعمل في المدينة. حتّى وإن لم تكن تعمل في المدينة، فإن العيش في منزل والدتها في ميدوبروك أشبه بالعيش في منزل على التل. في هذه الأثناء، واصل المحامي إيمرسون حديثه عن شيء يخصّ المفاتيح، ثمّ طلبت منه أن يعيد ما قاله من جديد.

قال: «كنت أخبرك بأن المفاتيح معي، وأعتقد أن علينا الاتفاق على موعد يناسبك كي تأتي إلى هنا لتتفقّدي العقار، وتقرّري ما تريدين الاحتفاظ به وما تريدين بيعه».

قالت هولي بفزع: «لا أريد الاحتفاظ بأي شيء».

ضحك إيمرسون في سره: «ردّ فعلك طبيعي بعد وفاة أحد أفراد أسرتك، ولكن عليك القيام بجولة حقّاً. بصفتي منفذ وصية السيدة غيبني، أخشى أنني سأصر على ذلك. أولاً، لمعرفة الإصلاحات التي يحتاجها المنزل قبل البيع. ثانياً، وبناءً على سنوات خبرتي في هذ المجال، أعتقد أنك ستجدين بعض الأشياء التي تريدين الاحتفاظ بها. هل يمكنك فعل ذلك غداً؟ أعلم أنها مهلة وجيزة، وغداً هو يوم سبت، ولكن في هذه المواقف عادةً ما يكون الإسراع في القيام بالأمر أفضل من تأجيله إلى وقت لاحق».

أرادت هولي الاعتراض، وأن تخبره بأنها تتولّى قضية، لكنها سمعت صوت والدتها في رأسها يسألها: هل هذا سبب يا هولي، أم مجرد عذر؟

كي تجيب على ذلك، عليها أن تقرر إن كان اختفاء بوني دال قضية ملحّة، قضية في سباق مع الزمن، مثل قضية برادي هارتسفيلد عندما كان يخطط لتفجير قاعة مينغو أثناء حفل لموسيقى الروك. كلا، إنها لا تعتقد أنها قضية في سباق مع الزمن. اختفت بوني منذ أكثر من ثلاثة أسابيع. في بعض الأحيان يتم العثور على الأشخاص المفقودين الذين تم اختطافهم وإنقاذهم. لكن في أغلب الأحيان لا يحدث ذلك. لن تقول هولي ذلك لبيني أبداً، لكن أياً يكن ما حدث لبوني راي فقد حدث.

قالت هولي وهي تدخّن سيجارتها: «أظنّ أنني أستطيع فعل ذلك. هل يمكنك إرسال شخص إلى هناك لتعقيم المنزل اليوم؟ قد أبدو لك شديدة الحذر، أو ربما حتّى مصابة بجنون الشك، ولكن...».

قال: «لا، على الإطلاق، على الإطلاق. نحن لم نفهم بعد هذا الفيروس حقّاً، أليس كذلك؟ إنه فظيع، فظيع. سأتصل بشركة سبق لي أن تعاملت معها. أعتقد أنني أستطيع حجز موعد معهم عند الساعة التاسعة. إذا كان الأمر كذلك، فهل نلتقي عند الساعة الحادية عشرة؟».

تنهدت هولي، وقالت: «يبدو لي الوقت مناسباً. أظنّ أن التعقيم سيكون مكلفاً. خاصة في عطلة نهاية الأسبوع».

كتم إيمرسون ضحكته مرّة أخرى، وقال: «أعتقد أنك قادرة على تحمل تكاليفه. كانت والدتك غنية، وأنا متأكد من أنك تعرفين».

لم تصدم هولي إلى حدّ الصمت، بل بدت متفاجئة بالتأكيد. على أن الصدمة ستأتي لاحقاً.

قال: «هولي؟ سيدة غيبني؟ مازلت معي؟».

قالت هولي: «أخشى أنني لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر. أعرف أنها كانت ميسورة الحال، وكذلك خالي هنري. لكن ذلك كان قبل دانيال هيلي».

قال: «عذراً، لكنني لا أعرف هذا الاسم».

قالت: «ألم تذكر لك اسم هيلي قط؟ مستشار الاستثمار المشعوذ في وول ستريت، والذي سرق كلّ ما تملكه والدتي وخالي وهرب إلى إحدى الجزر التي لا يتم فيها

تسليم المجرمين؟ والله أعلم كم سرق من أموال الآخرين، بما في ذلك أموالي؟».

قال: «عفواً سيدة غيبني، لكنني لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه».

قالت: «حقّاً؟ ما أعرفه أنه كان هناك مال، ولكن الحال لم يعد كما كان» برّرت هولي حيرة المحامي، فقد كانت شارلوت غيبني بارعة في إغفال ذكر الحقائق غير السارة.

صمت إيمرسون قليلاً، ثمّ قال: «دعينا نعد إلى الوراء قليلاً. ماتت ابنة خالتك أوليفيا تريلاوني...».

قالت: «نعم». انتحرت في الواقع. سبق لهولي أن قادت بالفعل سيارة ابنة خالتها الأكبر من طراز مرسيدس لبعض الوقت، وهي شبيهة بالتي استخدمها برادي هارتسفيلد لقتل ثمانية أشخاص وإصابة العشرات في سيتي سنتر. كان إصلاح سيارة مرسيدس–بنز وتغيير لونها وقيادتها بمثابة عملية شفاء لهولي. وتابعت: «وتركت مبلغاً كبيراً من المال لأختها جايني، جانيل».

قال: «نعم، وعندما توفيت جانيل فجأة...».

فكّرت هولي، هناك طريقة واحدة لصياغة ذلك.

تابع إيمرسون: «ذهب الجزء الأكبر من أملاكها إلى خالك هنري ووالدتك، مع صندوق ائتماني مخصّص لك. أي أن خالك هنري هو الذي يدفع ثمن إقامته الحالية من حصّته، وسيبقى كذلك حتّى يموت».

كانت هولي مصدومة بما تسمعه.

قال: «ثمّ ستنتقل حصّة هنري إليك أيضاً عند وفاته».

قالت: «هل تخبرني بأن أمي ماتت غنية؟ هل هذا ما تقوله؟».

قال: «غنية جدّاً. ألم تكوني على معرفة بذلك؟».

قالت: «كلا، كنت أعرف أنها كانت غنية في وقت من الأوقات».

تخيلت هولي سقوط قطع الدومينو في خط منتظم واحدة تلو الأخرى. كسب زوج أوليفيا تريلاوني المال، ورثته أوليفيا، ثمّ انتحرت. فورثته جايني. قُتلت جايني في تفجير، فورثت شارلوت وهنري معظم المال. نقصت كمية المال تباعاً بسبب الضرائب

وأتعاب مكتب المحاماة، ولكن لا يزال المبلغ كبيراً. استثمرت والدة هولي أموالها وأموال هنري مع دانيال هيلي من بورديك، وشريكيه هيلي ووارن. ثمّ استثمرت أيضاً معظم أموال هولي بموافقة هولي، والتي سرقها هيلي كلّها.

هذا ما قالته شارلوت لابنتها، ولم يكن لدى هولي سبب لعدم تصديقها.

أشعلت هولي سيجارة أخرى. كم سيجارة دخّنت اليوم؟ تسع؟ كلا، إحدى عشرة. إنه وقت الغداء. تذكّرت جملة كُتبت في وصية جايني، وهذا ما جعلها تبكي، (سأترك مبلغ خمسمئة ألف دولار لهولي غيبني، كي تتمكّن من تحقيق أحلامها).

قال إيمرسون: «سيدة غيبني؟ هولي؟ هل ما زلتِ معي؟».

قالت: «نعم، أمهلني لحظة». لكنها كانت بحاجة إلى أكثر من لحظة. ثمّ أضافت: «سأعاود الاتصال بك»، وأنهت المكالمة من دون انتظار الرد. هل عرفت جاني أن هولي، الفتاة الخائفة الوحيدة، لديها طموح بأن تصبح شاعرة؟ لم يسبق لهولي أن أخبرتها، ربّما عرفت من شارلوت أو من هنري، لا يهم. لم تكن هولي شاعرة جيدة، بغض النظر عن مدى رغبتها في أن تكون كذلك. لكنها وجدت أخيراً شيئاً تجيده، وبفضل بيل هودغز، أصبح لديها حلم آخر لتحقّقه، حلم أفضل. جاء متأخراً، لكن أن تصل متأخراً خير من ألّا تصل أليس هذا ما يقولونه؟

تردد أحد أقوال والدتها في رأسها: «هل تعتقدين أنني غنية؟» وفقاً لإيمرسون، كانت شارلوت كذلك بعد وفاة جايني. لكن ماذا عن سرقة مالها، ومال هنري، ومعظم مال هولي من قبل دانيال هيلي المخادع؟ أسرعت هولي وبحثت عن دانيال هيلي في غوغل، وأضافت اسمي شريكيه بورديك ووارن. لم تظهر أي نتائج.

كيف استطاعت شارلوت أن تخدعني؟ هل نجحت في ذلك لأنني كنت حزينة للغاية على وفاة بيل هودغز، وفي الوقت نفسه منهمكة بالقضية؟ هل لأنني أثق بها؟ نعم، لجميع الأسباب الثلاثة، ولكن مع ذلك...

همسَت هولي: «رأيت أوراق الأصول أكثر من مرّة. لا بدّ من أن هنري ساعدها في خداعي».

لن يستطيع هنري المصاب بالخرف حالياً أن يسرد لها ما حدث، أو أن يشرح لها

سبب قيامهما بذلك.

عـاودت الاتصـال بإيمرسـون، وسـألته: «مـا المبلغ الذي نتحدث عنه هنا يا سـيد إيمرسـون؟» كان إيمرسـون ملزماً بالإجابة عن سـؤالها، لأن ما كانت تملكه شـارلوت أصبح الآن ملك ابنتها.

قال ديفيد إيمرسـون: «بالإضافة إلى حسـابها المصرفي والقيمة الحالية لمحفظة أسـهمها، سـأقول بـأن ميراثـك أكثـر بقليـل من سـتة ملاييـن دولار. وإذا افترضنا أنك ستعيشين أكثر من هنري، سيكون هناك ثلاثة ملايين أخرى».

قالت: «ولـم تُسـرق مطلقاً؟ ألم يسـرقها أحد متخصصي الاسـتثمار الذي كان لديه توكيل رسمي من قبل والدتي وخالي؟».

قال: «كلا، لست متأكداً من كيفية حصولك على هذه المعلومة، ولكن...».

تغيرت نبرة صوت هولي، وقالت: «والدتي أخبرتني».

14-2 كانون الأول 2018

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

أنه شهر عيد الميلاد، يحتفل فيه سكان شارع ريدج ببساطة على طريقتهم. لا وجود لمجسّم بابا نويل مضاء، أو حيوان رنّة على السطح، أو لوحات في الحديقة للحكماء الثلاثة وهم ينظرون بوقار إلى الطفل يسوع، وبالتأكيد لم تُزين المنازل بأضواء ساطعة لجعلها تبدو مثل الكازينوهات. قد تظهر بعض هذه المظاهر في أحياء أخرى من المدينة، ولكنها لن تظهر بالطبع في المنازل الأنيقة ذات الطراز الفيكتوري بين الجامعة وديرفيلد بارك. هناك يضعون شموعاً كهربائية على النوافذ، ويزينون الأبواب بأشكال دائرية، وأشجار عيد ميلاد صغيرة مزينة بمصابيح بيضاء صغيرة، ذات موقتات، ومضبوطة على الساعة التاسعة، وفقاً لتوجيهات رابطة أهالي الحي.

لم يشعر رودي ولا إيم هاريس هذا العام بالنشاط الكافي لتزيين الحديقة، ولا واجهة المنزل الفيكتورية البنية والبيضاء في شارع ريدج 93، ولم يضعا حتّى إكليل الزهور على الباب أو القوس الأحمر الكبير فوق صندوق البريد الخاص بهما. كان وضع رودي الصحي أفضل من إيم، لكن التهاب مفاصله يسوء بمجرد أن يصبح الطقس بارداً، والآن بعد أن انخفضت درجة الحرارة إلى ما دون الصفر في معظم فترات بعد الظهر، أصبح رودي مذعوراً من الانزلاق على الجليد... خصوصاً وأن عظامه أصبحت هشّة.

لا تشعر إيميلي هاريس بأنها على ما يرام على الإطلاق، أصبحت الآن بحاجة فعلياً إلى الكرسي المدولب الذي اعتادا أن يكون جزءاً من تمثيلية الاختطاف الخاصة بهما. ازداد ألم عرق النسا بشكل كبير. ومع ذلك، هناك بصيص أمل في نهاية النفق، فهما سيتنفسان الصعداء قريباً.

يحتوي منزلهما على غرفة طعام (مثل جميع المنازل ذات الطراز الفيكتوري في

شارع ريدج)، لكنهما لا يستخدمانها إلا في المناسبات، عندما يزورهما الضيوف، ربما ينتظران أن يصبحا في الثمانينات من عمرهما. أما عندما يكونان وحدهما في المنزل، فهما يتناولان الطعام في المطبخ. فكّرت إيم أنها قد تضطر إلى استخدام غرفة الطعام إذا أقاما تجمعاً تقليدياً لطلاب ندوة رودي وفتيان ورشة الكتابة في عيد الميلاد، لكن هذا لن يحدث إذا لم يشعرا بتحسن.

إنها شبه متأكدة من أنهما سيتحسنان غداً أو الأسبوع المقبل على أبعد تقدير. جعلها الألم المستمر تفقد شهيتها مؤخراً، لكن الرائحة المنبعثة من الفرن أشعرتها بأقل قدر من الجوع. من الرائع أن تشعر بذلك. الجوع دليل على الصحة، ويبدو أن الفتاة كراسلو كانت أغبى من أن تدرك ذلك. بالتأكيد لم يعانِ الفتى ستيلمان من هذه المشكلة. بمجرد أن تجاوز مرحلة نفوره الأولي، أكل مثل... حسناً، مثل أي فتى في مرحلة النمو.

مطبخهما متواضع، زيّن رودي الطاولة المستديرة المطلة على الفناء الخلفي بمفرش المائدة الكتاني الجميل، ووضع أدوات الطعام من ويدجوود تشاينا، وكؤوس النبيذ من لوكيسون. كان كلّ شيء يلمع، وتمنّت إيم لو أنها تستطيع الاستمتاع بذلك.

ارتدت إيم اليوم أجمل فساتينها، مع أنها عانت أثناء ارتدائه، أما رودي فقد ارتدى أفضل بذلة لديه. حزنت إيم عندما لاحظت أن بذلته أصبحت فضفاضة عليه قليلاً. لقد فقدا وزناً. ثمّ ذكّرت نفسها، فقدان الوزن أفضل من اكتسابه. ليس عليك أن تكون طبيباً لتعرف أن الأشخاص البدينين نادراً ما يتقدمون في السن؛ عليك فقط النظر إلى زملائك من نفس عمرك. سيحضر البعض من زملائهما حفلة عيد الميلاد التي سيقيمانها في الثالث والعشرين من هذا الشهر، على افتراض أنهما كانا بصحة جيدة للقيام بذلك.

انحنى رودي، وقبّل جبهتها، وقال: «كيف حالك يا حبيبتي؟».

قالت: «جيدة». وضغطت برفق على يده... خائفة أن تسبب له الألم بسبب التهاب مفاصله.

قال: «سيجهز العشاء في لمح البصر. في غضون ذلك، دعينا نشرب قليلاً».

صبّ رودي كأسي نبيذ، وكان حريصاً على عدم إراقة أي نبيذ. نصف كوب له، ونصف كوب لها. رفعا كأسيهما بأيديهما التي كانت قوية في السابق؛ عندما كان

ريتشارد نيكسون رئيساً شاباً. لامسا حافتي الكأسين، فأصدرا رنّة ساحرة.

قال: «نخب الصحة».

وافقته قائلة: «نخب الصحة».

تبادلت عيونهما النظرات من خلف نظارتيهما، ثمّ شربا. ارتجف عندما ارتشف الرشفة الأولى، كما هو الحال دائماً. إنه المذاق المالح لنبيذ موندافي 2012. ثمّ شربت ما تبقّى من كأسها، وشعرت بالحرارة اللطيفة تسري في خديها وأصابعها. حتّى في أصابع قدميها! شعرت بدفعة خفيفة من الحيوية، لا يمكنها إنكارها.

سألها: «كأس أخرى؟».

أجابته: «هل لدينا ما يكفي؟».

قال: «لدينا أكثر مما يكفي».

قالت: «حسناً، صب لي قليلاً».

صبّ لها مجدداً، وشربا. شعرت إيم بالطعم المالح هذه المرة.

سألها: «هل أنت جائعة يا عزيزتي؟».

أجابت: «نعم، في الحقيقة. أشعر بقليل من الجوع».

قال: «حسناً، دعي الشيف رودني ينهي الطهي، ويقدّم لك وجبتك. اتركي مساحة للحلوى.» ثمّ غمزها. لا يسعها سوى الضحك.

كان البخار ينبعث من طبق القرنبيط والجزر، بينما كان رودي يهرس البطاطس (المهروسة أسهل على أسنان العجائز)، ويذيب الزبدة بمهارة (يستخدم دائماً الكثير من الزبدة، لكن لن يموت أي منهما صغيراً)، ثمّ أضاف البصل المفروم إليها. كانت الرائحة شهية جداً، فشعرت بالجوع. حرّك رودي البصل حتّى أصبح شفافاً ثمّ تحول إلى اللون البني، بينما كان يغني «عيون الملاك الصغيرة الجميلة»، وهي أغنية قديمة.

تذكرت إيم أنها كانت تسجل بعض الأغاني عندما كانت في المدرسة الثانوية، وقتها كان الفتيان يرتدون المعاطف الرياضية والفتيات يرتدين الفساتين. تتذكر قيامها بتسجيل شارب دي شارب، وبريستول ستومب.

أحضر رودي الأطباق إلى الطاولة: الخضار، البطاطس، وأخرج الطبق الرئيسي من الفرن: ثلاثة أرطال من الكبد المشوي. مرره أمام إيم، وهو يغلي في عصارته (وبعض

الأعشاب الخاصة التي يضيفها رودي)، فصفّقت له.

قطّع رودي الكبد إلى شرائح، وزيّنه بالبصل المقلي، ووضع الأطباق على المائدة. شعرت إيم الآن بأنها نهمة. أكلا في البداية من دون أن يتحدثا كثيراً، لكن عندما بدآ يشعران بالامتلاء قليلاً، تحدّثا -كما كانا يفعلان في الأيام الخوالي-عن أولئك الذين ماتوا. وكانت أعدادهم تزداد يوماً بعد يوم.

سألها: «هل أسكب لك المزيد؟». أكلا كمية كبيرة من الطبق الرئيسي، ولا يزال هناك الكثير.

قالت: «لا أستطع. يا إلهي، لقد تفوقت على نفسك هذه المرة يا رودني».

قال: «لنشرب مزيداً من النبيذ». ثمّ سكب النبيذ، وتابع: «سنترك الحلوى لوقتٍ لاحق. سيُعرض المسلسل الذي تتابعينه عند الساعة التاسعة».

قالت: «مسلسل ملفات القضية المسكونة».

قال: «تماماً، ما هو وضع ألمك يا عزيزتي؟».

قالت: «أعتقد أنني تحسنت قليلاً، لكن سأترك لك تنظيف وغسل الأطباق، إذا كنت لا تمانع. أود أن ألقي نظرة على بقية عينات الكتابة».

قال: «بالطبع لا أمانع. مَن يطبخ عليه أن ينظّف، هذا ما اعتادت جدتي قوله. هل وجدتِ شيئاً جيداً؟».

قالت إيم: «هناك اثنان أو ثلاثة كُتّاب نثر ليسوا فظيعين تماماً. إنه مديح بلبوس الذم أليس كذلك؟».

ضحك رودي، وقال: «صحيح».

أرسلت له قبلة في الهواء، ودفعت عجلات كرسيها المدولب.

2

أُطفئت جميع أنوار عيد الميلاد الخافتة على طول شارع ريدج. كانت إيم تشاهد باهتمام مسلسل ملفات القضية المسكونة، حيث يرسم المحقّق الروحاني الليلة خرائط البقع الباردة في قصر نيو إينغلاند الذي يبدو وكأنه نسخة بالية عن منزلهما. إنها تشعر بالقليل من التحسن. فهي لم تهضم الكبد والنبيذ بعد لتشعر بتأثيرهما... أليس كذلك؟

شعرت بارتخاء في ظهرها، وبانعدام الألم الشديد في ساقها اليسرى.

توقف صوت الخلاط في المطبخ، وبعدها بدقيقة دخل رودي، يحمل صينية عليها كأسا عصير. بدّل ثيابه وارتدى بيجامته المخملية الزرقاء التي أهدته إياها في عيد الميلاد الماضي.

قال وهو يعطيها كأسها: «تفضلي، وهذه الحلوى كما وعدتك».

جلس إلى جانبها في كرسيه المريح، لتكتمل صورة الزوجين اللذين يُشار إليهما في الجامعة على أنهما أفضل مثال على قدرة الحب والرومانسية على تجاوز كلّ العقبات.

رفعت كأسها، وقالت: «شكراً لك حبيبي».

قال: «على الرحب والسعة. ما الذي يحدث الآن؟».

قالت: «البقع الباردة».

قال: «نعم».

نظرت إليه شزراً، وقالت: «دائماً ما يتعلق الأمر بالعلماء».

قال: «صحيح».

جلسا يشاهدان التلفاز ويأكلان الحلوى، ويشربان مخفوق التوت البري ودماغ بيتر ستينمان.

3

قبل أحد عشر يوماً من عيد الميلاد، مشت إيميلي هاريس ببطء بعيداً عن صندوق البريد في 93 شارع ريدج. صعدت درجات الشرفة واضعة يدها على خاصرتها اليسرى، اعتادت وضع يدها هكذا مع أن ذلك لم يكن ضرورياً معظم الأحيان. اختفى ألمها تماماً لكنه سيعود، وهي تعلم ذلك بعد تجربتها الحزينة معه.

استدارت ونظرت بإعجاب إلى الزينة الحمراء فوق صندوق البريد.

قال رودي: «سأضع إكليل الزهور لاحقاً».

تفاجأت ونظرت حولها، وقالت له: «هل تحاول التسلّل خفية؟».

ابتسم وأشار إلى الأسفل. إنه يرتدي جواربه، وقال: «أنا صامت ومخيف. كيف

حال ظهرك يا عزيزي؟».

قالت: «لا بأس، جيد. والتهاب مفاصلك؟».

مدّ يديه وثنى أصابعه.

قالت: «جيد يا صديقتي». وهو مصطلح استرالي.

بعد فترة وجيزة من تقاعدهما زارا أستراليا، واستأجرا سيارة رحلات، وعبرا القارة من سيدني إلى بيرث. كانت تلك رحلة لا تُنسى.

قال رودي: «لقد كان جيداً، أليس كذلك؟».

لم تسأله عما يعنيه، واكتفت بالإجابة: «نعم».

مع أنهما لا يعرفان إلى متى قد يستمر تأثيره. إنه الأصغر سنّاً على الإطلاق، بالكاد بلغ سن البلوغ. كثيرة هي الأشياء التي لا يعرفانها عما يقومان به، لكن رودي يقول إنه يتعلم المزيد في كل مرة. وأيضاً – ولتوضيح ما هو واضح – البقاء على قيد الحياة هو هدفهما الرئيسي.

تعرف إيم أنه لن يكون هناك مزيد من الرحلات إلى أستراليا، ولا حتّى إلى برودواي نيويورك مرّة كل عامين، لكن الحياة تستحق أن تُعاش، خاصة عندما لا تكون كل خطوة مترافقة مع المعاناة. سألته: «هل هناك أخبار مهمة في الصحيفة؟».

مرّر يديه على كتفيها الرقيقتين، وأجابها: «لا شيء عدا الخبر الأول. مجرد هارب آخر أو شخص غريب عثر على شخص مُستهدف. ماذا سنفعل بخصوص حفلة عيد الميلاد يا عزيزتي؟ هل نبقي عليها أم نلغيها؟».

وقفت على رؤوس أصابع رجليها لتتمكن من تقبيله، ولم تشعر بأي ألم.

قالت: «سنبقي عليها».

23 تموز 2021

1

عبرت هولي شارع ريد بانك متجهةً إلى ورشة إصلاح السيارات المهجورة، جلست في مقعد السائق في سيارتها التويوتا بروس وأغلقت الباب. وبما أن السيارة مركونة في الشمس، فقد أصبحت أشد حرارة من الساونا، تصبّب العرق من جبهتها ومؤخرة رقبتها، إلا أن هولي لم تشغّل محرك السيارة وبالتالي مكيف الهواء. ظلّت تُبحلق عبر الزجاج الأمامي، وهي تحاول استيعاب ما توصلت إليه للتو. قال إيمرسون: أعتقد أن ميراثك يزيد قليلاً على ستة ملايين دولار. بالإضافة إلى ثلاثة أخرى عند وفاة الخال هنري.

حاولت أن تُصدق أنها أصبحت مليونيرة الآن، لكن هذا لم ينفع. كل ما تستطيع تخيله هو العم بينيباغس- رمز لعبة المونوبولي- ذو الشارب والقبعة الطويلة. حاولت أن تُفكر بما يمكنها القيام به بهذه الثروة التي هبطت عليها. هل تشتري ملابس؟ ولكن لديها الكثير منها. هل تشتري سيارة جديدة؟ لكن سيارتها التويوتا بروس ممتازة، بالإضافة إلى أنها لا تزال تحت الضمان. لا حاجة للمساعدة في تعليم جيروم، فهو جاهز، لكنها قد تساعد في تعليم باربرا. هل تسافر؟ كانت تحلم أحياناً بالذهاب في رحلة بحرية، لكن مع تفشّي فيروس كوفيد...

تمتمت: «أوه، لا».

فكّرت في شراء شقة جديدة، لكنها تحب شقتها الحالية، وهي مناسبة لها تماماً. هل تستثمر المزيد من المال في عملها؟ لماذا؟ في العام الماضي، عرضت عليهما خدمات التحقيقات في الغرب الأوسط مئتين وخمسين ألف دولار للاستيلاء على شركتهما. لكنها وبيت رفضا العرض. أما فكرة الانتقال من مبنى فرانكلين، بمصعده البطيء للغاية، بدت مغرية، إلا أن موقعه وسط المدينة جيد، والإيجار مناسب.

قالت في سرّها: لا داعي للقلق بشأن ذلك بعد الآن، وضحكت قليلاً.

أخيراً، لاحظت هولي أنها تكاد تختنق من شدة الحرارة، فشغّلت المحرك، ورفعت النوافذ كي تحبس الهواء البارد داخل السيارة، ونظرت إلى قائمة الأشخاص الذين تريد إجراء مقابلات معهم، لتستعيد بعضاً من تركيزها، لأن الشيء المهم الآن هو القضية. المال هو مجرد نعمة أتتها من السماء، ما يثير قلقها وانزعاجها حقّاً هو أنها تذكّرت مكالمتها مع والدتها عندما اتصلت بها وهي تبكي زاعمة أن دانيال هيلي سرقهم، وهرب إلى جزيرة سانت كروز أو سانت توماس أو شيئاً من هذا القبيل، لن تفكر في ذلك الآن. هناك شابة مفقودة حالياً، ويُفترض بها أن تعثر عليها.

يتنازعها الآن هاجسان: يطلب منها أحدهما أن تتقبل الحقيقة المرة، وآخر يصر عليها أن تستبعد تلك الحقيقة تماماً.

خاطبت هولي نفسها: «امضي في طريق البحث عنها»، وأخرجت هاتفها. فكّرت في التحدث إلى مارفن براون، الذي نقل دراجة بوني إلى مكتبة رينولدز، ثمّ فكّرت في تصرف أفضل. ستتواصل مع الوكيل العقاري جورج رافيرتي بدلاً منه. شرحت له هولي أن والدة بوني دال استعانت بخدماتها للعثور على ابنتها، وسألته عن اليوم الذي عثر فيه هو والسيد براون على دراجة بوني.

قال رافيرتي: «يا إلهي، أتمنى أن تكون بخير. ألم تتواصل مع والدتها أو والدها؟».

حاولت هولي تفادي الإجابة عن سؤاله، وقالت: «آمل أنها فعلت ذلك». وطرحت بالمقابل سؤالاً جديداً: «من رأى الدراجة أولاً، أنت أم السيد براون؟».

أجابها: «أنا. أصل دائماً إلى العقارات مبكراً، كي أتمكن من إلقاء نظرة جديدة على المكان. كان هذا المكان متجر (بيل لإصلاح السيارات والمحركات الصغيرة)، بدا بالنسبة إليّ في حال يرثى لها، لكن المصاعد لا تزال تعمل والموقع...».

قالت: «نعم سيدي. أنا متأكدة من أن الموقع جيد». لم تكن هولي تعني ما قالته للتو، فمنذ أن افتتح الطريق الدائري في العام 2010، تضاءلت حركة المرور في ريد بانك إلى حدّ كبير. سألته: «هل قرأت الرسالة المتروكة على المقعد؟».

أجابها: «نعم، لو كنت أحد والدي الفتاة، كنت سأشعر بالرعب منها. فهي تعني أنها تريد المغادرة، وقد تعني، كما تعلمين.. شيئاً أسوأ. تداولت والسيد براون بما

يجب فعله بخصوص الدراجة، وبعد أن نظرنا إلى المتجر، قررنا وضعها في شاحنته الصغيرة ونقلها إلى المكتبة».

قالت: «بسبب الملصق الموجود على صندوقها».

قال: «صحيح. كانت دراجة جميلة، لا أتذكر علامتها التجارية، لكنها ظريفة، وكانت مزودة بتروس عديدة وما إلى ذلك. لقد استغربت أن أحداً لم يسرقها فكثيرون هم الفتيان الذين يتسكّعون في هذا الجزء من الحديقة».

قالت: «نعم سيدي، أنا أعرف...».

قاطعها، قائلاً: «وهناك متجر آيس كريم في نهاية الطريق؟ فالفتيان يتواجدون هنا طوال الوقت، يلعبون ألعاب الفيديو بالداخل ويركبون ألواح التزلج في الخارج. هل مضى وقت طويل على عملكِ في هذا المجال؟».

لطالما استفزّ هذا السؤال هولي، فأجابت: «نعم سيدي». ولتتأكد من المعلومة التي لديها سألته: «أنت من رأيت الدراجة أولاً».

قال: «صحيح، صحيح».

سألته: «ومتى أتى السيد براون؟».

أجابها: «بعد خمس عشرة دقيقة، وربما أكثر. لقد أوضحت لك سبب وصولي مبكراً، كي أتحقق من وجود أي آثار تخريب أو أضرار غير موجودة في عقد البيع. هل أخبرتك بذلك؟».

أجابته: «نعم سيدي، لقد أخبرتني».

سألها: «هل تعتقدين أنك ستجدينها؟ هل لديك أدلّة؟ هل أنت قريبة من حلّ هذه القضية؟». أخبرته هولي أنه من السابق لأوانه تأكيد أي شيء. استعاد رافيرتي شخصية السمسار وقال لها إذا كنتِ تريدين شراء عقار، فهذا هو الوقت المناسب للشراء، وأخبرها أن لديه مجموعة واسعة من الخيارات الرائعة. قبل أن يتمكن من التعمق في الحديث، أخبرَته أن لديها مكالمة أخرى وعليها أن ترد عليها. في الواقع، كان عليها القيام بمكالمة مع مكتبة جامعة بيل.

كذبت أمي عليّ، وكذلك الخال هنري.

أنهت مكالمتها، واتصلت برقم المكتبة.

2

قالت إيديث: «مكتبة رينولدز، معك إيديث بروكينغز».

قالت هولي: «مرحباً. أنا هولي غيبني، من فضلك أودّ التحدث إلى لاكيشا ستون».

قالت إيديث: «أنا آسفة، توجهت لاكيشا شمالاً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع بعض الأصدقاء، حيث سيخيّمون ويسبحون في قرية أبسالا. لا بدّ أنها محظوظة جداً». ضحكت إيديث بروكينغز، ثمّ تابعت: «هل يمكنني مساعدتك؟ هل تريدين أن أبلغها رسالة؟».

شاءت الصدفة أن هولي تعرف قرية أبسالا، فهي مجتمع ريفي يضم الكثير من الأميش. تبعد قرابة عشرين ميلاً إلى الشمال من منزل والدتها، وهي ستتوجه غداً إلى هناك، ربما ستتاح لها الفرصة لمقابلتها هناك. ربّما بعد ظهر الغد، إذا لم يستغرق جرد المنزل وقتاً طويلاً، أو الأحد. في هذه الأثناء، ربما تكون بروكينغز قادرة على المساعدة.

قالت هولي: «أنا محقّقة خاصة أيتها السيدة بروكينغز. وقد كلفتني بينيلوبي دال (بيني) البحث عن ابنتها».

قالت: «أوه، يا إلهي، أتمنى أن تجديها. نحن قلقون جداً على بون» بدا صوتها أقل رسمية الآن، حتّى أنها بدت أصغر سناً.

سألتها هولي: «هل أستطيع مقابلتك في المكتبة والتحدث إليك؟ لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً. إذا كان لديك استراحة بعد الظهر...».

أجابتها: «بالطبع، أنا أُرحب بزيارتك في أي وقت. تعالي الآن، إذا أردتِ. لسنا مشغولين على الإطلاق. فكما تعرفين، أُلغيت معظم الدورات الصيفية بسبب الكورونا».

قالت هولي: «هذا رائع، شكراً لك».

ألقت هولي نظرة أخرى على تلك الصخرة الكبيرة المُطلّة على الشارع وشاشة درايف إن، على بعد ميل أو ميلين. وتساءلت عمّا إذا كان بيت ستينمان، المعروف أيضاً باسم ستينكي ستينمان، قد زارها أحياناً. لن يفاجئها ذلك.

3

في مكتبة رينولدز، تكلّمت هولي مع كلّ من إديث بروكينغز التي قالت لها «نادیني إيـدي» ومارغريـت برينـر، وهـي مسـاعدة أمينة مكتبة ذكرتها لها بينـي. تعمل إيدي في المكتب الرئيسـي، لكنها قالت إنها تسـتطيع الذهاب إلى غرفة القراءة، حيث سـتتمكن من رؤية أي شخص لديه تساؤل أو يريد السؤال عن كتاب.

قالـت إيـدي: «مـا كنت لأجـرؤ على ترك المكتب لو كان مات كونروي هنا، لكنه في إجازة».

قالت مارغريت: «مات الغاضب». فضحكتا من خلف قناعيهما.

قالت إيدي: «إنه ليس غاضباً حقاً، لكنه فقط غير محبوب. إذا تحدثت إليه عندما يعود، من فضلك لا تخبريه بأنني قلت ذلك».

قالـت مارغريـت: «أرجـووووك» وضحكتا مرّة أخرى. فكّرت هولي: تلعب الفئران عند غياب القطط. لكن لا ضرر في هاتين الفأرتين، إنهما مجرد شابتين لطيفتين تشعران بالملل في يوم شبه خالٍ من العمل. لسوء الحظ، لم تعرفا سوى القليل جداً عن بوني راي، باستثناء أنها انفصلت عن حبيبها توم هيغينز.

قالت مارغريت: «إذا أردتِ معرفة المزيد فعليك أن تسألي كيشا، فهما مقربتان».

هـذا مـا كانـت هولـي تخطـط للقيام به، فطلبت رقم هاتف لاكيشـا من إيدي التي زوّدتها به.

سألت هولي: «هل ذكرت بوني أمامكما شيئاً عن فكرة مغادرة المدينة؟ ربّما قالت ذلك بشكل عابر».

تبادلت الشابتان نظرة. هزّت مارغريت كتفيها ورأسها.

قالـت إيـدي: «لـم تقـل ذلك فبوني منطوية على نفسـها إلى حـد كبير. إنها لطيفة، لكنها لا تطلع أحداً على أفكارها».

قالت مارغريت: «باستثناء لاكيشا».

أكدت إيدي: «صحيح».

قالت هولي: «سأريكما شيئاً». أخرجت هولي القرط من جيبها ووضعته في راحة يدها. اتسعت عيونهما، وهذا كان كفيلاً بإخبار هولي بكلّ ما تحتاج إلى معرفته.

قالت إيدي وهي تلمسه بطرف إصبعها: «بوني». سمحت لها هولي بذلك؛ عرفت هولي بمجرد أن رأت القرط بأنه ليس كبيراً بما يكفي لتأمل الحصول على بصمة منه. سألتها إيدي: «أين وجدته؟».

أجابت هولي: «بين الشجيرات القريبة من المكان الذي عُثر فيه على دراجتها. إنه من الأقراط التي يسهل سقوطها، لذا هذا لا يعني شيئاً».

قالت مارغريت: «يجب عليك حقاً التحدث إلى لاكيشا. ستعود يوم الاثنين».

قالت هولي: «سأفعل ذلك»، لكنها لم تنوِ الانتظار حتّى الاثنين.

4

كان مرأب المكتبة شبه فارغ، ولم تواجه هولي صعوبة في وجود مكان ظليل لركن سيارتها، لكن سيارتها لا تزال حارة من الداخل. شغّلت مكيف الهواء، واتصلت بوالدة بوني. لم تكلف بيني نفسها عناء إلقاء التحية، وسألتها مباشرةً إذا كانت اكتشفت شيئاً. بدت متحمسة وخائفة. فكّرت هولي في سيارتها الفولفو المليئة بصور بوني راي المبتسمة، وتمنت أن يكون لديها أخبار أفضل.

قالت هولي: «سأرسل لك صورة قرط وجدته بالقرب من المكان الذي عُثر فيه على دراجة ابنتك. تعرفت إليه شابتان تعملان مع بوني في رينولدز، لكنني أريد أن أتأكد».

قالت بيني: «من فضلكِ، أرسلي لي الصورة».

قالت هولي: «سأفعل حالاً، لكن قبل ذلك، أريد أن أطرح عليك سؤالاً؛ هل لديك معلومات بطاقة ائتمان بوني؟».

قالت بيني: «نعم، ذهبت إلى شقتها بعد أسبوع تقريباً من اختفائها، ونظرت إلى آخر فاتورتين لها. هذا ما اقترحته عليّ محقّقة الشرطة. كانت تملك بطاقة وحيدة هي (فيزا). اعتقدت أن الفواتير قد تخبرني بشيء ما، لا أعرف ما هو، لكن لم يكن هناك شيء مميز. حذاء، بنطالا جينز من أمازون، أغراض من محلات البقالة، بعض الوجبات من دور داش، وبيتزا من دومينوز.... وأشياء من هذا القبيل».

سألت هولي: «ماذا عن هاتفها؟ هل تدفع فواتيره بواسطة بطاقة الفيزا؟».

أجابت بيني: «نعم، فيريزون مثلي».

قالت هولي: «أرسلي لي الرقم الموجود على بطاقتها من فضلك، وتاريخ انتهاء الصلاحية. وأيضاً رقم هاتفها الخلوي».

قالت بيني إنها ستفعل. في غضون ذلك، أرسلت لها هولي صورة للقرط. عندما اتصلت بيني بعد دقيقتين، كانت تبكي وتشهق. هدّأتها هولي بقدر ما تستطيع. في النهاية، تمالكت بيني نفسها لكن هولي تعلم أن المرأة دخلت نفق الأفكار المظلمة، والذي سارت فيه هولي بنفسها. ربما لا تزال بوني راي على قيد الحياة، لكن منسوب هذا الاحتمال بدأ ينخفض.

جلست هولي واضعة يدها في حجرها، شعرت بتدفق هواء المكيف البارد من الفتحات الجانبية بجانب السائق. عليها أن تركز في القضية، لكن فكرة الميراث الذي هبط عليها فجأة لم تبارح تفكيرها: مليونير جديد يدخل الحانة، و....

ماذا؟ إنها مزحة سخيفة، لكنها أعجبتها بطريقة أو بأخرى. عادت للتفكير في القضية. لماذا تترك بوني دراجتها في مكان مهجور من شارع ريد بانك؟ الجواب: لم تفعل. لماذا تترك الرسالة وتأخذ خوذة دراجتها؟ الجواب: لم تفعل.

تمتمت سطراً من فيلم العصابات المفضّل لديها: «اترك المسدس، خذ الكانولي».

هل اختطفها شخص ما؟ قفز وأمسك بها؟ إذا كان الأمر كذلك، إذاً...

اتصلت هولي بمارفن براون. وعرّفت عن نفسها، وأخبرته من هي وماذا تعمل، ثمّ سألته عن الدراجة، هل بدت مُتضررة بأي شكل من الأشكال؟ أخبرها براون أنها بدت بحال جيدة، من دون أي خدوش. شكرته وأنهت المكالمة، وعادت للتفكير.

لم يقفز أحد ويوقع بوني عن الدراجة. الخرسانة الموجودة أمام متجر بيل لإصلاح السيارات والمحركات الصغيرة السابق مليئة بالشقوق غير القابلة للإصلاح على الأرجح. سيتوجّب على مارفن براون إعادة تعبيد الطريق إذا كان ينوي حقّاً إنجاح أعماله التجارية هناك. إذا سقطت الدراجة على هذا السطح القاسي، فمن المؤكد أنها كانت ستُخدش. سيتعين على هولي التحقق من ذلك، لكن في الوقت الحالي ستصدّق كلام براون. إنه يكسب لقمة عيشه من إصلاح المركبات، ألا تعدّ الدراجة من المركبات؟

ابنـة الكاذبـة تدخـل الحانـة. انظـروا، ابنـة الكاذبـة واللص تدخـل الحانة. تركت المسدس لكنها أخذت الكانولي.

قالت هولي لنفسها: «توقفي». بدت الدراجة بحال جيدة. لماذا تبدو الدراجة بحال جيدة؟

يبـدو لهـا أن الإجابـة واضحـة مثل العينين الزرقاوين التـي تراهما في مرآة الرؤية الخلفية. لأن بوني توقفت هناك، توقفت وذهبت من تلقاء نفسـها. لماذا تتوقف هناك إذا لـم تقصـد التوجّـه إلى وسـط المدينـة عن طريق أحد خطوط الحافلات التي تُسـير رحلات ليلاً؟ هل لأنها رأت شخصاً تعرفه؟ أو لأن أحدهم بحاجة إلى المساعدة؟ أو يتظاهر بالحاجة إلى المساعدة؟

في بعض الأحيان لا تزال تتخيل بيل هودغز يتحدث إليها، وهو يتحدث إليها الآن.

تشـير حال الدراجة إلى أن بوني راي توقفت من تلقاء نفسـها. إما لأنها قصدت بالفعل ترك كلّ شيء والهروب، أو لسبب آخر.

لكن مرّة أخرى: لماذا تترك الدراجة وتأخذ الخوذة؟

تلقّـت رسـالة علـى هاتفها. إنها معلومـات بطاقة الفيزا الخاصة ببوني، وحسـاب هاتفها. ترجّلت هولي من سيارتها، واستدعت بيت هنتلي، وبدأت بالسير قدر المستطاع في المناطق المظللة حول مرأب المكتبة، لأن الشمس لا تزال حارقة.

أول مـا قالـه بيـت لهـا: «هولـي بـالله عليك هل قبلتِ اسـتلام القضيـة بالرغم من مصابك...» سعل.

قالت هولي: «بيت، هل أنت بخير؟».

قال: «أنا بخير. حسناً، للحقيقة، أنا لست بخير، ولكنني لست أسوأ مما كنت عليه عندما استيقظت هذا الصباح. هولي، لقد توفيت والدتك للتو».

نعم، وتركت لي ثروة كبيرة. مليونير جديد يدخل الحانة و.. يحدث شيء مضحك.

قالت هولي: «يبدو أن العمل يلهيني، وسأذهب إلى ميدوبروك إستيتس غداً. يبدو أنني ورثت منزلاً لا أريده».

قـال بيـت: «منـزل والدتـك، أليـس كذلك؟ أتوقّـع أن تجدي كثيراً مـن المهتمين بشرائه، هذا إن كنت تريدين بيعه».

قالت هولي: «صحيح، هل أنت واحد منهم؟».

قال بيت: «أنت تحلمين يا غيبني».

سألته: «كيف عرفت أنني قبلت العمل على القضية؟».

أجابها: «اتصل بي شاب طويل، أسمر، ووسيم. أرادني أن أبحث له عن عنوان، فهو كسول جداً لدرجة أنه لا يبحث بنفسه». كان بيت يقصد جيروم.

رأت هولي في تصرف جيروم كسلاً وسخافة، فقالت: «لدينا تطبيق للبحث عن العناوين، وبما أننا ندفع ثمن الاشتراك، علينا أن نستخدمه مرّة واحدة كلّ فترة. بالإضافة إلى ذلك، أنت بحاجة إلى شيء تفعله أيضاً يا بيت. إلى جانب السعال». أخيراً، توجهت هولي صوب سيارتها. فكّرت في سجائرها والسعال، ثمّ قالت: «ما العنوان الذي يريده؟».

قال: «عنوان فيرا ستينمان. تعيش في منزل بالقرب من مقبرة سيدار. ماذا تريدين مني؟».

قالت: «لديّ معلومات بطاقة فيزا، وفيرزون الخاصة ببوني. أريد معرفة إن كان هناك نشاط على أي من الحسابين».

قال: «يمكنني معرفة ذلك، لديّ مصدر، ولكنه ليس قانونياً تماماً. في الواقع أنه مخالف للقانون. وهذا يعني أنه سيكلف مالاً، وتحويله نفقات ذلك إلى حساب بيني دال سيكون مخاطرة».

قالت هولي: «لا أعتقد أنك بحاجة إلى استخدام مصدرك، أراهن أن إيزي ستفيدك في هذا الأمر».

صمت قليلاً، وسألها: «هل تعتقدين ذلك؟».

قالت هولي: «لقد سلّمتني القضية عملياً، ولم أتفاجأ كثيراً بتصرفها هذا. أنت تعلم حال قسم الشرطة الآن»

قال: «فوضى عارمة. سأخبرك بشيء يا غيبني، عندما أرى ما يحدث مع رجال الشرطة الآن، أشعر بسعادة لأنني استقلت».

قالت: «أخبر إيزي أننا إذا اكتشفنا شيئاً جوهرياً، فسنشركها في القضية».

قال: «نعم؟ هل سنشركها؟».

قالت هولي: «لم أقرر بعد».

سأل بيت: «ما علاقة فيرا ستينمان بالشابة دال؟».

أجابته: «ربّما لا شيء». فكّرت هولي في إخبار بيت أن بوني راي تبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً وبالكاد يُقال لها شابة، لكن هذا لن ينفع، بيت قديم الطراز. سمعته ذات مرّة يشكو لجيروم عن انزعاجه من إلغاء فقرة عرض ملابس السباحة في مسابقة ملكة جمال أميركا. قالت: «عليّ الذهاب يا بيت».

قال: «لكن إذا أصبتِ بفيروس كورونا يا هولي، فسنغلق أبوابنا لفترة أطول بكثير».

قالت: «أفهم يا بيت. هل ستتصل بإيزي؟».

قال: «نعم، بالتوفيق يا هولي. آسف حقاً بشأن والدتك».

فكرت وهي تسير الهوينى صوب سيارتها، لنفترض أن أحدهم كان ينتظر بوني ويعرف روتين يومها. هل كان حبيبها القديم على علم بذلك؟ هذا احتمال وارد. والدراجة، ماذا عن الدراجة، تستمر في العودة إلى الدراجة وكأنها تتوسل الناس ليسرقوها. إذا كان الأمر كذلك، فلماذا أخذت الخوذة معها؟».

قالت: «لا».

دخلت السيارة، شغلت المحرك، ثمّ ابتسمت، وفكرت في نكتتها.

من 4 إلى 19 كانون الأول 2020

1

في الرابع من كانون الأول، أعلن رئيس جامعة بيل هابرت كروملي أنه سيرسل جميع الطلاب إلى المنزل بسبب تفشي فيروس كورونا في الحرم الجامعي. في اليوم السابع –اليوم الوطني لإحياء ذكرى ميناء بيرل هاربر– أصدر قراراً بأن الطلاب سيأخذون الفصل الدراسي الربيعي عن بعد.

شعر رودي هاريس بالاستياء من هذه القرارات.

قال لإيميلي: «لن يؤثر هذا القرار على الفصول الأدبية. تتم معظم الكتابات في بيئة مغلقة منذ زمن بعيد، لكن ألا يفترض بنا أن نتبع العلم، وفقاً لما قاله الدكتور فاوتشي العظيم؟ ماذا عن وقت المختبر، بحق الله؟ المختبرات الحيوية؟ مختبرات الكيمياء والفيزياء؟ وماذا عن كلّ ذلك؟ المختبرات هي العلم».

قالت إيم: «سيمر هذا أيضاً يا عزيزي».

قال: «نعم، ولكن متى؟ وماذا سأفعل في غضون ذلك؟ عليّ التحدث إلى هاميش حول هذا».

هاميش أندرس هو رئيس قسم علوم الحياة، وتشك إيم أن اعتراض رودي سيجعله يتبنّى رأيه. لا تزال هي ورودي يقومان بأدوار مهمّة في كليتيهما، لكن منصبيهما فخري. إنها تتفهم ذلك، وهي سعيدة بوظيفتها المتواضعة في قراءة طلبات التقدم إلى ورشة الكتابة، بعيداً عن مضايقات جورج كاسترو. هذه الوظيفة تبقيها مشغولة، وتبقيها نشيطة. لكن هناك شيئاً آخر يزعجها.

قالت: «حسناً، لا توجد حفلة عيد الميلاد هذا العام. لم نفوت أي حفلة منذ العام 1992. إنه أمرٌ مخزٍ».

لم يفكر رودي حتّى في ذلك. قال: «حسناً... إنه ليس حظر تجوال رسمي يا

عزيزتي. قد يأتي الناس... على الأقل قد يأتي القليل منهم؟».

قالت: «لا أظنّ ذلك. حتّى لو فعلوا ذلك، كيف سيأكلون المقبلات ويشربون الشمبانيا وهم يضعون الأقنعة. إضافة إلى أن أولئك المناهضين للمؤسسة في جريدة ذا بيل رينغ، والذين يعدّون أنفسهم صحفيين، سينتهزون الفرصة لانتقادنا».

ذا بيل رينغر هي جريدة الحرم الجامعي.

قالت إيم: «البروفسوران العجوزان يقيمان حفلة في الوقت الذي يجتاح فيه الوباء أميركا. كيف يبدو ذلك بالنسبة إليك؟».

ضحكا. يكون الشتاء شديد الوطأة على عظام العجائز ومفاصلهم، وهما الآن يعانيان من آلامهما وأوجاعهما المعتادة، لكنهما بشكل عام بصحة جيدة. ستعود آلامهما الحقيقية، وهما يعرفان ذلك من خلال تجربتهما، لكن في هذه الأثناء، كان بيتر ستينمان جيداً بما فيه الكفاية لهما.

التخطيط المسبق مهم بالطبع، يحب رودي أن يقول (ما كان الله لينعم علينا بالعقول ما لم يرد منا أن نستخدمها). لا يعني ذلك أنهما يؤمنان بالله أو بالسعادة في الحياة الأخرى، وهذا سبب ممتاز لإطالة هذه الحياة قدر الإمكان.

صاح رودي: «بالإضافة إلى كلّ شيء، لا توجد حفلة عيد الميلاد».

«اللعنة على هذا الوباء».

عانقته إيم.

2

بعد أسبوع، خرجت إيميلي إلى المرأب، ووضع رودي لوحة الولاية لعام 2021 على لوحة ترخيص عربة السوبارو الخاصة بهما، إلى جانب الشاحنة التي تحمل لوحات ترخيص زرقاء وبيضاء من الولاية التالية.

يُشغّل رودي الشاحنة بين الحين والآخر من أجل الحفاظ على سلامة البطارية، لكنهما لا يستخدمان الشاحنة إلا في المناسبات الخاصة. لم تكن لوحات سيارتيهما مسروقتين من ولاية ويسكونسن، لأنه غالباً ما يتمّ الإبلاغ عن اللوحات المسروقة. يصنّعها رودي في ورشة عمله في القبو، وهو يتحدّى أي شخص أن يستطيع تفريقها

عن اللوحات الصحيحة.

سأل رودي: «ماذا تفعلين هنا من دون معطف؟».

أجابته: «خطرت لي فكرة، ولم أستطع الانتظار لأخبرك بها. أعتقد أنها فكرة جيدة، أنت الحكم».

استمع لها، ورأى إنها ليست فكرة جيدة بل عبقرية، ثمّ عانقها بشدّة.

قالت إيم: «على رسلك أيها الفتى الكبير. آلامي في حال سبات، ولا أريد إيقاظها».

3

في النهاية، أقام آل هاريس حفلة عيد الميلاد السنوية يوم السبت قبل عيد الميلاد. وكان عدد الحاضرين هو الأعلى منذ سنوات، ولم يضطر أي منهم لوضع قناعه. حضر البعض من ولايات أخرى (أحدهم في الواقع من بنغلاديش)، لكن معظمهم حضروا من مكان قريب. وحضر الرئيس كروملي، وهنري ستراتون، الكاتب المقيم لهذا العام (تفكّر إيميلي في نفسها: من الجيد أن رجلاً أبيض سوياً يتولى الوظيفة مرّة أخرى، لكنها لن تبوح بذلك).

كانت الحفلة بالطبع عبر تطبيق زووم، لكن إيم أضافت لمستها الخاصّة، والتي وصفها رودي بالعبقرية. لا يمكنهما تقديم الطعام والشراب للحاضرين في مين، كولورادو، أو بنغلاديش، ولكن يمكنهما تقديم ذلك للحاضرين من المدينة هنا بالتأكيد، خاصةً أولئك الذين يعيشون في المنازل ذات الطراز الفيكتوري بين الكلية والمتنزه.

استخدما موقع الويب الخاص بقسمي اللغة الإنكليزية وعلوم الحياة، ليعلنا عن حاجتهما إلى شبان وشابات للمساعدة لليلة واحدة فقط، وشرحا متطلبات العمل. كان البدل الذي عرضاه قليلاً (آل هاريس مرتاحان مادياً، ولكنهما ليسا غنيين)، ومع ذلك، كان هناك الكثير من المتقدّمين. تقدّم الكثير من موظفي الحرم الجامعي – بالإضافة إلى بعض الأساتذة! – لتقمص شخصية بابا نويل. انتشروا ليلة الحفلة معتمرين قبعات ولحى بابا نويل. حتّى أن بعضهم انتعلوا جزمات سوداء ووضعوا نظارات بابا نويل التي توضع على أطراف الأنوف. أدى متقمّصو شخصية بابا نويل دور الأطفال في الهالويين، حمل كلّ منهم صينية صغيرة من الحلوى لرواد الحفلات المحليين، وست

عبوات من البيرة بدلاً من الشمبانيا.

حقّقت الحفلة نجاحاً باهراً.

أصرّت إيميلي أن يأتي أحد متقمصي شخصية بابا نويل إلى منزلهما في 93 شارع ريدج، وسمح له رودي بالدخول. كانت فتاة جميلة ذات شعر كثيف أشقر وعينين بنيتين مفعمتين بالحيوية. أبرز بنطالها الأحمر ساقين طويلتين وأُعجب بها رودي خلسة (ولكن هذا ليس خفياً على إيم). أدخلت إيميلي الفتاة إلى غرفة المعيشة، حيث جهّز آل هاريس حاسوبيهما المحمولين. أخذت إيم طبق الحلوى، وأخذ رودي عبوات البيرة.

قال هنري ستراتون وحبيبته بالوقت نفسه: «وصل بابا نويل إلى المدينة».

قال رودي: «أليست فقط ألطف بابا نويل على الإطلاق؟».

قالت إيميلي: «خذي حذرك، إنه قرش». ضحكت الفتاة وقالت إنها ستفعل.

سألتها إيميلي: «هل لا يزال لديك منازل أخرى يفترض بك أن تتوقفي فيها؟».

قالت الفتاة: «منزلان فقط»، وأشارت إلى دراجتها في نهاية الممر. والتي ثُبت عليها مبرّد يُفترض أنه يحتوي على طبقين مغلفين، وحزمتين أخريين من البيرة.

قالت الفتاة: «أنا سعيدة لأن الجو دافئ بما يتيح ركوب الدراجة. كانت هذه فكرة رائعة يا أستاذة».

أجابت إيميلي: «شكراً لك يا عزيزتي، لطف منك أن تقولي هذا».

نظرت الفتاة إلى إيميلي بخجل، وقالت: «لقد حضرت فصلك (المؤلفون الأميركيون الأوائل) في العام السابق لتقاعدك. كان فصلاً رائعاً».

قالت إيميلي: «يسعدني سماع أنك استمتعت به».

قالت متقمصة شخصية بابا نويل: «أخيراً، قررت هذا العام، التقدم بطلب لورشة العمل. كما تعلمين، ورشة عمل الكاتب؟ من المحتمل أنك صادفتِ رسالتي، إذا كنت تقرئينها للسيد ستراتون...»

قالت إيميلي: «صحيح، ولكنني أعتقد أننا سنحتاج شخصاً جديداً للفصل الدراسي الخريفي العام المقبل، لذا تقدّمي في ذلك الوقت». أخفضت صوتها، وأضافت: «لقد سألنا جيم شيبرد، لكنني أشك في أنه سيوافق على المجيء».

قالت الفتاة: «سيكون هذا مذهلاً، لكنني لا أظن أن الخيار سيقع عليّ، فأنا لست

جيدة جداً».

تظاهرت إيم بأنها تغطي أذنيها، وقالت: «لا أهتم بما يقوله الكتّاب عن أعمالهم. ما يقوله العمل عن الكاتب هو المهم».

قالت: «أوه، أعتقد أن هذا صحيح. حسناً، من الأفضل أن أذهب. استمتعي بحفلتك».

قالت إيم: «بالطبع، ما اسمك يا عزيزتي؟».

قالت الفتاة: «بوني، بوني دال».

سألت إيم: «هل تركبين دراجتك إلى كلّ مكان؟».

أجابتها: «نعم، إلا عندما يكون الطقس سيئاً. لديّ سيارة، لكنني أحبّ دراجتي».

قالت إيم: «إذاً أنتِ رياضية. هل تعيشن بالقرب من هنا؟».

قالت بوني: «لديّ شقة صغيرة بالقرب من البحيرة. أعمل في رينولدز وأقوم بأعمال أخرى غريبة متى ما سنحت لي الفرصة».

قالت إيم: «إذا كنت تبحثين عن وظيفة غريبة أخرى في المستقبل القريب، فقد يكون لديّ شيء يمكنك مساعدتي فيه». تساءلت عما إذا كان ردّ بوني سيكون رائعاً أم مذهلاً.

قالت بوني: «حقاً؟ سيكون ذلك رائعاً».

قال إيم: «هل أنت بارعة في استخدام الحاسوب؟ ما دمتِ تعملين في المكتبة، فلا بدّ أنك بارعة. أنا بالكاد أستطيع تشغيل حاسوبي من دون مساعدة رودي». لم تفارق الابتسامة وجه إيميلي وهي تُطلق كذبتها هذه.

قالت بوني: «لا أستطيع إصلاح الحواسيب، لكنني أجيد العمل عليها».

سألت إيم: «هل لي برقمك، فقط تحسباً؟ لا أعدك بذلك».

غمرت السعادة بوني. كانت إيم تستطيع تسجيل الرقم مباشرة في جهات اتصال هاتفها المحمول، ولكن كي تلتزم بشخصيتها الافتراضية هذه، كتبته على منديل.

قالت إيم: «ميلاد مجيد يا بوني. ربّما سأراك مرّة أخرى».

قالت بوني: «رائع، عيد ميلاد سعيد».

أغلقت إيميلي الباب، ونظرت إلى رودي.

قال رودي: «ساقاها جميلتان».

أجابت: «احلم يا لوثاريو». وضحكا.

قال رودي: «ليست مجرّد فتاة تتقمص شخصية بابا نويل، بل هي كاتبة طموحة».

صرخت إيم: «عظيم. جميل. رااائع. أشكّ أنها ستكون قادرة على كتابة جملة إذا صوب أحدهم مسدساً إلى رأسها. لكننا لسنا مهتمين بعقلها. أليس كذلك؟».

قال رودي: «أوه، لا تقولي ذلك». وضحكا.

لقد وضعا قائمة صغيرة بالأمور التي سيقدمان عليها في فصل الخريف المقبل، وستكون هذه الفتاة إضافة جيدة.

قال رودي: «الأهم ألا تكون نباتية، لا نحتاج واحدة أخرى من هؤلاء».

قبّلت إيميلي خده. لطالما أحبّت روح الدعابة لدى رودي.

23 تموز 2021

تعيش فيرا ستينمان في شارع سيكامور الخالي من السيكامور، إنه في الحقيقة خالٍ من أي أشجار. هناك مساحات من الأشجار المشذبة خلف هذا الشارع، لكنها محصورة خلف البوابات والجدران الصخرية المتعرجة لمقبرة سيدار. الشوارع في هذا الحي خالية من الأشجار، لكنها مسمّاة بأسماء الأشجار، لا يوجد سوى منازل متراصّة جنباً إلى جنب تجلدها الشمس بسياط أشعتها.

وقف جيروم عند الرصيف. وجد سيارة شيفروليه مركونة في ممر متصدع، يعود تاريخ صنعها لعشر سنوات خلت وربما خمس عشرة سنة. جانبا السيارة يكسوهما الصدأ ومطاط إطاراتها متهالك، وقد ألصق على الجزء الخلفي منها لافتة كُتب عليها (ماذا سيفعل سكوبي؟) سبق لجيروم أن اتصل بها، وبدأ يشرح لها بأنه صادف اسم بيتر ستينمان أثناء عمله على قضية أخرى، لكنها أوقفته، قائلة: «إذا كنت تريد التحدث عن بيتر، فأرجوك تعالَ» كان صوتها لطيفاً، وإذاعياً. فكّر جيروم، صوتها يشبه الصوت الذي تتوقعه من موظفة استقبال تتقاضى أجراً جيداً في شركة استثمار راقية وسط المدينة، لكن منزلها الصغير المطلّ على حديقة مهملة لا يوحي بذلك.

وضع قناعه ورنّ الجرس. وعندما فتحت له الباب بدا مظهرها منسجماً بشكل مثالي مع صوتها الراقي. كانت ترتدي بلوزة خضراء فاتحة، وتنورة خضراء داكنة، وجوروباً طويلاً مع أن الطقس شديد الحرارة. وقد سرحت شعرها البني المائل إلى الأحمر بشكل أنيق. الشيء الوحيد المتناقض مع مظهرها وصوتها هو رائحة الكحول التي تفوح من أنفاسها ويدها.

قالت: «أنت السيد روبنسون»، عندما سقطت أشعة الشمس مباشرة على بشرتها، لاحظ جيروم جمال بشرتها مع أنها في أواسط العمر، قد يعود ذلك إلى سحر المكياج.

تابعت: «ادخل، ويمكنك إزالة القناع. بافتراض أنك مُلقّح. أنا شخصياً لُقّحت».

قال: «شكراً لك». دخل جيروم، ونزع قناعه ووضعه في جيبه الخلفي. أنه يكره

هـذه الأقنعـة اللعينـة. جلسـا في غرفة معيشـة نظيفـة ولكنها مظلمة. الصـورة الوحيدة المعلقة على الحائط هي لوحة لحديقة مملة، وكان صوت مكيف الهواء عالياً.

قالـت: «أنـا أُبقي السـتائر منخفضة لأن مكيف الهـواء متهالك ولا يمكنني تغييره. هل ترغب في شرب شيء ما يا سيد روبنسون؟ أنا أشرب الجين».

قال: «ربما التونيك، أو ماء عادي».

ذهبـت إلـى المطبـخ، جلـس جيروم بحذر شـديد، وهو يأمل أن يسـتطيع الأثاث المتهالـك أن يتحمـل وزنـه الـذي يقـارب المئتي رطل. سـمع صـوت مكعبات الثلج، وعادت فيرا ستينمان وهي تحمل كوب تونيك وقد أعادت ملء كأسها. سيخبر هولي عندما سيتصل بها بأن ما قاله أحد الفتيان المتزلجين كان صحيحاً. لم يكن لديه أي فكرة أنه يتعامل مع شخص يبقى ثملاً طوال اليوم حتّى نهاية محادثتهما، والتي انتهت فجأة.

جلست على المقعد الآخر في غرفة المعيشة، وضعت كأسها على طاولة القهوة، على إحدى الواقيات ومجموعة من المجلات، وغطّت ركبتيها بتنورتها. قالت: «كيف يمكننـي مسـاعدتك يـا سـيد روبنسـون؟ يبـدو أنـك صغيـر جداً علـى تتبع أثـر الفتيان المفقودين».

قال: «في الواقع هناك شابة مفقودة»، ثمّ شرح لها قصّة بوني دال؛ من العثور على دراجتهـا، إلـى ذهابـه هـو وهولي (مديرته) إلى ديري ويب للتحـدث إلى الفتيان الذين يتزلجون هناك، وكيف وصلوا إلى قصة بيتر.

قـال: «لا أعتقـد أن لاختفـاء بيتـر علاقـة ببوني دال، لكنني أودّ التأكد. وأنا أشـعر بالفضول». ثمّ صحح العبارة وقال: «وأنا أشعر بالقلق. هل سمعت أي أخبار عن ابنك أيتها السيدة ستينمان؟».

قالت: «ولا كلمة»، ارتشـفت رشـفة طويلة من شـرابها، ثمّ قالت: «ربما يجب أن أشتري لوح ويغا».

قال جيروم: «لذا هل تعتقدين أنه...» وجد نفسه غير قادر على إنهاء جملته.

قالـت: «ميـت؟ نعـم، هـذا ما أعتقده. لا أزال آمل أن يعود في النهار، ولكن عندما يحل الليل ولا أستطيع النوم...».

ارتشفت مجدداً، وقالت: «عندما أبقى مستيقظة على الرغم من كلّ هذا المشروب

الذي احتسيه... أعرف».

انسالت دمعة على أحد خديها، كاشفة عن شحوب بشرتها تحت الماكياج، مسحتها، وارتشفت مجدداً، وقالت: «اعذرني».

ذهبت إلى المطبخ. سمع جيروم صوت فتح زجاجة جديدة. عادت وجلست عل مقعدها، حريصة على عدم تجعد الجزء الخلفي من تنورتها. يعتقد جيروم، أنها تأنقت من أجله. خلعت ملابس النوم، وارتدت ملابسها من أجله.

تحدثت فيرا ستينمان لمدة عشرين دقيقة أو نحو ذلك، وهي ترتشف من مشروبها وتعيد ملء كأسها من جديد. لكنها مع ذلك لم تتلعثم أو تخرج عن الموضوع، ولم تترنح في طريقها من المطبخ وإليه.

حُقّق باختفاء بيتر بشكل دقيق، نظراً لأنه اختفى قبل كوفيد، وقبل أن يحدث هذا الاضطراب في قسم شرطة المدينة. لكن النتيجة كانت واحدة، اعتقد المحقّق ديفيد بورتر (أو قال إنه يصدّق) أن بيتر قد هرب.

استند جزء من منطق المحقّق بورتر على مقابلته مع كاتيا غريفز، واحدة من اثنين من المرشدين ومستشاري الصحة في مدرسة بريك الابتدائية. قبل حوالى عام من اختفاء بيتر. تراجعت درجاته، غالباً ما كان متأخراً أو غائباً، وأصبح مشاغباً، وقد فُصل من المدرسة عندما بلغ شغبه أوجه.

في لقاء غريفز مع الفتى بعد انتهاء فترة فصله والتي استمرت ليومين، وبعد أن تحاشى بيتر النظر إلى عينيها أثناء إجابته عن الأسئلة، تحطّم الحاجز بينهما أخيراً، فقال لها كلّ شيء. كانت والدته تفرط في معاقرة الشراب، وما كان يعارض أن يصفه أصدقاؤه بالنتن، ولكنه مقت سخريتهم من والدته التي تركها زوجها عندما كان بيتر في السابعة، وفقدت وظيفتها عندما كان في العاشرة. كان يكره النكات ويكره والدته أحياناً. أخبر السيدة غريفز أنه فكر كثيراً في الانتقال إلى فلوريدا ليعيش مع خاله في أورلاندو، بالقرب من عالم ديزني.

قالت فيرا: «لم يظهر هناك أبداً، لكن المحقّق بورتر بدا مقتنعاً أنه هارب. أراهن أنك تعرف السبب».

بالطبع كان يعرف، قال جيروم: «لم يعثروا على جثته».

وافقته قائلة: «صحيح، لم يجدوها حتّى اليوم، ولكن الأمل هو أشد أنوع العذاب. أعذرني».

ذهبت إلى المطبخ، وفتحت زجاجة أخرى. وعادت لتجلس بشكل مستقيم في مكانها، لم تبد عليها آثار الثمالة حتّى الآن. أخبرت جيروم أن صورة بيتر موجودة بين آلاف الصور الأخرى على موقع المركز الوطني للأطفال المفقودين والمستغلين، وعلى موقع مكتب التحقيقات الفيدرالي للمختطفين والمفقودين، وعلى الشبكة العالمية للأطفال المفقودين، وعلى موقع الأطفال المفقودين، وعلى موقع مؤسسة بولي كلاس؛ وهي فتاة تبلغ من العمر اثني عشر عاماً، وقد اختطفت من حفلة كان يفترض بها أن تبيت فيها ثمّ قُتلت في وقت لاحق، وعُرضت صورتها على شاشة غرفة الاجتماعات في مركز شرطة المدينة طيلة أشهر بعد إبلاغ فيرا عن فقدان بيتر.

قالت فيرا: «بالطبع جرى استجوابي». أصبحت رائحة الكحول الآن قوية جدّاً، ظنّ جيروم أن هذه الرائحة لا تأتي من نفسها فقط، ربّما تنبعث من مسامها. قالت: «الآباء يقتلون الأطفال في كلّ وقت، أليس كذلك؟ في الغالب أزواج الأمهات أو الآباء الحقيقيون، لكن في بعض الأحيان تتدخل الأمهات في هذا الفعل أيضاً، مثل ديان داونز. هل شاهدت الفيلم الذي يتحدث عنها؟ مثّلت فيه فرح فاوست. لقد وُضعت على جهاز كشف الكذب، وأفترض أنني نجحت. لأنني كنت أقول الحقيقة، فأنا لم أقتل، فقد خرج ذات ليلة ليتزلج على لوح تزلجه ولم يعد».

أخبرَت جيروم عن اجتماعها مع كاتيا غريفز بعد حديث غريفز مع بيتر، قائلة: «طلبت مني مقابلتها في الوقت الذي يناسبني، وبدا لي قولها سخيفاً لأن كل الأوقات تناسبني، فأنا دائماً ما أتنقل بين الوظائف. لقد فقدت آخر وظيفة بسبب قيادتي تحت تأثير الكحول. وعندما كنت عاطلة عن العمل، عشتُ وبيتر على المدّخرات والشيكات الشهرية التي أحصل عليها من طليقي؛ إعالة الطفل والنفقة. سام لم يتحمّلني، لكنه كان جيداً جدّاً فيما يخصّ هذه المدفوعات، ولا يزال. مع أنه يعرف أن بيتر مفقود، إلا أنه لا يزال يرسل الشيكات. إنه يتصرف بمثالية، وأظنه أحب بيتر، لكنه ما عاد يطيق صبراً عليّ. سألني ذات مرّة لماذا أفرط في الشراب، وهل للأمر علاقة به؟ فقلت له أن لا علاقة له ولا لأي صدمة تعود لأيام الطفولة، وشرحت له أن الأمر في غاية البساطة

أنا أشرب إذن أنا موجودة».

عادت من المطبخ. وعاودت الجلوس باستقامة حريصة على عدم تجعد تنورتها، وأخبرت جيروم أن غريفز أطلعتها على حقيقة أن أصدقاء بيتر كانوا يسخرون منه لأن والدته فقدت وظيفتها بسبب معاقرتها للشراب، ولأنها أمضت ليلة في السجن بسبب ذلك.

قالت: «صدمني ما سمعت، وألقى بي إلى الحضيض. أعطتني السيدة غريفز قائمة بأوقات اجتماعات منظّمة مدمني الكحول المجهولين، فشرعت بالتردد على هذه الاجتماعات، بعدها حصلت على وظيفة جديدة في فينيمور للعقارات، وهي واحدة من أكبر الشركات في المدينة. سبق لصاحب الشركة أن عانى من مشكلة مع معاقرة الشراب، وهو يوظّف الكثير من الأشخاص الذين أقلعوا عن الشرب، أو يحاولون ذلك. كانت الحياة أفضل من العام الماضي سيد روبنسون. وتحسّنت درجات بيتر، وتوقّفنا عن الجدال». صمتت قليلاً، ثمّ تابعت: «حسناً، لا، ليس تماماً. لا يمكنك ألا تتجادل مع أولادك».

قال جيروم: «أفهمك تماماً، لقد كنت واحداً منهم».

قهقهت، وهناك أدرك جيروم أنها لا تستهلك كلّ هذا المشروب بطريقة سحرية، إنها ثملة ببساطة، أشبه بالظربان. ومع ذلك لا يبدو عليها؟ افترض جيروم ذلك لأنها تعودت استهلاك الكحول.

قالت: «ولهذا السبب، أعتقد أنه من الغباء الاعتقاد بأن بيتر هرب بسبب شربي. كنت جيدة تماماً في الإقلاع عن الشرب قبل ثلاثة أسابيع فقط من اختفائه. لا أعتقد أنني سأقلع مجدّداً، عاودت معاقرة الكحول مرّة أخرى بعد ستة أسابيع تقريباً من اختفائه. وخلال تلك الأسابيع الستة، ظللت أصلّي وأدعو الله أن يعيد لي ولدي». ثمّ قهقهت مجدداً، وقالت: «عندما اقتنعتُ بأنه رحل إلى الأبد، عاودت الذهاب إلى متجر الخمور المحلي».

لم يعرف جيروم ماذا يقول.

قالت: «لقد أُدرج اسمه في لائحة المفقودين لأن هذا يسهّل الأمر على الشرطة، أظنّ أن المحقّق بورتر مقتنع مثلي أنه ميت. لحسن الحظ هناك بالفعل قوة أعظم.»

ورفعت كأسها.

سأل جيروم: «متى اختفى ابنك يا سيدة ستينمان، في أي ليلة؟».

لم يكن عليها أن تفكر في الإجابة، افترض جيروم أنه محفور في ذاكرتها. قالت: «27 تشرين الثاني 2018. لم يمضِ عليه ألف يوم بعد».

قال جيروم: «قال أحد الفتيان في ديري ويب أنكِ اتصلت بوالدته». أومأت برأسها، وقالت: «ماري إديسون، والدة تومي. اتصلت بها في تمام الساعة التاسعة، بعد نصف ساعة من موعد وصوله المفترض إلى المنزل. كنت أملك أرقام العديد من أهل أصدقائه. كنت أماً جيدة له خلال العام السابق لاختفائه يا سيد روبنسون. فعلت ما يمليه عليّ ضميري، محاولةً تعويضه عن كلّ تلك السنوات التي لم أكن جيدة فيها. اعتقدت أن بيتر ربّما كان يخطّط للبقاء عند تومي ونسي إخباري. كان ذلك منطقياً... نوعاً ما... لأن المدرسة ستبدأ في وقت متأخر في اليوم التالي، أخبرني بيتر أنهم سيعقدون اجتماعاً للمعلمين حول ما يجب فعله إذا واجهوا حوادث عنف. عندما قالت السيدة إديسون أن بيتر لم يكن هناك، انتظرت ساعة أخرى، على أمل عودته. ركعت وصليت ليعود ولدي إليّ سالماً. حتّى لو اخترع لي قصة حول سبب تأخره... حتّى لو كانت رائحة البيرة تفوح من أنفاسه... أردت فقط رؤيته، هل تصدق؟».

سالت دمعة أخرى على خدها، فمسحتها بيدها. لم يندم جيروم على زيارتها، ولكنه وجد نفسه في موقف صعب. يكاد يشم رائحة ألمها مخلوطاً برائحة الكحول.

تابعت: «واتصلت بالشرطة في تمام الساعة العاشرة».

سألها: «هل كان يملك هاتفاً محمولاً يا سيدة ستينمان؟».

أجابت: «أوه بالتأكيد. لقد حاولت الاتصال به حتّى قبل الاتصال بماري إديسون. رنّ في غرفته. فهو لم يكن يحمل هاتفه معه عندما يذهب للتزلج. كان يخشى أن يسقط منه وينكسر. أخبرته أنه إذا كسر هاتفه، لن أكون قادرة على تحمل كلفة هاتف آخر».

تذكر جيروم ما طلبت منه هولي معرفته. سألها: «ماذا عن اللوح؟ هل لديك أي فكرة عن ذلك؟».

أجابته: «لوح تزلّجه؟ إنه في غرفته». وقفت وترنّحت قليلاً ثمّ استعادت توازنها. وقالت: «هل ترغب في رؤية غرفته؟ حافظت عليها كما كانت. كما تعلم، مثل أم

مجنونة في فيلم رعب».

قال جيروم: «لا أعتقد أنك مجنونة».

سارت فيرا أمامه في ممر قصير. هناك غرفة غسيل على أحد الجانبين، تكدست أكوام الملابس المهملة أمام الغسالة. يعتقد جيروم أنه ألقى نظرة خاطفة على فيرا الحقيقية، تلك المرتبكة والضائعة.

لاحظت فيرا أنه ينظر إلى الغرفة، فأغلقت باب غرفة الغسيل.

عُلّق ملصق باسم بيت ستينمان على باب غرفته، وتحته ملصق لديناصور الفيلوسيرابتور الذي عاش في العصر الجوراسي، مع فقاعة تخرج من فمه، كُتب بداخلها: ابقَ بعيداً، أو خاطرْ بأن تؤكل حيّاً.

فتحت فيرا الباب، ومدّت يدها مثل عارضة أزياء.

دخل جيروم. كان السرير مرتّباً للغاية، وفوقه ملصق لريهانا في وضعية مغرية، ولكن جيروم لم يعتقد أن فتى بعمر بيتر قد يفهم حقّاً أو يهتّم بهذه الايحاءات... خاصة إن كان فتى يُلقّبه زملاؤه بالنتن. تحيط بالنافذة (المطلّة على المنزل المجاور المطابق تقريباً لمنزلهم) ملصقات لجون ويك وكابتن أمريكا. على الخزانة رأى هاتف بيتر المحمول بجانب مكعبات الليغو المبنية على شكل مركبة حرب النجوم.

قالت فيرا: «لقد ساعدته في بناء ذلك، كان ممتعاً». شعر جيروم من طريقة كلامها، أنها لم تكن تقصد أن تقول ممتعاً حقّاً، ما قصدته هو لا بأس. كان لوح تزلجه الأزرق (الميدا) في الزاوية وقد أُسند إلى يسار الخزانة، سطحه مليء بالخدوش، ورأى إلى جانبه خوذة.

أشار جيروم إلى ذلك، وقال: «هل يمكنني...؟»

قالت: «بالطبع».

أمسك جيروم اللوح وتفحّصه، بدت إحدى عجلاته منحرفة قليلاً. كُتب عليه من الخلف بقلم تخطيط، اسم المالك وعنوانه ورقم هاتفه، كان باهتاً قليلاً لكنه لا يزال واضح.

سأل جيروم: «أين كان؟»، وهو متأكد من أنه يعرف الإجابة: على الرصيف المتصدع لمتجر إصلاح السيارات المهجور حيث عُثر على دراجة بوني راي. لكن

تبين أن إجابته لم تكن صحيحة.

أجابته: «في الحديقة. في ديرفيلد. لقد بحثوا عن جثته، فوجد أحد رجال الشرطة لوحه بين الأدغال بالقرب من شارع ريد بانك. أعتقد أن الخاطف أخذه إلى هناك ليقتله أو ليفعل أي شيء آخر له أولاً، وربّما صدمه أحدهم بسيارة وأخذ الجثة بعيداً ليدفنها، فقد كانت ليلة ضبابية، ربّما كان السائق ثملاً مثلي. أتمنى فقط، كما تعلم... أناجي الله أنه أن لا يكون قد عانى اعذرني».

عادت إلى المطبخ، لكنها أصبحت الآن تترنح في مشيتها. تفحّصت عينا جيروم لوح التزلّج قليلاً، ثمّ أعاده إلى الزاوية. لم يعد متأكداً من عدم وجود ترابط بين ستينمان ودال. قد تكون أوجه التشابه بين الموقع ومكان وجود المقتنيات صدفة، لكنها موجودة بالتأكيد.

عاد إلى غرفة المعيشة. خرجت فيرا ستينمان من المطبخ وهي تحمل كأساً أُخرى.

قال لها: «شكراً جزيلاً لـ...».

قبل أن يتمكن جيروم من إنهاء جملته، سقطت فيرا على ركبتيها، وسقطت الكأس من يدها وتدحرجت على السجادة، وفاحت رائحة الكحول. كان جيروم بارعاً في ركض المسار، ولعب كرة القدم في المدرسة الثانوية، ولا تزال ردود فعله جيدة. أمسك بها من تحت ابطيها قبل أن تسقط على الأرض بالكامل، وإن لم ينجح كان أنفها وأسنانها ستتكسر. شعرت بأنها خالية من العظم تماماً في قبضته. وتدلّى شعرها على وجهها. زمجرت وبدأت تهلوس بكلمات غير مفهومة قد تكون اسم ابنها. ثمّ بدأت النوبات، أخذت تهتز وترتجف وكأنها جرذ في فم كلب.

6 كانون الثاني 2021

1

قالت إيم: «هذا يكفي، أطفئه».

قال رودي: «يا عزيزتي، هذا هو التاريخ. ألا توافقينني الرأي يا بوني؟».

وقفت بوني راي في زاوية الطابق السفلي وهي تحمل بين يديها كدسة من بطاقات عيد الميلاد التي تعود لعيد الميلاد الماضي. بدت واجمة وهي تنظر إلى التلفاز، في الوقت الذي أُقتحم فيه مبنى الكابيتول، وحُطمت النوافذ وجرى تسلق الجدران. لوّح البعض بالعلم الكونفدرالي الأول للولايات المتحدة، ولوّح آخرون بعلم جادسين، الذي كُتب عليه لا تدس عليّ، وحمل العدد الأكبر من المقتحمين لافتات مناصرة لترامب بحجم شراشف السرير.

قالت إيميلي: «لا يهمّني، هذا مروع، أطفئه».

ما كانت تقصده حقّاً بكلمة مروّع، هو مشوّق بشكل مروّع. تعتقد إيميلي أن دونالد ترامب وقح، لكنه أيضاً ساحر؛ لديه جاذبية غير مفهومة، لقد حوّل الطبقة الوسطى البائسة واللامبالية في أميركا إلى ثوار، وهذا يشعرها بالقرف. لكن هناك جانب آخر لهذا، عادة ما تعبّر عنه فقط في مذكراتها، وقد غيرتها تجارب السنوات التسع الماضية في عمر يكون فيه تغيير الشخصية أقرب إلى المستحيل. ما كانت لتقول ذلك أبداً، لكن هذا التدنيس للمقدسات السياسية أبهرها، وأملت أن يقتحموا المكاتب، ويستبعدوا المنتخبين الممثّلين لكلا الحزبين، ويفشلونهم.

قالت: «أطفئه يا رودني. شاهده في الطابق العلوي، إذا أردت».

قال: «كما تحبين يا عزيزتي».

وصل رودي إلى جهاز التحكم الموجود على المنضدة المجاورة له، لكنه انزلق من يده وسقط على السجادة، بينما كان أحد المراسلين يسأل: «هل تسمي هذا شغباً

أم تمرداً؟ في هذه المرحلة، من المستحيل معرفة ذلك».

رفع جهاز التحكم عن الأرض، وأمسكه بشكل غريب بين أطراف راحتيه. ثمّ ضغط على زر التشغيل/ الايقاف بتجهم. أعاد جهاز التحكم إلى الطاولة واستدار إلى بوني، وسألها: «ما رأيك يا عزيزتي؟ شغب أم تمرد؟ هل هذه هي نسخة القرن الحادي والعشرين من هجوم فورت سمتر؟».

هزّت رأسها، وأجابت: «لا أعرف. لكنني أراهن أنه لو كان السود هم من يقومون بهذا الحراك، كانت الشرطة ستطلق النار عليهم».

قالت إيميلي: «أووه. أنا لا أظنّ ذلك».

نهض رودي، وقال: «إيميلي، هل يمكنك تطبيق سحرك الخاص على يدي؟ مفاصل يدي لا تهتمّ بالطقس البارد».

قالت: «في غضون دقائق. أريد أن أساعد بوني كي تبدأ».

قال: «لا بأس». غادر الغرفة وسرعان ما سمعتا خطوات صعوده على الدرج دون توقف. إنه لا يعاني من التهاب في وركيه أو وركبتيه، أو بالأحرى لم يكن يعاني وقتها.

قالت بوني: «لقد وضعت مجلّداً على سطح العمل في حاسوبك المحمول بعنوان عيد الميلاد والعام الجديد، يحوي أسماء وعناوين كل من أرسل لك وللبروفيسور هاريس بطاقة، إنهم كُثر».

قالت إيميلي: «حسناً، نحن الآن نحتاج إلى نوع من هذه الرسائل... لا أعرف ماذا تسمونها...» إنها تعرف جيداً، ولديها بالفعل قائمة جهات اتصال كاملة على هاتفها. يمكنها نقلها إلى جهاز حاسوبها في لمح البصر، لكن لا يفترض ببوني أن تعرف ذلك. عليها أن تمثّل دور الأستاذة المسنة النمطية أمامها: شاردة الذهن، ذات ردود فعل بطيئة، والعاجزة إلى حدّ كبير، وغير البارعة في الأشياء خارج مجال خبرتها. وهي التي لم يسبق لها أن حلمت أن يُعلق المتمردون الممثلين المنتخبين على أعمدة الإنارة، خاصة السود الأوغاد (وهي كلمة تخطر في ذهنها لكنها غير قادرة على استخدامها علناً)، والذين يزداد عددهم كلّ يوم.

قالت بوني بجدية: «حسناً، إذا كانت رسالة تتعلق بالعمل، أفترض أنك تسمينها رسالة نموذجية أو أساسية. يمكنني أن أشرح لك كيفية تعديل كل رسالة، مثلاً لن

تكتفي بقول شكراً، وتتمنين سنة جديدة سعيدة، بل يمكنك إضافة تفاصيل شخصية عن العائلات، والعروض الترويجية، والجوائز، أياً تكن».

صرخت إيم: «رائع، أنت عبقرية». فكّرت إيم، يا للسخرية، جميع المراهقين قادرون على فعل الشيء نفسه، خلال أدائهم لواجباتهم وإرسالهم صور قضبانهم إلى صديقاتهم على واتس آب.

قالت بوني بسرور: «إنه أمر في غاية البساطة». سأضع هذا الخيار على لوحة المفاتيح».

قالت إيم: «فكرة ممتازة. فقط دعيني أفكر في صياغتها، بينما أرى ما يمكنني فعله بشأن يدي رودي المسكين».

سألت بوني: «أنه يعاني من التهاب مفاصل سيئ للغاية، أليس كذلك؟».

قالت إيم: «أوه، الألم يأتي ويذهب». ثمّ ابتسمت لها.

2

كان رودي مستلقياً على سريرهما جامعاً يديه فوق صدره. لا تحب إيم رؤيته بهذه الوضعية؛ وكأنه مستلقٍ في نعشه. لكن الموتى لا يبتسمون بالطريقة التي يبتسم بها لها؛ لا يزال فاتناً. أغلقت باب غرفة النوم وذهبت إلى خزانتها، وجلبت منها عبوة.

قال لها رودي وهي تتجه نحو السرير لتجلس بجانبه: «أعتقد أننا يجب أن نخرجها من القائمة».

قالت إيم وهي تفتح العبوة: «مع أن أحدهم كان مفتوناً بنهديها وخصرها النحيف، ناهيك عن سيقانها الطويلة». يوجد في العبوة مادة صفراء تشبه الهلام. لم يحصلا على قدر كبير من الدهون من الراحل بيتر ستينمان.

قال رودي: «بالطبع هي جميلة المظهر، لكن الأمر ليس كذلك. لم نستعمل شخصاً تقرّب منّا من قبل، هذا خطير».

قالت: «سبق لي أن عملت في القسم الذي يعمل فيه جورج كاسترو. في الواقع، لقد استجوبت، أقصد في الأيام الخوالي».

قال: «ليس هذه الأيام. في ما يتعلق باستجوابك بشأن كاسترو، لم تكوني الوحيدة

التي استجوبت، فقد استجوب كل من كانوا في القسم. كان أمراً روتينياً. هذا مختلف، أنها تعمل في منزلنا».

هذا صحيح. اتصلت إيميلي بالفتاة في يوم فتح الصناديق وعرضت عليها العمل بدوام جزئي، كي تُحدث حاسوبها، وتساعدها في تسهيل مراسلاتها، وتصمم جدولاً يحتوي على أسماء المتقدمين الحاليين لورشة الكتابة.

مررت إيم إصبعها في المادة الصفراء التي كانت تبطن بطن بيتر ستينمان منذ فترة وجيزة، وقالت: «أعطني يديك يا حبيبي».

مدّ رودي يديه، كانت أصابعه ملتوية قليلاً، ومفاصله منتفخة. قال: «على رسلك».

قالت: «ستشعر بالقليل من الألم، ثمّ ستشعر بالراحة اللطيفة»، وبدأت بدهن أصابعه بتلك المادة الصفراء، وركّزت على مفاصل أصابعه. تسارعت أنفاسه، وأصدر أصوات هسهسة تشبه صوت الأفعى.

قالت: «والآن، اثنِ أصابعك».

قبض أصابع يديه ببطء، وقال: «أحسن».

قالت: «بالطبع».

قال: «أضيفي القليل من فضلك».

قالت: «لم يبق الكثير من الدهن يا عزيزي».

قال: «القليل فقط».

مرّرت إصبعها في العبوة مرّة أخرى. وضعت المادة على راحة يد رودي اليسرى ليبدأ بفركها بأصابعه، والآن أصبح يثنيها بشكل طبيعي تقريباً.

قالت: «وظيفتها هنا قصيرة الأمد، وهي تعلم ذلك. ستعود إلى المكتبة بدوام كامل بمجرد انتهاء عطلة عيد الميلاد وبدء فصل الربيع. وبالطبع ستستمر بالعمل على كتابتها، بتشجيع منّي».

سألها: «هل هي جيدة؟».

أجابت: «لم أرَ شيئاً حتّى الآن، ولكنني لا أظنها جيدة».

سألها: «اعتماداً على ماذا؟».

اقتربت منه، وهمست: «اعتماداً على أغنية (مصاصو الدماء واقعون في الحب)».

ضحك رودني.

قالت: «لكنني عرفت الكثير عنها خلال محادثاتي معها، وكلّ شيء جيد. لقد انفصلت عن حبيبها، مع أنها هي من سعت إلى الانفصال إلا أنها لا تزال تتألم بسببه. إنها تتساءل: هل هناك عيب في شخصيتها يجعلها غير قادرة على الدخول في علاقة مستقرة».

قال رودي بسخرية: «بناءً على ما أخبرتني به. كان حبيبها السابق، توم، خير ممثل للشخص الفاشل، من حسن حظها أنها انفصلت عنه».

قالت: «أنا متأكدة من أنك على حق، ولكن هذا يتعلق بما تشعر به وما يعنيه ذلك بالنسبة إلينا. هناك أيضاً موضوع علاقتها المتوترة مع والدتها. وهذا طبيعي تماماً، غالباً ما تكون علاقات الشابات بأمهاتهن مشحونة، ولكن هذا أيضاً جيد بالنسبة إلينا. هل تعرف ما قالته لي أمي؟ وضيعة مسيطرة، لكنني أحبها. استمر في فرك يديك يا عزيزي، ركّز على مفاصلك... أيضاً، أمين المكتبة الرئيسي في راينولدز، كونروي، يركّز على بوني، ووفقاً لكلامها، فهو يستحث نفسه جنسياً من خلال اللمسات غير المرغوب فيها».

ضحك رودي قليلاً.

تابعت إيم: «إذا انتظرنا حتّى تشرين الأول أو الثاني كعادتنا، فستكون قد تركت العمل لدينا قبل تسعة أو حتّى عشرة أشهر. وإذا استجوبنا، يمكننا قول الحقيقة». مسحت إيم المادة الهلامية عن أصابعها، لا تزال أصابعها نحيلة كما كانت تقريباً عندما كانت شابة ترتدي تنانير طويلة مع جوارب بوبي. وتابعت: «إنها غير سعيدة بانفصالها عن حبيبها، وهي بحاجة للهروب من شعورها بالألم. والأفضل من ذلك كله، التحرش الجنسي في مكان العمل. هل ترى كم هذا جيد؟ لا بدّ أنها ستقرر ترك كلّ شيء والمغادرة».

قال: «أنت محقة، أفترض أنها قد تفعل ذلك».

قالت: «ونحن نعرف روتين يومها. تسلك دائماً الطريق نفسه من المكتبة» صمتت، ثمّ أضافت بصوت منخفض: «أعلم أنك تحب النظر إلى نهديها، وأنا لا أمانع ذلك».

قال رودي: «كان والدي يقول يستطيع الرجل الذي يتبع حمية، أن يلقي نظرة

على قائمة الطعام. لذا نعم، لقد نظرت. لديها ما يسميه طلابي – الذكور منهم – ثديان جميلان كبيران».

قالت: «بغض النظر عن الناحية الشكلية، ثدياها يشكّلان أربعة بالمئة من دهون جسمها تقريباً. وهذا يكفي لتخفيف الكثير من آلام التهاب المفاصل يا عزيزي. ناهيك عن آلام عصبي الوركي». أغلقت العبوة، وسألته: «إذاً، هل أقنعتك؟».

ثنى أصابعه بسرعة وبدا جلياً أنه لم يتألم، وأجابها: «لنقل أنني سأفكر بالأمر».

قالت: «جيد. الآن قبّلني. عليّ النزول إلى الطابق السفلي ومتابعة التظاهر بأنني أمية في ما يخصّ الحاسوب. وأنت تابع مشاهدة أعمال الشغب».

23 تموز 2021

1

عند الساعة السادسة والربع، اتصل جيروم بهولي بعد خروجه من منزل ستينمان، وأخبرها عن مغامراته. شرح لها أنه اضطر إلى أخذ فيرا إلى المستشفى بنفسه، لأن جميع سيارات إسعاف المستشفيات وقسم خدمات الطوارئ بالمدينة، كانت مشغولة بسبب كوفيد. حملها إلى سيارته، ووضعها في مقعد الراكب، ووضع لها حزام الأمان، وتوجّه إلى المستشفى بالسرعة التي تجرأ عليها.

قال: «أنزلت لها النافذة، ظننت أن الهواء النقي قد ينعشها قليلاً. لا أعرف إن نجح الأمر، لم تكن قد استعادت وعيها عندما وصلنا إلى المستشفى، لكنها أنقذتني من تكلفة التنظيف بالبخار لسيارتي، فقد تقيأت مرتين في طريقنا إلى المستشفى، ولكن خارج النافذة، وهذا سيزول بالغسيل. سيكون التخلص من الرائحة الكريهة أصعب بكثير لو أنها علقت على السجاد».

أخبر هولي أن فيرا تقيأت أيضاً مرتين بعد وصولهما إلى المستشفى. قال: «لقد أبعدتها جانباً قبل أن تتقيأ للمرة الثانية. لكنها لم تتنفس في البداية، لقد أخافتني لذا أجريت لها تنفساً اصطناعياً. ربما كانت ستتنفس بمفردها، لكنني خشيت ألا تفعل».

قالت هولي: «ربّما أنقذت حياتها». ضحك جيروم، وقال: «لست متأكداً بخصوص ذلك، لكنني غسلت فمي ست مرات منذ ذلك الحين، وما زلت أتذوق طعم القيء بنكهة الكحول. عندما وصلت إلى منزلها، قالت إنه يمكنني نزع قناعي، وأخبرتني أنها أُصيبت بكوفيد وشفيت، وأنها تلقت جرعتي اللقاح. أتمنى أن تكون صادقة. لا أعرف إن كانت جرعتا لقاح فايزر قادرتين على مقاومة قبلة كهذه».

سألته: «لماذا بقيت هناك؟ ألم تبقَ في المستشفى طوال الليل؟».

أجابها: «هل تمزحين؟ لا يوجد سرير واحد متاح في ذلك المكان. رأينا رجلاً

تحطّمت سيارته، وهو يئن ومضرج بالدماء في صالة الانتظار».

فكّرت هولي: والدتي ماتت في مستشفى كهذا. كانت غنية.

سألته: «هل فعلوا لها شيئاً؟».

أجابها: «غسلوا معدتها، وعندما تمكنت من قول اسمها طلبوا منها العودة إلى المنزل. لم نجرِ معاملات ورقية أو شيئاً من هذا القبيل، الوضع جنوني، يبدو أن كل الأنظمة معطلة، كما تعلمين؟».

قالت هولي إنها تعلم ذلك.

قال: «أدخلتها إلى غرفة نومها، لقد استعادت قدرتها على المشي الآن. قالت إنها تستطيع خلع ملابسها وصدّقتها، لكن عندما نظرت إلى الداخل، كانت مستلقية هناك مرتدية ملابسها بالكامل وتشخر. تلطّخ جانب سيارتي بالقيء، لكن لم تتسخ ملابسها. هذا جيد، أعتقد أنها ارتدت هذه الملابس لاستقبالي».

قالت: «ربما أنت مُحق. في النهاية، أنت أتيت لتتحدث إليها عن ابنها».

قال: «أخبرتني الممرضة أنهم وجدوا عدداً قليلاً من الحبوب نصف المهضومة أثناء غسل معدتها. ربما حاولت الانتحار».

قالت هولي: «لقد أنقذت حياتها». ولم تقل ربما هذه المرة.

قال: «ربّما أنقذتها هذه المرة، لكن ماذا عن المرة القادمة؟».

لم يكن لدى هولي جواب عن هذا السؤال.

قال: «لو رأيتها قبل أن تنهار يا هولي... كانت متماسكة تماماً. ولكنها احتست كمية كبيرة من الكحول، وكأن الكحول ستُفقد قريباً من الأسواق. كنت سأغادر معتقداً بأنها بصحّة جيدة تماماً، باستثناء الصداع الناتج عن الإفراط في شرب الكحول. كيف يكون ذلك ممكناً؟».

قالت: «لا بدّ أنها اكتسبت قدرة تحمّل عالية، أعلى من الآخرين. هل قُلت إن لوح تزلج بيتر كان في غرفته؟».

قال: «نعم، مشّط فريق البحث الحديقة، عندما كانوا يبحثون عنه... أو عن جثّته... ووجده أحدهم بين الشجيرات. لم تتح لي الفرصة لسؤالها، لكنني أراهن أنهم وجدوه في الغابة، ليس بعيداً عن مكان العثور على دراجة بوني دال. أعتقد أن قضيتي دال

وستينمان مترابطتين يا هولي. أنا أظنّ ذلك حقّاً».

اتصل جيروم بهولي، عندما كانت على وشك أن تحضّر قطعة لحم بقر من ستوفر مع الخبز المحمص، لتتناولها على العشاء وهو نوع الطعام سهل التحضير الذي تلجأ إليه دوماً. وضعت الكيس المجمد في قدر من الماء المغلي. يمكنها استخدام الميكروويف للتسخين، وفقاً لما كُتب على المُنتج، وهذه الطريقة أسرع بلا شك، لكنها لا تفعل ذلك مطلقاً. لطالما قالت والدتها إن أجهزة الميكروويف تُفسد الطعام. ظلّت هذه المعلومة عالقة في ذهنها بالإضافة إلى الكثير من أقوال والدتها الأخرى، مثل: البرتقال كالذهب في الصباح وكالرصاص في الليل، النوم على جانبك الأيسر يرهق قلبك. الفاسقات فقط هن من يرتدين تنانير تحتية فاضحة.

قال جيروم: «هولي؟ هل سمعتني؟ أعتقد أن دال وستينمان ربّما...».

قالت: «لقد سمعتك، إنني أُفكّر في الأمر. هل كان يعتمر خوذته؟ كان يجب أن أسأل هؤلاء الفتيان، لكنني لم أفكر في ذلك مطلقاً».

قال: «لم تفكّري في الأمر لأنهم لم يكونوا يعتمرونها. بالطبع، لن يعتمرها بيتر إذا كان ينوي مقابلة أصدقائه تلك الليلة. كانوا سيطلقون عليه لقب الجبان».

سألته: «حقاً؟».

أجابها: «بالطبع. لم يأخذ هاتفه ولم يعتمر خوذته. كانت في غرفته بجوار لوح التزلج. لا أعتقد أنه اعتمرها على الإطلاق. بدت لي جديدة تماماً بلا أي خدش». نظرت هولي إلى كيس اللحم، قلّبته مرّة أخرى في الماء المغلي. سألته: «وماذا عن الخال في فلوريدا؟ لا بدّ أن تكون والدة ستينمان اتصلت به».

قال: «لقد فعلت والمحقّق المسؤول – بورتر – فعل ذلك أيضاً. لقد حاولت يا هولي، مع نفسها ومع ولدها. توقفت عن الشرب لمدة عام، وحصلت على وظيفة أخرى، إنها مأساة لعينة. هل تعتقدين أنه يفترض بي البقاء إلى جانبها؟ رائحة غرفة المعيشة سيئة للغاية والأريكة لا يمكنني وصفها بالمريحة، لكنني سأفعل ذلك إذا طلبتِ منّي».

قالت: «لا، عد إلى المنزل. ولكن قبل ذلك، عد إلى الداخل، وتحقق من تنفسها، ومن خزانة الأدوية أيضاً. إذا وجدت مهدئات أو مسكنات للألم أو أدوية للاكتئاب، مثل

زولوفت أو بروزاك، ارمها في المرحاض، وإذا أردت تخلص من الكحول. ولكن هذا مجرد حلّ مؤقت. يمكنها دائماً الحصول على وصفات طبية جديدة، وشراء الكحول من أي مكان».

تنهّد جيروم، وقال: «نعم، يا ليتك استطعت مقابلتها قبل أن تنهار... اعتقدت أنها كانت بخير، حزينة بالتأكيد، وتشرب كثيراً، لكنني اعتقدت حقّاً...».

قاطعته قائلة: «لقد فعلتَ ما بوسعك. فقدَت ولدها الوحيد، وفقدته إلى الأبد، إلا إذا حدثت معجزة. إما أن تعود إلى اجتماعاتها للتخلّص من إدمانها على الشرب وتستمر في حياتها، أو لا. لا بد من أنك تعرف المثل الصيني الذي يقول: أن تصبح مسؤولاً عن شخص ما، لأنك أنقذت حياته، فهذا مجرّد حماقة. أعلم أن هذا صعب، لكنه الحقيقة. على الأقل من وجهة نظري».

قال جيروم: «شيء واحد قد يساعدها».

سألته: «ما هو؟».

أجابها: «وضع خاتمة لمأساتها».

فكّرت هولي: هذه الخاتمة هي مجرّد خرافة... لكنها لم تقل له ذلك. جيروم شاب، ولا ضير في أن يعيش مع الأمل.

2

أكلت هولي لحم البقر مع الخبز المحمص على طاولة مطبخها الصغيرة. تعتقد أنها وجبة مثالية لأنه بالكاد هناك أطباق لتغسلها. إنها تشعر بالحزن على جيروم، وتشفق كثيراً على والدة بيتر ستينمان. كان جيروم محقّاً بوصفه للحادثة بالمأساة، لكن هولي قلقة من ربط قضية الشابة المفقودة بقضية الفتى المفقود. إنها تعرف تماماً ما الذي يُفكر فيه جيروم: قاتل متسلسل، مثل تيد بندي أو جون واين جسي أو زودياك السفاح. لكن معظم القاتلين المتسلسلين غير مبدعين، وغير قادرين على تجاوز بعض الصدمات النفسية. يواصلون اختيار نسخة من نفس الضحية إلى أن يُقبض عليهم. قتل ديفيد بيركويتز المُلقّب بابن سام عدداً من النساء ذوات الشعر الداكن المموج، ربما لأنه لم يستطع قتل بيتي برودر، المرأة التي أنجبته ثمّ هجرته.

ربّما كان بيركوفيتز يحب رؤية رؤوسهن وهي تنفجر، تذكّرت قول بيل هودغز. قالت: «أووووه».

لكن بوني راي وبيتر ستينمان مختلفان جداً، ليس هناك ما يوحي أن الفاعل واحد. إنها متأكدة من ذلك، أو لنقل شبه متأكدة؛ لكنها تعترف بتشابه المواقع، وأماكن العثور على المقتنيات؛ الدراجة ولوح التزلج.

تذكرت أن عليها سؤال بيني عن ملابس بوني. هل فُقد أي منها؟ هل يُحتمل أن يكون لديها حقيبة مخبأة في مكان ما، ربما لدى صديقتها لاكيشا؟ أخرجت هولي دفتر ملاحظاتها ودوّنت عليه هذه الأسئلة. ستتصل الليلة، وتحاول تحديد موعد مع لاكيشا بعد ظهر الغد، لكنها ستحتفظ بأسئلتها المهمة إلى أن تقابلها وجهاً لوجه.

نظّفت صحنها، ووضعته في غسالة الأطباق، أصغر غسالة صحون أنتجتها شيف ماجيك، وهي مثالية للسيدة العزباء التي تخلو حياتها من رجل. عادت إلى الطاولة، وأشعلت سيجارة. برأي هولي، لا شيء ينهي الوجبة بشكل مثالي مثل الدخان، أضف إلى ذلك أنه يساعد على الاستقلاب.

سمعت رنّة الأجراس، وهذا يعني أنه هاتفها الشخصي (رنة هاتف المكتب هي النغمة التقليدية للآيفون) توقعت أن جيروم يريد إخبارها بشيء نسي أن يقوله لها، لكنه كان بيت هنتلي.

قال بيت: «كنت محقّة بشأن إيزي. لقد بدت مسرورة بإخباري عما عرفته عن رصيد الفتاة دال، وهاتفها. ليس هناك أي نشاط على بطاقتها فيزا، أو على حساب فيرزون. بحثت إيزي عن أي رسوم في الأيام العشرة الماضية، ولم تجد أياً منها. آخر عملية قامت بها، كان شراء جينز من أمازون في 27 حزيران. وقالت إيزي إنها عندما حاولت الاتصال بهاتف دال، تبيّن لها أن ترك بريد صوتي لم يعد متاحاً، لأن صندوق بريدها ممتلئ. ولا توجد طريقة لتتبعه».

قالت: «هذا يعني أنها أو شخص آخر أخرجت البطاقة منه».

قال: «بالتأكيد، فالأمر لا علاقة له بعدم تسديد الفاتورة. فقد سدّدت فاتورة الهاتف في السادس من تموز، بعد خمسة أيام من اختفاء الشابة. وسدّدت كل الفواتير في السادس. عادةً ما يدفع البنك في أول يوم اثنين من الشهر، ولكن كان الاثنين الأول

عطلة رسمية، لذا... «.

سألت: «هل تتكلم عن بنك نوربانك؟».

أجابها: «نعم، كيف عرفتِ؟».

قالت: «تعمل والدتها هناك، أو بالأحرى كانت تعمل هناك قبل أن يُغلق الفرع الذي تعمل فيه. تقول إنها تتوقع إعادة توظيفها، عند فتح الفروع من جديد. ما هو المبلغ الموجود في حساب بوني دال؟».

أجاب بيت: «لا أعرف لأن إيزابيل لا تعرف. للحصول على هذه المعلومات تحتاج إلى أمر من المحكمة، ولا ترى إيزى فائدة من محاولة الحصول عليها، وأنا أوافقها الرأي. فهذا غير مهم. أنت تعرفين ما المهم، أليس كذلك؟».

حسناً، هولي تعرف. من الناحية العملية، بوني راي دال في عداد الموتى. قالت هولي: «يبدو صوتك أفضل يا بيت. لم تسعل كثيراً».

قال: «أشعر بتحسن، لكن كوفيد اللعين مُتعب حقّاً، لو لم أتلقَّ اللقاح أظن أنني كنت سأحتاج إلى الدخول إلى المستشفى أو...» توقفَ قليلاً، لا شكّ أنه فكّر في والدة شريكته التي لم تقبل بتلقي اللقاح.

قالت: «اذهب إلى الفراش باكراً، واشرب السوائل».

قال: «شكراً لك أيتها الممرضة».

أنهت هولي المكالمة، وأشعلت سيجارة أخرى. توجّهت إلى النافذة ونظرت عبرها إلى الخارج. لا تزال هناك بضع ساعات قبل أن يحلّ الظلام، لكن ضوء الشمس بدأ يختفي في المساء، ولطالما أشعرها ذلك بقليل من الحزن. اعتادت والدتها أن تقول: كلّما كبرت يوماً، اقتربت يوماً من القبر. والآن والدتها في قبرها.

تمتمت هولي: «لقد سرقت مني. سرقت منّي الصندوق الائتماني الذي حصلت عليه من جاني. ليس كلّه، لكن معظمه. نعم، إنها أمي».

قالت لنفسها، لكن هذا أصبح في الماضي. المهم الآن هو: هل بوني دال لا تزال على قيد الحياة؟

لكن.

لم يحصل أي نشاط على بطاقتها الفيزا، ولم تجرِ أي مكالمات من هاتفها.

فكّرت هولي، يمكن لعميل سري مدرب – أحد العملاء السريين الذين كتب عنهم جون لوكاريه – أن يبقى على قيد الحياة، لكن أمينة مكتبة جامعية تبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً؟ لا تظنّ ذلك.

بوني راي دال ميتة، وهولي متيقنة من ذلك.

3

تتبنّى هولي معتقداً سيئاً (وغير عملي أبداً) مفاده أن التمارين الرياضية التي تؤديها تستطيع تعويض بعض الأضرار التي تلحقها بجسدها بعد أن عادت للتدخين مرّة أخرى، لذا مشت لمسافة ميلين بعد أن أنهت المكالمة مع بيت، وانتهى بها الأمر في الطرف الجنوبي من ديرفيلد بارك. الملعب مليء بالأولاد الذين يتأرجحون ويتزحلقون ويتدلّون رأساً على عقب في قسم الألعاب الرياضية في الحديقة. راقبتهم، لا يمكن لأي رجل أن يفلت بفعلته في هذا القرن من الوعي الجنسي المفرط، لم تفكر في قضيتها الجديدة، ولا في أي شيء آخر. راودها إحساس مزعج بأنها نسيت شيئاً ما، لكنها تناست الموضوع، سيتضح كلّ شيء في نهاية المطاف.

عندما عادت إلى المنزل، اتصلت بلاكيشا ستون. بدا صوت الشابة التي أجابت، مُفعماً بالحياة. في الخلفية، سمعت هولي صوت الموسيقى – قد تكون أوتيس ريدينغ – وضحكات الناس، وبعض الصيحات أحياناً.

قالت لاكيشا: «مرحباً، إذا كان هذا عرض ضمان سيارة أو كيف يمكنني تحسين تصنيفي الائتماني....».

قاطعتها هولي: «أنا لا أُقدّم أي عروض». قدّمت هولي نفسها، وشرحت سبب اتصالها، وأخبرتها أنها تستطيع مقابلتها بعد ظهر الغد، فهي ستكون قريبة من قرية أبسالا من أجل بعض الأعمال العائلية، وسألتها إن كان ذلك يناسبها.

قالت لاكيشا بأنها ستكون سعيدة بالتحدث إلى هولي. وقالت لها إنها تُخيّم مع أصدقائها على طريق 27، ذاك الذي يحمل اسماً هندياً، وسألتها إن كانت تعرفه؟ قالت هولي إنها لا تعرفه، ولم تقل إن لفظ (هندي) في هذه الأيام يعتبر تحقيراً في أحسن الأحوال، وعنصرياً في أسوأها. لكنها قالت إنها متأكدة بأن نظام تحديد المواقع (جي

بي أس) على هاتفها سيساعدها بالوصول إلى هناك.

سألت لاكيشا: «هل هناك شيء جديد بخصوص بوني؟».

أجابتها هولي: «لا شيء على الإطلاق».

قالت: «إذاً لا أعرف كيف يمكنني مساعدتك سيدة غيبني».

سألتها هولي: «يمكنك مساعدتي بشيء واحد الآن. هل تعتقدين أنها هربت؟».

أجابتها لاكيشا: «ربّاه، كلا». ارتجف صوتها قليلاً، ثمّ أضافت: «أعتقد أنها ماتت، أعتقد أن لقيطاً مريضاً مجنوناً اغتصبها وقتلها».

4

في تلك الليلة، شعرت هولي بالأسف لأنها عاودت التدخين، وصلّت لله أن يساعدها في الإقلاع عن التدخين مرّة أخرى قريباً (ولكن ليس الآن). وطلبت من الله ألا تفكر في والدتها الليلة وبما أقدمت عليه وسبب إقدامها عليه. وأنهت صلاتها بطلب أي مساعدة يمكن لله أن يُقدمها في قضية الشابة المفقودة، واختتمت بالقول إنها تأمل أن تكون بوني راي لا تزال على قيد الحياة.

استلقت في سريرها، وتساءلت وسط الظلام ما الذي أزعجها في الحديقة. وعندما أوشكت أن تغفو، فكّرت: هل هناك حالات اختفاء أخرى بالقرب من ديرفيلد بارك؟

ظنّت أنها فكرة مثيرة للاهتمام.

8 شباط 2021

كان شـهر كانون الثاني شـديد البرودة، لكن شـهر شـباط بدا أكثر دفئاً من المعتاد، وكأنه يعوّض عن الصقيع، وتساقط الثلوج طيلة الأسابيع الثلاثة السابقة. بعد ظهر يوم الاثنين، قرر رودي هاريس التخلص من التآكل الحاصل في سيارته السوبارو، وتراكم كتل الملح التي ستؤدي في النهاية إلى صدأ الألواح الجانبية والهيكل السفلي. اقترحت إيم عليه أن يأخذها إلى درايف أند شاين، لكن رودي قال إنه يفضّل الخروج إلى الهواء الطلق النقي. سألته عن ألم التهاب المفاصل، فقال لها إنه بخير.

قالت إيم: «لا تزعجك الآن، ولكنني أراهن أنك ستشـتكي منها الليلة، وسـتضطر لأخذ دواء بنجاي. علينا حفظ ما تبقى لحالات الطوارئ». إذا عانينا من ألم شديد في ظهري أو في رقبتك مرّة أخرى، هذا ما كانت تقصده.

قال لها: «سـأضع قفازي»، تنهدت إيم. رودي عزيزها، ونور حياتها، لكن عندما يقرر أن يفعل شيئاً ما، ليس هناك من يمنعه.

دخل إلى المرأب من الباب الخلفي، جلب الخرطوم، وثبّته بالصنبور على الجدار الجانبي للمنزل. ثمّ عاد ليخرج السـيارة. هناك ثلاثة أزرار على جدار المرأب، أحدها لفتح باب المرأب الأيسر، حيث يركنان الشاحنة التي نادراً ما يستخدمانها. الزر الأخير يفتح الباب الأيمن، حيث يركنان سـيارة السـوبارو. والزر الأوسـط يفتح البابين معاً. ولدى رودي عادة مزعجة بالضغط على ذلك الزر، لأنه في المنتصف وليس في الأسفل أو في الأعلى. هذا ما يقوله لنفسه عندما ينفتح البابان إلى الأعلى بدلاً من الباب الذي يريده. هذا لا يحدث بسبب النسيان، إنه فقط تصميم سيئ.

دخل السيارة، وتوجّه بها إلى مكان رش الماء. يتطلع رودي من أجل هذا العمل الروتينـي الصغيـر، ويحـب الطريقة التي ينظف بها الضغـط المرتفع التكتلات الملحية على جوانب سـيارته. ثمّ توقف، لأنه رأى شـخصاً يقف أمام الممر وينظر إليه. كانت فتاة جميلة ترتدي معطفاً أحمر، وتضع وشـاحاً وقبعة من القماش، بالإضافة إلى قناع

أحمر. وتنتعل جزمة حمراء أيضاً، تلقتها هدية عيد الميلاد لأنها أبدت إعجابها بالحذاء لصديقتها العزيزة هولي في عدّة مناسبات. كانت تمسك ملفاً رفيعاً بيدها.

سألته: «هل أنت الأستاذ هاريس؟».

أجابها: «نعم، أنا هو. ثانية واحدة، أيتها الشابة». فتح باب السائق، وترجّل من سيارته السوبارو. واستخدم جهاز التحكم الذي يحتوي على زرين بدلاً من ثلاثة. فضغط الزر الذي يغلق الباب الأيسر، حيث رُكنت الشاحنة. لا يعتقد أنها لاحظت ذلك، لأنها كانت تنظر إليه مباشرة، لكن توخي الحذر أفضل من الندم.

اقترب منها مبتسماً، ومدّ يده. غالباً ما تحيي باربرا الأشخاص المدركين لكوفيد بالمرفق بدل اليد في هذه الأيام، لكن رودي كان يضع قفازاً وهي أيضاً (ليست ضرورية حقّاً في يوم دافئ كهذا، وكذلك الحال بالنسبة إلى الوشاح، لكنها ضرورية من وجهة نظر الموضة)، لذا لا بأس.

سألها: «كيف يمكنني مساعدتك في هذا اليوم اللطيف؟».

ابتسمت باربرا روبنسون، وأجابته: «في الواقع، كنت أرغب بمقابلة زوجتك، أردت أن أسألها عن شيء ما».

نظر إلى الملف الذي تمسك به، وتوقع أنها من ورشة الكاتب. كان باستطاعته إخبارها أنها قد تكون صغيرة جداً لتُشارك في الورشة، كلّ الذين يحضرون في العشرينات والثلاثينات من العمر، وأنه يُرجح إلغاء برنامج ورشة العمل لهذا الخريف. لم يوافق جيم شيبارد، وقد أعرب عدد قليل من الكتاب المحترفين الآخرين عن اهتمامهم. كما رفض هنري ستراتون- المقيم الحالي- العودة، وأخبر رئيسة قسم اللغة الإنكليزية روزالين بوركهارت أن فكرة التعلم عن بُعد في برنامج كتابة مكثف هي فكرة سخيفة. وفقاً لإيميلي، التي حصلت على معلوماتها من روزالين، قال ستراتون إن هذا التعلم عن بعد أشبه بممارسة الحب أثناء ارتداء قفازات الملاكمة.

قال رودي: «أنا متأكد من أنها ستكون سعيدة بالتحدث إليك يا آنسة».

قالت: «اسمي باربرا. باربرا روبنسون».

قال: «أسعدتني مقابلتك يا باربرا. فقط رنّي الجرس. زوجتي مسنّة، لكن سمعها حاد».

ابتسمت باربرا، وقالت: «شكراً لك». توجّهت صوب المنزل، ثمّ عادت، وقالت: «يجب أن تنظّف شاحنتك أيضاً. كان والدي يمتلك واحدة عندما كنت صغيرة، وسقط العادم على الطريق السريع، لأن الملح تسبّب بتآكله».

فكّر رودي، لقد رأتها. عليّ أن أتوخى الحذر.

قال: «شكراً على النصيحة».

هل تتذكر؟ هل رأت شيئاً ما كان يفترض بها أن تراه؟ لا يظنّ رودي ذلك. اعتقد رودي أن الفتاة ذات الرداء الأحمر، المعروفة أيضاً باسم باربرا روبنسون، لا تهتمّ سوى بالكتابة وبالملف الذي تحملها بين يديها. تحلم بأن تكون توني موريسون أو أليس ووكر القادمة. ولكن يجب أن يكون أكثر حذراً في المستقبل. كلّ هذا خطأ الزر الغبي؛ ذاكرتي جيدة.

وجّه الخرطوم صوب جانب السوبارو. بدأ الملح بالذوبان، كاشفاً عن الطلاء الأخضر اللامع تحتها. كان يتطلع إلى هذا، ولكنه لم يعد كذلك. عكّرت مزاجه تلك الفتاة الجميلة ذات الرداء الأحمر.

ألقت باربرا نظرة أخيرة قبل أن تمضي في سبيلها، ورنّت الجرس. فتحت إيم الباب ووقفت هناك، كانت ترتدي فستاناً حريرياً أخضر، فبدت دون السبعين من العمر. صفّفت شعرها صباح ذلك اليوم في صالون التجميل (هير تودای)، والذي كان من المفترض أن يكون مغلقاً بسبب الوباء، لكن هيلين تقوم باستثناءات للزبائن القدماء الذين يتذكّرونها على مدار العام وفي عيد الميلاد.

سألت إيم: «أهلاً. كيف يمكنني مساعدتك؟».

قالت باربرا: «أتساءل إن كنت أستطيع التحدث إليك. الأمر يتعلق... بالكتابة».

نظرت إيم إلى الملف، ثمّ نظرت بطريقة اعتذارية إلى باربرا، وقالت: «إذا كان الأمر يتعلق بورشة عمل الكاتب، فإنهم لا يأخذون أي طلبات جديدة. أخشى أنه لن يكون هناك برنامج ورشة لهذا الخريف/ الشتاء، بسبب الوباء، كما تعلمين».

قالت إيميلي: «كلا، لم أقصد ذلك».

أمعنت إيميلي النظر في زائرتها للحظة: جميلة، قوية، وصحّتها جيدة كما هو واضح. نظرت إلى صدر الفتاة، ولاحظت أن رودي ينظر إليه أيضاً وهو يرش الماء.

وفكّرت، سوف يتجمد هذا الماء إذا انخفضت درجة الحرارة الليلة. ثمّ عاودت النظر إلى الفتاة ذات الرداء الأحمر، وسألتها: «ما اسمك يا عزيزتي؟».

أجابت: «باربرا روبنسون».

قالت: «حسناً يا باربرا، لندخل ونتحدث».

دخلت باربرا المنزل، وأغلقت إيم الباب خلفها، وتابع رودي غسل العربة الخضراء.

24 تموز 2021

1

وصلت هولي إلى ميدوبروك إستيتس قبل خمس وأربعين دقيقة من موعدها المُتفق عليه مع المحامي إيمرسون.. تعوّد الخال هنري أن يقول، دائماً ما تكون هولي مبكرة في كل شيء، حتّى في جنازتها ستأتي مبكرة. بالنسبة إلى جنازتها، من المحتمل أن تأتي في الوقت المحدد – لأن وصولها سيكون خارجاً عن إرادتها – لكنها انضمت إلى جنازة والدتها على زوم قبل خمس عشرة دقيقة، وهذا يثبت وجهة نظر الخال هنري بشكل أو بآخر.

لم تذهب إلى المنزل مباشرة. توقفت عند زاوية شارع هانكوك، وراقبت الشاحنة المركونة في الطريق المؤدي إلى منزل والدتها الراحلة. شاحنة حمراء زاهية اللون، كُتب اسم الشركة على الجانب: خدمة تنظيف ما بعد الموت، باللون الأصفر. بصفتها مالكة لشركة تحقيقات ومحقّقة خاصة، فقد شاهدت هولي مثل هذه الشاحنات مرّة أو مرّتين من قبل.

سيقومون بتنظيف كلّ السطوح بالمكنسة الكهربائية ويمسحونها بمطهّر (مع عدم إهمال مفاتيح الإضاءة وجميع المقابض وحتّى مفصلات الأبواب). في حال الوفيات الناتجة عن العنف، وبعد أن تقوم وحدات الطب الشرعي التابعة للشرطة بعملها، يأتي طاقم شركة تنظيف ما بعد الموت لتنظيف الدم والقيء، وإخراج الأثاث المحطم، وبالطبع يعقمون المكان وينظفونه، وهذه النقطة الأخيرة مهمّة جدّاً في ما يتعلّق بمختبرات الميثامفيتامين. تظنّ هولي أنها تعرف واحداً أو اثنين من هذا الطاقم، لكنها لا تريد رؤيتهما أو التحدث إليهما. أنزلت زجاج نافذتها، وأشعلت سيجارة، وانتظرت.

عند الساعة العاشرة وأربعين دقيقة، خرج موظفان من الطاقم يعلقان حقيبتيهما الضخمة على كتفيهما ويرتديان قفازات، ومئزرين. وضع كل واحد منهما قناع (أن95)

العادي، وليس القناع الواقي من الغازات والذي يكون ضرورياً في بعض الأحيان عند حدوث وفيات ناجمة عن العنف. ماتت سيدة هذا المنزل لأسباب طبيعية -كما يسمونها- وفي المستشفى، نتيجة فيروس كوفيد، وهذا إجراء سهل للغاية على الطاقم. تبادلا إيماءة. ألصق أحدهما مغلفاً أحمر على الباب الأمامي. ثمّ انطلقا في شاحنتهما وابتعدا. أخفضت هولي رأسها عندما عبرا بجانبها.

وضعت عقب سيجارتها في منفضة سجائرها (والتي أفرغتها صباح هذا اليوم، ولكنها أصبحت تحتوي الآن على ثلاثة أعقاب) وتوجّهت إلى 42 ليلي كورت، إلى المنزل الذي اشترته والدتها قبل ستة أعوام. أخذت المغلف الملصق على الباب وفتحته. يحتوي على ورقتين تشرحان تفاصيل الخدمات التي قدّماها (لقد قدما خدمتين فقط؛ من الممكن أن يكون هناك أكثر في حالات الانتحار أو القتل). قرأت السطر الأخير: العناصر التي تمت إزالتها: صفر. صدّقت هولي ذلك، ولا بد أن ديفيد إيمرسون يصدّقهما أيضاً. شركة تنظيف ما بعد الموت موجودة منذ سنوات، إنهم موثوقون، وسمعتهم في هذا المجال -غير اللطيف ولكن الضروري - لا تشوبها شائبة... وإلى جانب ذلك، ما الذي قد يسرقونه من والدتها؟ عشرات التماثيل الصينية، بما في ذلك بيلسبوري دوبوي وبينوكيو الشبق الذي كان يثير رعب هولي في طفولتها؟

فكرت هولي: لقد عاشت مقترة على نفسها، إذا أخذنا بعين الاعتبار أنها كانت مليونيرة. أوقظ هذا مشاعر غير مألوفة بالنسبة إلى هولي. ربّما استياء؟ نعم، لكن في الغالب مشاعر غضب وخيبة أمل.

فكّرت: دخلت ابنة كاذبة إلى حانة وطلبت كوكتيل ماي تاي. بالطبع ماي تاي. في المناسبات النادرة عندما تطلب مشروباً، يكون هذا هو خيارها، لأنه يجعلها تفكر في أشجار النخيل والمياه الفيروزية والشواطئ ذات الرمال البيضاء. تتخيل أحياناً وهي في فراشها ليلاً (ليس غالباً، لكن في بعض الأحيان) حارس إنقاذ أسمر يرتدي سروال سباحة ضيقاً، ينظر إليها من برجه، ويبتسم لها، وتتوالى الأحداث.

تملك هولي مفتاحاً، لكن ليس لديها رغبة في الدخول لرؤية ذلك التمثال الصيني لبينوكيو بقبعته الألبية وابتسامته الصغيرة التي تقول أنا أعرف كلّ شيء عن حارسك الخيالي يا هولي، أعرف أنك تداعبين ظهره بأظافر أصابعك عندما...

تمتمت هولي وهي تجلس على الدرج منتظرة المحامي: «وماذا في ذلك، من يهتم».

سمعت والدتها وهي ترد عليها في ذهنها، كانت حزينة كالمعتاد عندما تفشل ابنتها غير الموهوبة وغير الفاتنة في الوصول إلى شيء ما: أوه، هولي.

حان الوقت لفتح الباب، ليس باب المنزل بل باب عقلها. للتفكير في ما حدث، ولماذا حدث. لكنها تعرف، فهي محقّقة، بعد كلّ شيء.

2

توفيت إليزابيث وارتون، والدة أوليفيا تريلاوني وجانيل «جاني» باترسون. قابلت هولي بيل هودغز في جنازة السيدة العجوز، وقد أتى مع جاني، وكان لطيفاً. لقد عامل هولي كشخص عادي. لم تكن وقتها شخصاً عادياً، وهي الآن ليست شخصاً عادياً، لكنها أقرب إلى العادية مما كانت عليه سابقاً، وهذا بفضل بيل.

ماتت جاني بعد تلك الجنازة. فجّرها برادي هارتسفيلد. وفي الواقع، ساعدت هولي، المرأة الوحيدة البالغة من العمر أربعين عاماً، والتي لا تملك أصدقاء، وتعيش في المنزل مع والدتها – في الإمساك ببرادي... على الرغم من أنه كما اتضح لاحقاً، لم ينتهِ برادي بعد من أي منهم، ليس من بيل، ولا من هولي، ولا من جيروم وباربرا روبنسون.

بيل هو من أقنعها بأنها تستطيع أن تكون على طبيعتها. لم يقلها بصوت عالٍ، لم يضطر إلى ذلك مطلقاً. حدث كلّ شيء بسبب طريقة تعامله معها. لقد كلفها بالمسؤوليات وافترض ببساطة أنها ستقوم بها. لم تحب شارلوت ذلك، لم تحبّه، وبالكاد لاحظت هولي ذلك، كانت تحذيرات والدتها ورفضها له مجرّد ضجيج في الخلفية. شعرت بأنها حية، ذكية، ومفيدة، عندما عملت مع بيل، لوّن حياتها من جديد، تولوا بعد برادي، قضية رجل شرير آخر يجب ملاحقته، يُدعى موريس بيلامي. كان موريس يبحث عن كنز مدفون ومستعد لفعل أي شيء للحصول عليه.

ثمّ...

تمتمت هولي: «مرِضَ بيل»، وأشعلت سيجارة جديدة، ثمّ تمتمت من جديد: «البنكرياس». لا يزال من المؤلم التفكير في ذلك، حتّى بعد مرور خمس سنوات.

تُركت لها وصية أخرى، اكتشفت هولي أن بيل ترك لها الشركة. لأن بيل كان سيخيب أمله بي إذا انهرت، ترك لي الشركة لأتمكن من الاستمرار. حدث ذلك بعد وفاة بيل بفترة وجيزة- لا تستطيع تذكرها بالضبط- اتصلت بها شارلوت وهي تبكي منهارة، وأخبرتها أن دانيال هيلي غادر إلى الكاريبي وسرق الملايين التي تركتها جاني لها ولهنري، وسرق معظم صندوق هولي الائتماني، الذي شاركت فيه بناءً على إلحاح والدتها.

بعدها عقدوا اجتماعاً عائلياً حيث استمرت شارلوت في قول أشياء مثل: لا أستطيع أن أُسامح نفسي، ولن أُسامح نفسي أبداً. وظل هنري يخفف عنها، ويطمئنها بأنه لا يزال لديهما مال يكفيهما لإكمال باقي حياتهما. وقال إن الحال مماثلة بالنسبة إلى هولي، مع أنها قد فكّرت في ترك شقتها والعودة للعيش في ليلي كورت مع والدتها لفترة. بعبارة أخرى، أن تقيم في غرفة الضيوف، حيث استنسخت والدتها غرفة طفولتها بشكل أو بآخر، وكأنها معرض المتحف.

هل قال الخال هنري حقّاً إن (ما يأتي بسهولة، يذهب بسهولة أيضاً) في ذلك الاجتماع؟ لا تتذكر هولي تماماً، لكنها تعتقد أنه قال ذلك. من الممكن أن يقول ذلك، لأن المال في الواقع لم يذهب إلى أي مكان، لم يذهب ماله ولا مال شارلوت ولا حتّى مالها.

ظلّت جالسة على الدرج تدخن سيجارتها، وتتذكر.

قالت شارلوت: بالطبع سيتعيّن عليك إغلاق الشركة. تستطيع هولي أن تتذكر ذلك بوضوح. هذا كان غرضها من كلّ شيء، أليس كذلك؟ أن تضع حدّاً لخطة ابنتها الضعيفة المجنونة بإدارة وكالة تحقيقات خاصة، وهي فكرة الرجل الذي كاد أن يتسبّب بقتلها.

همست هولي: «لتتحكم بحياتي من جديد». داست عقب سيجارتها بقوة لدرجة أن الشرارات تطايرت وأحرقت ظاهر يدها.

3

فكرت في إشعال سيجارة أخرى، عندما أتت إلين من المنزل المجاور، ودانييل من الجهة المقابلة من الشارع، لتخبراها بمدى أسفهما على خسارة والدتها. لقد شاركتا

في الجنازة، ولم تكن أي منهما تضع قناعاً، وتبادلتا النظرات.

سألتها إلين عن احتمال عرضها المنزل للبيع. فأجابتها هولي أنها ستعرضه على الأرجح. وسألتها دانييل هل تفكر في عرض الفناء للبيع. فقالت هولي على الأرجح لا، وبدأت تشعر ببداية صداع.

في هذه الأثناء، ركن إيمرسون سيارته الشيفروليه، وخلفه سيارة هوندا سيفيك، بداخلها امرأتان. أتى إيمرسون هو الآخر قبل موعده بخمس دقائق أو نحو ذلك. وتوجهت دانييل مع إلين إلى منزل دانييل، وهما تتجاذبان أطراف الحديث بعيداً بالإضافة إلى أي فيروس مخيف قد يكون استعمر الآن جهازيهما التنفسي.

ترجلت المرأتان من سيارة الهوندا، بدتا بعمر هولي تقريباً، أما إيمرسون فبدا أكبر قليلاً، هناك شيب خفيف على جانبي شعره المسرّح إلى الخلف. إنه طويل وضخم، وهناك هالتان سوداوان تحت عينيه، فكّرت هولي، لا بدّ أن يكون سببهما الأرق أو نقص الحديد. إنه يحمل حقيبة محامين. شعرت هولي بالسعادة عندما رأت أن الثلاثة يضعون أقنعة (أن95)، وبدلاً من أن يمدّ يده، دفع لها بمرفقه. ورفعت كلّ من المرأتين يداً لتحيتها.

قال إيمرسون: «سعيد بلقائك وجهاً لوجه يا هولي، هل يمكنني مناداتك بهولي؟».

أجابت هولي: «بالطبع».

قال: «أنا ديفيد. هذه رودا لاندري، والسيدة الجميلة التي تقف إلى جانبها هي أندريا ستارك. إنهما تعملان معي. رودا هي كاتبة العدل التي أتعامل معها. هل دخلت إلى المنزل؟».

أجابته هولي: «كلا. كنت أنتظرك». لم ترد مواجهة بينوكيو وبيلسبوري دوبوي. إنها نكتة، لكنها واقع أيضاً مثل العديد من النكات.

قال: «هذا لطف كبير منك. هل ترغبين في الدخول الآن إذاً؟».

استخدمت مفتاحها، وهو المفتاح الذي قدّمته لها والدتها باحتفال كبير، وألحّت عليها ألا يضيع منها، وألا تفقده مثل كتاب المكتبة الذي نسيته في الحافلة. لقد استرد ذلك الكتاب في اليوم التالي بعد أن عُثر عليه في الحافلة، لكن شارلوت ظلت تذكّرها به بعد ثلاث سنوات. واستمرت في ذلك إلى أن أصبحت هولي في سنّ السادسة

عشرة، والثامنة عشرة، والواحد والعشرين. كانت تقول لها: هل تتذكرين كيف فقدت كتاب المكتبة في الحافلة؟ ثمّ تضحك ضحكتها الحزينة، وترافقها بقول: أوه، هولي.

فاحت رائحة الأوراق المجففة المعطرة بمجرد فتح الباب. تردّدت هولي للحظة – لا شيء يعيد الذكريات، سواء كانت جيدة أو سيئة، بقدر بعض الروائح – لكنها دخلت بعد تردد.

قالت رودا لاندري: «يا له من مكان صغير لطيف. أنا أحب كيب كود».

أضافت أندريا ستارك: «مريح ودافئ». لا تعرف هولي سبب وجود أندريا هنا.

قال إيمرسون: «لديّ بعض الأشياء لتراجعيها وبعض الأوراق لتوقعيها. الأهم هو الإقرار بأنك أُبلغتِ بالوصية. سنقدّم نسخة منها إلى مصلحة الضرائب ونسخة أخرى إلى محكمة الوصايا والإرث. هل يناسبك أن نعمل في المطبخ؟ تعوّدت وشارلوت إنجاز معظم أعمالنا هناك».

ذهبوا إلى المطبخ، وبدأ إيمرسون بإخراج الأوراق من حقيبته، وأخذت المرأتان تنظران حولهما. نظرت هولي حولها أيضاً، سمعت صوت والدتها في كلّ مكان تقع عليه عيناها. كلّ جمل والدتها تبدأ بـ: كم مرّة أخبرتك...

غسالة الأطباق: كم مرّة أخبرتك بألا تضعي كوب العصير في غسالة الأطباق أبداً قبل أن تغسليه؟

الثلاجة: كم مرّة أخبرتك بأن تغلقي الباب بإحكام؟

الخزائن: كم مرّة أخبرتك بألا تضعي أكثر من ثلاثة أطباق معاً إذا كنت لا تريدين كسرها؟

الموقد: كم مرّة طلبت منك التحقق من إطفاء كلّ شيء قبل مغادرة المطبخ؟

جلسوا إلى الطاولة، وأعطى إيمرسون الأوراق لهولي كي توقعها واحدة تلو الأخرى. وقّعت على إقرار بأنها أُبلغت بالوصية، وعلى إقرار بأنها حصلت على نسخة من وصية وشهادة شارلوت آن غيبني الأخيرة (التي قدّمها إيمرسون الآن)، وإقرار بأنها أُبلغت بالأصول الاستثمارية المتنوعة لوالدتها، والتي تشمل محفظة أسهم قيمة للغاية، والتي تتكون من أفضل الأسهم بما فيها أسهم تسلا وأبل، ثمّ وقعت على اتفاقية تكليف تسمح لديفيد إيمرسون بتمثيلها في محكمة إثبات صحة الوصايا. وثّقت رودا

لاندري كلّ مستند باستخدام ختمها الكبير القديم، وشهدت أندريا ستارك على ذلك (وهذا سبب قدومها).

بعد أن انتهت هولي من التوقيع، قدّمت المرأتان تعازيهما لهولي وخرجتا. قال إيمرسون لهولي إنه سيكون سعيداً بدعوتها لتناول الغداء، وأخبرته هولي بدورها أنها ستكون مسرورة بتلبية دعوته في وقت لاحق. هي لا تريد أن تأكل مع إيمرسون، كلّ ما تريده هو أن يدير ظهره ويخرج من الباب. ازداد صداعها سوءاً، ورغبت في إشعال سيجارة. في الواقع، كانت تتوق لتدخين سيجارة.

سألها: «الآن بعد أن أخذت بعض الوقت للتفكير في الأمر، هل ما زلت ترغبين في بيع المنزل؟».

أجابته: «نعم».

سألها: «مع الأثاث أم من دونه؟ هل فكّرت في ذلك؟».

أجابته: «مع الأثاث».

قال، وهو يخرج من حقيبته كدسة لصاقات حمراء طُبع عليها كلمة (إبقاء): «إذا وجدت أشياءً تريدين الاحتفاظ بها، فيمكنك وضع هذه اللصاقة عليها».

قالت: «حسناً».

قال: «على سبيل المثال، التماثيل الخزفية التي تضعها أمك في القاعة الأمامية، قد ترغبين في إبقائها كتذكارات...». رأى تعابير وجه هولي، وتابع: «وربّما لا، ولكن قد يكون هناك أشياء أخرى. هذا احتمال وارد، استناداً إلى خبرتي السابقة في مثل هذه الحالات، غالباً ما يبيع الورثة أشياءً يندمون لاحقاً على بيعها».

فكّرت هولي: أنت تقول ذلك، لأنك ممن يميلون لإبقاء الأشياء، على عكسنا نحن الذين نميل إلى التخلي عنها. نحن صنفان لا يمكن أن يفهم أحدهما الآخر. مثل رافضي اللقاح والمؤيدين له، والموالين لترامب والمناهضين له.

قالت: «أفهمك».

ابتسم، ربمّا اعتقد أنه أقنعها، وقال: «هناك شيء أخير».

أخرج ملفاً رفيعاً من حقيبته. يحتوي على صور. عرضها أمامها كشرطي. نظرت إليها بذهول، فرأت مجوهرات ملقاة على قماش داكن. أقراط، خواتم، قلائد، أساور،

دبابيس، وسلسلة مزدوجة من اللؤلؤ.

قال إيمرسون: «أصرت والدتك عليّ كي آخذها وأحتفظ بها لأجلك، قبل أن تذهب إلى المستشفى. كان طلباً غير عادي بعض الشيء، لكن هذه كانت رغبتها. إنها لك الآن، أو ستصبح لك بمجرد أن يتم التحقق من وصية شارلوت». سلّمها ورقة، وتابع: «هذه قائمة الجرد».

نظرت إليها، رأت تواقيع شارلوت، إيمرسون، وأندريا ستارك التي يبدو أن وظيفتها هي شاهدة محترفة. نظرت هولي إلى الصور، ونقرت على اثنتين منها، وقالت: «هذا خاتم زواج والدتي، وهذا خاتم خطوبتها، والذي نادراً ما كانت تبرزه، لكنني لا أتعرف إلى أي من الأشياء الأخرى».

قال إيمرسون: «يبدو أنها كانت تحبّ اقتناء المجوهرات». بدا غير مرتاح بعض الشيء، لكن كما يُقال، الموت يكشف الأسرار. حدّقت إليه هولي، وقالت: «لكن... هل هي متاحة، أم مصمّمة خصيصاً لها؟». كانت تأمل أن تكون مستعدة لهذا الاجتماع، وأن تكون قادرة على القيام بجولة في منزل والدتها المتوفية وفي غرفة الضيوف في معرض المتحف، لكنها لم تكن مستعدة لما تراه الآن.

قال إيمرسون: «إنها مصممة خصيصاً، سيتعين عليك تثمينها لتحديد قيمتها».

لم ترد هولي. ما تفكر فيه هو أن هذا الوضع تجاوز الخداع، ربّما من الصعب الصفح عنه.

قال: «سأستمر في حفظ هذه القطع في خزنة الشركة إلى أن يتم البت بصحة الوصية، لكن يجب عليك الاحتفاظ بهذه. لديّ نسخة منها». قصد ورقة الجرد. سُجّل عليها ما لا يقل عن ثلاثين بنداً، وإذا كانت هذه مجوهرات حقيقية، فلا بدّ أن تكون قيمتها الإجمالية... يا الله، مئة ألف دولار؟ مئتي ألف؟ خمسمئة ألف؟

اتبعت هولي نصيحة بيل هودغز، درّبت عقلها على اتباع الحقائق وعدم التردد عندما تؤدي هذه الحقائق إلى استنتاجات معينة. إليكم حقيقة واحدة: يبدو أن شارلوت كانت تمتلك مجوهرات تساوي ثروة كبيرة، وإليكم شيء آخر: لم يسبق لهولي أن رأت والدتها تتزين بأي من هذه المجوهرات؛ فهي أصلاً لا تعرف بوجودها. الخلاصة: في مرحلة ما بعد وراثة والدتها، وربما بعد ادعائها سرقة الأموال، أصبحت شارلوت تدّخر

الأشياء سرياً، مثل عفريت قصّة خيالية ملتزم بكهفه.

رافقته هولي إلى الباب. نظر إلى التماثيل الصينية وابتسم. قال: «زوجتي تحب هذه الأشياء، أظنّ أنها تملك نسخة من كل تمثال لجنية تجلس على فطر».

قالت هولي: «خذ القليل منها». وكان المعنى المضمر لعبارتها خذها كلها.

بدا إيمرسون منزعجاً، وقال: «أوه، لا أستطع. لا. شكراً لك، لكن لا».

قالت: «على الأقل خذ هذا». التقطت بينوكيو البغيض وصفعته مبتسمة، وأضافت: «أنا متأكدة من أنك تتقاضى مبلغاً مقبولاً لقاء خدماتك...»

قال: «بالطبع...»

قالت: «لكن خذ هذا مني. لقد كنت لطيفاً جدّاً معي».

قال: «إذا كنتِ مصرّة...»

قالت: «بالطبع». إن رؤية ذلك اللعين الصغير ذو الأنف الطويل يبتعد عنها، سيكون أفضل شيء حدث لها منذ وصولها إلى ليلي كورت 42.

أغلقت الباب، وراقبت من خلال النافذة إيمرسون يتّجه إلى سيارته. فكّرت: أكاذيب، الكثير من الأكاذيب.

عادت هولي إلى المطبخ، وجمعت نسخها من الأوراق القانونية التي أعطاها إياها إيمرسون. شعرت وكأنها في حلم – مليونيرة جديدة تدخل الحانة، وهكذا دواليك – ذهبت إلى يسار المغسلة، فتحت الدرج الثاني، لا يزال يحتوي على أكياس، رقائق الألمنيوم، بلاستيك للتغليف، أربطة الخبز (التي لم تتخلص والدتها منها)، وغيرها من الخردة المتنوعة. أخذت منه مشبكاً كبيراً وثبتت به الأوراق. ثمّ أخذت فنجان الشاي الذي كُتب عليه (منزلك هو حيث يكون قلبك). ما كانت والدتها تسمح لها التدخين في المنزل، فاعتادت هولي أن تدخن في الحمام بعد أن تفتح النافذة. أشعلت سيجارة الآن وشعرت بالذنب والمتعة في الوقت نفسه.

تذكّرت عندما جلست إلى طاولة ذات مرّة، في منزل والديها في شارع بوند في سينسيناتي، تملأ طلبات الانتساب إلى الجامعات: طلب انتساب لجامعة كاليفورنيا، طلب انتساب لجامعة نيويورك، وطلب انتساب لجامعة ديوك. كانت تلك هي الجامعات التي تحلم بها، تستحق كلّ قرش من رسوم طلبات الانتساب. كلّها أماكن بعيدة عن

وولنت هيلز هاي، حيث لن تكون معروفة باسم جيبا–جيبا، وستكون بعيدة عن والدتها ووالدها وحتى خالها هنري.

بالطبع، لم تُقبل في أي من الجامعات التي قدمت طلبات الانتساب إليها، لأن درجاتها في الاختبار كانت متدنية للغاية، وكان اختبار التقييم المدرسي الخاص بها سيئاً للغاية هو الآخر، ربّما لأنها عانت من صداع نصفي إضافة إلى تقلصات الدورة الشهرية يوم الاختبار، وربّما عانت منهما بسبب الإجهاد. لم تُقبل سوى في الجامعة الحكومية، وهذا لم يكن مفاجئاً. ولم يكن هناك عرض للمساعدة في المنح الدراسية.

وقتها قالت شارلوت: لن أستطيع أنا ولا والدك تحمّل كلفة إرسالك، ولن تستطيعي الانتهاء من تسديد أقساط القرض قبل أن تبلغي الأربعين. ربما كان هذا صحيحاً في ذلك الوقت. وإذا رسبتِ ستبقين مدينة بالمال. المعنى الضمني هو أن هولي ستفشل بالطبع. ستشكل الكلية ضغطاً كبيراً جداً على مثل هذه الشابة الضعيفة. ألم تجد شارلوت هولي ذات مرّة جالسة في حوض الاستحمام وترفض الذهاب إلى المدرسة؟ وانظر إلى ما حدث بعد أن أخذت اختبار التقييم المدرسي، عادت إلى المنزل باكية، وأمضت نصف الليل وهي تتقيأ.

انتهى الأمر بهولي تعمل في شركة ميتشل للمنازل الجميلة والعقارات، وأخذت دروساً في الرابطة المحلية مساءً. كانت في معظمها عبارة عن دورات في الحاسوب، على الرغم من أنها تسللت إلى فصل أو فصلين في اللغة الإنكليزية. سار كل شيء على ما يرام – لم تكن سعيدة في معظم الأحيان، لكنها تقبّلت ذلك، مثل وحمة أو قدم ملفوفة – إلى أن بدأ فرانك ميتشل... نجل رئيستها، بمضايقتها.

تردّد صدى هولي في المطبخ الفارغ: «أزعجني، طاردني، من أجل الجنس».

عندما أخبرت والدتها بالقليل مما كان يحدث في المكتب، نصحتها شارلوت بالاستمتاع. قالت إن الرجال كلّهم هكذا، يعيشون حياتهم لإرضاء قضبانهم. لم ولن يتغيروا أبداً. لن يكون التعامل معهم ممتعاً، ولكنه جزء من الحياة، عليك قبول المر مع الحلو، وما لا تستطيعين علاجه عليك تحمّله، وهكذا دواليك.

عندها قالت هولي إن والدها لم يكن مثلهم، فلوحت والدتها بإحدى يديها في إيماءة كان القصد منها: بالطبع إنه ليس كذلك ولن يجرؤ على ذلك، وأود أن أراه

يجرّب فعل شيء كهذا أمامي. إنها أمور كثيرة لتتمكن تلويحة يد بسيطة بالتعبير عنها، لكن شارلوت تمكنت من ذلك.

ما لم تخبرها هولي به هو أنها كادت تستسلم، كادت أن تعطي ابن مديرها ذي العينين الجاحظتين، ما أراده. قال ميتشل جونيور: لا أحد يحبك هنا، أنت منعزلة، وعملك دائماً دون المستوى. ستُطردين ما لم أقف إلى جانبك. حسناً، ماذا عن ردّ القليل من المعروف؟ أعتقد أن الأمر سيعجبك بمجرد أن تجربيه.

توجّها إلى مكتبه، وبدأ جونيور في فك أزرار بلوزتها. الزر الأول... الثاني... الثالث... ثمّ صفعته، صفعة قوية حقيقية، عبّرت من خلالها عن كل سخطها، فسقطت نظارته، ونزفت شفته. وصفها بالوضيعة عديمة الجدوى، وقال إنه يستطيع سجنها بتهمة الاعتداء. استجمعت الشجاعة التي لم تكن تعرف أنها تمتلكها، وتحدثت بصوت قوي بارد لا يشبه صوتها المعتاد (الذي كان هادئاً لدرجة أن الناس غالباً ما كان يطالبونها بتكرار ما قالته)، أخبرته أنه إذا حاول ذلك، فستخبر الشرطة بأنه حاول اغتصابها. أوحت لها تعابير وجهه بأن الشرطة قد تصدق حقّاً جانبها من القصة، لأنه سبق له أن تورّط في مشكلة مشابهة. هكذا انتهت قصتهما. بالنسبة إليه على الأقل، لكن ليس بالنسبة إليها، فقد أتت بعد أسبوع إلى الشركة باكراً، دمّرت مكتبه، ثمّ انكمشت على نفسها، واضعة رأسها على مكتبها. كانت تريد أن تزحف تحت المكتب، لكن المكان لم يكن يتسع لها.

بعد ذلك بشهر ذهبت إلى مركز العلاج (استطاع والداها تحمّل تكاليف ذلك)، ثمّ أمضت ثلاث سنوات تتلقى الاستشارة النفسية. انتهت الاستشارة عندما توفي والدها، لكنها استمرت في تناول العديد من الأدوية التي كانت تنفعها، ولكنها في غضون ذلك لم تجد شيئاً ممتعاً في هذا العالم.

ما لا تستطيعين علاجه عليك تحمّله، هذا هو التفسير الإنجيلي وفقاً لشارلوت غيبني.

4

وضعت هولي سيجارتها تحت الصنبور، غسلت فنجان الشاي، ووضعته في المجفف، ثمّ صعدت إلى الطابق العلوي. الباب الأول جهة اليمين هو باب غرفة

الضيوف، والتي كانت مماثلة تماماً لغرفتها التي عاشت فيها عندما كانت مراهقة في سينسيناتي، باستثناء ورق الجدران. ربّما اعتقدت شارلوت أن ابنتها غير المستقرة ذهنياً وعاطفياً ستدرك أنه لا يُفترض بها أن تعيش بين أشخاص لا يفهمون مشاكلها. دخلت هولي غرفة الضيوف، وفكّرت مرّة أخرى في معرض المتحف، يجب أن تكون هناك لافتة تقول موطن الفتاة الحزينة.

لا شك في أن والدتها أحبتها، لكن الحب لا يعني دائماً الدعم. في بعض الأحيان يتسبب الحب باستبعاد الدعم.

هناك ملصق لمادونا فوق سرير غرفة الضيوف، وملصق لبرنس على أحد الجدران، ولرالف ماتشيو على الجدار المقابل. إذا نظرّت هولي إلى الرفوف الموجودة أسفل نظام الصوت الصغير، ستجد أشرطة تسجيل قديمة لبروس سبرينغستين، فان هالين، وام، تينا تيرنر، وذا بيربل ون بالطبع. ومفرش السرير الطرطان الذي تكرهه. ذات مرّة كان هناك فتاة تعيش بين هذه الأشياء، تنظر من النافذة إلى شارع بوند، وتُشغل موسيقاها، وتكتب قصائدها على آلة كاتبة زرقاء متنقلة، أُستبدلت بعد فترة بحاسوب مكتبي صغير الشاشة.

نظرت هولي إلى الأسفل، ولاحظت أنها تمسك تلك اللصاقات الحمراء التي كُتب عليها (إبقاء). لا تتذكر متى أمسكت بها.

قالت: «أنا سعيدة بوجودي هنا، كم هو رائع أن يكون المرء في منزله».

اقتربت من سلة المهملات التي طُبع عليها شعار حرب النجوم، ورمت اللصاقات فيها. ثمّ جلست على السرير واضعة يديها بين فخذيها. إن هذه الغرفة تحفل بالذكريات. السؤال بسيط: هل أواجهها أم أتناساها؟

بالطبع ستواجهها ليس لأنها شخص مختلف الآن، شخص أفضل، شخص شجاع واجه رعباً لا يصدقه معظم الناس. بل لأن لا خيار لديها.

5

بعد انهيارها، وبعد ما يُسمى بـ «مركز العلاج»، ردّت هولي على إعلان ناشر صغير أراد أن يستعين بخدمات مفهرس لسلسلة من ثلاثة كتب كبيرة الحجم عن التاريخ

المحلي كتبها أستاذ بجامعة كسفاريوس. في بداية المقابلة، بدت خائفة ومتوترة، لكن عندما اتضح لها أن المحرر جيم هاغرتي لا يعرف شيئاً في ما يتعلق بالفهرسة، ارتاحت هولي، وشرحت له الطريقة التي ستؤدي فيها عملها، فقد اعتادت أن تتلعثم كثيراً في المدرسة الثانوية. قالت إنها ستنشئ أولاً فهرساً أبجدياً، ثمّ تنشئ ملفاً على الحاسوب، ثمّ تصنفه وترتبه أبجدياً. بعد ذلك سترسل ما أنجزته إلى المؤلف، الذي سيراقبه ويحرره ويعيده إليها لإجراء التعديلات نهائية.

قال هاغرتي: «أخشى ألا يكون لدينا حاسوب، نملك عدداً قليلاً من آلات الكتابة الكهربائية من شركة آي بي أم. أظن أنه يفترض بنا شراء حاسوب في المستقبل».

قالت هولي: «لديّ حاسوب». تقدمت إلى الأمام، متحمسة جدّاً لدرجة أنها نسيت أن هذه مقابلة عمل، نسيت فرانك جونيور، ونسيت اللقب الذي رافقها طيلة أربع سنوات في المدرسة الثانوية جيبا.

قال هاغرتي بارتباك: «وهل ستستخدمينه للفهرسة؟».

قالت: «نعم، لنأخذ كلمة أري كمثال. إنها فئة، ولكن يمكن أن تشير إلى بحيرة أو مقاطعة أو حتّى قبيلة (القبيلة الهندية الأمريكية). والتي يجب أن تتم الإشارة إليها بإيراكوي. أضف إلى ذلك أنه يجدر بي العودة إلى المادة مجدّداً لأتعرف إلى ذلك، لكنك تفهم طريقة العمل، أليس كذلك؟ أو انتظر، خذ بلايموث كمثال آخر، هذا أمر مثير للاهتمام حقاً...».

أوقفها هاغرتي عند هذا الحدّ، وأخبرها أنها حصلت على الوظيفة. فكّرت هولي وهي تجلس على سريرها، لا بدّ أنه كان قادراً على تمييز الشخص المهووس بالفهرسة بمجرّد النظر إليه.

أكسبتها تلك الوظيفة المال أثناء التعلم، ثمّ تبعها العديد من وظائف الفهرسة المشابهة. غادرت منزل والديها في شارع بوند، واشترت سيارتها الأولى، وحدّثت حاسوبها، وأخذت المزيد من الدروس، وتابعت علاجها أيضاً. كانت تشعر بالحيوية والوعي أثناء عملها. لكن عندما تتوقف عن العمل، يعاودها ذلك الشعور، الشعور بالعيش في حياة عديمة الألوان. خرجت في مواعيد قليلة، لكنها كانت محرجة ومربكة. وغالباً ما جعلتها القبلة الإجبارية قبل النوم تفكر في فرانك جونيور.

عندما نفد عمل الفهرسة (أفلس ناشر كتب التاريخ)، عملت هولي في المستشفيات المحلية ناسخة طبية[1]، بالإضافة إلى تقديم المطالبات إلى محكمة مقاطعة سينسيناتي. كانت مجبرة على زيارة منزل والديها، وازدادت هذه الزيارات بعد وفاة والدها. استمعت هولي إلى والدتها وهي تشتكي من وضعها المالي إلى جيرانها الديمقراطيين الذين كانوا يفسدون كل شيء. في بعض الأحيان كانت تخطر على بالها في هذه الزيارات، جملة من أحد أفلام العراب: فقط عندما أعتقد أنني خرجت، يعيدونني مرة أخرى.

في عيد الميلاد كانت تجلس هولي على الأريكة مع والدتها وخالها هنري، معتمرة قبعة بابا نويل، ويشاهدون فيلم (إنها حياة رائعة).

6

حان وقت الرحيل.

نهضت هولي، وكانت على وشك مغادرة الغرفة، عندما سمعت صوت والدتها الصارم: أعيديه كما كان؛ كم مرة قلت لك ذلك؟ عادت لترتيب مفرش السرير. استجابة لطلب من؟ استجابة لطلب امرأة متوفية. راودتها رغبة في الضحك والبكاء معاً، لذا قررت أن تضحك.

ما زلت أتحمّلها. هل سأتحمّلها إلى الأبد؟

الجواب هو نعم. حتّى يومنا هذا، لن تلعق هولي الكريمة عن الخفاقة؛ ستصابين بتصلب الفك بهذه الطريقة، وستغسل يديها بعد لمس النقود؛ ليس هناك شيء ينقل الجراثيم أكثر من الدولارات، ولن تأكل برتقالة في الليل، ولن تجلس أبداً على مقعد مرحاض عام ما لم يكن ذلك ضرورياً، وستظل تشعر بالرعب أثناءها.

لا تتحدثي إلى رجال غرباء، اتبعت هولي هذه النصيحة إلى أن قابلت بيل هودغز وجيروم روبنسون، وعندها تغير كل شيء.

بدأت في صعود الدرج، ثمّ فكرت في النصيحة التي أعطتها لجيروم بشأن فيرا

---

(1) النسخ الطبي، المعروف أيضًا باختصار MT، هو مهنة صحية تتعامل مع عملية نسخ التقارير الطبية المسجلة بالصوت والتي يمليها الأطباء والممرضات وممارسو الرعاية الصحية الآخرون. يمكن أن تكون التقارير الطبية ملفات صوتية أو ملاحظات يتم تدوينها أثناء محاضرة أو مواد منطوقة أخرى. المترجم

ستينمان، ثمّ اتجهت إلى غرفة والدتها. لا تريد الاحتفاظ بأي شيء من هنا، لا الصور المؤطرة المعلقة على الحائط، ولا العطور في الخزانة، ولا أي من الملابس أو الأحذية، ولكن هناك أشياء في الدرج العلوي بجوار سرير شارلوت، عليها التخلص منها بالتأكيد.

نظرت إلى الجدار حيث بدت الصور المؤطرة وكأنها تعود لمعرض نوعاً ما. لا يوجد صور لشارلوت وهي متقدمة بالعمر، وهناك صورة واحدة لخالها. باقي الصور كانت للأم وابنتها. صورتان لفتتا انتباه هولي على وجه الخصوص. في الصورة الأولى كانت تبلغ من العمر أربع سنوات تقريباً، وترتدي كنزة. وفي الصورة الثانية كانت في التاسعة أو العاشرة من عمرها، وترتدي تنورة كانت رائجة في ذلك الوقت: لها مشبك ذهبي. لم تعرف هولي سبب كرهها لذاك المفرش في غرفة نومها، لكن الآن، بالنظر إلى هذه الصور، فهمت. كلّ من المفرش والتنورة من قماش الطرطان، وكان لديها بلوزات من الطرطان، و(ربّما) سترة. لقد أحبت شارلوت الطرطان ببساطة، وكأن هولي تصرخ عندما ترتديه: «الشابة الإسكتلندية».

في كلتا الصورتين تقريباً، كانت ذراع شارلوت تحيط بكتفي هولي. يمكن اعتبار هذا العناق الجانبي، دليل حماية أو محبة، ولكن بالنظر إليها مراراً وتكراراً في الصور بينما كانت ابنة شارلوت تتقدم بالعمر من الثانية إلى السادسة عشرة، اكتشفت هولي أن هذا العناق يدل على شيء آخر أيضاً: المُلكية.

اتجهت هولي نحو الدرج العلوي، وفتحته. أرادت التخلص من المهدئات ومسكنات الألم. لا تريد التخلص منها عبر رميها المرحاض، لكن هناك فرع لووالغرين[1] على طريق عودتها، وهي متأكدة من أنهم سيكونون سعداء بالتخلص منها من أجلها.

كانت ترتدي بنطالاً فضفاضاً واسع الجيوب، إنه مناسب للوضع الحالي؛ لن تضطر إلى العودة إلى الطابق السفلي لجلب كيس كبير من درج الخردة. بدأت بحشو زجاجات الدواء في جيوبها من دون النظر إلى الملصقات، ثمّ تجمّدت عندما رأت دفاتر ملاحظاتها التي تتذكرها جيداً. هناك وحيد القرن على غلاف الدفتر العلوي.

(1) Walgreens هي شركة أميركية تدير ثاني أكبر سلسلة متاجر صيدليات في الولايات المتحدة، بعد CVS Health. المترجم

أخرجت هولي الدفاتر، التقطت إحداها بشكل عشوائي. كان دفتر قصائدها.

أشياء رهيبة تصيب القلب..

أنا مستلقية في عرشي المورق لأشاهد الغيوم تمر.. أفكر في حبي البعيد.. لن أراه لعدّة أيام..

أغمض عيني وأتنهد.

مع أنها كانت بمفردها، لكنها شعرت بالحرارة تجتاح خديها. كتبت هذه الأشياء منذ سنوات، إنها لا تنم عن موهبة أدبية لدى كاتبها، لكن والدتها لم تحتفظ بها فحسب، بل أبقتها بالقرب منها، وربّما كانت تقرأ قصائد ابنتها السيئة قبل أن تطفئ نور غرفتها لتنام. لماذا فعلت ذلك؟

قالت هولي: «لأنها أحبتني»، وأجهشت في البكاء، ثمّ قالت: «لأنها افتقدتني».

تمنّت هولي لو كان هذا كلّ شيء. لكن ماذا عن البكاء والنحيب بسبب المحتال دانيال هيلي. تذكرت حين جلست مع والدتها وخالها إلى طاولة المطبخ في هذا المنزل في ليلي كورت، وشرحت شارلوت كيف نُصب عليهما، ولامت نفسها كثيراً. كان هناك مستندات وجداول بيانات. لابد أن شارلوت أخبرت هنري بما سيحتاجون إليه لإقناع هولي بكذبتهما، فزودها بها هنري. لقد جارى شارلوت كعادته.

تظن هولي أنه لو قُدر لبيلي أن يحضر هذا الاجتماع العائلي كانت سيكتشف الخدعة. كان يُفترض بهولي أن تدرك الأمر بنفسها، لكنها كانت جديدة في اللعبة في ذلك الوقت، ومع أن المبلغ الذي كانا يتحدثان عنه كان كبيراً جداً – مبلغ مكوّن من سبع خانات– إلا أنها لم تكن مهتمة به حقاً. كانت منغمسة في شغفها الجديد بالتحقيق، والذي سلبها عقلها، ناهيك عن حزنها على بيل الذي أعماها عن كلّ شيء.

فكّرت: لو أنني حققت مع عائلتي بدلاً من البحث عن الكلاب الضائعة ومطاردة الهاربين من العدالة، كانت الأمور ستختلف.

هكذا دواليك.

لكن ماذا ستفعل بالدفاتر الآن، ذكريات شبابها المحرجة؟ ربما ستحتفظ بها وربما ستحرقها. ستتخذ هذا القرار بعد أن تنتهي من قضية بوني راي دال. لكن الآن...

أعادت الدفاتر إلى الدرج العلوي، وأغلقته بقوة، وفي طريقها للخروج من الغرفة

نظرت إلى الصور على الحائط مرّة أخرى. جميعها صور لها ولوالدتها، لا توجد علامة على غياب الوالد. لكن ماذا عن ذراع والدتها التي تحيط بكتفيها. هل هذا حب، أم حماية؟ ربما كليهما.

7

خطرت لهولي فكرة وهي تنزل الدرج، أسرعت إلى غرفتها، وأزالت مفرش الطرطان عن السرير، وأخذته معها إلى الطابق السفلي.

في غرفة المعيشة هناك موقد مزخرف يحتوي على جذع شجرة لا يحترق أبداً لأنه في الواقع ليس جذعاً حقيقياً. يُفترض بالموقد أن يعمل بالغاز لكنه معطل منذ سنوات. فرشت هولي المفرش على أرضية الموقد، ثمّ ذهبت إلى المطبخ لتجلب كيس بلاستيكي بحجم سلة المهملات. وضعت جميع التماثيل الخزفية في الكيس وأخذته إلى غرفة المعيشة.

المال لم يُسرق قط. أرادت هولي أن تنتقم من والدتها، التي أخذت مالها – حتّى الجزء الذي كان في الصندوق الائتماني. أصبحت على يقين من أن والدتها اشترت المجوهرات من نصيبها من الميراث، لكن هذا لا يغير حقيقة أن دافع والدتها الوحيد لكلّ شيء هو إفشال فايندرز كيبرز إلى الأبد. ثمّ يمكن أن تقول شارلوت أوه هولي، تعالي وعيشي معي. ابقي قليلاً. ابقي إلى الأبد.

هل تركت رسالة؟ تفسيراً؟ مبررات لما فعلته؟ كلا، لو تركت مثل هذه الرسالة مع إيمرسون، كان سيعطيها إياها. كل هذا مؤلم، ولكن الأكثر إيلاماً أن والدتها لم تشعر بأي حاجة للشرح أو التبرير. لأنه لم يكن لديها أدنى شك في أن ما فعلته هو الصواب، مثلما شعرت أن رفض اللقاح ضد كوفيد كان خياراً صائباً.

بدأت هولي في إلقاء التماثيل في الموقد، دفعتها بقوّة داخله، فتحطم أغلبها.

لم تستمتع هولي بهذا كما توقعت، وكان التدخين في المطبخ سيشعرها بالمتعة والرضى أكثر. رمت كلّ التماثيل المتبقية في الكيس على المفرش، والتقطت بعض القطع المتناثرة خارج الموقد ووضعتها على المفرش. ثمّ حملت المفرش لتخرجه إلى سلة القمامة بجانب المنزل.

قالت وهي تنفض يديها: «ابقَ هناك».

عادت إلى المنزل، لكنها لم تنوِ إلقاء نظرة على بقية الغرف. لقد رأت ما تحتاج إلى رؤيته، وفعلت ما يتوجب عليها فعله. لم تتخلص من سيطرة والدتها بعد، لكن التخلص من التماثيل والمفرش كان على الأقل خطوة أولى نحو ذلك. كل ما تريده من ليلي كورت 42، هو الأوراق الموجودة على طاولة المطبخ. أخذتها، وشمت رائحة السجائر في المطبخ. رائحة خفيفة، لكنها موجودة بالتأكيد.

هذا جيد.

هذه الذكريات كافية. هناك قضية يتوجب عليها إيجاد حل لها والعثور على الشابة المفقودة. قالت هولي: «قفزت مليونيرة جديدة إلى سيارتها واتجهت إلى قرية أبسالا». وضحكت.

8 شباط 2020

1

تفحصت إيميلي معطف باربرا، وقبعتها، ووشاحها، وقالت لها: «كم أنتِ جميلة؟ ترتدين كلّ تلك القطع الحمراء وكأنك هدية عيد الميلاد».

فكّرت باربرا، هذا مضحك. من المقبول أن تتلقّى هذه المجاملة من المرأة، لكن ليس من رجل، ليس من زوجها البروفيسور هاريس، على سبيل المثال. نظر إليها نظرة مفادها كم أنت جميلة، لكن لا يمكنك أن تتهم رجلاً بالتحرش الجنسي بسبب نظرة. أياً يكن الأمر، سيكون كلّ الرجال تقريباً متحرشين. ولكن بما أنه عجوز فلا ضير في ذلك.

قالت باربرا: «أشكرك على استقبالك لي يا أستاذة. سآخذ دقيقة واحدة فقط من وقتك. أودّ أن أطلب منك خدمة».

قالت: «حسناً، لنرى إن كنت أستطيع تلبيتها. ما لم يكن الأمر متعلقاً ببرنامج الكتابة. رافقيني إلى المطبخ سيدة روبنسون. كنت أعد الشاي للتو. هل ترغبين في كوب؟ لديّ خلطة خاصة».

باربرا مدمنة قهوة، تحتسي الكثير منها عندما تعمل على ما يسميه شقيقها جيروم مشروعها السري للغاية، لكنها لا تريد أن ترفض طلب المرأة المسنة (حادة البصر)، لذا وافقت.

مرّا عبر غرفة معيشة مجهزة تجهيزاً جيداً قبل أن تصلا إلى مطبخ مجهز بشكل مماثل أيضاً. الموقد هو من طراز وولف، تمنت باربرا أن تحظى بموقد مماثل في منزلهم، حيث ستقضي فترة هناك، قبل التوجه إلى الجامعة، فقد قُبل طلب انتسابها إلى جامعة برينستون. بدأ إبريق الشاي يغلي على الموقد الأمامي.

أزالت باربرا وشاحها، وفكّت أزرار معطفها (الطقس دافئ اليوم، لكن المعطف يمنحها مظهراً مثالياً لشابة جميلة) وضعت إيميلي بعض الشاي من علبة خزفية. راقبتها

باربرا مندهشة وهي التي لم تشرب في حياتها سوى الشاي الموضوع في مغلفات.

صبّت إيميلي الشاي، وقالت: «سننتظر قليلاً قبل أن نشربه. فقط لدقيقة أو نحو ذلك؛ إنه قوي». انحنت إلى الأمام على المنضدة، وشبكت ذراعيها فوق صدرها شبه المُسطح، وقالت: «الآن، كيف يمكنني مساعدتك؟».

قالت: «حسناً... الأمر يتعلق بأوليفيا كينغسبري. أعرف أنها أحياناً تقوم بإرشاد الشعراء الشباب... أو تعودت فعل ذلك على الأقل...».

قالت إيميلي: «ربّما لا تزال، لكنني أشك في ذلك. لقد تقدمت كثيراً في العمر. قد تظنين أنني عجوز – لا تتوتري، لا أحتاج إلى تلميع الحقيقة في سنّي هذا – ولكن بالمقارنة مع ليفي، أُعتبر شابة. أنها في أواخر التسعينيات من عمرها الآن، على ما أظن وهي نحيلة جداً لدرجة أن نسمة هواء قد تقضي عليها».

أضافت إيميلي: «جرّبي هذا. ولكن بالله عليك، اخلعي معطفك أولاً، واجلسي».

وضعت باربرا ملفها على الطاولة، وتخففت من معطفها، ثمّ وضعته على ظهر الكرسي. ارتشفت الشاي. كان طعمه سيئاً، وجعلها لونه الأحمر تفكر في الدم.

سألت إيم بحماسة: «ما رأيك؟».

أجابتها: «أنه جيد جدّاً».

قالت إيم: «نعم، إنه كذلك». شربت إيميلي الشاي الساخن بسرعة. فكّرت باربرا: لا بدّ أن يكون حلق هذه المرأة مبطن بالجلد. ربّما هذا ما يحدث عندما يتقدم المرء بالسن، ولا بدّ أنها فقدت حاسة التذوق أيضاً.

قالت إيم: «أنت شاعرة متخصصة في الشعر الغنائي والحب».

قالت باربرا: «حسناً، ليس تماماً. أنا لا أكتب شعراً عن الحب، هذه قاعدتي».

ضحكت إيميلي وقالت: «فتاة ذات تعليم كلاسيكي، يا له من أمر غير عادي وجميل ونادر».

قالت باربرا على أمل ألا تضطر إلى شرب هذا الكوب بأكمله، الذي بدا لها أنه لا ينتهي: «ليس تماماً. أنا فقط أحب القراءة. أحب أعمال أوليفيا كينغسبري، فهي من ألهمني كتابة الشعر. نهاية النهاية... متأكّد جدّاً.. شارع الأمراض القلبية... لقد قرأتها جميعاً إلى أن انمحت أحرف الدواوين وتمزّقت أوراقها» هذه ليست مجرد استعارة.

لقد تساقطت أوراق نسختها من ديوان شارع الأمراض القلبية بالفعل، لذا اشترت نسخة جديدة.

قالت إيم: «إنها جيدة. فازت بمجموعة من الجوائز في شبابها، وأُدرج اسمها في القائمة القصيرة لجائزة الكتاب الوطني منذ فترة قريبة. أعتقد في العام 2017». كانت إيم متأكدة من حصول ذلك في العام 2017. في الواقع، كانت سعيدة للغاية عندما فاز فرانك بيدارت بدلاً منها. لم تكن معجبة بشعر أوليفيا. تابعت إيم: «إنها تعيش بالقرب منّا، كما تعلمين، و... آها! اتضحت لي الصورة الآن».

أتى زوجها، وقال: «سأقوم بتلويث عربتنا المغسولة للتو. هل تريدين شيئاً يا حبيبتي؟».

قالت: «اجلب ما شئت يا عزيزي». قبّلها وغادر. صحيح أن باربرا لم تحب الشاي الذي قُدم لها (كرهته في الواقع)، لكنها سعدت برؤية عجوزين لا يزالان متحابين.

قالت باربرا: «لا أتجرأ على التوجه إلى منزلها وطرق بابها ببساطة. بالكاد امتلكت الشجاعة للمجيء إلى هنا. كدت أستدير وأعود».

قالت إيميلي: «أنا سعيدة لأنك لم تفعلي ذلك. لقد قمت بتزيين المكان. اشربي الشاي الخاص بك يا سيدة روبنسون. أو هل يمكنني مناداتك بباربرا؟».

قالت باربرا: «بالطبع يمكنك مناداتي باربرا». وارتشفت رشفة أخرى. رأت أن إيميلي قد أنهت بالفعل نصف كوبها. «أستاذة، كل ما في الأمر هو...».

قالت إيميلي: «إيميلي. أنت باربرا وأنا إيميلي».

شكّت باربرا في قدرتها على مناداة هذه السيدة العجوز حادة البصر باسمها.

ابتسمت الأستاذة هاريس، ولمعت عيناها إذا جاز التعبير، لكن باربرا ليست متأكدة من أن هذا كان إيجابياً، أو من باب التقييم.

قالت باربرا: «قصدت قسم اللغة الإنكليزية في جامعة بيل، وتحدثت إلى الأستاذة بوركهارت؛ رئيسة القسم».

قالت إيميلي بهدوء: «نعم، أنا أعرف روز جيداً. أعرفها منذ عشرين سنة تقريباً».

قالت باربرا: «بالتأكيد، نعم، بالطبع. ذهبت إليها، وطلبت منها أن تقدمني لأوليفيا كينغسبري، فقالت إن عليّ التحدث إليك، لأنك صديقة السيدة كينغسبري».

فكّرت إيميلي، قد تعتقد ليفي أننا صديقتين لكنها تُبالغ في الواقع. أومأت برأسها، وقالت: «لقد كان مكتبانا متجاورين طيلة سنوات، وكنّا زميلتين جيدتين. لقد وقّعت على نسخ جميع كتبها، وهي وقّعت على نسخ من كتبي». شربت إيميلي الشاي، ثمّ ضحكت، وقالت: «لأكون واضحة وصريحة وقعت على كتابيّ. لقد كانت غزيرة الإنتاج، مع أنني لا أعتقد أنها نشرت أي شيء مؤخراً. تريدين منّي أن أقدّمك لها، أليس كذلك؟ أو على ما أعتقد أكثر من ذلك. تريدينها أن ترشدك، وهذا مفهوم، أنت من المعجبين بها، لكنني أخشى أن تصابي بخيبة أمل. لا يزال عقل ليفي حاذقاً، لكنها تعرج، وبالكاد تستطيع المشي».

لكن هذا لا يفسر سبب عدم حضور أوليفيا لحفلة عيد الميلاد العام الماضي، كانت تستطيع الحضور من خلال الحاسوب. لكن ليفي (أو المرأة التي تعمل لديها) لم ترفض البيرة والمقبلات التي أوصلها لها متقمص شخصية بابا نويل؛ كانوا سعداء بما يكفي لتناول الطعام والشراب. استاءت إيميلي من ذلك. كما قال رودي «لقد قمت بتمييزها في كتابي. كتبت اسمها بالحبر الأسود بدلاً من الأزرق».

قالت باربرا: «لا أريد الإرشاد». ارتشفت رشفة أخرى من الشاي من دون أن تكشر، ثمّ لمست ملفها، وكأنها تتأكد من أنه لا يزال موجوداً، وتابعت: « كلّ ما أريده، هو أن تقرأ بعض قصائدي. قصيدتين أو ربما قصيدة واحدة. أريد أن أعرف...» شعرت باربرا بالذعر عندما أدركت أن عينيها ترقرقتا بالدموع، وتابعت: «أحتاج أن أعرف إن كنت جيدة في هذا، أم أنني أهدر وقتاً في ما لا فائدة منه».

جلست إيميلي أمامها ولم تؤتِ بحركة، وظلّت تنظر إلى باربرا. لم تستطع باربرا مواصلة النظر إلى عيني المرأة العجوز. بدلاً من ذلك، نظرت إلى كوبها. لا يزال فيه الكثير!

أخيراً، قالت إيميلي: «أعطني واحدة».

قالت باربرا: «واحدة...؟» لم تفهم باربرا حقّاً ما عنته إيم.

قالت إيميلي: «واحدة من قصائدك». بدت إيميلي نافدة الصبر الآن، كحالها عندما كانت تُدرّس وتواجه شخصاً بطيء الاستيعاب. مدت يدها ذات العروق الزرقاء، وقالت: «قصيدة تحبينها، لكن قصيرة. صفحة أو أقل».

ارتبكت باربرا، فتحت ملفها. وأخرجت منه عشرات القصائد، وكلها قصيرة. عندما فكرت في أن السيدة كينغسبري وافقت على إلقاء نظرة على قصائدها، فلا بدّ أنها لن ترغب في النظر إلى راغتايم، والتي تصل إلى ما يقارب ثماني عشرة صفحة.

أرادت باربرا قول شيء عادي، مثل، هل أنت متأكدة؟ لكن نظرة الأستاذة هاريس، وخاصة عينيها اللامعتين، أوحت لها بألا تكون مغفلة، لم يكن طلباً بل أمراً. فتحت باربرا ملفها، واختارت قصيدة «تغيير الوجوه» بعد ارتباك شديد، والتي تتحدث عن تجربة مروعة حدثت معها في العام السابق، ولا تزال تراودها كوابيس عنها حتّى الآن.

قالت إيميلي: «اعذريني قليلاً، أحب أن أقرأ بمفردي، كي أستطيع التركيز. خمس دقائق فقط» غادرت المطبخ، وبيدها قصيدة باربرا، ثمّ أشارت إلى العلبة بجانب كوبي الشاي، وقالت: «هناك بسكويت في العلبة إلى جانبك. تفضلي».

بمجرد أن سمعت باربرا صوت إغلاق باب المطبخ، حملت كوبها وسكبته في المغسلة. ثمّ فتحت علبة البسكويت، وأخذت واحدة. كانت متوترة للغاية لدرجة أنها لم تشعر بالجوع، لكن عليها التصرف بتهذيب. بدا هذا اللقاء برمته غريباً وعشوائياً بالنسبة إليها. حتّى قبل أن تدخل منزلهما، سارع البروفيسور هاريس إلى إغلاق باب المرأب الأيسر، وكأنه لا يريدها أن ترى الشاحنة.

أمّا بالنسبة إلى الأستاذة هاريس.. فلم تتخيل باربرا أنها ستدخل عتبة بابها أبداً، ظنّت أنها ستشرح لها عن عملها، وتطلب منها أن تعرّفها إلى أوليفيا كينغسبري، وتعود أدراجها. ولكنها الآن تجلس بمفردها في مطبخ آل هاريس، تأكل بسكويت لا تريده، وتحتفظ بآخر رشفة من كوب الشاي سيئ المذاق لتشربها أمام الأستاذة أثناء شكرها، تماماً كما علّمتها والدتها.

غابت إيميلي عشر دقائق تقريباً، وعندما عادت لم تنتظر سؤال باربرا، قالت حتّى قبل أن تجلس: «إنها جيدة جداً. تقريباً غير عادية».

لم تعرف باربرا ماذا تقول.

تابعت إيميلي: «لقد لخّصتِ الخوف والاشمئزاز في تسعة عشر سطراً. هل لهذا علاقة بتجربة شخصية بصفتك شابة سوداء؟».

قالت: «أنا... حسناً...» في الواقع، لم يكن للقصيدة علاقة بلون بشرتها. إنها

تتعلق بمخلوق أطلق على نفسه اسم شيت أوندوفسكي، قد يبدو بشراً مثلنا، لكنه ليس كذلك. كان سيقتلها لولا هولي وجيروم.

قالت إيميلي: «أسحب السؤال. القصيدة هي من يجب أن تتحدث عن نفسها، وليس الشاعر، وقصتك تتحدث بوضوح. لقد تفاجأت بك. كنت أتوقع شيئاً أكثر طفولية، بالنظر إلى عمرك».

قالت باربرا: «شكراً لك».

اقتربت إيميلي من باربرا، ووضعت القصيدة فوق الملف. شمّت باربرا رائحتها عن قرب ولم تحبها، كانت تشبه رائحة القرفة. إذا كان عطراً، فربما عليها تبديله بعلامة تجارية أخرى. لكن لا تعتقد باربرا أنها رائحة عطر.

قالت إيميلي: «لا تشكريني، هذا السطر لن ينفع». وأشارت إلى السطر الرابع من القصيدة: «إنها ليست خرقاء فقط، إنها تافهة، وكسولة. لا يمكنك إزالته، فالقصيدة موجزة، لذا يجب أن تستبدلي به شيئاً أفضل. تبين لي من باقي السطور أنك تستطيعين القيام بذلك».

قالت باربرا: «حسناً، سأفكر في شيء ما».

قالت إيميلي: «عليكِ ذلك. بالنسبة إلى هذا السطر الأخير، ما رأيك في تغيير (هذه هي الطريقة التي تطير بها الطيور في السماء عند غروب الشمس) إلى (بهذه الطريقة تطير الطيور في السماء عند غروب الشمس) اختصري بعض الكلمات». التقطت ملعقة من الوعاء، وبدأت التحريك إلى الأعلى والأسفل، وتابعت: «القصائد الطويلة يمكن أن تثير مشاعر عميقة، لكن القصيدة القصيرة يجب تكون قوية ومختصرة! مثل قصائد باوند، ويليامز، والكوت! ألا توافقينني الرأي؟».

قالت باربرا: «أوافقك». كانت ستوافق على أي شيء في هذه اللحظة؛ الموقف غريب للغاية، لكنها في الواقع تتفق معها. أنها لا تعرف والكوت لكنها ستبحث عنه أو عنها لاحقاً.

وضعت إيميلي الملعقة جانباً، جلست على كرسيها، وقالت: «حسناً، سأتحدث إلى ليفي وأخبرها عن موهبتك. قد توافق، لطالما جذبتها المواهب، خاصّة المواهب الشابة. إذا قالت لا، فسيكون ذلك لأنها أصبحت عجوزاً ولم تعد قادرة على تولّي

أي متدربين. هل تعطينني رقم هاتفك وعنوان بريدك الإلكتروني؟ سأرسلهما لها مع نسخة من هذه القصيدة، إذا كنت لا تمانعين. فقط أجري هذا التغيير البسيط. اشطبيه من فضلك، ولا تهتمّي بذاك السطر السيئ في الوقت الحالي. سألتقط صورة للقصيدة بهاتفي. هل توافقين على هذه الخطة؟».

قالت باربرا: «نعم، بالتأكيد».

قالت إيميلي: «إذا لم تتلقّي أي ردّ منها في غضون أسبوع أو أسبوعين، يمكنك التواصل معي. إذا كان الأمر كذلك، فقد اعتبرني... طرفاً مهتماً».

لم تستخدم كلمة مرشد، لكن باربرا متأكدة من أنها كانت تعني ذلك، وكلّ ذلك بناءً على قصيدة واحدة!

قالت باربرا: «هذا رائع! شكراً جزيلاً لك».

قالت إيميلي: «هل ترغبين في أخذ قطعة بسكويت لتأكليها أثناء قيادتك إلى المنزل؟».

قالت باربرا: «أوه، لم آتِ بالسيارة، أنا أمشي كثيراً. المشي تمرين جيد، لا سيما في أيام لطيفة مثل هذه، ويمنحني وقتاً للتفكير. أحياناً أقود السيارة إلى المدرسة، وحصلت على رخصة القيادة في العام الماضي. وأركب دراجتي إذا كنت متأخرة».

قالت إيميلي: «إذا كنت ستمشين، فأنا أصرّ على أن تأخذي قطعتين».

أخذت باربرا قطعتي البسكويت من إيميلي، ثمّ رفعت كوبها وارتشفت الرشفة الأخيرة، وقالت: «شكراً لك يا أستاذة... إيميلي. كان الشاي لذيذاً جداً».

قالت إيميلي بنفس الابتسامة الرقيقة: «أنا سعيدة لأنه أعجبك، شكراً لأنك شاركت عملك معي».

غادرت باربرا بمعطفها الأحمر المفكوك الأزرار، ووشاحها الأحمر المتدلي على كتفيها بدلاً من أن يكون ملفوفاً على رقبتها، ووضعت قناعها في جيبها.

قالت إيميلي في نفسها، إنها جميلة، سوداء يافعة.

مع أن هذه الكلمات قد تتبادر إلى ذهنها بشكل طبيعي، لكن إذا نطقتها بصوت عالٍ في وقتنا المتزمت هذا، فمن المؤكد أنها ستلطخ سمعتها طيلة ما بقي لها من حياة. ومع ذلك فهي تتفهم وتسامح نفسها على تلك الأفكار والألفاظ القاسية التي

كانت تخطر على بالها عند تعاملها مع الراحلة إلين كراسلو. نشأت إيميلي دينغمان هاريس في العصر الذي كان وجود السود في الأفلام والمسلسلات مقتصراً على كونهم خدماً، وحين احتوت بعض الحلوى والأغاني عل كلمة (نيغا)، وحين كانت والدتها تفخر بكونها المالكة الأولى لكتاب أغاثا كريستي الذي كان يحمل عنواناً عنصرياً للغاية لدرجة أنه أعيدت تسميته لاحقاً بعشرة هنود صغار.

هكذا تربيت، لذا لا يمكن لومي.

وهذه الفتاة الصغيرة موهوبة. موهوبة بشكل لا يُصدّق بالنسبة إلى عمرها. ناهيك عن كونها سوداء.

2

عندما عاد رودي من مهمته، قالت إيميلي: «هل تريد أن ترى شيئاً ممتعاً؟».

قال: «أنا أعيش من أجل المتعة يا عزيزتي».

قالت: «أنت تعيش من أجل العلم والتغذية، لكنني أعتقد أن هذا سيعجبك. تعالَ معي».

توجها إلى مكتب إيميلي. حيث قرأت قصيدة باربرا، لكنها لم تكتفِ بذلك، نقرت إيم على ملف الكاميرات وأدخلت كلمة المرور، اختارت الكاميرا المخفية خلف البراد. إنها تظهر المطبخ بأكمله. سرّعت المقطع إلى اللحظة التي غادرت فيها المطبخ حاملةً قصيدة باربرا في يدها. ثمّ نقرت على زر التشغيل.

قالت: «انتبه، انتظرتني حتّى أغلقت الباب».

نهضت باربرا، وألقت نظرة سريعة حولها للتأكد من أنها بمفردها، ثمّ سكبت الشاي في المغسلة، وأخذت قطعة بسكويت من العلبة قبل أن تجلس على كرسيها.

ضحك رودي، وقال: «هذا ممتع».

قالت: «لكنه ليس مفاجئاً. لقد ملأت الشاي في كوبي من أعلى العلبة، أقصد من الشاي الطازج. لكنني سكبت لها من أسفل العلبة، من الشاي القديم الذي يعود إلى سبع سنوات؟ وربّما عشر؟ ولا بد أن مذاقه كان أقوى من الجحيم. كان يجب أن ترى وجهها عندما ارتشفت الرشفة الأولى! هاهاها، رائع! انتظر الآن. ستحب هذا أيضاً».

سـرّعت الفيديو مرّة أخرى، إلى اللقطة عندما رفعت الفتاة كوبها... وأمسـكت به أمام فمها...

قالت إيم: «هنا، هل ترى ماذا فعلت؟».

قال: «انتظرتك حتّى اسـتدرتِ كي تتمكني من رؤيتها وهي تنهي الكوب بأكمله. فتاة ذكية».

قالت إيم بإعجاب: «فتاة مخادعة».

سألها: «ولكن لماذا قدمتِ لها الشاي القديم؟».

أجابته: «من باب الفضول. أنت فضولي بشأن تجاربك المختلفة في علم الأحياء والتغذية والشيخوخة، وأنا فضولية بشأن الطبيعة البشرية. هذه فتاة ذكية، مشرقة وجميلة. و...» نقرت على جبهته المتعرقة، وقالت: «لديها عقل جيد. عقل موهوب».

قال لها: «أنت لا تقترحين وضعها على القائمة، أليس كذلك؟».

قالت: «يجب أن أتحرى عنها أكثر قبل التفكير في مثل هذه الخطوة. لهذا السبب ظهر هذا الاختراع». أشارت إلى الحاسوب. ثمّ تابعت: «ولكن ربّما لا... عليّ التفكير في الأمر».

24 تموز 2021

1

كان مرأبا السيارات وشاحنات التخييم في كامب غراوند كانونسيوني ممتلئين. قادت هولي مسافة ربع ميل أبعد عن الطريق القديم 17 وركنت سيارتها هناك، ثمّ اتصلت بلاكيشا ستون، التي قالت إنها ستنتظر في الجانب المظلل من متجر المخيم. قالت هولي إنها ابتعدت عن الطريق قليلاً، وأنها ستحتاج إلى خمس أو عشر دقائق لتصل إليها.

قالت لاكيشا: «أنا آسفة بشأن مرأب السيارات. أعتقد أن نصف السيارات الموجودة في الساحة هي سياراتنا. نحن نشكّل عصابة هذا العام. يعمل معظمنا في الجامعة، أو يذهبون إلى هناك».

قالت هولي: «لا بأس في ذلك، يمكنني المشي». هذا صحيح. يبدو أنها لا تستطيع إخراج رائحة معطرات والدتها من أنفها... أو ربما من عقلها. تأملت أن يساعدها الهواء النقي على التخلص منها، وربّما التخلص أيضاً من تلك المشاعر السيئة التي لا تريد الاعتراف بها.

ظلّت تفكر في الأشهر الأولى بعد وفاة بيل. ذهب ما تبقى من صندوقها الائتماني إلى فايندرز كيبرز على الرغم من احتجاج والدتها. تتذكر كيف صلّت أن يرسل الله لها زبائن جدداً. تذكرت كيف كانت تدفع فواتيرها، وتؤجل ما يمكن تأجيله وتدفع تلك المختومة بشعار أحمر اللون (تحذير أخير). في غضون ذلك، كانت والدتها تشتري المجوهرات.

أدركت هولي أنها كانت تمشي بسرعة كبيرة لدرجة أنها أصبحت تلهث. لاحت أمامها مباشرة في الأفق لافتة المخيم، وعليها صورة زعيم أمريكي أصلي مبتسم يعتمر غطاء رأس مبهرجاً ملوناً بالأحمر والأبيض والأزرق. يضع في فمه ما يُفترض أن

يكون غليون السلام[1]. تساءلت هولي إن كان الأشخاص الذين وضعوا هذه اللافتة يدركون مدى عنصريتها. بالتأكيد لا. ربما يعتقدون أن الزعيم العجوز الذي يُدخن غليون السلام، هو وسيلة لتكريم الأمريكيين الأصليين الذين عاشوا ذات مرّة في بحيرة أبسالا والذين يعيشون الآن في محمية على بعد أميال من المكان الذي سبق له أن شكل مكان الصيد الخاص بهم

همست: «اتركي الدخان». توقفت للحظة، وأغمضت عينيها، وصلّت الصلاة الأكثر شيوعاً بين مدمني الكحول، لكنها تنفع للكثير من الأشياء الأخرى والكثير من الأشخاص، بما في ذلك هولي، وقالت: «يا الله، امنحني الصفاء لقبول الأشياء التي لا أستطيع تغييرها».

ماتت والدتها. لقد ولّت أيام الإفلاس الوشيك الرهيبة. أصبحت فايندرز كيبرز مصدر دخل الآن وليس فقط مصدر قلق. عليها الآن أن تعرف ما حدث لبوني راي دال.

فتحت هولي عينيها، وعاودت المشي مجدداً. لقد شارفت على الوصول.

2

بفضل عملها في الفهرسة، تعرف هولي أن كانونسيوني تعني «منزل طويل» في لغة الإيروكواس القديمة، وهناك بالفعل منزل طويل في وسط المخيم. نصفه عبارة عن متجر ونصفه يبدو مكاناً للتجمعات الكبيرة، كان مليئاً بشبان وشابات يغنون «الليلة الأخيرة لديكسي» بينما يعزف قائد الجوقة – أو من يبدو أنه كذلك– على الغيتار الكهربائي. ليسوا كجوان بايز، لكن غناءهم لطيف. هناك مباراة كرة لينة حالياً، والبحيرة مليئة بالسابحين، وهناك سيل من الناس يدخلون ويخرجون من المتجر، يأكلون الوجبات الخفيفة ويشربون المشروبات الغازية. يرتدي كثيرون ممن هم في المخيم قمصاناً تذكارية والتي طُبع عليها من الأمام صورة العجوز المدخن من أجل السلام. ولا يضع إلا عدد قليل منهم الأقنعة. مع أن هولي تضع قناعاً، إلا أنها شعرت بسعادة غامرة عندما رأت هذا النشاط المكشوف. ستعود أميركا، بغضّ النظر عن كوفيد.

---

(1) غليون احتفالي مزخرف من تقاليد الهنود الحمر، يُدخّن في المناسبات الاحتفالية (خاصة كرمز للسلام). المترجم

هذا يقلقها، لكنه يمنحها الأمل أيضاً.

سارت نحو الجانب المظلل من المنزل الطويل لتجد لاكيشا ستون، تجلس هناك على أحد المقاعد، مرتدية ثوب سباحة بلون أخضر فاتح فوق بيكيني بلون أخضر غامق. خمّنت هولي من مظهرها أنها بعمر بوني تقريباً، بدت شابة ومثيرة وتنبض بالحياة. افترضت هولي أن بوني كانت تشبهها. سيكون من اللطيف تصديق أنها لا تزال تشبهها.

قالت: «مرحباً. أنتِ لاكيشا، أليس كذلك؟ أنا هولي غيبني».

قالت الشابة: «ناديني كيشا من فضلك. اشتريت لك عصير سنابل مع السكر. أتمنى أن يعجبك».

قالت هولي: «رائع، أنا أُحبه». أخذت القنينة وفتحتها، ثمّ جلست بجانب لاكيشا، وقالت: «هل يمكنني أن أكون فضولية وأسألك إن تلقيتِ اللقاح؟».

أجابتها: «تلقيتُ جرعتين، فايزر».

أزالت هولي قناعها، وحملته لبرهة بيدها، ثمّ قالت: «شعرت بالسخافة عندما وضعته هنا، لكن حصلت حالة وفاة في عائلتي مؤخراً بسبب كوفيد».

قالت لاكيشا: «أوه، أنا آسفة جداً لسماع ذلك. هل هو شخص قريب؟».

قالت هولي: «والدتي». وفكرت المرأة التي اشترت مجوهرات ولم ترتدِها.

قالت لاكيشا: «هذا فظيع. هل أخذت اللقاح؟».

قالت هولي: «لم تؤمن به».

قالت لاكيشا: «هذا قاسٍ يا فتاة. كيف حالك الآن؟».

قالت هولي: «كما يقولون دائماً في برامج التلفاز، الأمر معقد. أقضي وقتي في العمل، ومهمتي الآن هي العثور على بوني دال، أو معرفة ما حدث لها. لن آخذك من أصدقائك لفترة طويلة».

قالت لاكيشا: «لا تهتمّي بذلك. جميعهم يلعبون الكرة اللينة أو يسبحون. أنا لاعبة كرة سيئة وأمضيت معظم اليوم في البحيرة. خذي كلّ الوقت الذي تحتاجين إليه». سمعتا أصوات هتاف قادمة من مباراة الكرة اللينة. نظرت لاكيشا، فلوّح لها شخص ما، فلوّحت له بالمقابل، ثمّ استدارت نحو هولي، وقالت: «اعتدنا أن نجتمع

منذ ثلاث سنوات، وكنت انتظر قدوم هذا التخييم كلّ عام. لكن منذ اختفاء بوني... لم يعد يعنيني كثيراً».

سألت هولي: «هل تعتقدين أنها ماتت؟».

تنهدت لاكيشا، ونظرت إلى الماء. عندما نظرت إلى هولي من جديد كانت عيناها البنيتان الجميلتان تفيضان بالدموع، وقالت: «ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟ تبدو وكأنها اختفت عن وجه الأرض. اتصلتُ بكلّ شخص يمكنني التفكير فيه، بجميع أصدقائنا، وبالطبع اتصلت بي والدتها. ولكن لا معلومات عنها، إنها أقرب صديقة لي، وأنا أعني ذلك حقّاً».

قالت هولي: «تعتبرها الشرطة مفقودة». بالطبع هذا ليس ما تعتقده إيزي غاينز، أو بيت هنتلي.

شربت لاكيشا من قنينة عصيرها، وقالت: «بالطبع. أنت تعرفين قضية مالك داتون، أليس كذلك؟».

أومأت هولي برأسها.

قالت لاكيشا: «هذا مثال رائع لكيفية تطبيق القانون في هذه المدينة. قُتل شاب بسبب ضوء خلفي معطّل، لذا على الأقل كنا نتوقع أن يهتموا أكثر باختفاء فتاة بيضاء، لكن لا».

هذا حقل ألغام لا تريد هولي دخوله، فقالت: «هل يمكنني تسجيل حديثنا؟». قال لها بيل هودغز ذات مرّة: لا تتلفظي بكلمة مقابلة أبداً. رجال الشرطة فقط هم من يُجرون المقابلات، نحن نتحدث فقط.

قالت لاكيشا: «بالتأكيد، لكن ليس لديّ الكثير لأُطلعك عليه. لقد اختفت وهذا مؤسف. هذا كلّ ما أعرفه».

تعتقد هولي أن لاكيشا تعرف المزيد، ومع أنها لا تتوقع أن يحدث أي تقدم كبير هنا، لكن لا يزال لديها بصيص أمل. وضعت هاتفها على الطاولة، وبدأت التسجيل.

قالت هولي: «أنا أعمل لصالح والدة بوني، ولديّ فضول لمعرفة كيف كانت علاقتهما».

كانت لاكيشا على وشك الإجابة، ثمّ أوقفت نفسها.

قالت لها هولي: «لن تعرف بيني بأي شيء ستقولينه. أعدك بذلك».

عبست لاكيشا ونظرت إلى البحيرة، وقالت: «حسناً» ثمّ تنهدت ونظرت مجدداً إلى هولي، وتابعت: «لم ينسجما، غالباً لأن بيني كانت دائماً تريد السيطرة على بوني، إذا كنت تعرفين ما أعنيه. ما كانت والدتها تُعجب بأي شيء تقوم به ابنتها. قالت بوني إنها تكره إقلال والدتها إلى أي مكان لأن بيني كانت تخبرها دائماً أنها تعرف طريقاً مختصراً أو أقل ازدحاماً. كانت دائماً توجّه لها الملاحظات أثناء قيادتها، هل تفهمين؟».

قالت هولي: «نعم».

قالت لاكيشا: «ذات مرّة قالت لي بوني، إن بيني كانت دائماً تضغط على الفرامل فرامل وهمية عندما تجلس على المقعد بجانب السائق أو تتصلب في مكانها إذا شعرت أن بون اقتربت كثيراً من السيارة التي أمامها. إنها مزعجة للغاية. ذات مرّة، صبغت بوني خصلة من شعرها باللون الأحمر، بدت لطيفة للغاية... على الأقل هذا ما اعتقدته... لكن والدتها قالت لها إنها تبدو وكأنها وضيعة، وأنها إذا رسمت وشماً في يوم من الأيام، ستصبح... «

ضحكت هولي، ولم تتمالك نفسها.

قالت لاكيشا: «لطالما تشاجرتا بشأن الوظيفة في المكتبة. أرادتها أن تعمل في البنك الذي تعمل فيه. وقالت إن الأجور والمزايا ستكون أفضل بكثير، وأنها لن تضطر لوضع القناع سوى في الاجتماعات الشخصية. ولكن بوني أحبت العمل في المكتبة، وكما قلت لك، إنها تستمتع بالعمل في المكتبة فالجميع أصدقاؤها، باستثناء مات كونروي. أمين المكتبة الرئيسي البغيض».

سألتها هولي: «المتحرش؟». تذكّرت شيئاً سمعته عن إحدى موظفات المكتبة الأخريات.

قالت لاكيشا: «نعم، لكنه تحسّن قليلاً هذا العام، ربّما بسبب ذلك الأستاذ المساعد في قسم علم الاجتماع. لا أظنّ أنك تعرفين هذه الحادثة، حاولت الإدارة جاهدة إبقاءها سرية للغاية، لكننا نسمع كلّ شيء في المكتبة. إنها مركز للثرثرة. أمسك هذا الرجل بمؤخرة إحدى طالبات الدراسات العليا، وكان هناك شاهد، فطرد. في ذلك الوقت، تحسّن مات قليلاً، لكنه لا يفوّت أبداً فرصة إلقاء نظرة خاطفة على تنورة أي فتاة.

نظراته ليست عادية، نظراته فظة، وواضحة».

سألت هولي: «هل تظنين أن له علاقة باختفاء بوني؟».

ضحكت لاكيشا، وأجابت: «يا إلهي، كلا. إنه نحيل للغاية، تزيده بوني بما لا يقل عن ثلاثين رطلاً. إذا أمسك مؤخرتها، ستقلبه على كتفها أو ستثبته على الحائط».

سألت هولي: «هل تجيد الجودو، أو أياً من الفنون القتالية الأخرى؟».

أجابت لاكيشا: «كلا، لكنها تلقت تدريبات في الدفاع عن النفس. تلقيناها معاً. كان هذا شيئاً آخر استاءت منه والدتها، ووصفته بأنه تكاليف لا داعي لها. لم تستطع بون فعل أي شيء بشكل صحيح في عيني والدتها. وعندما أصرّت والدتها المتطلبة عليها للعمل معها في البنك، حدث بينهما خلاف حقيقي والكثير من الصراخ».

قالت هولي: «ولكنهما لا تتبادلان الكراهية».

قالت لاكيشا: «بالتأكيد لا، بالرغم من خلافاتهما إلا أن الحب يسود علاقتهما. هل تفهمين ذلك؟».

فكّرت هولي في دفاتر الشعر في درج والدتها وقالت إنها تفهم.

ثم سألت: «لاكيشا، هل تظنين أن بوني قد تغادر المدينة لتبتعد عن والدتها؟ لتتخلص من كل هذا النكد المستمر والشكوى، والخلافات؟».

قالت لاكيشا: «سبق لشرطية أن طرحت عليّ السؤال نفسه. لم تأتِ لرؤيتي، بل حادثتني عبر الهاتف. سألتني سؤالين أو ثلاثة ثمّ قالت شكراً يا سيدة ستون، لقد ساعدتنا كثيراً. ردّ نموذجي. لكن الإجابة عن سؤالك هو مطلقاً. إذا أوحيت لك إن بون ووالدتها المتطلّبة تكرهان بعضهما، فأنا لم أقصد ذلك. كان هناك جدال وأحياناً صراخ، ولكن لا يوجد عنف جسدي، وكانتا تتصالحان دائماً بعد كلّ خلاف، على حدّ علمي على الأقل. ما حدث بينهما كان أشبه ببحصة صغيرة لا يمكنك إخراجها من حذائك، كما تعلمين، هو ألم لا مفرّ منه».

صُدمت هولي بهذا الأمر، وتساءلت إن كان هذا التشبيه ينطبق على علاقتها مع شارلوت: بحصة في حذائها. ثمّ تذكرت دانيال هيلي اللص المفترض، وقررت أن علاقتهما مختلفة.

قالت لاكيشا مبتسمة: «سيدة غيبني، هولي. هل ما زلت معي، أم أنك تحلمين

أحلام اليقظة؟».

قالت هولي: «أعتقد أنني كنت كذلك. هل كانت تمتلك نقوداً ورقية؟ أسألك لأنه لا يوجد أي عملية أنفاق في بطاقتها الائتمانية».

قالت لاكيشا: «بوني؟ كلا. تضع كلّ مدخراتها في البنك، وأعتقد أنها تملك القليل من الاستثمارات. كانت تحب سوق الأسهم، لكنها لم تكن غارقة في الأمر».

قالت هولي: «لم تكن تترك ملابس في منزلك؟ ملابس لم تعد موجودة الآن؟».

أغمضت لاكيشا عينيها قليلاً، وقالت: «ما الذي تقصدينه؟».

بشكل عام يمكن وصف هولي بالشخص الخجول، لكنها تصبح على النقيض من ذلك عندما تعمل على قضية ما، قالت: «سأكون صريحة معك. أقصد سؤالك إن كنت تتسترين عليها. أنت أفضل صديقة لها، ومخلصة لها، وأظنّ أنك ستفعلين ذلك إذا طلبت منك».

قالت لاكيشا: «أشعر بالاستياء من سؤالك هذا».

أصبحت هولي مترددة في لمس الناس منذ بدء جائحة كورونا، لكن هذه المرة وضعت يدها على ذراع الشابة ولم تُفكر في الأمر، وقالت: «في بعض الأحيان، يفرض عليّ عملي طرح بعض الأسئلة المزعجة. ربّما لم تكن علاقة بيني ببوني مثالية، لكن المرأة تدفع لي مقابل العثور على ابنتها، لأنها تكاد تجن».

قالت لاكيشا: «حسناً، أفهمك. كلا، لم تترك بون أي ملابس في بيتي، ولا، لم يكن لديها مدخرات من النقود الورقية، ولا، لم يخطفها مات كونروي. لقد سأل عنها كلّ من يعمل في مكتبة الكلية، وأمن الحرم الجامعي، وعدداً قليلاً من موظفي المكتبة. لقد قام بواجبه. وبشأن تلك الملاحظة التي من المفترض أن بون قد تركتها؟ إنها مجرد هراء. ما هذا الهراء المتعلق بتركها لدراجتها، لقد كانت مولعة بها، واقتصدت كثيراً حتّى جمعت ثمنها. لا بد أن أحدهم طاردها، واحتجزها، ثمّ اغتصبها، قبل أن يقتلها. حبيبتي بوني».

بكت، وأخفضت رأسها.

سألت هولي: «ماذا عن حبيبها؟ توم هيغينز. هل تعرفين شيئاً عنه؟».

ضحكت لاكيشا بشدة، وقالت: «حبيبها السابق. ذاك الجبان، الفاشل، المدمن.

كانت والدتها محقة بشأنه. لكنه بالتأكيد ليس الخاطف. لا أعرف ما الذي أحبته فيه.» ثمّ كرّرت جملة بيني: «لا بدّ أنه كان رائعاً في الجنس».

فكّرت هولي في كلام لاكيشا عن المطاردة، يبدو الأمر قابلاً للتصديق، وهذا يعني أنها لم تكن جريمة عرضية. بناء على ذلك، يتوجب على هولي إلقاء نظرة على لقطات جيت مارت مرّة أخرى بعناية فائقة. لكن عليها أن تنتظر حتّى الغد، حتّى تكون بقمّة نشاطها، فقد كان يومها طويلاً.

سألت لاكيشا: «هل عملت محقّقة خاصة لفترة طويلة؟».

أجابت هولي: «لبضع سنوات».

سألتها: «هل تجدين هذا العمل مثيراً؟».

أجابتها: «نعم، أعتقد ذلك. مع أنه تمر أوقات أشعر فيها بالملل».

سألتها: «هل سبق لك أن تعرضت للخطر؟».

فكّرت هولي في كهف معيّن في تكساس، وبرجل يسقط من المصعد وهو يصرخ. وقالت: «قليلاً».

قالت لاكيشا: «من المثير أن أرى امرأة تعمل في هذا المجال. كيف بدأت هذا العمل؟ هل كنت تعملين في الشرطة؟ لا تبدين لي شرطية».

بدأ الشبان الآن بالغناء في قاعة الاجتماعات، غنّوا أغنية «الليلة» من فيلم قصة الحي الغربي.

قالت هولي: «لم يسبق لي العمل في الشرطة. أما بالنسبة إلى الطريقة التي دخلت فيها هذا العمل... يمكنني القول إن الأمر معقّد جداً لأشرحه لك الآن».

قالت لاكيشا: «حسناً، أتمنى أن تنجحي في هذا. أحب بوني مثل أختي، وآمل معرفة حقيقة ما حصل لها. لكن لا يسعني إلا الشعور بالمرارة. والدة بوني ميسورة الحال، يمكنها أن تدفع لك. من الخطأ أن أقول هذا، وأنا أعلم ذلك، لكن لم أستطع إلا أن أقوله».

كانت هولي تستطيع أن تقول للاكيشا إن بيني دال ليست ميسورة الحال غالباً، فقد أبعدت عن وظيفتها بسبب كوفيد، ربما لا تزال تحصل على شيك من نوربانك، لكن من المستحيل أن تكون تتقاضى راتبها كاملاً. يمكنها قول كلّ هذا، لكنها لم تقله. بدلاً

مـن ذلـك، فعلـت مـا تبرع به، وأبقت عينيها على وجه لاكيشـا. وبدا أن عينيها تقولان: أخبريني أكثـر. ويبـدو أن طريقتهـا نفعـت مع لاكيشـا. بدت حزينـة أو غاضبة أو ربّما كلاهما، تخلّت قليلاً عن حذرها لأنها تتحدث إلى سـيدة بيضاء. وقالت: «ماذا تملك والدة مالك داتون حسـب اعتقادك؟ إنها تعمل في مغسـلة آدامز وسـط المدينة. تركها الزوج وكان لديها فتاتان توأم على وشك الذهاب إلى المدرسة الإعدادية، ستحتاجان إلى الملابس، ولوازم مدرسـية أيضاً. ابنها الأكبر يعمل في ميداس كاتملير ويسـاعدها بقدر ما يسـتطيع. ثمّ فقدت مالك، أصيب برصاصة في رأسـه، انفجر رأسـه وتناثرت أشلاؤه فوق حقيبته. وأنت تعرفين المثل الذي يقول إنّه يمكن لهيئة المحلفين الكبرى إدانة شطيرة لحم الخنزير[1]، إذا سألهم المدعي العام بلطف؟ لكنهم لم يدينوا الشرطي الـذي أطلـق النـار علـى مالـك، أليس كذلـك؟ أعتقد أنه كان بنظرهـم مجرد زبدة فول سوداني ومربى».

كانت هولي ستقول لها: كلا، لكنه فقد وظيفته. لم تقل ذلك، لأن هذا لن يكون كافياً للاكيشا ستون، ولا لهولي أيضاً. ولا حتّى بالنسبة إلى إيزابيل غاينز، لم يكن ذلك كافياً بالنسبة إليها. أما بالنسبة إلى الشرطي؟ ربّما يعمل كحارس أمني، أو ربما يحرس سجن الولاية، بدلاً من أن يكون بداخله.

قالت لاكيشا بغضب: «لا توجد دعوى مدنية أيضاً. لا يملكون مالاً لهذا. أنشأت بـلاك نيـوز صندوقـاً لتمويـل القضيـة، لكن لم يكن هناك ما يكفي من المال للاسـتعانة بخدمات محامٍ جيد. قصة قديمة».

تمتمت هولي: «قديمة جداً».

هزّت لاكيشـا رأسـها، وقالت: «أما بالنسـبة إلى إيجاد بوني، فاذهبي مع محبة الله وتمنياتـي الطيبـة. وأنـا أقـول ذلـك مـن كلّ قلبي. اعثري على من فعـل ذلك، و... هل تحملين مسدساً يا هولي؟».

أجابتها: «أحياناً. عندما أضطر إلى ذلك. لكنني اليوم لا أحمل واحداً». إنه مسدس بيل وليس مسدسها.

قالت: «حسـناً، إذا كان معك، أطلقي رصاصة عليه، صوّبيها بشـكل صحيح إلى

(1) بمعنى يسيئون تقدير ما يرمي إليه المدعي العام. المترجم

خصيتيه اللعينتين، اعتذر على لغتي هذه. أما بالنسبة إلى مالك فلا أحد يبحث عن عدالته. ولا أحد يبحث عن إلين كراسلو، أيضاً. ولمَ يفعلون ذلك؟ فهما مجرّد شخصين أسودين، كما تعلمين».

تذكرت هولي زعيم الفتيان، تومي إديسون الذي تحدثت إليه في مرأب سيارات ديري ويب، كان أبيض مثل آيس كريم الفانيليا، لكن ما قاله آنذاك يتوافق مع ما قالته لاكيشا للتو.

قال حينها: «أتريدين أن تعرفي من والدته قلقة؟ ستينكي. إنها على وشك أن تُجنّ، والشرطة لا تفعل شيئاً لأنها مدمنة كحول».

فكرت في قول بيل هودغز، عندما كانا يجلسان على درجات منزله الصغير: أحياناً يرمي لك الكون حبلاً. إذا حصل ذلك، تسلقي بواسطة الحبل وانظري ماذا يوجد في الأعلى.

سألت هولي: «من هي إلين كراسلو يا لاكيشا؟».

3

أشعلت هولي سيجارة بمجرد عودتها إلى سيارتها. السحبة الأولى هي الأفضل دائماً، ونفخت الدخان من النافذة مفتوحة الزجاج، ثمّ أخرجت هاتفها من جيبها، سرّعت التسجيل إلى الجزء الأخير من محادثتها مع لاكيشا، إلى الجزء المتعلق بإلين كراسلو، واستمعت إليه مرتين. ربّما كان جيروم محقاً بشأن وجود قاتل متسلسل. لا تسارعي في الاستنتاج يا هولي، ولكن هناك نمط من نوع ما، ليس نمطاً متعلقاً بالجنس أو العمر أو اللون. إنه الموقع: ديرفيلد بارك، جامعة بيل، وربما كلاهما.

إلين كراسلو عاملة نظافة، قضت وقتها بين مبنى علوم الحياة ومطعم جامعة بيل. يقع برج الجرس في ميموريل يونيون، وهو مكان مركزي يميل الطلاب إلى التجمع فيه عندما لا يكونون في الصفوف الدراسية. يجتمع العاملون في المكتبة هناك لاستراحات القهوة وساعات الغداء وغالباً لاحتساء البيرة عند انتهاء دوام العمل. إنه أمر منطقي، لأن مكتبة راينولدز قريبة، ما يجعلها نزهة سريعة في أيام الشتاء تلك عندما تتساقط الثلوج وتهبّ الرياح من البحيرة.

وفقا للاكيشا، كانت إلين ذكية، أنيقة، وربما لم تكن سوية من الناحية الجنسية، لكن لم يكن لديها حبيبة في ذلك الوقت على الأقل. قالت لاكيشا إنها سألت إلين ذات مرّة إن فكّرت في أخذ حصص دراسية، فأجابتها إلين بأنها ليست مهتمة.

قالت لاكيشا: «الحياة هي فصلها الدراسي. أتذكر ذلك. لقد قالته وكأنها تمزح، لكنها كانت جدية أيضاً. هل تعرفين ما أعنيه؟».

أومأت هولي برأسها.

«كانت سعيدة بمقطورتها الصغيرة في مرأب مقطورات لوتاون، وقالت إنها سعيدة بحياتها ووظيفتها، وإن لديها كل ما قد تريده فتاة من مقاطعة بيب في جورجيا».

تعوّدت لاكيشا رؤية إلين وهي تُلمّع الأرضيات والسلالم في ردهة دافيسون هول، وتُبدّل المصابيح، وتضع المناديل الورقية في حمامات الإناث، أو تمسح الكتابة عن جدران الحمامات. قالت لاكيشا إنها كانت تتوقف لتتحدث إليها عندما تكون بمفردها، وإذا كانوا مجتمعين سوية – طاقم المكتبة – فإنهم دائماً ما يفسحون لها مكاناً في محادثتهم إذا لم تكن مشغولة جداً. لا يعني ذلك أن إلين كانت تجالسهم، لكنها كانت سعيدة بالانضمام إليهم لإجراء محادثة قصيرة، أو احتساء فنجان قهوة بسرعة، من دون أن تجلس. تذكرت لاكيشا ذات مرّة أنهما تجادلتا حول فيلم (لا مخرج)، الذي كان يُعرض في دافيسون، وقالت إلين بلهجة جورجيا المبالغ فيها «آه، أوقفوا هذا الهراء الوجودي. إنها الحياة كما نعرفها يا أصدقائي».

سألتها هولي: «كم كان عمرها؟».

أجابتها: «ربّما... ثلاثون؟ ثمانية وعشرون؟ أكبر سناً من معظمنا، لكنها لم تكن أكبر بكثير».

وذات يوم لم تأتِ. بعد أسبوع، ظنت لاكيشا أن إلين في إجازة. قالت لاكيشا بصوت مُحرج: «مع ذلك لم أفكر في أمر غيابها كثيراً. فهي لم تكن مقرّبة منّي، ولكنني كنت أعرفها جيداً، هل تفهمين ما أعنيه؟».

قالت هولي: «ليست صديقتك، بل واحدة من معارفك».

قالت لاكيشا: «صحيح».

بعد شهر تقريباً، سألت لاكيشا فريدي وارين المسؤول عن النظافة، إن أصبحت

إلين تعمل بدوام كامل في علوم الحياة، فنفى وارن ذلك. وهكذا اختفت إلين إلى الأبد. ذهبت لاكيشا وإيدي بروكينغز إلى مكتب التوظيف في الجامعة لسؤالهم إذا كانوا يعرفون شيئاً عن المكان الذي ذهبت إليه. لم يعرفوا. وطلبت المرأة التي تعمل هناك من لاكيشا أن تسأل إلين عن عنوانها في حال تواصلت معها، لأن إلين لم تستلم راتبها الأخير.

سألت هولي: «هل تابعتِ أخبارها؟ ربما عرفوا مكان إقامتها؟».

صمتت لاكيشا لوقت طويل ثمّ قالت بصوت منخفض: «لا، أعتقد أنني افترضت أنها أرادت قضاء شتاء آخر بجوار البحيرة. أو عادت إلى موطنها في جورجيا».

سألت هولي: «متى حصل هذا؟».مكتبة سُر مَن قرأ

أجابت لاكيشا: «قبل ثلاث سنوات، وربما أقل. حدث ذلك في الخريف، قبل عيد الشكر. عندما أقول لم يبحث عنها أحد، أعتقد أن هذا يشملني. أليس كذلك؟».

عرضت هولي على لاكيشا صورة القرط فأكدت لاكيشا بدورها أنه لبوني، لكن لا شيء مؤكد، لذا أغلقت هولي هاتفها. دخنت سيجارتها حتّى النهاية، ثمّ سحقتها في منفضة سجائرها المحمولة، وفكّرت على الفور في إشعال واحدة أخرى.

لم تربط لاكيشا إلين كراسلو ببوني دال، ربّما لأنهما اختفتا في فترتين متباعدتين، لكنها ربطت إلين بمالك داتون، لأنهما أسودا البشرة. وقد شعرت بالحرج، وكأن سرد قصة عن اختفاء امرأة فجأة جعلها تدرك أنها لم تكن مختلفة تماماً عن باقي الناس – ربما معظم من في المدينة – الذين لم يهتموا كثيراً بموت شخص أسود آخر أُطلقت عليه النار.

لكن الفرق شاسع بين شاب قتل بالرصاص في سيارته، واختفاء فتاة فجأة. كان باستطاعة هولي أن تقول ذلك للاكيشا، لكنها بدت مقتنعة بفكرتها، لذا اكتفت بشكرها على وقتها وأخبرتها بأنها ستتواصل معها إذا كان لديها المزيد من الأسئلة، أو في حال حُلّت القضية.

ربما كان هناك تفسير منطقي تماماً لاختفاء إلين كراسلو. تعتبر وظيفة عاملة النظافة قليلة المهارة، واحتمال تبديل مكان العمل فيها مرتفع. ربما انتقلت إلى مكان أكثر دفئاً، تماماً كما قالت لاكيشا–فينيكس أو لوس أنجلوس أو سان دييغو، وربما شعرت

برغبة في رؤية والدتها مرّة أخرى أو اشتاقت إلى الأطعمة التي تجيد والدتها تحضيرها. ولكنها لم تقبض آخر راتب لها، وتزامن اختفاؤها مع اختفاء بيتر ستينمان تقريباً. عاشت إلين في لوتاون، لكنها عملت في الكلية، التي لا تبعد سوى ميلين عن ديري ويب. أو أقل من ذلك، إذا سلكت طريق الحديقة المختصر.

أمّا بوني راي دال، فقد عُثر على دراجتها أمام ورشة تصليح سيارات مهجورة بين الجامعة وديري ويب.

شغّلت هولي محرك سيارتها، وانعطفت بحذر، وعبرت المخيم، حيث يستمتع المصطافون هناك بالصيف تحت لافتة الزعيم الذي يدخن من أجل السلام.

4

سيكون طريق العودة إلى شقتها في المدينة طويلاً جدّاً، وهي تشعر بإرهاق شديد بعد هذا اليوم الطويل. طريقها إلى ليلي كورت 42 أقرب، لكن ليس لديها رغبة بقضاء الليلة في منزل والدتها المتوفاة، وشمّ رائحة المجففات التي تفوح منه. حجزت غرفة في فندق دايز إن بالقرب من الطريق الرئيسي، واشترت طعاماً جاهزاً من كونتري تشيكن من أجل العشاء. لم يكن لديها ملابس احتياطية، لذا تناولت الطعام في غرفتها، ثمّ ذهبت سيراً على الأقدام إلى أحد فروع دولار جنرال القريبة، واشترت ملابس داخلية جديدة، وقميص نوم كبيراً جداً مطبوعاً عليه وجه مبتسم كبير.

ثمّ عادت إلى غرفتها التي لم تكن فخمة، لكنها مريحة بما فيه الكفاية، اتصلت بباربرا روبنسون، فهي تشعر أنها أزعجت شقيق باربرا الأكبر بما يكفي في عطلة نهاية هذا الأسبوع. باربرا جيدة نوعاً ما في البحث عن المعلومات على حاسوبها مثل هولي (وهي مستعدة للاعتراف بأن جيروم أفضل منهما). علاوة على ذلك، تريد هولي معرفة أخبار باربرا، فهي لم ترها كثيراً هذا الصيف، مع أن باربرا شاركت في جنازة شارلوت عبر زووم.

قالت باربرا: «مرحباً هول. كيف حالك؟ كيف أصبحت بعد وفاة والدتك وكل ما رافق ذلك؟». إنه السؤال المعتاد في هذا الظرف، لكن هولي شعرت بأن باربرا مشتتة. غالباً ما تبدو هكذا عندما تقرأ إحدى رواياتها الخيالية الطويلة التي لا نهاية لها.

أجابتها هولي: «أنا بخير. كيف حالك؟».

قالت باربرا: «بخير، بخير».

قالت هولي: «أشعر بالأسى بسبب ما عاناه جيروم هذا الأسبوع».

سألت باربرا: «ماذا حدث مع جيروم؟». لم يكن هناك أي إثارة ملحوظة في صوت باربرا.

قالت هولي: «اضطر إلى اصطحاب امرأة إلى المستشفى. كلفته بطرح بعض الأسئلة عليها، وتبين أنها أفرطت في معاقرة الخمر وابتلعت كمية كبيرة من الحبوب. ألم يخبرك؟».

قالت باربرا: «لم أره».

قالت هولي: «أنا أبحث عن شابة مفقودة، وأثناء بحثي صادفت اسم امرأة أخرى، إلين كراسلو. فكرت إن كنت تستطيعين إجراء بحث عنها، ومعرفة أي شيء بخصوصها. كنت سأقوم بذلك بنفسي، لكن شبكة الوايفاي في الفندق الذي أقيم فيه سيئة للغاية».

صمتت قليلاً، ثمّ قالت: «أنا مشغولة قليلاً يا هولي. هل يستطيع بيت القيام بذلك؟».

تفاجأت هولي. في العادة، تحب هذه الشابة أداء دور نانسي درو، لكن الوضع يبدو مختلفاً هذه الليلة. أو ربّما، بالنظر إلى ما مرت به العام الماضي، لم تعد تريد أداء ذاك الدور مطلقاً.

قالت هولي: «هل تفكرين في أوندوفسكاي؟ لأنه هذا الأمر مختلف تماماً».

ضحكت باربرا، وهذا ما أشعر هولي بالارتياح.

ثمّ قالت: «كلا، لقد تخلّصت من تلك الذكرى تقريباً يا هول. لكنني مشغولة حقّاً، وفي الحقيقة، أنا مستعجلة».

سألت هولي: «ما هو المشروع الذي تعملين عليه؟».

قالت باربرا: «سأخبركم على كل شيء في القريب العاجل، ربما الأسبوع القادم، سأخبركم جميعاً أنت، وجيروم، وأهلي، وأصدقائي. أعدك. ولكن ليس الآن. لا أريد أن أجلب النحس لنفسي».

قالت هولي: «أتفهمك سأتحدث إلى بيت. ربما ما سأطلبه منه سيعطيه سبباً ليقيس

درجة حرارته كل خمس عشرة دقيقة».

ضحكت باربرا، وسألت: «هل يفعل ذلك؟».

أجابتها: «لن يفاجئني ذلك».

سألت باربرا: «هل أنت على ما يرام حقّاً بما يخص...».

قالت هولي بحزم: «نعم، أنا بخير، سأكف عن إزعاجك وأسمح لك بمتابعة عملك. لا أريد أن أبدو مثل والدتك، ولكن آمل أن يكون هناك بعض التحضير للجامعة، لأن العودة إليها أصبحت وشيكة».

قالت: «هناك دور للتحضير للجامعة. وانظري، إذا كانت هذه المرأة مهمّة حقّاً. يمكنني...».

قالت هولي: «لا، لا، ربّما لا شيء».

قالت باربرا: «ونحن على ما يرام، أليس كذلك؟».

قالت هولي: «دائماً يا يارب. دائماً».

أنهت المكالمة متسائلة عن طبيعة مشروع باربرا الخاص. ظنت هولي أنه يتعلق بالكتابة على الأرجح، شيء يحملونه في جيناتهم. عمل والدهما جيم روبنسون عشر سنوات مراسلاً صحفياً في جريدة ذا بلين ديلر، أما جيروم فيكتب كتاباً عن جده سيئ السمعة. حسناً، لماذا لا تسير باربرا على خطاهما؟

تمتمت هولي: «ما دمت سعيدة، ولا تراودك كوابيس عن شيت أوندوفسكاي».

تقلّبت على سريرها المريح، وفي النهاية، قررت الاتصال ببيت، وقالت: «إذا كنت تشعر بأنك جيد بما يكفي لتساعدني، فأنا أطلب المساعدة».

ردّ بيت: «سأفعل أي شيء من أجلك يا هولي».

إنه يُبالغ وهي تعرف ذلك، لكنها لا تزال تشعر بالسعادة عند سماع هذا الكلام.

5

قبل أن يوافق بيت على مساعدتها، ذكّرها بأنها عطلة نهاية الأسبوع، وقد لا يستطيع معرفة ما تريده قبل يوم الاثنين، إن لم يكن بعد ظهر الاثنين. ترى هولي – التي تعمل طوال الوقت– أن عطلات نهاية الأسبوع غالباً ما تكون مصدر إزعاج لها.

لديها ثلاث مكالمات فائتة من بيني وثلاث رسائل صوتية. ستعاود الاتصال بها، لكنها تريد أن تدخن سيجارة أولاً.

أفرغت منفضة سجائرها المحمولة في سلة مهملات بجوار الطاولة، ثمّ دخّنت بالقرب من ماكينة صنع الثلج. عندما بدأت هولي بهذه العادة السيئة في سن المراهقة، كان بإمكانها التدخين في كلّ مكان، حتّى على متن الطائرات. تظنّ هولي أن هذه القوانين الجديدة هي تطور كبير، فهي تجعلك تفكر في ما تفعله وكيف أنك تقتل نفسك بهذه العادة.

اتصلت ببيني وقدّمت لها تقريراً مفصّلاً بما فعلته. أعطتها ملخصاً عن محادثتها مع لاكيشا ستون لكنها لم تقل لها الجزء المتعلق بإلين كراسلو، مع أنها أخبرتها أنها تحدثت إلى مجموعة الفتيان بالقرب من ديري ويب، إلا أنها لم تذكر لها بيتر ستينمان (ستينكي). ستخبرها عنهم إذا تبيّن أن هناك ترابطاً، لكن ليس الآن. فبيني تعاني من صعوبات ذهنية ولا تحتاج إلى أن تعلم باحتمال وجود قاتل متسلسل.

خلعت هولي ملابسها، وارتدت قميص النوم الذي اشترته منذ قليل (يكاد يصل إلى ركبتيها)، انهارت على السرير، وشغّلت التلفاز. تنقلت بين القنوات لفترة كافية، إلى أن استقرت على قناة تي أم سي التي كانت تعرض أعمالاً موسيقية قديمة، ثمّ أوقفت عمل التلفاز. غسلت يديها جيداً في الحمام، ونظّفت أسنانها بإصبعها، وبّخت نفسها لأنها نسيت شراء فرشاة أسنان مع الملابس الداخلية وقميص النوم.

تمتمت قائلة: «ما لا تستطيعين علاجه عليك تحمله». هل ستنام الليلة بعد هذا اليوم الحافل بالأحداث، أم ستفكر في والدتها، ولكن ما فاجأها أنها اعتقدت أنها ستنام. تعرف هولي نفسها جيداً لتفهم أنها لن تنتهي أبداً من التفكير بوالدتها وأكاذيبها، وأن هذه الأفكار ستلازمها لفترة طويلة (وخصوصاً المجوهرات السرية)، ولكن هل يحظى أي شخص على الإطلاق بنهاية كاملة؟ خاصة عندما يتعلق الأمر بأحد الوالدين؟ لا تعتقد هولي ذلك، فهي تعتقد أن النهاية الكاملة مجرد خرافة، لكنها على الأقل حصلت على القليل منها اليوم، عندما دخّنت في المطبخ وحطمت تماثيل والدتها.

ركعت، وأغمضت عينيها، وصلت كعادتها، وقالت: يا إلهي، أنا هولي... شكرته على سفرها الآمن وعلى وجود أصدقائها، ثمّ طلبت منه أن يعتني ببيني دال، وببوني

وبيت وإلين، في حال كانوا على قيد الحياة.

فجأة خطر ببالها شيء ما، ففتحت عيناها.

ربّما ليس الموقع، أو ليس الموقع وحده.

جلست على حافة السرير، أنارت المصباح واتصلت بلاكيشا ستون. إنها ليلة السبت، توقعت أن تحوّل مكالمتها إلى البريد الصوتي. قد تكون هناك حفلة راقصة في المنزل الطويل، وربما ستذهب لاكيشا مع صديقاتها للشرب في حانة ما. فرحت هولي عندما أجابتها لاكيشا.

قالت: «مرحباً، أنا هولي. أريد أن أطرح عليك سؤالاً».

قالت لاكيشا: «اسألي كلّ ما تريدينه. أنا في مغسلة المخيم، أراقب دوران المجففة المليئة بالمناشف».

لماذا تغسل امرأة شابة جميلة مثلك ملابسها ليلة السبت؟ لم تطرح هولي هذا السؤال، بل طرحت السؤال التالي: «هل كانت إلين كراسلو تملك سيارة؟».

توقعت هولي أن تجيبها لاكيشا بأنها لا تعرف أو لا تتذكر، لكن لاكيشا فاجأتها عندما أجابت: «كلا. أتذكر أنها قالت ذات مرّة إنها حصلت على رخصة قيادة من جورجيا، لكن صلاحيتها انتهت. وقالت إنها لا تريد أن تصادف مشكلة أثناء القيادة خصوصاً وأنها أنثى سوداء، كما تعلمين، مثل مالك داتون. أرادت الحصول على رخصة من هنا لكنها كانت تؤجل الأمر. لأن إدارة المركبات مزدحمة للغاية على حدّ قولها. لذا كانت تستقل الحافلة من العمل وإليه. هل هذا يساعد؟».

قالت هولي: «ربّما، شكراً لك. سأدعك تعودين للتحديق إلى مناشفك...».

قالت لاكيشا: «أوه، شيء آخر».

سألت هولي: «ماذا؟».

قالت لاكيشا: «لكن في بعض الأحيان، عندما يكون الطقس جيداً، كانت تتوجّه إلى أقرب فرع لبنك نوربانك ولا تستقل الحافلة».

عبست هولي، وقالت: «لم أفهم ما ترمين إلى قوله».

قالت لاكيشا: «يؤجر بنك نوربانك الدراجات، هناك مجموعة دراجات مركونة أمام البنك، ما عليك سوى اختيار الدراجة التي تريدينها، والدفع بواسطة بطاقتك

الائتمانية».

أنهت هولي صلاتها، لكنها لم تكف عن التفكير في القضية، لذا كانت صلاتها مجرد تلاوة عن ظهر قلب. إذا كان هناك شيء سيبقيها مستيقظة الليلة فستكون القضية، لن تفكر في ملايين شارلوت. تخيلت ديرفيلد بارك، بين شارعي ريدج وريد بانك. فكرت في برج الجرس، وورشة تصليح السيارات المهجورة، وديري ويب. إنه الموقع، الموقع، الموقع. لاحظت أن جميع المفقودين لم يمتلكوا سيارات.

حسناً، بوني تملك سيارة، لكنها لم تستخدمها يومياً للذهاب إلى العمل، كانت تركب دراجتها. ركبت إلين دراجة أيضاً في بعض الأحيان بدلاً من الحافلة. أما بيت ستينمان فكان يمتلك لوح تزلج.

استلقت في الظلام، جامعة يديها فوق بطنها، وتساءلت ما الذي يدل عليه هذا التشابه. سبق لها أن فكرت بهذه التشابهات، لكنها لم تأخذها على محمل الجد. الآن بدأت تشعر بأنها أكثر عملية. هل هذا كلّ شيء أم أن هناك المزيد؟

12 شباط 2021

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

وقفت باربرا أمام منزل أوليفيا في شارع ريدج 70 ذي المنازل المشيدة وفقاً للنمط الفيكتوري. انخفضت درجة الحرارة بمقدار ثلاثين درجة منذ اليوم الذي رأت فيه البروفيسور هاريس يغسل ما كان يطلِق عليه (بفخر إلى حد ما) مركبته الحربية، أصبح اليوم معطفها الشتوي الأحمر والوشاح والقبعة ضروريين، ولم تكن ترتديهما لمواكبة الموضة. وقفت مذعورة، ممسكة ملف قصائدها.

المرأة التي تسكن في هذا المنزل هي مثلها الأعلى، إنها أعظم شاعرة أميركية ظهرت في السنوات الستين الأخيرة، كانت تعرف توماس ستيرنز إليوت، وراسلت عزرا باوند عندما كان في مستشفى سانت إليزابيث بسبب الجنون الإجرامي. باربرا روبنسون هي مجرد شابة لم تنشر شيئاً باستثناء عدد قليل من المقالات الافتتاحية المملة (والمبتذلة) في صحيفة المدرسة الثانوية.

ثمّ فكرت، ماذا تفعل هنا؟ كيف تجرأت وأتت إلى هنا؟

اعتقدت إيميلي هاريس أن القصيدة التي قرأتها كانت جيدة، وكما قالت: «لقد لخّصت الخوف والاشمئزاز في تسعة عشر سطراً». حتّى أنها اقترحت عليّ بعض التصحيحات التي بدت جيدة، لكن إيميلي هاريس لم تكتب نهاية النهاية، أو شارع الأمراض القلبية. بحثت باربرا عن أعمال إيميلي هاريس على الإنترنت، فوجدت أنها لم تكتب سوى كتابين في النقد الأدبي، ونشرتهما دار نشر الجامعة.

بدأت باربرا تيأس من فكرة تلقّي ردّ من أوليفيا كينغسبري، لكنها تلقّت بريداً إلكترونياً هذا الصباح، جاء فيه:

«لقد قرأت قصيدتك. أرجو أن تحضري إلى منزلي اليوم عند الساعة الثانية بعد الظهر، إذا سمح جدول مهامك. إذا كان هذا الموعد لا يناسبك، أتمنّى الرد على عنوان

بريدي الإلكتروني. أنا أعتذر على هذه المهلة القصيرة».

ذكّرت باربرا نفسها بأنها هنا لأن أوليفيا وجّهت لها دعوة، ويجب أن يعني ذلك شيئاً ما، ولكن ماذا لو تصرّفت بحماقة؟ ماذا لو عجزت عن الكلام، واكتفت بالنظر إليها مثل الغبية؟ وحمدت الرب أنها لم تخبر والديها أو جيروم عن وجهتها بعد ظهر اليوم. حمداً للرب أنها لم تخبر أحداً...

انفتح باب منزل أوليفيا في شارع ريدج 70، وخرجت منه امرأة عجوز رائعة، ترتدي معطف فروٍ يصل إلى كاحليها وتستند إلى عكاز، وقالت: «هل ستظلين واقفة هناك أيتها الشابة؟ ادخلي، ادخلي. أنا لا أتحمّل البرد».

تحررت باربرا من جمودها، وسارت إلى الشرفة وصعدت الدرج. مدّت أوليفيا كينغسبري يدها الضعيفة، وقالت: «بلطف أيتها الشابة، بلطف لا تضغطي».

بالكاد لمست باربرا أصابع الشاعرة العجوز، وفكّرت أنا ألمس العظمة الآن. دخلتا المنزل، وسارتا في الممر القصير ذي الأرضية الخشبية. ربتت أوليفيا معطفها وقالت: «فرو صناعي».

رددت باربرا خلفها بغباء: «فو؟».

قالت أوليفيا: «فرو صناعي، لقد أهداني إياه حفيدي. هلّا ساعدتني في خلعه؟».

أنزلت باربرا المعطف عن كتفي الشاعرة العجوز، وثنته على ذراعها. أمسكتها بإحكام، فهي لا تريد أن تفلت منها وتسقط على الأرض.

كانت غرفة المعيشة صغيرة، مؤثثة بمقاعد ذات ظهر مستقيم وأريكة أمام أكبر شاشة تلفاز شاهدتها باربرا. لسبب ما، لم تتوقع باربرا وجود تلفاز في منزل شاعرة.

قالت أوليفيا: «ضعيه على الكرسي من فضلك، وضعي أشياءك أيضاً. ماري سترتبها. اجلسي على الأريكة من فضلك. جلوسي ونهوضي على المقعد أسهل، لهذا سأجلس هنا. أنت باربرا، التي راسلتني إيميلي بخصوصك. يسعدني أن ألتقي بك. هل تلقحتِ؟».

قالت باربرا: «اممم، نعم. جونسون أند جونسون».

قالت أوليفيا: «رائع. اجلسي من فضلك».

لا تزال باربرا مرتبكة، خلعت معطفها ووضعته على المقعد، فاختفى تحت معطف

الفـرو الضخـم. لا يمكنهـا أن تصـدق أن مثل هـذه المرأة الصغيرة يمكن أن ترتديه من دون أن تنهار بسبب وزنه.

قالت باربرا: «شـكراً جزيلاً لك على إعطائي بعضاً من وقتك، سـيدة كينغسـبري. أنا أحب أعمالك، إنها...».

رفعت أوليفيا إحدى يديها، وقالت: «لا داعي لإبداء ملاحظات المعجبين يا باربرا. في هذه الغرفة نحن متساويتان».

ابتسمت باربرا لسخافة هذه الفكرة.

قالت أوليفيا: «نعم، نعم. قد نحظى بمناقشات مثمرة في هذه الغرفة، أو لا. ولكن إذا فعلنـا ذلـك، فيجب أن نكون متسـاويتين. سـتناديني بأوليفيـا. قد يكون ذلك صعباً عليك في البداية، لكنك ستتعودين على ذلك. ويمكنك عدم وضع قناعك، إذا أصبتُ بهذا المرض الرهيب ومتّ مع أننا تلقينا اللقاح، ستكون عظامي عجوزة للغاية».

فعلـت باربـرا مـا قيـل لها. هناك زر على المنضدة بجانـب مقعد أوليفيا، ضغطت عليه، فأصدر صوت صافرة داخل المنزل. قالت: «سنحتسي الشاي ونتعارف».

خافت باربرا قليلاً عندما تذكرت الشاي الذي سبق لها أن احتسته في منزل إيميلي هاريس.

أتت امرأة شـابة أنيقة ترتدي بنطالاً بنياً غامقاً وبلوزة بيضاء بسـيطة، كانت تحمل صينية فضية عليها كوبان من الشاي وطبق بسكويت أوريو».

قالت أوليفيا: «ماري دوشامب، هذه باربرا روبنسون».

قالت ماري: «سـررت بلقائك يا باربرا». ثمّ وجّهت كلامها إلى الشـاعرة العجوز: «لديك تسعون دقيقة يا ليفي. قبل أن يحين موعد قيلولتك».

مدّت أوليفيا لسانها، وفعلت ماري الشيء ذاته. ضحكت باربرا، وعندما ضحكت المرأتان معها، تلاشى شعورها بالارتباك. شعرت باربرا بالقليل من الارتياح، وقررت أن تشـرب الشـاي. على الأقل هذان الكوبان الصغيران، لا يشـبهان الأكواب العملاقة في منزل آل هاريس.

عندما غادرت ماري، قالت أوليفيا: «إنها مدبرة، لكنها مدبرة جيدة. لا أعرف كيف كنت سأعيش من دونها».

عرفت باربرا هذه من خلال بحثها عبر الإنترنت، أن أوليفيا كينغسبري أنجبت ولدين من عشيقين مختلفين، ولديها حفيد، وقد توفوا جميعاً. مات الحفيد الذي أهداها معطف الفرو الضخم قبل عامين. سيصبح عمر أوليفيا مئة عام إذا ظلّت على قيد الحياة حتّى الصيف القادم.

قالت أوليفيا: «شاي النعناع. يُسمح لي بتناول الكافيين في الصباح فقط، أعاني من عدم انتظام ضربات القلب بين الحين والآخر. هل يمكنك أن تسكبي الشاي لنا يا باربرا؟ مع القليل من الكريم وأكبر قدر من السكر».

قالت باربرا مغامِرة: «لهضم الدواء».

قالت أوليفيا: «نعم، وبأفضل طريقة».

صبّت باربرا الشاي لكليهما، وطلبت أوليفيا قطعتين من بسكويت الأوريو. مذاق هذا الشاي جيد، لا يوجد فيه أي نكهة غامضة تجعلها تتسلل إلى المغسلة لتسكب معظمه.

شربتا الشاي وأكلتا البسكويت. سألت أوليفيا باربرا عن عائلتها، مدرستها، أي رياضة شاركت فيها (باربرا تركض، وتلعب التنس)، وإن كان لديها حبيب أم لا (ليس حالياً). لم تناقشها عن الكتابة على الإطلاق، وبدأت باربرا تعتقد أنها لن تفعل ذلك، وأنه لم تدعَ اليوم إلى هنا سوى لكسر ملل فترة ما بعد الظهر لعدم وجود أحد للتحدث إليه سوى المرأة التي تعمل لديها. هذه خيبة أمل، لكنها ليست كبيرة كما توقعت باربرا. أوليفيا لطيفة وذكية ومعاصرة. على سبيل المثال، هي تملك تلفازاً ذا شاشة عملاقة. وقد تفاجأت باربرا عندما سمعت أوليفيا تقول اللفظ العامّي لكلمة فتاة معجبة، والتي لم تتوقع أن تسمعها قادمة من سيدة عجوز.

لم تدرك باربرا سوى لاحقاً، أن أوليفيا كانت تدور حول الشيء الذي جلب باربرا إلى هنا، وكأنها تتعرف إليها من خلال الاستماع إلى حديثها. لقد استجوبت باربرا بطريقة لطيفة ولبقة، وكأنها في مقابلة عمل.

أتت ماري لأخذ كوبي الشاي الفارغين. شكرتها أوليفيا وباربرا، وبمجرد مغادرتها، انحنت أوليفيا إلى الأمام، وسألتها: «أخبريني، لماذا تكتبين الشعر؟».

نظرت باربرا إلى يديها، ثمّ نظرت إلى وجه السيدة العجوز الجالسة قبالتها، وهو

عبارة عن جلد يغطي جمجمتها فقط، تلك العجوز التي نسيت أو تجاهلت فتات بسكويت الأوريو المتناثر على فستانها، كانت عيناها مشرقتين ووامضتين. شعرت باربرا أن هناك شراسة تكمن في عينيها.

أجابت: «لأنني لا أفهم العالم. أنا بالكاد أرى العالم، وهذا يجعلني أشعر بالجنون في بعض الأحيان، أنا صادقة في ما أقول».

سألت: «حسناً، وهل كتابة القصائد تجعلك تفهمين العالم، وتقلل من شعورك بالجنون؟».

فكّرت باربرا في وجه أوندوفسكاي في المصعد، وكيف تغير كل شيء كانت تعتقد أنها تعرفه عن الواقع عندما حدث ذلك. فكّرت في النجوم الموجودة على أطراف المجرة، التي تحترق مع أنها غير مرئية، وضحكت.

أجابت: «كلا. في الواقع، تجعلني أفهم العالم قليلاً، ولكنها تزيد من جنوني. هناك شيء ما حول الكتابة... لا يمكنني شرحه...».

قالت الشاعرة العجوز: «أعتقد أنك تستطيعين».

حسناً، ربّما، قليلاً.

قالت: «أحياناً أكتب سطراً... أو أكثر من سطر واحد... وأحياناً أكتب قصيدة كاملة... وأقول لنفسي: حسناً، لقد فعلت ذلك بشكل صحيح، وأنا أشعر بالرضى. الأمر أشبه بأن تشعري بالرغبة في حك وسط ظهرك، ولكن أصابعك لا تستطيع الوصول إلى ذلك المكان. وعندما تتمكنين من الوصول إلى المنطقة التي تشعرين بالرغبة في حكها، ستشعرين براحة لا مثيل لها».

قالت الشاعرة العجوز: «هذا مريح، أليس كذلك؟».

قالت باربرا بحماسة: «نعم، نعم! أو مثلاً العدوى والتورّم، وأنتِ... عليك...».

قالت أوليفيا: «عليكِ أن تتخلصي من القيح. ألا يعلمونك ذلك في الكلية؟ لا. فكرة أن النزعة الإبداعية هي وسيلة للتخلص من السم... أو التغوط الإبداعي... لا. لا يعلمون ذلك.. لا يتجرؤون، فهو سوقي أكثر من اللازم. قولي لي سطراً كتبتيه ولا يزال يعجبك، منحك ذلك الشعور بالراحة عندما تتخلصين من الحكة في النهاية».

اعتقدت باربرا أنها ما عادت تشعر بالتوتر. قالت: «حسناً، هناك سطر في القصيدة

التي أرسلتها لك الأستاذة هاريس، لا يزال يعجبني: هذه هي الطريقة التي تطير بها الطيور في السماء عند غروب الشمس. ليس مثالياً، لكن...»

رفعت أوليفيا يدها مثل شرطي المرور، وقالت: «لكنك كتبت في القصيدة التي قرأتها (بهذه الطريقة تطير الطيور في السماء عند غروب الشمس)».

اندهشت باربرا. اقتبست أوليفيا السطر بالضبط كما هو، على الرغم من أن القصيدة لم تكن أمامها.

قالت باربرا: «نعم، اقترحت عليّ الأستاذة هاريس تغييره وكتابته بتلك الطريقة».

سألت أوليفيا: «وهل اعتقدتِ أن نسختها أفضل؟».

قالت باربرا: «نعم». ثمّ توقفت. بدا لها السؤال وكأنه فخ. لا، هذا ليس صحيحاً، هذه المرأة لا تطرح ذلك النوع من الأسئلة (لكن باربرا تعتقد أن إيميلي هاريس قد تفعل ذلك). لكن يمكن أن يكون سؤال اختبار.

قالت باربرا: «ظننت ذلك حينها، ولكن...».

قالت أوليفيا: «لكنك الآن غير متأكدة. هل تعرفين لماذا؟».

فكرت باربرا في الأمر ثمّ هزّت رأسها. إذا كان السؤال اختباراً، فقد فشلت للتو.

قالت أوليفيا: «هل لأن نسختك الأصلية احتوت على كلمات تنسجم مع إيقاع القصيدة؟ هل لأن هذه الكلمات تعبّر عن أسلوبك، مثل المفتاح الميت في البيانو؟».

أجابت باربرا: «إنها كلمة واحدة فقط... حسناً، كلمتان....»

قالت أوليفيا: «لكن لكّل كلمة أثرها في القصيدة، وبالأخص في الشعر الحر، يجب أن يكون الإيقاع موجوداً دائماً، كنبض القلب. الشعر هو تعبير عنك، إيميلي مزعجة. هل عرضت عليك أن تساعدك في عملك يا باربرا؟».

قالت باربرا: «أظنّ أنها فعلت ذلك بطريقة ما. قالت لي أن أعتبرها طرفاً مهتماً في حال لم أتلقَّ ردّاً منك».

قالت أوليفيا: «نعم، هذه هي إيميلي التي أعرفها. تتعامل مع كل شيء وكأنها مديرة. ستبدأ بتقديم اقتراحات، وفي النهاية ستصبح قصائدك قصائدها. وعندما تكون متعاونة قدر الإمكان، ستتقبّل ما تكتبينه الآن. إنها شبه متقاعدة، تطّلع على عينات الكتابة لورشة الأدب الخيالي. لكن فيما يخصّ عملها معلمة أو مرشدة، فهي مثل

مـدرب قيـادة ينتهـي بـه الأمـر دائماً بأخذ عجلة القيادة من الطالـب. لا يمكنها التحكم في ذلك».

عضّـت باربـرا شـفتها، فكـرت قليلاً وقررت المخاطرة وطرح هذا السـؤال: «أنت لا تحبينها؟».

فكرت الشاعرة العجوز قليلاً، ثمّ أجابت أخيراً: «نحن زميلتان».

فكّرت باربرا، هذه ليست إجابة، ربما هي إجابة.

تابعت أوليفيا: «عندما كنت أدرّس الشـعر في جامعة بيل منذ عدة سـنوات، كان مكتبي بجانب مكتبها في قسـم اللغة الإنكليزية، وأحياناً كنت أسـمع مناقشـات طلابها عندما يكون باب مكتبها مفتوحاً. لم تكن ترفع صوتها أبداً، ولكن غالباً ما كان هناك... نـوع مـن الإكـراه. يمكـن لمعظم البالغين رفض بعض الأشـياء، لكن الطلاب، وخاصة أولئك الذين يتوقون إلى إرضائها، وضعهم مختلف. هل أعجبت بها؟».

قالت باربرا: «بدت على ما يرام. مستعدة للتحدث إلى شابة اقتحمت منزلها للتو».

فكّرت باربرا في الشاي المقرف.

سألتها أوليفيا: «آه. وهل قابلت زوجها، حبيبها ونصفها الآخر؟».

أجابت باربرا: « كان يغسل سيارته. لم نجلس سوية».

قالت أوليفيا: «إنه رجل مجنون». لم تبدُ غاضبة ولم تبدُ أنها تمزح. وكأنها تقول السـماء غائمـة اليـوم. ثـمّ تابعت: «لا تأخذي الـكلام منّي؛ قبل تقاعده، كان معروفاً في قسم علوم الحياة باسم رودي الصاخب المجنون المتخصص في علوم التغذية. قبل أن يتقاعد، كان لديه حلقة دراسية مدّتها ثمانية أسابيع – على الرغم من أنه لا يزال يتمتع ببعـض الامتيـازات فـي المختبـر– عنوانهـا اللحم هو الحياة. لقد جعلنـي عنوانها أُفكر دائماً في رينفيلد في دراكولا. هل قرأته؟ لا؟ رينفيلد هو أفضل شخصية. كان مجنوناً محبوساً في منزل، يأكل الذباب ويردد «الدم هو الحياة «مراراً وتكراراً.

قالت أوليفيا: «اللعنة عليّ، أنا ثرثارة».

صُدمت باربرا، وفتحت فمها.

قالت أوليفيا: «لا تنصدمي يا باربرا. لا تستطيعين أن تصبحي كاتبة جيدة من دون فهم الألفاظ النابية، والقدرة على النظر إلى القذارة، وحتّى تمجيدها في بعض الأحيان.

كلّ ما أريد قوله – ليس بدافع الغيرة، أو التملك – أنه من الأفضل لك الابتعاد عن آل هاريس، وخصوصاً إيميلي. الآن إذا كنت تنوين زيارتي للثرثرة على زميلة سابقة، من فضلك قولي لي».

قالت باربرا: «كلّ ما أعرفه هو أن الشاي الذي قدّمته لي كان مقرفاً».

ابتسمت أوليفيا، وقالت: «لتكن جملتك هذه نهاية حديثنا عنها، حسناً، هل قصائدك في هذا الملف؟».

قالت باربرا: «بعضها، القصائد القصيرة».

قالت أوليفيا: «اقرأي لي».

بدت باربرا خائفة وهي تسأل: «هل أنت متأكدة؟». ولكنها بدت في الوقت نفسه سعيدة.

قالت أوليفيا: «بالطبع». ارتجفت يدا باربرا وهي تفتح ملف قصائدها، لكن أوليفيا استرخت على مقعدها وأغمضت عينيها. قرأت باربرا أول قصيدة بعنوان «صورة مزدوجة»، ثمّ قرأت واحدة بعنوان «عين كانون الأول»، ثمّ «العشب، في وقت متأخر بعد الظهر»:

«انتهت العاصفة، وأشرقت الشمس من جديد.

عندما هبت الريح قالت،

أخبروا الظلال الخلود، الخلود.

وهذا ما فعلوه».

فتحت الشاعرة العجوز عينيها ونادت ماري. كان صوتها قوياً بشكل مفاجئ. فكرت باربرا لا بدّ أنها نادت المرأة ذات البنطال البني لترافقني إلى الخارج.

قالت ماري: «لديك عشرون دقيقة أخرى يا ليفي».

تجاهلت أوليفيا ذلك. نظرت إلى باربرا، وقالت: «هل تحضرين الدروس شخصياً، أم عبر زوم؟».

أجابت باربرا: «عبر زوم حالياً». تمنّت باربرا ألا تبكي قبل خروجها من هنا. لا بدّ أن الأمور تسير على ما يرام.

سألتها أوليفيا: «متى يمكنك أن تأتي؟ الصباح هو أفضل وقت بالنسبة إليّ. أكون

في قمّة نشاطي حينها... أو بما بقي لديّ من نشاط.. هل يناسبك ذلك؟ اجلبي دفتر المواعيد يا ماري».

غادرت ماري، وقالت باربرا: «ليس لديّ دروس حتّى الحادية عشر».

قالت أوليفيا: «هذا مثالي، إذا افترضنا أنك تنهضين باكراً».

بشكل عام، باربرا بعيدة كلّ البعد عن النهوض باكراً، لكنها فكّرت أن عليها أن تغيير عادتها.

سألت أوليفيا: «هل يمكن أن تأتي عند الثامنة حتّى التاسعة؟ أو حتّى التاسعة والنصف؟».

عادت ماري ومعها دفتر المواعيد، وقالت: «يكفي حتّى التاسعة، ساعة ونص كثير يا ليفي».

لم تمدّ أوليفيا لسانها، لكنها صنعت وجهاً مبهجاً، مثل طفل أخبروه بأن عليه أكل البروكلي.

قالت أوليفيا: «إذاً، من الثامنة حتّى التاسعة. الاثنين والثلاثاء والجمعة. أيام الأربعاء للأطباء الملعونين، وأيام الخميس للمعالجين الفيزيائيين الملعونين أيضاً».

قالت باربرا: «يمكنني فعل ذلك، بالطبع يمكنني فعل ذلك».

قالت أوليفيا: «اتركي القصائد هنا، وأحضري المزيد. إذا كان لديك كتباً لي تريدين أن أوقعها لك، أحضريها معك في المرة القادمة لنتخلص من هذه السخافة. سأرافقك إلى الخارج». أمسكت بعكازها وبدأت بالنهوض ببطء. أسرعت ماري لمساعدتها، فلوّحت الشاعرة العجوز بيدها رافضة، وكادت أن تسقط على مقعدها.

قالت باربرا: «ليس عليك ذلك».

قالت أوليفيا بإصرار: «بلى، امشي معي. ضعي المعطف على كتفي».

قالت باربرا بعفوية: «فو، فو» فضحكت أوليفيا. سارتا ببطء في الممر القصير، تكاد الشاعرة العجوز تختفي تحت معطف الفرو. وقفت ماري تراقبهما. وظنت باربرا أنها جاهزة لالتقاطها في حال سقطت وتحطمت مثل مزهرية خزفية قديمة.

وصلتا الباب، أمسكت أوليفيا معصم باربرا بيدها الضعيفة. وسألتها بصوت خافت، وقد فاحت رائحة فمها الكريهة نوعاً ما: «هل سألتك إيميلي عمّا إذا كانت

قصائدك تدور حول ما تحب أن تسميه التجربة السوداء؟».

أجابت باربرا: «حسناً... لقد قالت شيئاً...».

قالت أوليفيا: «القصيدة التي أرسلَتها، وتلك التي قرأتِها لي لا تتعلقان بكونك سوداء، أليس كذلك؟».

أجابت باربرا: «كلا».

شدّت بيدها الضعيفة على معصم باربرا، وقالت: «سأطرح عليك سؤالاً أيتها الشابة، وأجيبيني بصدق. إياك أن تكذبي عليّ، عديني».

قالت باربرا: «أعدك».

انحنت الشاعرة العجوز، نظرت إلى وجه باربرا، وهمست: «هل تعرفين أنك جيدة في ما تفعلينه؟».

فكّرت باربرا في نفسها: هل حكمت عليّ بناءً على ثلاث أو أربع قصائد؟

لكنها همست: «نعم».

2

توجّهت إلى المنزل وهي تشعر بالدهشة والذهول، تفكر في آخر شيء قالته لها أوليفيا: «المواهب هشة. يجب ألا تهبي مواهبك أبداً إلى الأشخاص الذين قد يحطّمونها».

لم تفكر في من قصدت بكلامها، لكن باربرا فهمت مقصدها. لا تتوقع باربرا أن تعود إلى منزل آل هاريس مرّة أخرى، لديها كلّ ما تريده الآن.

25 تموز 2021

1

دخلت هولي إلى مكتبها، اختفى كلّ الأثاث، المكتب، الكراسي، الحاسوب، والتلفاز، والسجاد. تخيلت والدتها تقف عند النافذة وتنظر إلى الخارج، تماماً كما تفعل هولي عندما تتذكر شارلوت. عندما استدارت شارلوت كانت عيناها غائرتين في وجهها الأصفر المائل إلى الرمادي. بدت كآخر مرّة تحدثت فيها هولي إليها في المستشفى، قبل أن تدخل في غيبوبة.

قالت شارلوت: «يمكنك الآن العودة إلى المنزل».

2

فتحت هولي عينيها، لم تكن متأكدة أين هي، لكنها شعرت بالارتياح لأنها لم تكن في مكتبها الفارغ. نظرت حولها إلى العالم الحقيقي، إنها في غرفة في الطابق الثاني من فندق دايز إن. لقد توفيت والدتي، وأنا بأمان. كان هذا أول ما فكّرت فيه عندما استيقظت.

ذهبت إلى الحمام لتتبول، ثمّ جلست على المرحاض لفترة قصيرة مسندة وجهها على يديها. فكّرت، كم أنها شخص ضعيف لأنها ربطت بين موت والدتها وشعورها بالأمان.

استحمت ولبست ملابسها الداخلية النظيفة، لطالما أخبرتها والدتها أنه يفترض بها غسل الملابس التي تشتريها قبل أن ترتديها: أوه، هولي. لا تعرفين من أمسك هذا أو استخدمه قبلك، كم مرة أخبرتك بذلك؟

هناك ورقتان أسفل بابها. الأولى هو فاتورة إقامتها الليلة، والأخرى هي إشعار

بـدء وقـت بوفيـه الفطـور. وقد كتـب عليها: إذا كنت قد تلقحت لقاح كوفيد، تسـتطيع الاسـتمتاع ببوفيـه الفطـور «في منطقتنـا الممتعة المخصصة لتناول الطعام». إذا لم تكن قد تلقحت لقاح كوفيد، فهلّا أخذت صينية طعامك إلى غرفتك من فضلك.

عـادةً، لا تسـتمتع هولـي ببوفيـه الفطـور في الفنـدق، لكنها ملقّحة وكانت تشـعر بالجـوع حقّـاً، لـذا قـررت أن تـأكل فـي منطقة تناول الطعـام الصغيـرة، وجدت رجلاً بدينـاً يجلـس وحـده هناك، يحدق إلـى هاتفه بعبوس. قررت هولي تخطّي طبق البيض المخفـوق (بيـض بوفيـه الفطـور في الفندق دائماً مـا يكون رطباً أو جافّاً للغاية) أخذت شـطيرة عوضـاً عـن ذلـك مع وعاء مـن رقائق الفطور وكوب من القهوة سـيئة المذاق. أكلت الفطيرة بجوار آلة صنع الثلج بعد أن دخنت سيجارتها الأولى لليوم. وفقاً للوحة المصرف في الجهة المقابلة من الشارع التي تعرض الوقت ودرجة الحرارة، فقد بلغت درجة الحرارة بالفعل خمساً وسبعين درجة في السابعة صباحاً. ماتت والدتها وسيكون يوماً حارقاً.

عادت هولي إلى غرفتها، واكتشفت أن كوباً واحداً من القهوة لن يكون كافياً، ليس بعـد هـذا الحلـم الرهيـب، فتحـت آيبادها، عثرت على فيديو كاميـرا المراقبة في جيت مارت وقررت مشاهدته من جديد. تمنّت لو لم تكن عدسة الكاميرا متسخة للغاية، ألم يفكر أحد في تنظيفها؟ ذهبت إلى الحمام، وأغلقت الباب، وأطفأت الأنوار، وجلست علـى غطـاء المرحـاض. نظـرت إلى اللقطات مرّة أخرى، حاملةً الآيباد على بعد ثلاث بوصات من وجهها.

غـادرت الحمـام، وسـكبت بعض القهوة لنفسـها – ليسـت بسـوء قهـوة البوفيه – وشربتها وهي واقفة. ثمّ عادت وأغلقت باب الحمام، وأطفأت الضوء وشاهدت الفيديو للمرة الثالثة.

8:04 مساءً في ليلة الأول من تموز، منذ أكثر من ثلاثة أسابيع. ظهرت بوني، كانت تسـير في شـارع ريد بانك من جهة الجامعة. خلعت الخوذة وفردت شـعرها ووضعت الخوذة على مقعد الدراجة التي سـيُعثر عليها لاحقاً متروكة أسـفل الطريق، تنتظر من

يسرقها. ثمّ دخلت المتجر...

تفحصت هولي كلّ اللقطات، عندما خلعت بوني الخوذة وفردت شعرها، وقبل أن يبتعد شعرها مرّة أخرى عن وجهها، رأت هولي وميضاً ذهبياً. كبّرت الصورة بأصابعها، ورأت أن بوني كانت تضع القرط الذهبي الذي عثرت عليه بين الشجيرات.

همست هولي: «ماتت تلك الفتاة. يا إلهي، لقد ماتت».

أعادت تشغيل الفيديو. أخذت بوني مشروباً غازياً من البراد، وتفقدت الوجبات الخفيفة، وبعد أن أمسكت علبة هو هوس، بدّلت رأيها، وذهبت إلى المحاسب. قال الموظف شيئاً أضحكهما، فكّرت هولي، لا بدّ أن بوني كانت تتوقف هنا بشكل منتظم. عليها أن تتحدث إلى ذلك الموظف، واليوم، إن أمكن.

وضعت بوني مشروبها في حقيبة ظهرها، وقالت شيئاً آخر للموظف، الذي رفع إبهامه إلى الأعلى. خرجت من المتجر، اعتمرت خوذتها، ركبت دراجتها، ولوّحت بيدها للموظف، والذي لوّح لها بالمقابل. وهذا كلّ شيء. تشير الساعة في الجزء السفلي من الشاشة إلى 8:09 مساءً.

نهضت هولي وأنارت مصباح الحمام، ثمّ عادت وجلست مجدّداً على غطاء المرحاض المغلق. أعادت مشاهدة الفيديو مرّة أخرى من بدايته، ستتجاهل بوني والموظف هذه المرة، وهي تتمنى لو أن الكاميرا كانت موضوعة على مستوى أخفض قليلاً، ولكن بالطبع كان الغرض منها هو القبض على سارقي المتجر، وليس مراقبة حركة المرور في شارع ريد بانك. على الأقل ليس عليها أن تراقب حركة المرور المتجهة صعوداً في الشارع، يمكنها رؤية النصف السفلي من المركبات التي تسير باتجاه ورشة تصليح السيارات المهجورة، حيث عُثر على الدراجة. لأن الجزء العلوي من النافذة الأمامية للمتجر يغطّيها.

أصبحت هولي شبه متأكدة من فكرة وجود خاطف، ربما كان موجوداً بالفعل في ورشة إصلاح السيارات، أو ربّما تبعها إلى حيث تتوقف عادة في منتصف طريقها وانتظرها هناك. وبهذه الطريقة سيقلل الوقت الذي يركن فيه مركبته وينتظرها، ما يقلل

فرص جذب الانتباه إليه.

في العادة يكون هذا الجزء من شارع ريد بانك قليل الازدحام عند الساعة الثامنة في ليالي الأيام العادية، بالأخص بعد افتتاح الشارع الرئيسي (الطريق الدائري). وهي تعتقد أن هذا ما تسبب بإغلاق العديد من المتاجر في هذا الجزء من شارع ريد بانك، بما في ذلك محطة الوقود، كويك بيك، وورشة إصلاح السيارات.

عدّت هولي السيارات التي ظهرت في الشارع في الفيديو، كان هناك خمس عشرة سيارة تتجه صوب المتجر، بالإضافة إلى ثلاث شاحنات. أعادت هولي الفيديو إلى الخلف، أوقفته هذه المرة لحظة مرور الشاحنة. كانت بوني تنتقي من رف الوجبات الخفيفة، والموظف يرتّب علب السجائر.

كبّرت هولي الصورة مرّة أخرى، وقالت: «اللعنة على عدسة هذه الكاميرا القذرة». حجب الجزء العلوي من النافذة الأمامية للمتجر الشاحنة. لذا يمكنها فقط أن ترى يد السائق البيضاء اليسرى على المقود، إذا كان ذلك مفيداً، لكن هذا لا يفيدها في الواقع.

أعادت الصورة إلى حجمها الأصلي. الشاحنة إما بيضاء متسخة أو زرقاء فاتحة. هناك شريط بلون أزرق غامق على طول الجزء السفلي من الباب الجانبي للسائق وبدن الشاحنة. فكرت إن كان بيت أو جيروم يستطيعان معرفة نوع هذه الشاحنة، لكنها لا تظنّ ذلك. بالمقابل إذا كنت تنوي أن تختطف امرأة شابة، فقد تكون الشاحنة هي الخيار الأمثل. يا إلهي، لو أنها تستطيع فقط رؤية لوحة الترخيص.

أرسلت هولي الفيديو إلى بيت وجيروم، وسألتهما إن كان أي منهما يستطيع تحديد طراز الشاحنة، أو إفادتها بأية معلومات بخصوصها. أصبحت شبكة واي فاي الفندق أفضل هذا الصباح، لذا قررت زيارة موقع شرطة المدينة للتحقق من قائمة المفقودين المبلغ عنهم. يسكن أربعمئة ألف شخص تقريباً بجوار البحيرة، لذا لم تتفاجأ بالعثور على أكثر من مئة اسم على قائمة، من بينهم بيتر ستينمان. لكنها لم تعثر على اسم إلين كراسلو، ربّما لأنه لم يبلغ أحد عن اختفائها؛ افترضت لاكيشا أنها استقالت من وظيفتها وعادت إلى جورجيا. كُتب تاريخ وجود خمسة من الأشخاص

بجانب أسمائهم، مرفق بكلمة واحدة فقط: متوفى.

3

في طريق عودتها إلى المدينة، شعرت هولي بالانزعاج لأنها ارتدت ملابسها الداخلية التي اشترتها في الأمس من دون أن تغسلها، واتضح لها أن والدتها لم تمت حقاً مع أن جسدها مات، ولن تموت حتّى تموت هولي نفسها. توقفت بعد مخرج ريدغلاند عندما أصبح لون إشارة المرور أحمر، وتحققت من الملاحظات المكتوبة على الآيباد، ثمّ توجهت بالسيارة إلى شارع إيستلاند، الذي لا يبعد كثيراً عن جامعة بيل. تستمر هذه القضية بإعادتها إلى منطقة الجامعة.

على الجانب الجنوبي من الشارع هناك منازل فكتورية الطراز فخمة بالقرب من المنتزه. في هذا الجانب ستجد عدّة مساكن للطلاب، معظمها مبانٍ سكنية مؤلفة من ثلاثة طوابق. لا يزال حال بعضها جيداً لكن طلاء بعضها بدأ يتقشر، أُلقيت بعض علب البيرة أمام تلك المباني.

مرّت عبر منطقة تجارية مكونة من كتلتين تستهدف طلاب الجامعات: ثلاث مكتبات، متجرين رئيسيين (يدعى أحدهما الموتى الممتنون)، الكثير من محلات البيتزا والبرغر والتاكو، وسبع حانات على الأقل. أنه يوم الأحد، وهو شديد الحرارة، مع أن الحرارة لم تبلغ ذروتها في هذه الظهيرة، وجدت هولي معظم محلات البيتزا والبرغر مغلقة، وهناك القليل ممن يسيرون هناك.

اتجهت نحو الرصيف.

رأت منزلاً مؤلفاً من طابقين، رُكنت أمامه خمس سيارات جنباً إلى جنب، لم تجد مكاناً لتركن سيارتها بينها، لذا اضطرت مُكرهة إلى ركنها على العشب.

وجدت شاباً يجلس عند المصطبة الأمامية، ينظر إلى الأسفل، ويدخن إما سيجارة أو حشيشاً. نظر إلى الأعلى عندما ترجلت هولي من سيارتها. كانت عيناه زرقاوين، ولحيته سوداء، وشعره طويلاً. ثمّ أخفض رأسه مرّة أخرى.

قالت: «مرحباً. اسمي هولي غيبني، وكنت أتساءل..».

قال الشاب: «إذا كنتِ من المورمون أو السبتيين، فاذهبي من هنا».

قالت: «لست منهما، هل أنت توم هيغينز؟».

نظر إلى الأعلى، تسلل الذعر إلى عينيه الزرقاوين، وقال: «كلا، لست هو. ابتعدي. أعاني من آثار الثمالة اللعينة. لا يزال الآخرون نائمين».

تجرأت هولي، وقالت: «حمّى ليلة السبت، ستهدأ صباح الأحد».

ضحك الشاب الملتحي، وقال: «هذا صحيح أيتها الحكيمة».

سألته: «هل ترغب في شرب القهوة؟ هناك مقهى ستاربكس في نهاية الشارع».

قال: «يبدو هذا جيداً، لكنني لا أعتقد أنني أستطيع المشي إلى هناك».

قالت: «أنا سأقود».

قال: «وهل ستدفعين يا دولي؟».

قالت: «اسمي هولي. ونعم، سأدفع».

4

كانت هولي ستشعر بالذعر لفكرة وجود رجل غريب ضخم ملتحٍ –ويعاني من آثار الثمالة –في سيارتها، لكن الظروف هذه المرة مختلفة، لأن هذا الشاب، راندي هولستن يشبه بي وي هيرمان، على الأقل في وضعه الحالي. أنزل راندي النافذة، ليتيح للهواء الساخن مداعبة وجهه، مثل كلب أشعث يتوق إلى شمّ كلّ رائحة عابرة. وهذا ما أسعد هولي، لأنه إذا تقيأ، فسيتقيأ في الخارج بدلاً من الداخل. فاستعادت ذكرى رحلة جيروم إلى المستشفى مع فيرا ستينمان.

لم يكن مقهى ستاربكس مزدحماً. هناك العديد من الزبائن الذين يعانون من آثار الثمالة كما بدا من مظهرهم، لكن ليس بقدر هولستن. طلبت له كوب قهوة مزدوجاً، وطلبت كوب أمريكانو لها. أخذا كوبيهما إلى الخارج وجلسا في بقعة صغيرة مظللة. أنزلت هولي قناعها. القهوة قوية، مذاقها جيد، وأنستها مذاق القهوة السيئة التي احتستها في الفندق في وقت سابق اليوم. عندما لاحظت تحسناً طفيفاً في حيوية هولستن، سألته إن كان توم هيغينز نائماً أيضاً في ذاك المنزل.

أجابها: «كلا. إنه في لوتس فاغيس. ذهب بيلي وهيناتا إلى لوس أنجلوس، لكن توم بقي هناك، وهذا لا يفاجئني».

عبست هولي، وسألته: «لوتس فاغيس؟».

قال: «إنها تعني لاس فيغاس باللهجة العامية يا أختي».

سألته: «متى ذهب إلى هناك؟».

أجابها: «في أواسط شهر حزيران، غادر لأنه كان مديناً بالإيجار».

تذكّرت هولي تلخيص لاكيشا القصير والوحشي لشخصية توم هيغينز: جبان، فاشل، مدمن.

سألته: «هل أنت متأكد من أنه غادر في أواسط حزيران؟ وهذان الآخران ذهبا معه؟».

أجابها: «نعم. كان ذلك بعد حفلة جونتينث مباشرة. ونعم، ذهب الثلاثة معاً. توم من النوع الذي يستغل أصدقائه حتّى الرمق الأخير. بالحديث عن استغلال الناس، هل يمكنني الحصول على كوب آخر من هذا الشيء؟».

قالت: «سأدفع، لكن اذهب أنت واشترِ واحد لك وآخر لي».

سألها: «أمريكانو آخر؟».

أجابت: «نعم، من فضلك».

عندما عاد مع كوبي القهوة سألته هولي: «يبدو أنك لا تحب توم كثيراً».

قال: «في البداية كنت أحبه؛ لديه سحره الخاص – أعني، الفتاة التي كان يواعدها كانت أعلى من مستواه كثيراً – لكنه يتلاشى بسرعة، مثل بريق خاتم رخيص».

قالت: «وصف جيد. أنت تشعر بتحسن، أليس كذلك؟».

قال: «قليلاً». هزّ هولستن رأسه بلطف... «لن أكرّر هذا مرّة أخرى».

فكّرت هولي، بالطبع، حتّى ليلة السبت القادم.

سألها: «ما هي طبيعة علاقتك بتوم في أي حال؟».

أخبرته هولي قصّتها، ولم تذكر إلين كراسلو وبيتر ستينمان. أصغى إليها راندي هولستن باهتمام. لاحظت هولي مدى سرعة زوال اللون الأحمر من عينيه. كلّما كبرت، كلما أذهلها صمود الشباب.

قال: «بوني، نعم. كان اسمها بوني. إنها مفقودة، أليس كذلك؟».

قالت: «نعم. هل تعرفها؟».

قال: «سبق لي أن قابلتها مرّة أو مرتين في حفلة. أظنّ أنها كانت حفلة رأس السنة الجديدة. كانت مثيرة للغاية». هزّ هولستن إحدى يديه، وكأنه لمس شيئاً ساخناً، ثمّ تابع: «أحضرها توم معه، لكن مكاننا لم يناسبها، إذا كنت تعرفين ما أعنيه. لم أرَها منذ تلك الحفلة. لقد انفصلت عنه. تحدثت إليها قليلاً ذات مرّة في المطبخ، الحديث المعتاد في الحفلات. وأعتقد أن الانفصال كان يحدث في ذلك الحين، أو على وشك الحدوث. ربّما خرجت للابتعاد عن الثرثرة، أو ربّما عن توم. كان يجلس في غرفة المعيشة، على الأرجح يتعاطى جرعة مخدرات».

سألته: «ماذا قالت لك؟».

أجابها: «لا أتذكر. كنت ثملاً. ولكن إذا كنت تعتقدين أنه ربّما فعل شيئاً لها، فانسي الأمر. توم ليس من هذا النوع. كلّ ما يبرع في فعله هو قول أقرضني خمسين دولاراً حتّى يوم الجمعة القادم».

سألته: «هل أنت متأكد من أنه لم يعد إلى هنا منذ حزيران؟ أنا فقط أحاول القيام بعملي هنا ومعرفة التفاصيل».

قال: «لا أظنه عاد، وإن عاد فأنا لم أره. كما قلت لك، فيغاس تناسبه».

سألته: «هل لديك رقم هاتفه؟».

أعطاها الرقم، فسجلته في ملاحظاتها، لكنها اقتربت بالفعل من إخراج توم هيغينز من قائمة المشتبه بهم المحتملين، وهو في الأصل لم يكن على رأس القائمة، أضف إلى أنها لا تملك واحدة من الأساس.

قال: «إذا حاولتِ الاتصال به، ستتلقين الردّ من تلك الروبوتات التي تكرر الرقم وتطلب منك ترك رسالة».

قالت: «يراقب مكالماته».

قال: «كما يفعل كلّ الرجال من أمثاله. أعتقد أنه مدين بالمال، وليس فقط مال الإيجار».

سألته: «بكم هو مدين؟».

أجابها: «حصته من الإيجار لشهري حزيران وتموز.. خمسمئة دولار».

أخرجت هولي بطاقة عملها من حقيبتها، وأعطته إياها: «اتصل بي، إذا تذكرت شيئاً، ربّما يكون شيئاً قالته لك بوني عندما تحدثتما في الحفلة».

قال: «لا أذكر شيئاً، سبق لي أن أخبرتك بذلك، كنت شديد الثمالة. كلّ ما يمكنني تأكيده لك هو أنها كانت فائقة الجمال. أعلى من مستوى توم، كما قلت لك».

قالت: «فهمت، ولكن من باب الاحتياط».

قال: «حسناً». ووضع البطاقة في جيب بنطاله الجينز الخلفي، تعتقد هولي أنه سينساها في جيبه على الأرجح إلى أن يغسل بنطاله. ابتسم راندي هولستن، إنه ساحر، وقال: «أعتقد أن تومي بدأ يشعرها بالملل، وبناءً على ذلك، حصل الانفصال».

أقلّته هولي إلى منزله. لقد تحسن بما يكفي لإبقاء رأسه داخل السيارة. شكرها على القهوة، وطلبت منه مرّة أخرى الاتصال بها إذا تذكّر شيئاً، لكنه مجرد تذكير روتيني، فهي متأكدة من أنها أخذت كلّ المعلومات من هولستن، والتي تتمثل برقم هاتف لن يفيدها غالباً.

مع ذلك، عندما عادت إلى شارع إيستلاند، أعادت ركنت سيارتها في مكان فارغ مخصص لوقوف السيارات، واتصلت بتوم هيغينز. التوقيت في فيغاس أبكر بساعتين من هنا، لكنه ليس مبكراً للغاية. سمعت رنّة واحدة، تبعها صوت الروبوت الذي حذّرها منه هولستن. عرّفت هولي عن نفسها، وقالت إن بوني دال قد اختفت، وتساءلت إن كان توم سيتصل بها مرّة أخرى (نادته السيد هيغينز). ثمّ قادت سيارتها إلى المنزل، استحمت مجدّداً، وألقت بملابسها الداخلية التي اشترتها البارحة في الغسالة.

5

أثناء قيام الغسالة بعملها، فتحت هولي تطبيق تويتر وبحثت عن اسم كراسلو. لم تتوقع أن تظهر لها قائمة نتائج طويلة – فهو ليس اسماً شائعاً – ظهرت لها قائمة باثني عشر اسماً فقط. اثنان منهما يضعان صوراً لأشخاص سود، رجل وامرأة. واثنان آخران

يضعان صوراً لأشخاص بيض، وهما أنثيان. أما الثمانية الآخرون، فيضعون إما صوراً ظلية فارغة، أو صوراً رمزية كرتونية.

تستخدم هولي فيسبوك، إنستغرام، وتويتر بشكل روتيني في عملها. لم يعلّمها بيل ذلك، فقد كانت أساليبه قديمة نوعاً ما. بإمكانها إرسال رسالة على تويتر من أحد حساباتها المزيفة إلى العشرات ممن يحملون اسم كارسلو، هذا بسيط: أنا أبحث عن معلومات بشأن إلين كراسلو، من مقاطعة بيب، جورجيا. إذا كنت تعرفها، يرجى الرد. حتّى لو لم يكن كراسلو الذي تأمل في الحصول على معلومات منه على تويتر، فمن المحتمل أن يكون واحداً منهم يعرفها بالفعل أو أحد أقربائها، وسيمرر الرسالة. لكنها لن تفعل ذلك، على الرغم من أنها قد فعلت ذلك من قبل عندما بحثت عن الأشخاص المفقودين (معظمهم هاربون من المحاكمة) والحيوانات الأليفة المفقودة. لا يوجد سبب لعدم القيام بذلك الآن، لكنها توقفت قليلاً، وأمعنت النظر في قائمة الأسماء الظاهرة على الآيباد.

لماذا ترددت؟

لا يوجد سبب لتفكر فيه، لكن حدسها يقول، لا تفعلي ذلك. قررت تأجيل هذه الخطوة قليلاً، والتفكير في الأمر. يمكنها القيام بذلك أثناء قيامها برحلة إلى جيت مارت للتحدث إلى الموظف هناك.

رنّ هاتفها أثناء مغادرتها. اعتقدت أنها ستكون إما بيني، تسألها عن تفاصيل جديدة، أو توم هيغينز من لاس فيغاس. لكنه كان جيروم، وبدا متحمساً.

سألها: «تعتقدين أن شخصاً ما اختطفها في تلك الشاحنة يا هولي، أليس كذلك؟».

أجابت: «إنه احتمال وارد، هل يمكنك إخباري بأي معلومات عنها؟».

قال: «لقد بحثت في الكثير من مواقع السيارات. قد تكون تويوتا سيينا، ربّما، لكن عدسة كاميرا المراقبة تلك قذرة للغاية.. «

قالت: «أعرف».

قال: «ويمكنك فقط رؤية النصف السفلي منها. ما أنا متأكد منه أنها ليست سيارة شيفروليه إكسبرس، ربما هي فورد، لكن إذا كنت في برنامج المخاطرة الأخيرة،

فسيكون جوابي النهائي سيينا».

قالت: «حسناً شكراً». لن تفيدها تلك المعلومة بالضرورة.

قال: «هناك شيء مضحك بشأن ذلك».

قالت: «حقاً؟ ما هو؟».

قال: «لا أعرف. نظرت إليها عشرات المرات وما زلت لا أعرف».

قالت: «الشريط الأزرق في الأسفل؟».

قال: «كلا، الكثير من الشاحنات فيها الشريط ذاته. هناك شيء آخر».

قالت: «حسناً، إذا اكتشفت الشيء، فأخبرني به».

قال: «يا ليتنا نعرف رقم لوحة الترخيص».

قالت: «نعم، ألن يكون ذلك لطيفاً؟».

قال: «هولي؟».

قالت: «لا أزال أسمعك». توجهت نحو المصعد.

قال: «أعتقد أنه قاتل متسلسل. أنا حقّاً أعتقد ذلك».

6

بينما كانت تخرج سيارتها من المرأب، رنّ هاتفها مرّة أخرى، وظهر على الشاشة رقم غير معروف. أجابت على المكالمة، كانت واثقة من أن الرقم غير المعروف هو للسيد توم.

قالت: «مرحباً، معك هولي غيبني، كيف يمكنني مساعدتك؟».

قال: «أنا توم هيغينز، يمكنك مساعدتي بإخباري ما الذي تقصدينه بأن بوني مفقودة». سمعت أصوات كازينو في الخلفية، ما يقتل أي شك في داخلها يقول إن توم غادر فيغاس.

قالت: «انتظر، دعني أركن السيارة». ركنت في مكان شاغر. لا تتحدث هولي على هاتفها أبداً أثناء القيادة، إلا إذا لم يكن لديها خيار آخر. وهي تعتقد أن الأشخاص الذين يتصرفون بخلاف ذلك، أغبياء. فهذه ليست فقط مخالفة للقانون، بل تشكّل خطراً على حياة الناس.

سألها: «أين ذهبَت؟».

فكرت هولي في سؤاله عن الجزء الذي لم يفهمه بخصوص اختفاء بوني. لكّنها قررت بدلاً من ذلك، إخباره بأن والدة بوني استعانت بخدماتها للبحث عن ابنتها، وبكلّ ما اكتشفَته حتّى الآن. وهو ليس بالكثير. أنهت كلامها، ثمّ حلّ صمت لوقت طويل. لم تكلف نفسها عناء سؤاله عما إن كان معها؛ لا تزال تسمع أصوات الكازينو.

أخيراً قال: «هاه».

فكّرت هولي، هل هذا كل ما لديك؟

سألته: «هل لديك أي فكرة إلى أين ذهبت يا سيد هيغينز؟».

أجابها: «كلا، لقد هجرتها في الشتاء الماضي. هي من طلبت ذلك. كما تعرفين، بعض الشابات لديهن خطط للالتزام طويل الأمد، وأنا كنت أخطط لهذه الرحلة بالفعل وقتها».

أرادت أن تقول له، سمعت أنها هي من هجرتك، وليس العكس. لكنها لم تقل ذلك.

سألته: «هل تبدو لك من النوع الذي يغادر من دون أن يُخبر أحداً؟».

قال توم: «بحسب كلامك، فقد أخبرت الجميع. ألم تقولي لي إنها تركت رسالة وداع؟».

قالت: «نعم، ولكنها تركت دراجتها عرضة للسرقة؟ هل كانت متهورة إلى هذا الحدّ؟».

قال: «في بعض الأحيان...». أوحت إجابته الحذرة هذه لهولي، بأنه يقول ما يعتقد أنها تريد سماعه.

سألت: «هل ستغادر من دون أخذ أي ملابس؟ ومن دون استخدام بطاقة الائتمان أو هاتفها في الأسابيع الثلاثة الماضية؟».

أجابها: «وما الضير في ذلك؟ ربما سئمت من والدتها. كانت تتقبل تجرع السم ولا تتقبل والدتها».

هذا يخالف كلام لاكيشا، التي وصفت علاقتهما بأنها مليئة بالحب على الرغم من مرور بعض لحظات الكراهية. إضافة إلى أن بيني لا تزال تتجول ملصقة صورة

ابنتها على سيارتها.

قال: «ربّما لم تتصل بأي شخص لأنها تعرف أن والدتها سترسل شرطة الخيالة الكندية الملكية، أو شخصاً مثلك للبحث عنها. فهي ستتوق لإعادتها إلى هناك ومعاودة التحكم في حياتها».

قررت هولي تغيير الموضوع، فسألته: «هل تستمتع في لاس فيغاس يا سيد هيغينز؟».

أجابها: «نعم، أقضي وقتاً رائعاً. إنها مدينة رائعة ومليئة بالفعاليات».

قالت: «يبدو أنك في كازينو».

قال: «نعم، في بينونس. تقتصر وظيفتي على الانتظار بجانب الطاولات حالياً، لكنني أشق طريقي. والإكراميات هنا رائعة. بالحديث عن العمل، لقد أوشكت فترة الراحة على الانتهاء. سررت بالتحدث إليك آنسة غبلي. أودّ أن أتمنى لك أن تجدي بوني، لكن بما أنك تعملين لصالح الملكة الوضيعة، لا يمكنني فعل ذلك حقّاً، اعذريني».

قالت: «أودّ أن أطرح عليك سؤالاً آخر قبل أن تذهب، من فضلك؟».

قال: «قولي بسرعة. مديري الأحمق يلوّح لي».

قالت: «لقد تحدثت مع راندي هولستن. أنت مدين بخمسمئة دولار من الإيجار المتأخر».

ضحك توم، وقال: «فليحلم بها».

قالت: «لكن أنا أعرف مكان عملك. ويمكنني أن أجعل محاميي يتصل بالإدارة ويطلب اقتطاع هذا المبلغ من راتبك». إنها لا تعرف إن كان ذلك ممكناً حقاً، لكن هذا يبدو جيداً بالنسبة إليها. لطالما كانت أكثر إبداعاً وحزماً على الهاتف.

سألها: «لمَ قد تفعلين ذلك؟ هل تعملين لصالح راندي؟!».

أجابته: «لأنك لا تبدو لي شخصاً جيداً، على جميع الأصعدة».

صمت قليلاً، ثمّ قال: «وهذا ما أشعر به تجاهك أيتها الوضيعة».

قالت: «وداعاً يا سيد هيغينز. أتمنى لك يوماً سعيداً».

7

قادت هولي سيارتها عبر المدينة إلى جيت مارت في شارع ريد بانك. شعرت بسعادة غريبة. فكّرت: دخلت الوضيعة إلى حانة وطلبت كوكتيل ماي تاي.

لن يعكر شيء مزاجها، ولا حتّى كونها أتت خارج وقت دوام الموظف الذي تبحث عنه. كان ينبغي عليها توقع ذلك على أي حال؛ إذا كان الرجل يعرف بوني بما فيه الكفاية، فليس من المستغرب أنه لا يعمل يوم الأحد. وصفت الرجل الذي تبحث عنه للموظف الموجود حالياً أمامها في المتجر، بأنه شاب أحول نوعاً ما.

قال الشاب: «إنه إيميليو، إيميليو هيريرا. سيأتي غداً، يعمل بين الساعة الثالثة والحادية عشرة».

قالت: «شكراً لك».

فكّرت هولي في الذهاب إلى الجامعة، وطرح بعض الأسئلة بشأن إلين كراسلو، ولكن ما الهدف؟ إنه ليس مجرد يوم أحد في منتصف الصيف، بل يوم أحد في منتصف الصيف مع كوفيد. ستكون جامعة بيل للآداب والعلوم خالية. من الأفضل أن تعود إلى المنزل وتفكر في سبب ترددها في إرسال الرسائل للاثني عشر اسماً التي وجدتها بعد بحثها عن كراسلو على تويتر. فيما إذا كانت الشاحنة الموجودة في لقطات كاميرا المراقبة تعني أي شيء -أحياناً يكون السيجار مجرد دخان، والشاحنة مجرد شاحنة، وفيما إذا كانت قد تأكدت بالفعل من وجود نمط قاتل متسلسل.

رنّ هاتفها، كان بيت هنتلي. ركنت سيارتها، أشعلت سيجارة، وعاودت الاتصال به على الفور.

قال: «لا أعرف نوع هذه الشاحنة، ولكن هناك شيئاً مضحكاً».

قالت: «لكنك لا تعرف ما هو بالضبط».

قال: «نعم، كيف عرفت ذلك؟».

قالت: «لأن جيروم قال لي الشيء ذاته. لماذا لا تتحدّث إليه؟ ربما تستطيعان معرفة ما هو».

8

تلك الليلة، لم تستطع هولي النوم. استلقت على ظهرها وقد جمعت يديها أمام ثدييها، وحدّقت عبر الظلام. فكّرت في دراجة بوني المتروكة للسرقة، في بيتر ستينمان، المعروف باسم ستينكي بين أصدقائه، ولوح تزلجه المتروك الذي وجدوه وأعادوه إلى والدته. هل أعادوا الدراجة أيضاً إلى والدة بوني؟ بالطبع. فكرت في وصف لاكيشا لعلاقة بوني بوالدتها، وفكرت في إلين كراسلو. كل هذه الأفكار جعلت النوم يجافي عينيها.

نهضت، وتوجهت إلى الآيباد وفتحت تويتر. وأرسلت رسائل للاثني عشر اسماً من حسابها المزيف المفضل الذي يحمل اسم (معجبة لورين باكال)، سألت إن كان لدى أي منهم معلومات عن إلين كراسلو من مقاطعة بيب في جورجيا. وأرفقت كلّ تساؤل بآخر تغريدة لكلّ منهم. هذا يلغي الخصوصية، ولكن ما الغاية من ذلك؟ لا أحد منهم يملك أكثر من عشرة متابعين. عادت إلى الفراش. ظلّت مستيقظة لفترة، وبدت منزعجة من إقدامها على خطوة خاطئة إلى حدّ ما، ولكن كيف يمكن أن تكون خاطئة؟ لأن عدم قيامها بذلك يُعد خاطئاً. صحيح؟

صحيح.

أخيراً، نامت هولي وحلمت بوالدتها.

15 شباط 2021 - 27 آذار 2021

1

بدأت باربرا وأوليفيا كينغسبري لقاءهما، كانتا دائماً تشربان الشاي الذي تجلبه ماري دوشامب، التي يبدو أنها تملك عدداً لانهائياً من القمصان البيضاء والبناطيل ذات اللون البني المُصفّر الفاتح، وهناك دائماً صحن من الكوكيز، وأحياناً بعض بسكويت الزنجبيل المقرمش أو أصابع من كعكة، وأحياناً تشيبس أهوي، وأكثر ما يوضع عادة هو الأوريو الذي تُفضله أوليفيا كينغسبري. تظهر ماري في مدخل غرفة المعيشة كل يوم عند الساعة التاسعة صباحاً وتخبرهما أن وقتهما معاً قد انتهى، ثمّ تحمل باربرا حقيبة الظهر الخاصة بها وتتوجّه إلى الكلية. يمكنها أن تحضر دروسها من المنزل عبر الإنترنت والدروس الافتراضية عبر خاصية الفيديو ولكن لديها الإذن باستخدام المكتبة حيث تكون المُشتتات أقل بكثير.

بحلول منتصف شهر آذار أصبحت تطبع قبلة على خد أوليفيا قبل أن تغادر.

يعرف والدا باربرا أنها تُحضّر لمشروع خاص ما ويفترضان أنه للكلية، ولكن جيروم لا يعتقد ذلك، ولكنه لم يسألها عن تفاصيل الموضوع. كانت باربرا على وشك أن تخبرهم عدّة مرات عن لقاءاتها بأوليفيا، ولكن ما يعيقها في الغالب هو مشروع جيروم الخاص، فهو يكتب كتاباً عن جدهم الأكبر، وهو كتاب سيُنشر في وقت لاحق. لا تريد أن يعتقد شقيقها أنها تقلده أو تحاول سرقة النجاح منه. أضف إلى ذلك ما تكتبه باربرا هو الشِّعر الذي يبدو زاهياً أكثر بكثير بالنسبة إليها مقارنة بشقيقها الذي يبحث في التاريخ القاسي جداً لأفراد عصابات السوداء في شيكاغو خلال فترة الكساد. وعلاوة على ذلك فهو شيءٌ سري خاص بها، مثل تلك المذكرات التي احتفظت بها منذ سنوات المراهقة المبكرة، وقرأتها مرّة ثانية عندما بلغت السابعة عشرة (قرأت على قدر ما استطاعت تحمله) ثمّ احترقت المذكرات ذات يوم عندما كان الجميع خارج المنزل.

في كل لقاء بينهما تجلب باربرا قصيدة جديدة، فقد أصرّت أوليفيا على ذلك. وعندما تخبرها باربرا أن بعض تلك الأفكار الجديدة ليست جيدة ولم تنتهِ بعدُ تخبرها الشاعرة العريقة القديمة أن ذلك لا يهم، وأن ما يهم حقاً هو إبقاء عقلكِ نشطاً والحفاظ على تدفق الكلمات والجمل وتقول لها: «إذا لم تفعلي ذلك سينضب ينبوع الكلمات ذلك ذات يوم».

يقرآن بصوتٍ عالٍ.. أو بالأحرى باربرا تقرأ، أما أوليفيا فتكتفي باختيار القصائد وتترك إلقاءها إلى باربرا قائلة إن عليها الحفاظ على ما تبقى من صوتها. قرأا أشعار ديكي وروثكي وبلاث ومور وبيشوب وكار وإليوت وحتى أوغدن ناش. ذات يوم طلبت منها أن تقرأ قصيدة «الكونغو» للشاعر فاشيل ليندسي. قرأتها باربرا، وعندما انتهت سألتها أوليفيا إن وجدت القصيدة عنصرية.

قالت باربرا وهي تضحك: «أوه بالتأكيد هل تمزحين؟.. إنها شديدة العنصرية، إنه يقول الدولارات السوداء الثمينة في غرفة النبيذ».

«إذاً لم يعجبكِ ذلك؟».

«بل على العكس تماماً لقد أحببتُها». ثمّ ضحكت مندهشة لثانية.

«لماذا؟».

«إيقاعها. إنه إيقاع يجعلكِ ترقصين من الداخل. بوملاي، بوملاي، بوملاي، بوم. إنها مثل أغنية لا يمكنكِ إخراجها من رأسك. تعلق في أعماق اللاوعي ولا يمكنكِ طردها بأي طريقة».

«هل يسمو الشعر فوق العرق؟».

«أجل».

«وهل يسمو فوق العنصرية أيضاً؟».

توقفت باربرا لبرهة وفكّرت. عليها دائماً أن تُفكّر جيداً في غرفة الشاي والبسكويت هذه، لكن هذا الأمر يثيرها إنه يجعل الأدرينالين يتدفق في كامل عروقها، لا تشعر بالحياة في أي مكان آخر أكثر من هذه الغرفة بوجود هذه العجوز المليئة بالتجاعيد ذات العينين المتوجهتين الغاضبتين.

«لا».

«آه».

«ولكـن إذا كنـت أسـتطيع كتابـة قصيدة مثل هذه عن مالك داتون، فسـأفعل ذلك حتماً، فقط عبارة بوملاي بوم ستكون أمراً رائعاً ونجاحاً باهراً، إنه الذي...».

قالت أوليفيا وهي تشير إلى التلفاز: «أعلم من هو.. لِمَ لا تحاولين القيام بذلك؟».

قالت باربرا: «لأنني لستُ جاهزة بعد».

2

قرأت أوليفيا قصائد باربرا وجعلت ماري تنسخها، وكانت تخبر باربرا عندما تعود في اليوم التالي أن تجري ببعض التغيير أو تجد كلمة أخرى. لم تكن تطلب منها ذلك دائماً. إنها تقول دائماً واحدة من عبارتين إما «لم تكوني أنتِ عندما كتبتِ هذا» أو «لقد كنتِ الجمهور بدلاً من أن تكوني الشاعرة». ذات مرّة أخبرتها أنه يُسمح لها بالإعجاب بمـا تكتبـه لمـرة واحـدة فقط وهي أثناء كتابتـه وتكوينه ولكن «بعد ذلك يا باربرا عليكِ أن تنظري إليه بعين الناقد».

عندما لا تتحدثان عن القصائد والشـعراء تشـجّعُ أوليفيا باربرا على الحديث عن حياتها، فتخبرها باربرا عن نشـأتها في ما يدعوه والدها الطبقة المتوسـطة العليا وكيف تشـعر أحيانـاً بالحـرج عندمـا تُعامـل بطريقة جيـدة وبالغضب عندمـا يتفحصها الناس بعيونهم بطريقة فضولية مقرفة. إنها لا تفترض أن ذلك يحدث بسبب لون بشرتها بل هي متأكدة من ذلك، تماماً كما تعلم أنها عندما تدخل إلى أي متجر ستبقى تحت المراقبة ليتأكد العاملون من أنها لن تسـرق أي شـيء. إنها تحب موسـيقى الراب والهيب هوب أجل، ولكنها تكره عبارة ماي نيغا[1] فهي لا تشـعرها بالراحة. اعتقدت أنها لا يفترض بها أن تشـعر بهذه الطريقة كما أنها تحب موسـيقى المُغني واي غي (YG) ولكنها لا تستطيع أن تمنع نفسها من الشعور بذلك، تقول إن تلك الكلمات يجب أن تثير مشاعر عدم الارتياح لدى الأشخاص البيض وليس لديها، ولكن مع ذلك ها هي مشاعر عدم الراحة تلك تظهر في كل مرّة تسمع فيها هذه العبارات.

«قولي ذلك، اظهري هذه المشاعر».

---

(1) هي عبارة تعني زنجية. المترجم

«لا أعرف كيف».

«اعثري على طريقة، ابحثي عن الصور المناسبة، ابحثي في الأشياء، ولكن لا تبحثي سوى في الأشياء الحقيقية فقط. يمكنكِ فعل ذلك عندما يكون قلبكِ وعقلكِ وعينكِ متناغمة».

باربرا روبنسون شابة بالكاد تبلغ من العمر ما يكفي لجعلها تُدلي بصوتها رسمياً، ولكن حدثت لها أشياء مروعة ومرت بفترة قصيرة من محاولات الانتحار. ما حدث مع شيت أوندوفسكي في عيد الميلاد الماضي في المصعد كان الأسوأ، جعلها تنفصل عن الواقع. كانت ستخبر أوليفيا عن كل تلك الأشياء مع أنه بالكاد يمكن تصديق حدوث تلك الأمور فعلاً، ولكن في كل مرّة تقترب فيها من إخبارها بشيء منها على سبيل المثال كيف كانت على وشك أن ترمي نفسها أمام شاحنة قادمة في بلدة لو، ترفع الشاعرة العجوز يدها مثل شرطي يوقف حركة المرور وتهزّ رأسها. يُسمح لها بالتحدث عن هولي ولكن عندما تحاول باربرا أن تخبرها كيف أنقذتها هولي في عرض موسيقى الروك في قاعة مينغو ترتفع يد العجوز مرّة أخرى فتتوقف عن الحديث.

قالت أوليفيا: «نحن لسنا في جلسة طبّ نفسي، إنه ليس نوعاً من أنواع العلاج، إنه شِعرٌ يا عزيزتي، أنت تملكين الموهبة قبل أن تحدث كل تلك الأشياء المروعة لكِ، لقد ولدت الموهبة معك لحظة ولادتك مثل شقيقك تماماً ولكن الموهبة مُحرِّكٌ خاملٌ يعمل على كل تجربة وصدمة لم يتم تجاوزها وحلها، كل صراع وكل لغز وكل جزء عميق من شخصيتك تجدينه ليس غير محبوب بل حتّى مكروهاً وبغيضاً».

ثم ترتفع قبضتها في الهواء، يمكن لباربرا أن ترى أن رفع يدها يشعرها بالألم، ومع ذلك ترفع يدها، تغلق أصابعها بإحكام بحيث تطبع أظفارها علامات واضحة على جلد راحتها الرقيق ثمّ ترفعها.

قالت: «احتفظي بها.. احتفظي بها لأطول مدة ممكنة، إنها كنزكِ، ستستخدمينه ثمّ سيتوجب عليكِ الاعتماد على ذكرى الشعور الذي شعرتِ به ذات مرة، ولكن الآن وبينما تمتلكين تلك المشاعر احتفظي بها واستخدميها».

إنها لا تقول شيئاً عن القصائد الجديدة التي تحضرها باربرا هل هي جيدة أم سيئة، ليس الآن.

في معظم الأحيان، تكون باربرا هي المتحدثة الرئيسية، ولكن في أحيان قليلة تتذكر أوليفيا أمراً ما، فتتحدث بمزيج من الحزن والمرح عن المجتمع الأدبي في الخمسينيات والستينيات والذي تطلق عليه اسم «المجتمع الذي ولّى». تتحدث عن الشعراء الذين قابلتهم، والشعراء الذين عرفتهم، والشعراء الذين أحبتهم، والذين أقامت علاقة معهم (لقد أقامت على الأقل علاقة مع شاعر واحد من الحائزين على جائزة بوليتزر).

تتحدث عن ألم فقدان حفيدها، وكيف أنها تعجز عن الكتابة عنه، تقول: «إنه غصة في حلقي». تتحدث أيضاً عن حياتها المهنية الطويلة في مجال التدريس، ومعظمها «فوق التل».أي في بيل. ذات يوم في شهر آذار عندما كانت أوليفيا تتحدث عن الأسابيع الستة لورشة شارون أولدز للشِعر ومدى روعتها، سألتها باربرا: «ألم يكن يوجد من قبل كل من قسمي الشعر والرواية؟ كما هو الحال في أيوا؟».

وافقت أوليفيا قائلة: «أجل تماماً مثل أيوا». ظهرت تجاعيدٌ أكثر على وجهها كما لو أنها ذاقت شيئاً مرّ الطعم.

«ألم يكن هناك عدد كافٍ من المتقدمين ليستمروا بهذه الورشة؟».

«كان هناك الكثير من المتقدمين، ولكن بالطبع لم يكن مثل عدد المتقدمين لورشة الرواية، وكانت تنتهي دائماً بدون أي أرباح، ولكن بما أن ورشة الرواية تحقق ربحاً كانت إحدى الورشتين تغطي خسائر الأخرى». ثمّ قالت في الوقت الذي عمّقت فيها التجاعيد حول شفتيها: «كانت إيميلي هاريس هي التي بدأت محاولة إغلاق ورشة الشعر وأشارت إلى أن إغلاقها سيتيح لهم رصد موارد أكثر ليس لاجتذاب المزيد من الروائيين البارزين فحسب، بل سيؤمّن أيضاً ميزانية كبيرة لتمويل كل قسم اللغة الإنكليزية. كان هناك احتجاجات كثيرة، ولكن إيميلي أصرّت على وجهة نظرها طوال اليوم مع أنني اعتقدتُ أن وجودها كان مجرد احترام لها حتّى ذلك الحين».

«إنه عار».

«إنه كذلك، لقد جادلتُ وقلتُ إن ورشة بيل للشعر أحدثت فرقاً مميزاً في الشعر، وقد قال خورخي – كنتُ أعجَب بذلك الرجل – أن استمرارها جزء من مسؤوليتنا حيث قال: علينا أن نحمل هذه الشعلة فابتسمت إيميلي ردّاً على هذه الجملة، لديها ابتسامة

خاصة تُظهِرُها في مثل هذه الحالات وهي ابتسامة صغيرة لا تُظهِر فيها أسنانها وتشعر بها حادة مثل السكين، قالت له: مسؤوليتنا أوسع من مجرد عدد قليل من الشعراء المحتملين يا عزيزي خورخي ولا يعني ذلك أنه كان عزيزاً عليها بل في الحقيقية لم تحبه أبداً، وربما استاءت منه لأنه حضر ذلك الاجتماع». ثمّ توقفت قليلاً وقالت: «في الواقع لقد كنتُ أنا من دعوتُه».

«من هو خورخي هذا؟ هل كان في الكلية؟».

«إنه خورخي كاسترو كاتب وروائي أقام لدينا في العام الدراسي 2010–2011 ولفترة قليلة من عام 2012 وكما أقول غاب فجأة».

«هل كَتَبَ المدينة المنسية؟ هذا الكتاب على قائمة الكتب التي سنقرؤها هذا الصيف».

لم يبدُ أن باربرا تخطط لقراءته حينها فهي ستنتهي من المدرسة الثانوية في حزيران.

«نعم إنها رواية رائعة، لقد كتب ثلاث روايات رائعة، ولكن ربما تكون هذه أروعها، كان شغوفاً بآثار وقوة الشعر، ولكنه لم يستطع التصويت عندما حان وقت ذلك فهو لم يكن عضواً في هيئة التدريس».

«ماذا تقصدين بقولك غاب فجأة؟».

«هذه قصة غريبة وحزينة وغامضة إلى حدّ ما، لا تتعلق بموضوعنا الذي أتيت إلى هنا لمناقشته – ولا أعلم إذا كان خورخي قد كتب أي شِعر فأنا لم أشاهده – ولكنني سأخبركِ بالقصة إذا كنتِ تريدين سماعها».

«أجل من فضلكِ».

في هذه اللحظة، أتت ماري وأخبرت أوليفيا وباربرا أن الوقت قد انتهى، رفعت الشاعرة العجوز يدها لتوقفها وقالت: «خمس دقائق أخرى من فضلكِ». بدأت بإخبار باربرا قصة خورخي كاسترو وغيابه الغريب في تشرين الأول عام 2012.

4

في آخر يوم سبت من شهر آذار وبينما كانت باربرا تستلقي في غرفة المعيشة وتقرأ رواية المدينة المنسية لخورخي كاسترو رنّ هاتفها؛ إنها أوليفيا كينغسبري. قالت لها: «أعتقد أنني أدين لك باعتذار يا باربرا ربما ارتكبتُ خطأ فادحاً، أنتِ الشخص الذي سيقرر ذلك، هل تستطيعين المجيء لرؤيتي؟».

26 تموز 2021

1

استيقظت هولي مع شروق الشمس، وتناولت وعاء من دقيق الشوفان والفاكهة الخاصة بها، وتوجّهت إلى حاسوبها وفتحت موقع تويتر. لقد حصلت على ردّ واحد حول استعلاماتها عن كراسلو، قال ألمر كراسلو (وهو من محبي إيغلز ومن محبي شعار «لنجعل أمريكا عظيمة مرّة أخرى») إنه لم يسمع بإلين كراسلو من مقاطعة بيب جورجيا. لم يخب أمل هولي بشكل كامل فما زال لديها إحدى عشرة فرصة أخرى. الأمر أشبه بلعبة البيسبول؛ لديك ثلاث ضربات قبل أن تصبح خارج اللعبة.

في الوقت الذي كانت تنتعل فيه حذاءها الرياضي استعداداً لرياضة المشي الصباحي – حيث يكون تفكيرها في أفضل حال وقتها– رنّ هاتفها إنه جيروم. بدا متحمساً كثيراً، وكان صوته مكتوماً قليلاً بسبب القناع الذي يضعه. أخبرها أنه في سيارة أوبر متوجهة إلى المطار، فهو مسافر إلى نيويورك.

سألته منزعجة: «ستسافر في الطائرة؟».

«هذه هي الطريقة المُعتادة التي يسافر بها الإنسان آلاف الأميال» ثمّ أردف ضاحكاً: «استرخي يا هولي بيري لقد حصلتُ على بطاقة توضح أنني تلقيت اللقاح، وسأضع القناع طوال الوقت عندما أكون في الهواء الطلق، حتّى أنني في الحقيقة أضع قناعاً الآن، يمكنكِ معرفة ذلك من صوتي على الأرجح».

«لماذا نيويورك؟». وهي بالطبع تعرف لماذا: «كتابكَ!».

«اتصل بي المحرر ليلة أمس، وأخبرني أنه يستطيع إرسال العقد أو يمكنني أن آتي وأوقع عليه اليوم وسيسلمني شيكاً مصرفياً بقيمة مئة ألف دولار. قال إن الإجراءات لا تحدث بهذه الطريقة عادةً، ولكنه حصل على الإذن لإجراء هذا الاستثناء لأجلي. كل شيء يسير بشكل جنوني أم ماذا؟».

«إنها أحداث رائعة وجنونية طالما أنك بخير ولن تمرض».

«وفقاً للإحصاءات الحالية فإن نيويورك أكثر أماناً من مدينتنا يا هولي، لا أستطيع الوصول إلى هناك على وقت الغداء، وهذا أمر مُحزنٌ حقاً، فتناول الغداء مع الناشر هو نوع من التقاليد هناك. ولكنه يقول إننا نستطيع الاجتماع بعد الظهر لتناول البرغر والبيرة وستكون وكيلة أعمالي هناك. تخيلي أنه لم يسبق لي أن التقيت سوى عبر فيديو الزوم، لديها بعض الصفات الجنونية أيضاً. أخبرني الناشر أنه تعود أن يحجز في الفور سيزنز، ولكن أفضل ما يمكنه تحمل تكلفته الآن هو بلارني ستون وصراحةً هذا يكفيني».

لم يكف عن الثرثرة، ولم تمانع هولي ذلك، لقد استحوذت على تفكيرها فكرة أنه سيسافر على متن طائرة حيث يعاد تدوير الهواء وقد يكون أي شخص مصاباً بالكورونا، ولكن بما أنه سعيد إلى هذا الحدّ فلا يسعها إلا أن تسعَد لسعادته، فكرت في هذه الرحلة المفاجئة إلى نيويورك في صيف كورونا ذلك، تقول إنه من الجيد أن تكون شاباً وبالطبع في زخم أحداث اليوم فمن الجيد أن تكون جيروم.

«استمتع بوقتكَ، ولا تفقد الشيك».

قال جيروم: «وكيلة أعمالي ستتعامل مع الأمور المالية.. يا إلهي أوشك الأمر أن يصبح حقيقياً، نحن نقترب من المحطة أحبكِ يا هولي بيري».

«رافقتك السلامة، عندما تذهب إلى المطاعم تأكد من أن تجلس خارجاً في الهواء الطلق وليس في مكان مغلق...».

«حسناً أشعر أنكِ أمي.. بما أنك ما زلتِ على الخط، لقد طبعتُ خريطة من موقع مابكويست لديرفيلد بارك والمنطقة المحيطة بها، ووضعتُ علامات باللون الأحمر حيث شوهدت بوني وبيت ستينمان آخر مرة، لا نعرف معلومات عن إلين كراسلو، ولكننا نعرف أنها كانت تعمل في الحرم الجامعي، لذلك قمتُ بوضع علامة عليه، إذا أردتِ تستطيع باربرا أن تعطيكِ إياها، لقد تركتُها على مكتبي».

قالت هولي بشيء من الجرأة: «أعرف تلك المواقع». وفكرت في ما كان يقوله الخال هنري عندما يحاول أن يؤكد على أنه ليس ساذجاً بقوله لم أقع عن لوح التزلج بالأمس.

«نعم لكن رؤيتها هكذا أمر غريب، يجب أن تعرفي إذا ما كان هناك المزيد، لقد

وصلنا يجب أن أنهي المكالمة».

«متى ستعود؟».

«قد أعود غداً أو أبقى عدة أيام».

«إذا كنتَ تفكر في الذهاب إلى مسرح برودواي فالعروض المسرحية تكون...».

«يجب أن أذهب يا هولي بيري». واختفى الصوت.

«أكره عندما تناديني بذلك». ولكنها تبتسم لأنها بداخلها لا تكره ذلك حقاً، وجيروم يعرف ذلك.

2

كانت هولي تمارس رياضة المشي الصباحية عندما رنّ هاتفها مجدداً، إنه بيت هنتلي الذي سألها: «كيف حالكِ يا عزيزتي؟».

«يبدو أنك سعيد، ولا يبدو عليك المرض أيضاً».

قال: «لقد نهضتَ رجلاً أقوى بعد أن تغلبتُ على الكوفيد». ثمّ أفسد عبارته بنوبة سعال، وأكمل: «لقد وجدتُ ضالتكَ تقريباً».

توقفت عن المشي وسألته: «هل وجدتَ إلين كراسلو؟».

«لم أجدها، ولكنني حصلتُ على آخر عنوان معروف لها، وصورتها أيضاً سأرسلها إليكِ في أسرع وقت ممكن، اتصلتُ بمكتب شؤون الموظفين في جامعة بيل بمجرد أن فتحوا أبوابهم، ألستِ فخورة بي؟».

«فخورة جداً، ما العنوان؟».

«11114 بوليفارد MLK هذا أغرب ما يمكن بالنسبة إلى مدينة لو».

«شكراً لك بيتر».

قال بيتر بلهجة تبدو أكثر جدية الآن: «لا داعي للشكر، إنه عملي.. تظنين أن دال وكراسلو اللتين كان جيروم يتتبعهما مترابطتان، أليس كذلك؟».

«ربما».

«لن أتحدث إلى إيزابيل عن هذا الموضوع، هل ستخبرينها؟».

«ليس الآن».

«جيـد، تابعـي مـا تفعلينه يا هولي، وأنا سـأفعل مـا أقدر عليه تعرفين الجميع الآن ملتزم بالحجر الصحي».

«أجل».

«سـأكون مسـاعدكِ كمـا كان مايكروفـت هولمـز لشـيرلوك، مـا هـي أخبارك مع والدتكِ؟».

قالت هولي: «على وشك الوصول». ثمّ تنهي المكالمة.

بعد خمس ثوانٍ رنّ هاتفها بما يشير إلى ورود رسـالة، انتظرت حتّى عادت إلى شقتها لتنظر إلى الصورة لأنها تريد أن تراها على شاشة جهاز الآيباد بأكبر حجم ممكن، ما أرسله لها كان بطاقة إلين كراسلو في جامعة بيل، والتي لا تزال صالحة للاستخدام ولا تنتهي صلاحية اسـتخدامها قبل شـهر تشـرين الأول، تظهر في الصورة امرأة سوداء البشرة داكنة الشعر. إنها لا تبتسم بل تكتفي بالنظر إلى الكاميرا بتعابير وجه هادئة، بدت جميلة. خمّنت هولي أنها في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات، وهذا يتوافق مع ما قالته لاكيشا. يوجد أسفل اسمها شعار (موظفو حراسة جامعة بيل للآداب والعلوم).

تمتمت هولي: «أين أنتِ يا إلين؟». ولكن ما كانت تفكر فيه حقاً هو من اختطفكِ؟.

3

بعد نصف ساعة كانت تسير ببطء عبر شارع مارتن لوثر كينغ، تاركة خلفها المتاجر والكنائس والحانات والمتاجر والمطاعم. قال بيت إن عنوانها يقع تقريباً في آخر مدينة لـو، وقريبـاً سـينتهي شـارع مارتن لوثر كينغ وسـتدخل في الشـارع رقـم 27. أصبحت الحقـول مترامية علـى مـدّ النظر حيث ترعى فيها الأبقار وتوجـد بعض الصوامع، لقد بدأت تعتقد أن بيت أعطاها عنواناً خاطئاً مع أن نظام تحديد المواقع يفيد أنها تسير في الطريـق الصحيـح، ولكنهـا وصلت أخيراً إلى حديقـة مقطورات إليم غروف، المحاطة بسياج وتحوي بداخلها مقطورات نظيفة معتنى بها بشكل جيد، وألوانها فاتحة مختلفة، ويوجد أمام كل مقطورة مساحة صغيرة من العشب والقليل من الزهور، بالإضافة إلى وجود طريق إسفلتي يصل بين المقطورات، أفادت شاشة نظام تحديد المواقع أنها قد وصلت إلى وجهتها.

في بداية الممر هناك مجموعة من صناديق البريد بأرقام تتراوح بين 11104 و11126. قادت هولي ببطء عبر حديقة المقطورات وتوقفت عندما رأت طفلين أحدهما أسود والآخر أبيض يرتديان ملابس السباحة ويلاحقان الكرة عبر الممرات من دون أن يعيرا أي انتباه للسيارات والمارة. ثمّ تابعت طريقها مجدّداً ورفعت قدمها عن المكابح قبل أن تعيدها مجدّداً عندما طارد كلب صغير الأطفال. أمام مقطورة ذات لون أزرق سماوي وقفت امرأة تعتمر قبعة شمس لتحمي نفسها من شمس النهار الحارقة وتروي زهورها، علقت على باب الحماية الخارجي لمقطورتها صورة باراك أوباما.

في منتصف حديقة المقطورات رأت مبنى أخضر علقت فوق بابه لافتة كُتب عليها المكتب الرئيسي، وبجانبه هناك مبنى أخضر آخر عليه لافتة كتب عليها مغسلة الملابس حيث دخلت امرأة تضع غطاء رأس وتحمل بيدها سلة بلاستيكية مليئة بالملابس. وقفت هولي للحظة ثمّ وضعت قناعها ودخلت إلى المكتب الرئيسي، جلست امرأة خلف منضدة عليها لوحة تحمل اسم (المديرة ستيلا لاسي)، وكانت تلعب على حاسوبها لعبة سوليتير.

نظرت المرأة إلى هولي وقالت: «إذا كنتِ تبحثين عن مقطورة شاغرة فأنا أعتذر منكِ؛ كامل المقطورات مستأجَرَة حالياً».

«شكراً لكِ، ولكنني لستُ هنا لأجل ذلك. اسمي هولي غيبني وأنا محقّقة خاصة، وأحاول الوصول إلى مكان امرأة».

بمجرد أن قالت هولي كلمة محقّقة خاصة، فقدت ستيلا لاسي الاهتمام بلعبة الحاسوب، وركّزت كامل انتباهها مع هولي.

«حقاً؟ من؟ ماذا فعلت؟».

رفعت هولي هاتفها فأخذته لاسي من يدها وحملته حتّى أصبح قريباً من وجهها ثمّ قالت: «بالتأكيد هذه إلين كاسلو».

صحّحت هولي الاسم لها: «كراسلو». ثمّ تابعت: «أتساءل إذا كنت تستطيعين تذكر الوقت الذي غادرت فيه تماماً».

«لماذا يهمكِ الأمر».

«أرغب في معرفة أين ذهبت، سبق لها أن عملت في جامعة بيل؟».

قالت لاسي بما معناه أنها ليست غبية: «أعرف جامعة بيل... أعتقد أن إلين كانت تعمل حارسة هناك».

«أجل سيدة لاسي، كانت تعمل أمينة على المبنى والممتلكات، لا أريد شيئاً سوى التأكد من أنها بخير». اختفى استياء لاسي قليلاً أو ربما هذا ما شعرت به هولي فقط، قالت لاسي: «حسناً إذاً، هل تعرفين في أي مقطورة كانت؟».

«11114 هو العنوان الذي لديّ».

«أجل.. أجل.. إنها واحدة من المقطورات التي تقع خلف المغسلة بجانب مسبح الأطفال. دعيني أتحقّق منها». اختفت لعبة سوليتير عن شاشة الحاسوب، وظهر مكانها جدول بيانات، مالت لاسي قليلاً باحثة عن نظارتها، وبعد أن وضعتها، نظرت لثانية إلى شاشة الحاسوب وقلّبت عبر جدول البيانات: «ها هي ذا، إلين كراسلو، كانت مستأجرة بالنظام نصف السنوي وآخر مرّة دفعت للفترة بين تموز حتّى كانون الثاني لعام 2018 وبعدها غادرت».

ثم استدارت صوب هولي وهي تزيل نظارتها وقالت: «أتذكرها الآن، لقد ترك فيل – زوجي – المقطورة فارغة حتّى نهاية كانون الثاني من عام 2019 لأنها كانت مُستأجرة جيدة؛ لم يصدر من مقطورتها أي صراخ أو موسيقى صاخبة أو أصوات شجار، ولم يظهر رجال الشرطة أمامها في الساعة الثانية بعد منتصف الليل. هذه هي صفات المُستأجر المثالي بالنسبة إلينا، وهو النوع الوحيد الذي نؤجره لمدة طويلة».

«أجل، طبعاً».

«سيدة غيبني لدينا أشخاص يقطنون هنا منذ فترة طويلة جداً، مثل السيد والسيدة كولين؛ فهما هنا منذ قرابة العشرين عاماً، لماذا برأيكِ؟ لأننا – أنا وفيل – نحب كبار السن، ومع أن إلين كانت في العشرينات من عمرها فقط لكنها أخبرتنا أنها من النوع الهادئ لذلك أعطيناها فرصة، فأثبتت أنها صادقة في ما أخبرتنا إياه». ثمّ هزّت رأسها: «لقد فقدنا إيجار شهر في تلك المقطورة لأنها بقيت فارغة، أعتقد أن فيل كان مغرماً بها، مع أنه ما كان سيحصل منها على شيء، الأمر لا علاقة له به فلن يحصل شيء بينهما حتّى لو كان في الثلاثين من عمره بدلاً من الستين، ولكنني أعتقد أنها كانت ميالة للجانب الآخر، إذا كنتِ تفهمين ما أقصده».

«أفهم قصدكِ». وهذا يتفق مع الانطباع الذي شكّلته لاكيشا عنها أيضاً.

«إنها حقاً مفقودة؟ أعني أن الأمر ليس مجردَ أنها تركت هذه المنطقة؟».

أومأت هولي: «منذ عيد الشكر في العام 2018».

«ولم يبحث عنها أحد قبل الآن؟ لماذا قد أندهش؟ هكذا تحدث الأمور مع السود».

«في الحقيقة، لم يبلغ أحد عن غيابها، ربما ليست مفقودة حقاً، إنها من جورجيا وربما عادت إلى منزلها، أنني أحاول أن أتعقّب أقاربها ولكنني بدأتُ للتو».

«حسناً، حسناً سيري خلف شكوككِ حتّى يثبتَ العكس، وبالمناسبة أنت لست بحاجة إلى هذا القناع، كورونا؟ إنها مجرد خدعة كبيرة قديمة».

«هل تعرفين ماذا حدث للأشياء التي كانت تحتفظ بها إلين في المقطورة؟».

«في الحقيقة لا أعرف، بالطبع تأتي المقصورات مؤثثة ولكن يجب أن تملك بعض الأغراض الخاصة أليس كذلك؟».

أيدتها هولي: «أجل، بالطبع».

«فيل في أكرون هذا الأسبوع في عرض المقطورات، ولكن إن تركت بعض الأغراض أظنه كان سيخبرني فهو يفعل ذلك دائماً..». رفعت يدها وقالت: «أحياناً نجد بعض الأشياء المتبقية ونرسلها إلى جمعيتي (المعمدان الأول) أو (النوايا الحسنة) إذا كانت أشياء ذات قيمة طبعاً».

«منذ متى جاءت إلى هنا؟».

وضعت لاسي نظارتها ونظرت إلى جدول بيانات مختلف: «لقد جاءت في شهر آذار عام 2016، وبقيت هنا لسنتين ونصف السنة؟ أجل.. لا بد أنها كانت تملك عدة أشياء خاصة، هل تريدين مني أن أتصل بفيل؟ على الرغم من أنني متأكدة أنه كان سيخبرني».

«سيكون ذلك رائعاً أجل من فضلكِ.. هل هناك أي جيران بالقرب من المقطورة 11114 قد يتذكّرونها؟».

فكرت لاسي قليلاً: «أعتقد أن السيدة إيماني ماغواير في المقطورة رقم 11110، إنها ليست بجوارها تماماً لأن مسبح الأطفال يفصل بينهما، ولكنني أعتقد أنهما كانتا

صديقتين، لقد كانتا تغسلان معاً، وكما تعلمين فالنساء يتحدثن كثيراً، ستكون في المنزل الآن، ولا يزال زوجها يعمل بدوام جزئي في حجوزات المدينة، لكن إيماني تقاعدت من وظيفة ما في المدينة أيضاً، لقد كانت تقضي الأيام بالجلوس والحياكة ومشاهدة التلفاز فقط. تلك المرأة العجوز تنسج وتَحبُك بسرعة شديدة، وتبيع أعمالها في المعارض الحرفية وما إلى ذلك، قد تعرف أين ذهبت إلين».

تعتقد هولي أن إلين خُطفت بالقرب من ديرفيلد بارك التي تبعد أميالاً عن هذه المنطقة، ولكنها ستتحدث إلى إيماني ماغواير، هولي من محبي بطل مسلسل التحقيق هاري بوش الذي كتبه مايكل كونيلي، وتحب المقولة التي تعتبر رقم واحد بالنسبة إلى بوش: حرّك مؤخرتك واقرع الأبواب.

«سأتحدث إلى فيل، وأرى إن كان يعرف ما حدث لأغراضها، أنا متأكدة من أن مقصورتها كانت فارغة عندما أجّرناها في شباط عام 2019 طبعاً باستثناء المنافع الأساسية التي تأتي مع المقصورة عند إيجارها. يمكنكِ التحدث إلى آل جونز إنهما يعيشان هناك الآن، ولكن الرجل وزوجته في العمل، مع أنهما لن يعرفا شيئاً؟ فقد اختفت إلين منذ فترة طويلة قبل أن ينتقلا إلى هنا». ثمّ هزت رأسها: «ضاع أكثر من عامين، يا للعار، سأتحدث إلى فيل حالاً».

«شكراً لكِ».

«أصغي إليّ واخلعي قناعك، الكورونا مجرد خدعة اخترعوها ليجعلونا نصدق، ويتمكنوا من بيع تلك الأشياء السحرية التي يعرضونها على التلفاز».

4

إيماني ماغواير طويلة ونحيفة ذات تسريحة شعر الأفرو بلون شديد البياض، ما يجعل رأسها يبدو وكأنه زهرة هندباء برية صفراء. مقطورتها مزدوجة مطلية باللون الأصفر الكناري. تغطي أرضية غرفة المعيشة سجادة جميلة ذات دوائر متحدة المركز باللون الأخضر والبني كلون القرفة. أما الجدران فهي مصنوعة من بعض العناصر التي يفترض بها أن تكون مشابهة للخشب في النهاية، ولكنها حقاً تشبهه، وقد عُلِّق عليها صور للزوجين ماغواير في مراحل مختلفة من حياتهما، وأكبرها صورة الزفاف حيث

يظهر العريس بزي سماوي اللون، والعروس ذات تسريحة الشعر الأفرو والشعر الأسود حينها بدلاً من الأبيض، وتشبه بشكل كبير أنجيلا ديفيس. كانت إيماني جاهزة لتتحدث بكل ما تعرفه ولكن كان لديها سؤال في البداية.

«هل تلقيتِ اللقاح؟».

«أجل».

«الجرعتان؟».

«أجل، موديرنا».

«حسناً، يمكنك إزالة القناع، لقد تلقيت الجرعة الثانية من اللقاح في نيسان».

أزالت هولي قناعها ووضعته في جيبها. هناك أريكتان قابلتان للفتح في غرفة المعيشة لها ولزوجها مواجهتان لشاشة تلفاز صغيرة ليست أكبر بكثير من شاشة الآيباد الخاص بهولي. وعلى مسند يد الأريكة هناك سترة صوف نصف مكتملة بلون أصفر فاتح مشابه للون المقطورة الخارجي، وأسفلها سلة مليئة بخيطان الصوف من اللون نفسه.

أمسكت إيماني بالسترة، ووضعتها فوق حضنها. على شاشة التلفاز كان درو كاري يعرض الجوائز في برنامج (السعر صحيح)، أمسكت إيماني بجهاز التحكم وأوقفت عمل التلفاز.

قالت هولي: «آسفة لأنني قاطعتُ أعمالكِ».

قالت إيماني: «لا داعي للأسف، أحب أن أحظى ببعض الرفقة، لقد دوّروا العجلة وهذا هو جزئي المفضل، ثمّ بعد ذلك تأتي جولة العرض. أخبريني لماذا يريد رجل كبير سمين يعيش على الضمان الاجتماعي دراجتين ناريتين ومعدات تخييم؟ أراهن أنه سيبيع تلك الجوائز إذا فاز، إن فزت هذا ما سأقوم به».

تبدأ يداها بالعمل بسرعة، وتطول السترة بشكل ملحوظ أمام عيني هولي.

«يُخيل إليّ أنها ستكون جميلة جداً عندما تنتهي».

«من السيئ أن تحاك مثل هذه السترة في يوم من المتوقع أن تصل فيه درجات الحرارة إلى التسعين فهرنهايت، ولكن في النهاية لا بد أن يأتي الطقس البارد.. هل ذلك أمر مؤكدٌ حقاً؟ نعلم جميعاً أن المناخ يتدهور ومن الصعب أن يتوقع أحد ما

سيحدث من سنة إلى أخرى. ولكن إذا تساقطت الثلوج وتجمدت البحيرة سيشتري بعض الناس هذه الأعمال اليدوية من الكنيسة، أملك مزيداً من المنتجات مثل القفازات والأوشحة. أحصل على دخل جيد من بيع هذه الأشياء أكثر مما يجنيه ياردلي، ولكن عمله في الحجوزات يبقيه بعيداً عن رأسي لفترة، ويبقيني بعيدة عن رأسه قليلاً أيضاً على ما أظن. صدقيني أن كثيراً من الأشياء تتغير خلال اثنين وخمسين عاماً من الزواج، الآن كيف يمكنني مساعدتك؟».

أخبرتها هولي كيف تعرفت لاكيشا إلى إلين كراسلو، وكيف غابت إلين فجأة عن الأنظار فقد رآها الجميع ذات يوم واختفت في اليوم التالي: «لقد أرسلتُ اسمها إلى كل أفراد عائلة كراسلو الذين تمكنتُ من العثور عليهم على موقع تويتر. ردّ شخص واحد حتّى الآن، ولم يكن الردّ مفيداً».

«ولن يفيدكِ أي واحد فيهم على حسب معرفتي، لقد كانت مستعدة للذهاب إلى أي مكان آخر عدا ترافيرس في جورجيا، إنها لطيفة جداً يا سيدة غيبني...».

«ناديني هولي من فضلكِ».

أومأت إيماني برأسها وتابعت: «لقد كانت لطيفة جداً، وشديدة الذكاء، وقوية. وهي تعرف طريقها في الحياة».

«قلت إنك لا تظنين أنها ستعود إلى مسقط رأسها، حيث أفترض أن لديها أقارب هناك، لماذا؟».

«أجل، لديها عائلة هناك، ولكنها ميتة بالنسبة إليهم وهم كذلك بالنسبة إليها، لن تحصلي على أي شيء من فيسبوك».

«ما الذي حدث؟».

بقيت إيماني تحدق بعبوس إلى السترة الصفراء لمدة بدت طويلة جداً بالنسبة إلى هولي التي انتظرتها حتّى قالت أخيراً: «هل أنت من المحققين الذين يلتزمون السرية المطلقة؟ مثل المحامي أو القس أو الطبيب؟».

تعتقد هولي أن هذا السؤال ليس سؤالاً حقيقياً ولكنه مجرد اختبار، فهي تتبع طريقة تعرفها إيماني ولكن ذلك لا يهم حقاً.

رأت هولي أن أفضل سياسة يمكنها اتباعها هي الصدق: «لديّ امتيازات تسمح

لي بدرجة معينة من القدرة على حفظ الأسرار، ولكن ليس بقدر المحامين أو الكهنة. ففي ظروف معينة يجب أن أتحدث مع الشرطة أو المدعي العام حول القضية، ولكن هذه المعلومات لا تخضع لذلك». ثمّ انحنت إلى الأمام قليلاً وقالت: «لن أخبر أحداً بما ستطلعينني عليه سيدة ماغواير».

«ناديني ايمي».

ابتسمت هولي: «حسناً». لديها قدرة جيدة على الإقناع، لقد أخبرها جيروم أنها لا تستخدمها بما فيه الكفاية.

«سأثق بكلامك يا هولي، لأنني كنتُ أهتم بأمر تلك الشابة، وكنتُ بالتأكيد أشعر بالأسف عليها. أريدكِ أن تعرفي أنني لستُ شخصاً يحب النميمة والثرثرة».

قالت هولي: «لاحظتُ ذلك.. هل يمكنني تشغيل هاتفي وتسجيل هذا؟».

«كلا». ثمّ عاودت حياكة الصوف مجدّداً وأكملت: «لا أظن أنني كنتُ لأخبركِ مطلقاً لو كنتِ رجلاً، لم أخبر ياردلي بأي شيء أبداً، ولكن نحن النساء، وكما يقال، نعرف أكثر مما يعرفون، أليس كذلك؟».

«بالطبع نحن كذلك».

«حسناً، لقد كانت إلين هي إلين ولم تُلقّب بإيلي مثلاً، كانت على القائمة السوداء بالنسبة إلى أهلها منذ اثني عشر أو ثلاثة عشر عاماً. تخلت عن أكل اللحوم أو أي منتجات تحتوي على اللحوم، فقد أصبحت نباتية وتخلت عن كل المنتجات الحيوانية من اللحوم والبيض والحليب. كانت عائلتها واحدة من تلك المجموعات العنيدة الثابتة على آرائها – من أوائل الكنائس الإصلاحية – وعندما توقفت عن أكل اللحم بدؤوا يستشهدون بآيات من الكتاب المقدس على يمينها ويسارها، وقدّم القس جلسات نصح لها».

ركّزت إيماني بشكل ساخر على موضوع القس.

«لقد تخليتُ أنا نفسي عن الأفكار الثابتة الجامدة، وأنا أعلم دائماً أننا نستطيع العثور على نص من أحد الكتب المقدسة لندعم ما نؤمن به. لقد وجدوا الكثير منها بالفعل، فلدى الرومان على سبيل المثال يقولون إن الشخص الضعيف لا يأكل إلا الخضار، وفي الكتاب المقدس سفر التثنية وعدكَ الرب أن تأكل اللحم، وبالنسبة إلى

أهـل كورنثـوس (كل مـا يبـاع في سـوق اللحم)، هاه! لا بد أنهـم أحبوا هذا في ووهان حيث بدأ هذا الوباء اللعين، ثمّ عندما كانت في الرابعة عشرة ضبطوها مع فتاة أخرى».

تأوّهت هولي.

«أجل بالفعل أوه، لقد حاولت الهرب لكن أفراد عائلتها أعادوها، أظن أنكِ تعرفين لماذا؟».

قالت هولي: «لأنها كانت مشكلة طويلة الأمد عليهم التعامل معها». تتذكّر والدتها وهي تخبرها بشيء مشابه لذلك وهي تتأوّه.

«إذاً أنتِ تعرفين».

قالـت هولـي: «أجـل أعـرف». وتغيرت نبرة صوتها بما يفيـد أنها تعلم بقية القصة أيضاً، تلك التي ربما لم تكن إيماني ستقولها. «عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها اغتُصِبت، كان المغتصبون يرتدون الأقنعة التي يضعها الناس عندما يذهبون إلى التزلج، لكنهـا تمكنـت مـن التعـرف إلـى أحدهم من خلال تلعثمه، لقد كان فرداً من كنيسـتها، ورتّل في الجوقة. قالت إلين إنه يملك صوتاً جيداً ولا يتلعثم عندما يغني، اعذريني». ثمّ رفعت ظهر يدها ومسحت دمعة انبثقت من عينها اليسرى واستأنفت حياكة السترة.

مشاهدة ضوء الشمس وهو يسقط عليها وهي تحيكها له أثر منوم.

«هل تعرفين ما الذي تحدثوا عنه طوال الوقت؟ اللحوم! لقد كانوا يعطونها اللحوم، ويسـألونها (ألم تعجبكِ؟)، (ألم يعجبكِ الأمر هكذا؟)، (هل اسـتطعتِ الحصول على كل هـذا مـن بعـض الفتيـات؟). قالت إن أحدهم حـاول وضع... في فمها وطلب منها أن تحاول تذوّق اللحم، وأخبرته بأنها ستقطعه له إذا فعل ذلك. لذلك قام الفتى بقلبها على رأسها ففقدت وعيها خلال أغلب ما تبقى مما فعلوه بها، وخمني ماذا حدث لها بعد ذلك؟».

تعرف هولي هذا الجزء أيضاً: «لقد حَمِلت».

«أجـل بالفعـل، توجّهـت إلـى جمعيـة تنظيـم الأسـرة الأميركيـة واهتمـت بالأمر وأجهضت، عندما اكتشف أهلها ذلك، ولا أعلم كيف عرفوا لأنها لم تخبرهم بذلك، أعلموها أنهم ما عادوا يعتبرونها جزءاً من العائلة وأنها أصبحت غريبة بالنسـبة إليهم. قال والدها إنها قاتلة لا تختلف عن قابيل الذي قتل شقيقه في سفر التكوين، وأخبرها

أن تذهب إلى حيث ذهب قابيل، إلى شرق عدن، وبالطبع لم تكن ترافيس في جورجيا مكاناً قريباً لعدن بالنسبة إلى إلين، بل أبعد ما يكون عنها. ولم تذهب إلى الشرق أساساً بل اتجهت شمالاً وعملت في وظائف تحتاج إلى جهد جسدي كبير طيلة عشر سنوات، وانتهى الأمر بها هنا في جامعة بيل». جلست هولي صامتة وهي تنظر إلى صنارتي الحياكة، تفكر أن وضعها هي لم يكن بذلك السوء مثل إلين، فلم يقم مايك ستوردفانت باغتصابها مطلقاً.

«بالطبع لم تخبرني بكل ذلك دفعة واحدة لقد كنا نتحدث لفترات متقطعة، باستثناء القصة الأخيرة التي تتعلق بالاغتصاب والإجهاض لقد أخبرتني إياها دفعة واحدة وكانت تنظر إلى الأرض طوال الوقت، بحّ صوتها مرّة أو مرتين ولكنها لم تذرف دمعة واحدة. كنا في غرفة الغسيل تلك الواقعة بجوار المكتب الرئيسي لوحدنا أنا وهي، وعندما انتهت من رواية الحادثة وضعتُ يدي تحت ذقنها وقلت لها: انظري إليّ يا فتاة، وقد فعلت ذلك. أكملتُ: يطلب الله منا أحياناً أن ندفع مُقدّماً لكل النعم اللاحقة التي ستحدث لنا في الحياة، وقد دفعتِ ثمناً باهظاً. من الآن فصاعداً ستحظين بحياة سعيدة طيبة مباركة وحينها بكت، تفضلّي منديلاً».

لم تُدرك هولي أنها نفسها تبكي حتّى أخذت المنديل ومسحت عينيها.

قالت إيماني: «أتمنى حقاً أن أكون محقة في ما قلتُه يومها.. آملُ أن تكون بخير حيث هي، ولكنني لا أعلم حقاً، ففكرة مغادرتها فجأة بهذه الطريقة..» ثمّ هزّت رأسها وتابعت: «لا أعلم.. المرأة التي أتت لأخذ ملابسها وحاسوبها وتلفازها الصغير وطيورها المصنوعة من السيراميك وغيرها قالت إن إلين عادت إلى جورجيا وهذا أمرٌ غير منطقي بالنسبة إلى ما أعرفه، بالطبع لا تعني العودة إلى الجنوب أنها ستعود إلى موطنها الأصلي فجورجيا أكبر بكثير من مجرد مدينة صغيرة تقطنها عائلتها، اعذري لكنتي الفرنسية.. ربما قد ذكرت تلك المرأة شيئاً عن أتلانتا».

سألت هولي وقد تحمسّت واشتعلت النار في داخلها: «أي امرأة؟».

«لا أستطيع تذكر اسمها تماماً، ربما ديكنز أو ديكسون شيء ما من هذا القبيل.. ولكنها لم تبدُ شخصاً سيئاً».

كان هناك شيء ما في تعابير هولي يزعجها، تابعت إيماني: «تتساءلين لماذا قد

تكون شخصاً جيداً؟ لقد مشيتُ لأتفقد من هي عندما رأيتُها تدخل وتخرج من مقطورة إلين، وكانت ودودة كثيراً وأخبرتني أنها تعرف إلين من آخر وظيفة في الجامعة، وكانت تملك مفاتيحها فقد تعرفتُ إلى قدم الأرنب الجالبة للحظ التي تعلقها إلين في حلقة مفاتيحها».

«هل كانت هذه المرأة تقود سيارة عليها خطوط زرق في أسفل جوانبها؟».

كانت هولي متأكدة من أن الإجابة ستكون نعم، لذلك ظهرت عليها علامات الإحباط عندما قالت إيماني: «كلا، لقد كانت سيارة صغيرة لا أعرف نوعها، ولكن ياردلي سيعرف نوعها بحسب خبرته من وظيفة في الحجوزات وما إلى ذلك وقد كان هنا عندما جاءت، لقد وقف خارجاً عندما ذهبت ليتأكد من أن كل شيء على ما يرام، هل فعلتُ شيئاً خاطئاً؟».

قالت هولي وهي تعني ما تقوله: «كلا». لم يكن هناك أي طريقة لتعرف إيماني حقيقة ما حصل، خاصةً أن هولي نفسها ليست متأكدة من حصول شيء سيئ لإلين التعيسة. سألت هولي: «متى أتت هذه المرأة؟».

«حسناً.. لقد مرّت فترة طويلة من الوقت، لكنني أعتقد أنها جاءت بعد عيد الشكر وقبل عيد الميلاد، بعد تساقط الثلج للمرة الأولى، أتذكر ذلك وأعلم أنه قد لا يفيدكِ في أي شيء».

«كيف بدت؟».

قالت إيماني: «متقدمة بالعمر، أكبر مني بعشر سنوات تقريباً وأنا قد تجاوزت السبعين من عمري، وبيضاء البشرة».

سألت هولي: «هل يمكنكِ التعرف إليها إذا رأيتِها مرّة أخرى؟».

قالت إيماني ببعض الشك: «ربما».

أعطتها هولي بطاقة عملها وطلبت منها أن تتصل بها إذا تمكن زوجها من تذكر نوع السيارة.

قالت إيماني: «لقد ساعدتُها في حمل الحاسوب وبعض الملابس، تلك السيدة المسكينة بدت وكأنها تتألم مع أنها قالت إنها ليست كذلك، ولكنني أعرف ألم عرق النسا عندما أراه».

27 آذار 2021

عندما وصلت باربرا إلى منزل الشاعرة الفيكتوري القديم في شارع ريدج أصبح خداها أحمرين ومتوهجين لأنها قادت الدراجة لمسافة ميلين، كانت ماري دوشامب تجلس على الأريكة بجانب أوليفيا، وبدت ماري قلقة أما أوليفيا فبدت علامات الحزن واضحة عليها. بدت باربرا في حيرة من أمرها، لا تستطيع أن تحزر ما هو الشيء الذي يجعل أوليفيا تشعر أنها بحاجة للاعتذار.

ماري هي أول من تحدث قائلة: «أنا من شجعتُها على فعل ذلك، وأخذتُ المغلف إلى شركة البريد فيديكس، لذا إذا كنتِ تريدين إلقاء اللوم على شخص ما فلوميني أنا».

قالت أوليفيا: «لا معنى لكل هذا.. ما فعلتُه كان خاطئاً، لم تكن لديّ أي فكرة.. وعلى الرغم من أنني أعلم أنكِ ستكونين سعيدة.. ولكن في الحالتين لا أملك الحق لأفعل ما فعلته من دون إذنكِ، إن ذلك أمرٌ غير مقبول».

قالت باربرا وهي تفكّ أزرار معطفها: «لا أفهم، ما الذي فعلته؟».

تبادلت المرأتان النظرات. كانت إحداهما سعيدة ومنطلقة، والأخرى منكمشة على نفسها وكأن عمرها مئة عام، ثمّ نظرتَا مجدّداً إلى باربرا.

قالت أوليفيا: «جائزة بينلي». قالت وفمها يرتجف، وهذا ما ذكّر باربرا بمحفظة خيوط قديمة.

قالت باربرا وقد أصبحت أكثر حيرة: «لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه».

«اسمها الكامل جائزة بينلي للشعراء صغار السن، وهي برعاية ناشري نيويورك الخمسة الكبار. لستُ متفاجئة من أنك لا تعرفينها لأنك تعلمتِ كل شيء ذاتياً لوحدكِ ولا تقرأين مجلات الكُتّاب. ولماذا تقرأين طالما لا أحد يدفع مقابل الشعر؟ ولكن معظم المتخصصين في اللغة الإنكليزية في دورات الكتابة يعرفون هذه الجائزة فهي هناك كشهرة جائزة الأصوات الجديدة، أو جائزة الرواية والقصة للأُسود الشباب. جائزة بينلي تفتح أبوابها لتقديم الأعمال كل عام في أول شهر آذار، يُقدم الآلاف ويرسلون

الردود بسرعة، لأن معظم الأعمال المُقدّمة تكون مروعة تتعلق بالقمر أو بشهر حزيران بحسب ظني».

الآن فهمت باربرا ما الذي حصل: «ماذا...؟ لقد أرسلتِ لهم بعضاً من قصائدي؟».

تبادلت ماري وأوليفيا نظرة سريعة، باربرا شابة صغيرة ولكنها تعرف الخطأ عندما تراه.

«كم قصيدة أرسلتِ؟».

قالت أوليفيا: «سبع قصائد قصيرة فقط، تنصُّ القواعد على أنها يجب أن لا تتجاوز الألفي كلمة، لقد كنتُ فقط متأثرة جداً ومذهولة بقصائدك، بكل مشاعر الغضب التي تحويها.. والخوف.. لذلك..». لم تعرف كيف تصيغ بقية الكلمات لإكمال جملتها.

أمسكت ماريا بيد أوليفيا وقالت مجدّداً: «أنا من شجعتُها على ذلك».

أدركت باربرا أنهما توقعتا أن تغضب، ولكنها ليست غاضبة، كل ما في الأمر أنها مصدومة قليلاً، لقد أبقت كتابتها للشعر سراً ليس لأنها تشعر بالعار منه، أو لأنها قلقة من أن يضحك الناس على أشعارها (حسناً.. ربما قليلاً فقط) بل لأنها خائفة من فكرة أن إظهاره لأي أحدٍ عدا أوليفيا سيجعلها تشعر بضغط أن تكتب المزيد. وهناك شيء آخر أو بالأحرى شخص آخر وهو جيروم، على الرغم من أنها في الحقيقة بدأت تكتب الشعر منذ كانت في الثانية عشرة أي قبل فترة طويلة من بدايته هو.

ولكن في السنتين أو الثلاث سنوات الأخيرة تغير شيءٌ ما، خطت خطوة كبيرة ليس في كتابتها فقط بل في طموحها، لقد جعلها ذلك تفكر في جملة رأتها في وثائقي حول بوب ديلان، وهو مغنٍ شعبي من قرية غرينتش من فترة ستينيات القرن الماضي «لقد حاول أن يصبح مثل وودي غوثري ولكن فجأة أصبح بوب ديلان».

إن وضعها مشابه، ربما اصطدامها العدائي ببراداي هارتسفيلد له صلة، ولكنها لا تعتقد أن هذا كل ما في الأمر، بل هناك شيء ما بداخلها كان نائماً طوال تلك الفترة واستيقظ بحماسة واتقد للتو.

في هذه الأثناء كانتا تنظران إليها وكأنهما فتاتان في المدرسة الإعدادية وقد ضبطتا وهما تدخنان في حمام المدرسة.

«أوليفيا وماري فتاتان في صفي الدراسي التقطتا صوراً مثيرة وأرسلتاها لحبيبيهما،

وتلك الصور ظهرت على الإنترنت، هذا محرج أليس كذلك؟ أمّا هذا؟ فليس أمراً محرجاً كثيراً، هل تخافين من تلقي خطاب رفض؟ هل هذا كل ما في الأمر؟».

تبادلتا نظرة، وقالت أوليفيا: «يجمع حكام بينلي قائمة طويلة من المتأهلين للتصفيات النهائية، والعدد يختلف كل سنة، ولكن دائماً ما تكون القائمة طويلة جداً. أحياناً ستين وأحياناً ثمانين هذا العام تأهل خمسة وتسعون شخصاً إلى التصفيات النهائية، من السخف أن يكون هناك حقاً كل هذا العدد الجيد، ولكنكِ... موجودة في القائمة، ماري تملك الرسالة».

كان هناك ورقة واحدة على طاولة بعيدة إلى جوار المكان الذي تجلس فيه ماري. سلمتها لباربرا.. كان الورق فاخراً وثقيلاً في يدها، في الجزء العلوي منها هناك ختم منقوش عبارة عن قلم وريشة ومحبرة، المرسل إليه هو باربرا روبنسون، عبر: ماري دوشامب، العنوان: شارع 70 ريدج.

قالت أوليفيا: «أنا مندهشة من أنك لستِ غاضبة.. بالطبع أنا ممتنة لذلك، لقد كان هذا أمراً غير صحيح لقد فعلتُ كل شيء من دون أن أفكّر في مشاعركِ حيال الموضوع، وأحياناً أعتقد أنني أقدمت على هذه الخطوة بينما كان عقلي في الخزانة».

وقفت ماري: «لقد كنتُ أنا..».

تمتمت باربرا: «أعرف، لقد شجعتِها.. لقد وضعتِني تحت الأمر الواقع حقاً، ولكنني أنا الشخص الذي جاء فجأة وأعطاكِ كل قصائده، ويمكن القول إن الأمر مشابه لما فعلتِه». ثمّ أخفضت رأسها ومسحت الرسالة بعينيها.

ذكر في الرسالة إنه من دواعي سرور لجنة حُكّام جائزة بينلي أن تبلِغ السيدة باربرا روبنسون القاطنة في شارع 70 ريدج أن اسمها دخل القائمة الطويلة النهائية لجائزة بينلي، وإذا كانت ترغب في إكمال المسابقة فيُطلب منها أن ترسل مجموعة أخرى من القصائد الأطول بحيث لا تكون أكثر من خمسة آلاف كلمة بمجموعها بحلول 15 نيسان مع التأكيد على ألا تكون القصائد بطول (القصائد الملحمية).

هناك أيضاً فقرة قصيرة تحوي أسماء بعض الفائزين السابقين بجائزة بينلي، ألقت باربرا نظرة عليهم، إنها تعرف ثلاثة أسماء.. كلا أربعة. وانتهت الرسالة بعبارة «تهانينا على أعمالكِ الممتازة».

وضعت الرسالة جانباً وسألت: «ما هي الجائزة؟».

قالت أوليفيا: «خمسة وعشرون ألف دولار، إنها أكثر مما قد يجنيه عدة شعراء من إبداعهم الشعري طوال حياتهم، ولكن ليس هذا هو المهم حقاً، بل المهم أن اللجنة تتكفّل بنشر أعمال الفائز.. ليس في مجرد جريدة عامة بل في منشورات إحدى دور النشر الكبيرة الراعية للمسابقة، وهذا العام دار النشر راندوم هاوس هي من ستنشر أعمال الفائز، تحظى كتبهم دائماً بكثير من الاهتمام. السنة الماضية ظهر الفائز على التلفاز مع أوبرا وينفري».

سألت باربرا: «هل هناك فرصة لي..». توقفت قبل أن تتمكن من إكمال الجملة فحتى قولها يبدو وكأنه كلام مجانين.

قالت أوليفيا: «مستبعد جداً، ولكن مجرد ورود اسمك في القائمة القصيرة النهائية ستجعلك تحصلين على الكثير من الانتباه وعلى فرص عالية بنشر مجموعاتك من قبل دور نشر صغيرة. والسؤال الوحيد حالياً هو هل تريدين المتابعة أم لا، لديكِ بالتأكيد عدد كافٍ من القصائد لتقديمها، وإذا واصلتِ الكتابة سيكون لديكِ ما يكفي لنشر ديوان».

ليس هناك أي شك فيما تريده، خاصةً الآن بعد أن شاهد غرباء كتاباتها وأدلوا برأيهم، السؤال هو كيف ستفعل ذلك، قالت: «كنتُ سأدعكِ ترسلين القصائد وتقدمين على المسابقة لو أنكِ سألتِني، فكما تقول الأغنية: تستطيع الفتاة أن تحلم».

تورّد خدّا أوليفيا، ما كانت باربرا لتصدق أن تلك الشاعرة العجوز لديها ما يكفي من الدم في شرايينها لتحمرّ خجلاً نظراً إلى حالتها الصحية الضعيفة، ولكن يبدو أنها بالفعل تملك ما يكفي. كررت أوليفيا ما سبق لها أن قالته: «لقد كان أمراً خاطئاً جداً.. لقد طلبتُ من ماري أن تستخدم اسمها على المغلف لأنه سيتم التعرف إلى اسمي ولم أرغب في أن يكون لي صلة بالأمر. اعتقدتُ أن من الجيد أن تحصلي على بعض الكلمات التشجيعية، هذا كل ما كنتُ أتمناه».

فكّرت باربرا: سيكون من الجيد أن تخبريني بكلمات التشجيع مباشرة، وقتها كنا سنجلس بحرج مشابه لما حدث نتيجة مشاركة قصائدي من دون إذني.. ولكن لم نكن لنملك هذه الرسالة الرائعة هنا.

ابتسمت: «أنتما الاثنتان لم تفكرا بالأمر كثيراً، أليس كذلك؟».

قالت ماري: «نعم، لم نفكر، نحن فقط.. قصائدكِ..».

«أنتِ أيضاً قرأتِ قصائدي، ولكنني أخذتها معي؟».

تورّدت وجنتا ماري أكثر من أوليفيا وقالت: «لقد قرأتها جميعاً إنها رائعة».

أضافت أوليفيا بسرعة: «مع أنه لا زال هناك الكثير لتتعلميه».

قرأت باربرا الرسالة عن كثب. جعلتها دهشتها تشعر بمشاعر جديدة واستغرقت عدة ثواني لتتعرف إلى هذه المشاعر: إنها البهجة.

قالت: «يجب أن نرسل القصائد، يجب أن نحاول الفوز بالجائزة في النهاية. ستساعدينني في انتقائها أليس كذلك يا أوليفيا؟».

ابتسمت الشاعرة العجوز بارتياح، لم يكن لدى باربرا فكرة أنهما اعتقدتا أنها ستتصرف بلؤم، فما فعلتاه أمرٌ رائع: «سيكون ذلك من دواعي سروري، ومفتاح نجاحكِ في المسابقة بحسب اعتقادي سيكون قصيدتكِ: (تغير الوجوه) بكل ما تحويه من مشاعر الرعب والخوف والاضطراب، هناك عدة قصائد تتشارك هذه المشاعر والأفكار والتساؤلات حول الهوية والواقع. تلك هي القصائد الأقوى».

«يجب أن يكون كل ذلك سراً في الوقت الحالي، فقط بيننا نحن الثلاثة، بسبب أخي.. فمن المفترض أن يكون هو الكاتب في العائلة وأنا متأكدة تماماً أن كتابه عن جدنا الأكبر سينشر قريباً. لقد أخبرتكِ عنه، أليس كذلك؟».

قالت أوليفيا: «نعم».

«إذا نشره سيحصل على مبلغ جيد جداً مقابل ذلك، تقول وكيلة أعماله إن ذلك قد يحدث قريباً، إذا تمكنتُ من الوصول إلى القائمة القصيرة فخير، أمّا إذا لم أتمكن فيجب أن لا يعلم أحد بالأمر، اتفقنا؟».

سألت ماري: «هل سيشعر بالغيرة حقاً؟.. من شِعرِكِ؟».

قالت باربرا من دون أن تُفكّر في الأمر لثانية: «كلا.. جيروم لا يملك أي ذرة من مشاعر الغيرة في داخله، بل على العكس، سيكون سعيداً لأجلي، ولكنه كان يعمل بجد على هذا الكتاب، وأعتقد أنه يتعب أكثر مني في ذلك، أي أن وحي الكلمات لا يتدفق إليه بنفس السلاسة التي تحصل معي في بعض الأحيان، ولن أسرق أضواء

النجاح منه، فأنا أحبه كثيراً».

سلّمت الرسالة إلى ماري: «هذه الرسالة ستبقى هنا، ولكنني سعيدة حقاً لأنكما فعلتما ذلك».

قالت أوليفيا: «أنت كريمة.. ونادراً ما يكون الشعراء هكذا عدا عن الكرم في أعمالهم، ما رأيك أن نفتح زجاجة بيرة فوستر من أجل الاحتفال بكوننا ما زلنا صديقات؟».

قالت ماري وهي تقف: «أعتقد أن هذه فكرة رائعة.. ولكن هذا سرّ آخر علينا الاحتفاظ به». ثمّ أشارت برأسها نحو أوليفيا وقالت: «عن طبيبها».

غادرت إلى المطبخ، وقالت باربرا: «أنت الكريمة يا أوليفيا.. يسعدني أنكِ صديقتي ومعلمتي في الوقت نفسه».

«شكراً لكِ، كان يجب أن أفعل شيئاً صحيحاً، لأن العناية الإلهية احتفظت بأفضل طالبة وقدّمتها لي في النهاية».

حان دور باربرا الآن لتحمرّ وجنتاها، ليس خجلاً بل من فرط السعادة.

قالت أوليفيا: «أخبريني ما الذي تقرأينه الآن؟».

«لقد أخبرتِني أن أقرأ من حركة بيت[1]، لذلك حصلتُ على بعض الكتب من مكتبة الكلية لغينسبيرغ وسنايدر وكورسو وإد دورن. أحببتُه.. ولورانس فيرلينغيتي.. هل ما زال على قيد الحياة؟».

«مات منذ شهر، إنه أكبر مني. أريد منكِ أن تقرأي بعض الكتب النثرية، فربما ستساعدكِ قليلاً إذا كنتِ ستشاركين في المسابقات، وأقترح أن تبدئي بروايات جيمس ديكي. أنت تعرفين قصائده بالفعل، وهناك رواية مشهورة له تدعى (النجاة)».

«شاهدتُ الفيلم، إنه عن رجال يعبرون نهراً بالقوارب».

«أجل ولكن لا تقرئي هذه بل اقرئي (إلى البحر الأبيض) إنها أقل شهرة ولكنني أراها أفضل، وأظن أنه سيكون من الجيد أن تقرئي رواية واحدة على الأقل لكورماك مكارثي مثل رواية (كل الخيول جميلة) أو رواية (ساتري)، هلّا تفعلين ذلك؟».

---

(1) حركة بيت أنتِجت من مجموعة من الكُتّاب الأميركيين والتي أثرت كتاباتهم بالثقافة في الولايات المتحدة الأميركية بعد الحرب العالمية الثانية. المترجم.

قالت باربرا: «حسناً». مع أنها مترددة قليلاً في ترك كُتّاب حركة البيت. قالت بمزيج من البراءة والسذاجة: «في الواقع أنا أقرأ النثر الآن، هذا الكتاب الذي أخبرتِني عنه (المدينة المنسية) بقلم خورخي كاسترو، إنه يعجبني حتّى الآن».

عادت ماري ومعها صينية عليها ثلاثة أكواب وعلبة كبيرة من بيرة فوستر.

قالت أوليفيا: «أفترض أن خورخي توجّه أخيراً إلى أميركا الجنوبية. لقد كان يتحدث دائماً عن رغبته في العودة إلى جذوره، والذي كان مجرد كلام غير منطقي، فهو يتحدث الإسبانية وكأنها لغته الأم، ولكنه ولد في بيوريا ونشأ هناك. أعتقد أنه يشعر بالخجل من هذه الحقيقة. هل أخبرتُكِ أنني رأيتُه قبل فترة قصيرة من اختفائه؟ لقد كان يركض، إنه دائماً يركض في الليل إلى الحديقة ثمّ يعود مرّة أخرى، كانت السماء تمطر في تلك الليلة، أفترض أنه خطط بالفعل للمغادرة حينها، لم أرَه مرّة أخرى، ولكنني أتذكر ذلك بوضوح لأنني كنتُ أكتب قصيدة، وقد كانت من القصائد الجيدة التي كتبتُها».

ثم تنهّدت: «كان شريكه فريدي مارتن محطماً، وقد غادر بعد فترة وجيزة هو الآخر، أعتقد أنه كان يبحث عن خورخي. لقد عاد مفطور القلب ومعه قرد على ظهره، مكث ستة أشهر ثمّ غادر مرّة أخرى».

قالت ماري وهي تفتح علبة البيرة: «كفى حزناً، دعونا نشرب الآن نخب الأوقات الجيدة والتوقعات العظيمة».

قالت أوليفيا: «نخب الأوقات الجيدة فقط، لنترك توقعات المستقبل خارج ذلك، الشخص الوحيد الذي يشعر بالتعاسة أكثر من الكاتب الذي لم تتحقق توقعاته هو الشخص الذي تحققت أحلامه».

ضحكت باربرا: «سآخذ بكلامكِ هذا». ثمّ تبادلن الأنخاب وشربن.

26 تموز 2021

1

عندما دخلت هولي إلى المرأب الصغير الخاص بمتجر جيت مارت عند الساعة الثالثة والربع، وجدت الرجل الذي تريد مقابلته يعمل الآن في المتجر، ممتاز. توقفت قليلاً حتّى انتهت من تحميل شيء ما على آيبادها، ثمّ ترجلت من سيارتها. على الجانب الأيسر من الباب هناك لوحة إعلانية تحت شرفة تقول (أهلاً بكم في جيت مارت!)، وفوقها هناك الكثير من الإعلانات الصغيرة التي تتضمّن إعلانات شقق للإيجار، وسيارات وغسالات وأجهزة ألعاب للبيع، وكلب ضائع (نحن نحب ريكسي!)، وقطتان مفقودتان. هناك أيضاً فتاة واحدة مفقودة تُدعى راي دال. تعرف هولي من وضع هذا الإعلان الأخير، وتتذكر صوت لاكيشا ستون وهي تقول (لقد فُقِد الحب ولكن ما زال هناك الكثير من الحب المتبقي).

دخلت المتجر، المكان فارغ ولا يوجد سواها هي والموظف إيميليو هيريرا، بدا قريباً من عمر بيت وربما أصغر قليلاً، إنه على استعداد تام للتحدث، وجهه مدوّر وابتسامته ساحرة. أخبرها أن بوني كانت زبونة منتظمة، لقد أحبها وشعر بالأسف الشديد لفقدها، يأمل أن تتمكن من التواصل مع والدتها وأصدقائها قريباً.

قال هيريرا: «كانت تأتي في معظم الليالي قرابة الثامنة، أو قبل ذلك بقليل أو بعده. كانت ابتسامتها عذبة وصاحبة كلمة طيبة حتّى لو أنها اكتفت بسؤالي عن حالي أو رأيي في السيارات أو كيف حال زوجتي. قليلون هم الأشخاص الذين يمضون الوقت في مثل هذه الأمور؟».

أجابته هولي: «لا أعرف حقاً». فلم تكن هي نفسها من الذين يستطيعون الدردشة مع الغرباء، في الغالب كانت تكتفي بقول شكراً لك ومن فضلك ويوم سعيد، اعتادت شارلوت القول إن هولي تحافظ على شخصيتها تلك بإرفاق كلامها بابتسامة صغيرة

توصل إلى الشخص الآخر أنها غير قادرة على التحدث أكثر.

قال هيريرا: «حقاً ليس هناك الكثير من الأشخاص الذين يفعلون ذلك، ولكنها... كانت ودودة دائماً، كانت تشتري مشروباً غازياً للحمية، وأحياناً واحدة من تلك الحلويات الموضوعة على الرف هناك. كانت تفضل كيك هو هوس الصغير أو بسكويت رينغ دينغس، ولكنها لم تكن تشتريهما كثيراً».

«هل هناك أي شيء آخر غير عادي حصل تلك الليلة سيد هيريرا؟ أي شيء؟ ربما شخص في الخارج كان يراقبها؟ ربما يقف في منطقة لا يصل إليها نطاق كاميرا الفيديو؟».

قال هيريرا بعد أن توقف قليلاً ليفكر: «شخصياً لم أرَ أحداً.. وأعتقد أنني كنتُ لألاحظ ذلك فالمتاجر الصغيرة مثل هذا خاصة في الشوارع الهادئة مثل شارع ريد بانك هي أهداف رئيسية للصوص، على الرغم من أن هذا المكان لم يسبق له أن تعرض للسرقة ولله الحمد». ثمّ رسم بيده شارة الصليب، وأكمل: «ولكنني رغم ذلك أراقب من هنا دائماً من يأتي ويذهب ويتسكع أمام المحل، لم أرَ شخصاً بالمواصفات التي ذكرتها في الليلة وفي الوقت اللذين كانت فيهما الفتاة التي تبحثين عنها، أو على الأقل لا أستطيع تذكر ذلك. لقد أخذت مشروبها ووضعته في الحقيبة، ووضعت خوذتها وذهبت».

فتحت هولي آيبادها، وأرته ما نزّلته قبل دخول المتجر، إنها صورة لشاحنة تويوتا سيينا 2020: «هل تتذكّر سيارة مثل هذه؟ في تلك الليلة أو في ليلة أخرى؟ ربما هناك خط أزرق على جانبها السفلي».

تأمل هيريرا الصورة بعناية ثمّ أعاد لها الآيباد: «رأيتُ الكثير من الشاحنات التي تشبهها، ولكنها لا تذكرني بشيء محدد.. يخص تلك الليلة، والتي مضى شهر عليها كما تعرفين، صحيح؟».

«أجل ذلك مفهوم بالطبع، دعني أريك شيئاً آخر قد ينعش ذاكرتكَ».

شغّلت الفيديو الذي حصلت عليه من الكاميرات من ليلة اليوم الأول من شهر تموز وأوقفته عندما تظهر الشاحنة، نظر مجدّداً وقال: «واو.. من الأفضل حقاً أن يتم تنظيف عدسة تلك الكاميرا».

بدت سخيفة وهي تسأله بعد أن نفى الأمر: «هل أنت متأكد حقاً من أنك لم ترَها؟ لا تلك الليلة ولا في ليلة أخرى؟».

«أنا آسف سيدتي، ولكنني حقاً لا أتذكرها، من الشائع استخدام الشاحنات جداً هنا».

توقعت هولي هذا: «حسناً، شكراً لك سيد هيريرا».

«يا ليتني أستطيع المساعدة».

«ماذا عن هذا الفتى؟ هل تعرفه». وأرته صورة بيتر ستينمان، إنها صورة جماعية لنادي فرقته في المدرسة الإعدادية وجدتها على الإنترنت (كل شيء موجود على الإنترنت هذه الأيام). كبّرتها هولي بحيث يكون بيتر واضحاً في الصف الخلفي مع اثنين من الصناجين، على أي حال لقد كانت أفضل من لقطات كاميرات جيت مارت.

حدّق هيريرا إلى الصورة: «إنه من الفتيان الذين يحملون لوح التزلج معهم دائماً». ثمّ نظر إلى الأعلى عندما دخلت امرأة في منتصف العمر إلى المحل، رحّب بها باسمها فردت التحية، وأعاد الآيباد إلى هولي: «يبدو مألوفاً، ولكن هذا كل ما يمكنني تذكره يأتي أمثاله ممن يملكون ألواح تزلج إلى هنا طوال الوقت، يشترون الحلوى أو الشيبس. ثمّ يضعون ألواحهم على الأرض وينطلقون عليها».

«حسناً.. أعتقد أنه مفقود أيضاً منذ تشرين الثاني عام 2018».

«انظري.. أنتِ لا تعتقدين أن هناك كائناً مفترساً من نوع ما في هذا الحي، أليس كذلك؟ مثل واين جاسي جونيور[1]».

«كلا على الأرجح، ربما ليس هناك أي صلة بين هذا الشاب وبوني دال». مع أنها تجد صعوبة في تصديق ذلك. سألته: «لا أعتقد أنك تستطيع تذكر أي زبائن منتظمين آخرين توقفوا فجأة عن الظهور. هل يمكنكَ؟».

كانت المرأة – التي تدعى كورا – تنتظر أن تدفع ثمن بيرة ستير سيتي والخبز الأبيض نوعية وندر بيرد.

قال هيريرا: «كلا». ولم يكن ينظر إليها، فهي ليست زبونة بخلاف كورا.

---

(1) قاتل أميركي متسلسل ومغتصب، ارتكب جرائم مثل الاعتداء الجنسي والتعذيب، وقتلَ ما لا يقل عن 33 فتاة وفتى بين عامي 1972 و1978. المترجم

فهمت هولي ما يُلمّح إليه، ولكن قبل أن تبتعد عن الطاولة أعطت إيميليو هيريرا إحدى بطاقات عملها وقالت: «رقمي موجود هنا، هل يمكنكَ الاتصال بي إذا تذكرتَ شيئاً قد يساعدني على تحديد موقع بوني؟».

قال هيريرا: «بالتأكيد». ثمّ أدخل البطاقة إلى جيبه، وقال: «أهلاً كورا.. آسف لأنني أبقيتكُ منتظرة.. ما وضع كورونا هذه هاه؟».

اشترت هولي علبة صودا فانتا قبل أن تغادر، لا تريدها حقاً، ولكن اشترتها من باب الأدب فقط.

2

بمجرد أن دخلت إلى شقتها، تفقدت هولي رسائلها على التوتير، هناك ردّ واحد جديد، من فرانكلين كراسلو (مسيحي، عضو بجمعية الإصلاح الوطنية وبكل فخر، سيعود الجنوب إلى الذروة مجدداً). رسالته موجزة: إلين قتلت طفلها وستشوى في نار جهنم، اتركينا وشأننا. افترضت هولي أن (نا الجماعة) تدل على آل كراسلو في مقاطعة بيب.

اتصلت ببيني دال، إنها ليست مكالمة ترغب بإجرائها، ولكن حان الوقت لتخبر بيني بما تفكر فيه: ربما خُطفت بوني من قبل شخص كان ينتظرها في مركز بيل السابق لإصلاح السيارات والمحركات الصغيرة، وربما من قبل شخص تعرفه، أكدت هولي على كلمة (ربما).

توقعت سماع البكاء، ولكنها لم تسمع شيئاً على الأقل في الوقت الحالي. هذا تماماً ما كانت تخشاه بيني دال. سألت هولي عن احتمال أن تكون بوني لا تزال على قيد الحياة.

أجابت هولي: «بالطبع.. دائماً هناك احتمال».

«اعثري على ابن الوضيعة الذي اختطفها». تفاجأت هولي للحظة من تدني مستوى الألفاظ. حسناً، لقد ظهرت مشاعر الغضب بدلاً من الدموع. تذكرها بيني بدب فقد ابنه، قالت بيني: «اعثري عليها، ستجدين ذلك اللعين الذي اختطف ابنتي، بغض النظر عن المال، سأعطيك المبلغ الذي ستطلبينه، هل تسمعينني؟».

قالت هولي ما تعوّدت قوله: «سأفعل ما بوسعي».

كررت بيني: «اعثري عليها». ثمّ أنهت المكالمة من دون أن تقول وداعاً.

توجّهت هولي صوب النافذة وأشعلت سيجارة. وحاولت التفكير في الخطوة التالية وبعد تفكير طويل توصلت إلى استنتاج مفاده أنها لا تعرف الخطوة التالية. هناك ثلاثة أشخاص مفقودين وتشعر أن هناك رابطاً بينهم. ولكن على الرغم من وجود بعض أوجه التشابه إلا أنها لا تملك دليلاً حاسماً على ترابط قضاياهم. إنها في نهاية طريق مسدود حالياً وتحتاج إلى أن تُلهم دليلاً.

3

مساءً، اتصل بها جيروم من نيويورك، وبدا في غاية الحماسة والسعادة، ولماذا لا يكون كذلك؟ فقد سار اجتماع الغداء بشكل جيد، واستلم الشيك حسب الأصول، وستودع وكيلة أعماله الشيك في حسابه (بعد أن تحسم منه حصتها البالغة خمس عشرة بالمئة)، أخبرها أنه أمسك الشيك بيده، ومرر أصابعه على الأرقام.

«أنا غني يا هولي بيري، أنا غني حقاً».

فكّرت هولي: لستَ الشخص الوحيد الغني.

«وهل ثملتَ أيضاً؟».

أجابها وبدا أن سؤالها أشعره بالإهانة: «كلا!.. لقد شربتُ كأسي بيرة فقط».

«حسناً هذا جيد. ولكن أفترض أنه وبعد هذا الإنجاز العظيم لديك كامل الحق في أن تثمل قليلاً». توقفت: «طالما أنكَ لن تتقيا وتوسخ نفسك في الجادة الخامسة».

«يقع مطعم بلارني ستون في الجادة الثامنة، بالقرب من حديقة ماديسون سكوير».

تقول هولي التي لم تزر نيويورك قط ولا ترغب في ذلك، إن هذا مثير للاهتمام.

بعد ذلك أخبرها جيروم – متحدياً شقيقته الصغرى من دون أن يعرف – أن ما يذهله حقاً ليس المال: «سينشرون الكتاب! لقد بدأ الأمر كورقة بحث جامعية وتحول إلى كتاب سيُنشر حقاً!».

«هذا رائع يا جيروم، أنا سعيدة جداً من أجلكِ». تتمنى أن يكون صديقها – الذي أنقذ حياتها وحياة بيل– دائماً بهذه السعادة، وتعلم أن ذلك لا يحدث عادةً في الحياة،

لأنه في هذه الحال لن يكون لهذه السعادة أي معنى حقاً.

«ما الذي يحدث معكِ أنت في القضية؟ هل أحرزتِ تقدماً؟».

أخبرته هولي بكل شيء، معظم ما أخبرته به كان بخصوص إلين كراسلو، لكنها بالطبع لم تنسَ أن تذكر توم هيغينز، عندما انتهت قال جيروم: «مستعد لدفع مئة دولار لأعرف من كانت السيدة العجوز التي أتت وأخذت أغراض إلين، أليس كذلك؟».

«وأنا أيضاً». ابتسمت هولي وفكّرت أن جيروم يستطيع حقاً أن يدفع أي مبلغ الآن بعد الأخذ بالاعتبار تلك الأموال المفاجئة التي حصل عليها مؤخراً، كما أنها هي الأخرى تستطيع أن تدفع نظراً لما حدث في الآونة الأخيرة. فقد أصبحت (فتاة غنية) كما يقول هول وأوتس في أغنيتهما، «الأمر الذي يثير استغرابي حقاً هو أن جميع أولئك السود يعيشون في حديقة المقطورات تلك، إنها تقع على الحافة الغربية لبلدة لو. الأمر ليس مُستغرباً، ولكن السيدة العجوز كانت بيضاء».

«ما هي خطوتك التالية؟».

قالت هولي: «لا أعرف، ماذا عنكَ يا جيروم؟».

«سأبقى في نيويورك لفترة، على الأقل حتّى الخميس. يريد محرري – أحب قول هذه الكلمة – أن يتحدث عن بعض الأشياء فهو يرغب في أن يجري بعض التغييرات على النص، بالإضافة إلى أنه يريد مناقشة بعض الأفكار المطروحة لغلاف الكتاب، يتحدث رئيس هيئة التحرير عن احتمال القيام بجولة تسويقية للكتاب في الولايات. هل تصدقين ذلك.. جولة تسويقية؟».

قالت هولي: «أجل أصدق ذلك.. وهذا يسعدني حقاً».

«هل يمكنني إخبارك بشيء؟ عن بارب؟».

«بالطبع».

«أنا متأكد من أنها تكتب هي الأخرى، وأعتقد أنها ستُحقق نجاحاً في ما تكتبه، ألن يكون الأمر جنونياً إذا أصبحنا كاتبين؟».

قالت هولي: «ليس هناك ما هو أكثر جنوناً من عائلة برونتي.. لقد كان ثلاثة منهم كُتّاب: شارلوت وإيميلي وآن، لقد أحببتُ رواية جين آير». كان هذا صحيحاً ولكن ما أحبّته هولي حقاً بصفتها مراهقة تعيسة كانت رواية مرتفعات وذرينغ.

سألته هولي: «لا أظنك تعرف شيئاً عما تكتبه باربرا؟».

«أعتقد أنها تكتب شِعراً، كل ما كانت تقرأه هو الشعر منذ كانت في السنة الدراسية الثانية، اسمعي هولي؛ أريد أن أذهب في نزهة على الأقدام، أعتقد أنني أُغرمت بهذه المدينة، لا لشيء سوى لأنهم افتتحوا حانات خاصة بالأشخاص المُلقحين».

«حسناً، انتبه من السارقين، أبقِ محفظتكَ في جيبك الأمامي وليس في الخلفي. واتصل بوالدكِ ووالدتكَ».

«لقد اتصلت بهما قبل أن أتصل بك».

«ماذا عن باربرا هل تحدثتَ إليها؟».

«كنتُ سأتصل بها لو أنها لم تكن مشغولة جداً في مشروعها السري ذاك، ولا تجيب على مكالماتي، هذا كل ما في الأمر.. أحبكِ يا هولي».

هذه ليست المرة الأولى التي يقولها، ولكنها دائماً تشعر بأنها على وشك البكاء: «وأنا أيضاً أُحبك يا جيروم، استمتع ببقية يومك العظيم هذا». أنهت المكالمة.

أشعلت سيجارة وتوجّهت صوب النافذة.

اعتمرت قبعة التفكير الخاصة بها ونظرت بتأمل إلى الخارج.

4

عاد رودي هاريس من زيارته المعتادة مساء يوم الاثنين من صالة البولينغ في قرابة الساعة التاسعة إلا ربع. يعتني هو وإيميلي جيداً بنفسيهما (غالباً بطرُق لن يوافق عليها المجتمع البائس) ولكن وركه الذي كان قوياً يوماً ما أصبح هشاً مع بلوغه الثمانينات من عمره، وقد مرّ ما يقارب الأربع سنوات منذ آخر مرّة دحرج فيها الكرة على الممر الخشبي، ولكنه على الرغم من ذلك لا يزال يذهب في معظم أيام الاثنين لتشجيع فريقه (الكبار الذهبيون) الذين يلعبون في دوري الأشخاص الأكبر من 65 عاماً. لقد مات معظم الرجال الذين كانوا معه عندما انضم إلى الفريق، ولكن بقي القليل منهم فقط مثل هيو كليبارد الذي كان من قسم علم الاجتماع. لقد صنع ثروة لا بأس بها من خلال الاستثمار في الأسهم ولا يزال يملك يداً يمنى قوية، وهذا أمر سيئ للغاية بالنسبة إلى فريق بروكلين.

غادرت إيميلي مكتبها الصغير بمجرد سماعها صوت إغلاق الباب الأمامي، فتقدم نحوها، طبع قبلة على خدها، وسألها عن حالها.

«لم يكن رائعاً تماماً، ربما لدينا مشكلة بسيطة يا عزيزي، تعرف أنني أراقب تغريدات ومنشورات عدة أشخاص على تويتر».

قال: «فيرا ستينمان وبالطبع المرأة دال».

«أنا أيضاً أتحقّق بين الحين والآخر من آل كراسلو، لا يحدث الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام ولا يتحدثون أبداً عن إلين، لم يسأل أحد عنها حتّى الأمس».

قال رودي وهو يهز رأسه: «إلين كراسلو.. تلك الوضيعة.. تلك..». ثمّ للحظة وقف قليلاً ليتذكر الكلمة التي كان يريد قولها وأكمل: «تلك الوضيعة العنيدة».

«كانت وضيعة حقاً، الآن هناك واحدة ما تطلق على نفسها اسم لورين باكالفان تطلب معلومات عنها على تويتر».

«بعد قرابة الثلاث سنوات؟ لماذا الآن؟».

«لأنني متأكدة من أن لورين باكالفان هذه تدير شركة للتحقيقات الخاصة، واسمها الحقيقي هو هولي غيبني، وتُدعى شركتها (فايندرز كيبرز) وقد استعانت بينيلوبي دال بخدماتها».

أصبح الآن أكثر تركيزاً وهو يستمع إليها وينظر إلى وجهها الذي كانت عيناه تحدقان إليه، فهو أطول بثمانية عشر سنتيمتراً ولكنهما متساويان في الذكاء والفكر، وربما تفوقه قليلاً في بعض الأمور، إنها.... مرّة أخرى يقف قليلاً ليتذكر الكلمة التي يرغب بقولها.. أجل إيميلي ماكرة.

«كيف عرفتِ؟».

«السيدة دال تثرثر كثيراً على وسائل التواصل الاجتماعي».

قال: «الثرثارة بيني.. كانت تلك الفتاة بوني مجرد خطأ، أسوأ من ذلك المكسيكي اللعين.. ويمكننا أن نعذر أنفسنا.. لأنه..».

«لأنه كان الأول، أعلم ذلك.. اتبعني إلى المطبخ هناك نصف زجاجة من النبيذ الأحمر متبقية من العشاء».

قال: «تعلمين أن النبيذ الأحمر قبل النوم يسبب لي حموضة». ولكنه تبعها.

«فقط القليل».

فتحت الثلاجة وصبت له القليل من النبيذ، وصبت لنفسها كمية أكثر بقليل، وجلسا إلى الطاولة متقابلين.

اعترفت: «ربما حقاً كانت بوني خطأ، ولكن الحرارة أعادت لي آلام عرق النسا.. والصداع..».

قال رودي: «أعرف ذلك». ثمّ مدّ يده وأمسك بيدها وضغط عليها برفق: «عزيزتي المسكينة وآلام الشقيقة تلك».

«ورأيتكَ تكافح لتتذكر بعض الكلمات أحياناً، ورأيت يديك المسكينتين وهما ترتعشان، كان علينا فعل ذلك».

«أنا بخير الآن، لقد اختفت الرعشة.. وكذلك اختفى التشوش الذهني».

هذه نصف الحقيقة فقط، اختفت الرعشة وهذا صحيح حقاً (حسناً في بعض الأحيان يحدث رعاش ناعم عندما يكون متعباً جداً) ولكنه لا يزال يعاني في كثير من الأحيان من صعوبة في تذكر بعض الكلمات عندما يحدث ذلك، كان يخفف عن نفسه، ويقول إن جميع الناس لديهم هفواتهم الخاصة: لقد بحثتِ عن الأمر بنفسكِ ورأيت أنه مجرد فشل مؤقت عابر، لا يختلف الأمر عن التشنج العضلي الذي يحدث ويختفي لوحده، فكرة أن يكون هذا بداية مرض الزهايمر مجرد فكرة سخيفة.

«أياً يكن الأمر لقد حصل ذلك، إذا كان هناك أي تداعيات للموضوع سنتعامل معها، والخبر السار هو أنني لا أظن أننا سنضطر إلى ذلك، فعلى الرغم من أن تلك المرأة غيبني حققت بعض النجاحات الملحوظة، ولكن عندما بحثتُ عنها تبيّن أنها كانت تملك شريكاً سبق له أن عمل في الشرطة، ولكنه توفي منذ سنوات. ومنذ ذلك الحين استلمت فقط قضايا الكلاب المفقودة، أو ملاحقة الذين خرجوا من السجن بكفالة، وتعمل بحالات طارئة فقط مع شركات تأمين معينة، أي تتعامل فقط مع القضايا والمشكلات الصغيرة وليس الكبيرة».

قال رودي وهو يشرب النبيذ: «ولكن من الواضح أنها ذكية بما فيه الكفاية للعثور على إلين كراسلو».

تنهدت إيميلي: «هذا صحيح، ولكنني لا أعتقد أن حالتي اختفاء تفصل بينهما

ثلاث سنوات تشكّلان سلسلة مترابطة من الاختفاءات، وكما تقول أنتَ: الرجل الحكيم يستعد للمطر عندما تكون الشمس مُشرقة».

هل سبق له أن قال ذلك حقاً؟ ربما قال ذلك، بالإضافة إلى مقولة إن قرداً واحداً يستطيع بمفرده القيام بعرض، لقد تعوّد والده أن يقول ذلك، كان والده يمتلك سيارة باكارد ذات لون أزرق سماوي...

قالت بنبرة حادة: «رودي!.. لقد عاودت الشرود».

«هل شردت حقاً؟».

«أعطني هذه». أخذت كأس النبيذ من يده، وسكبت ما بقي فيها في حوض المطبخ، وجلبت من الثلاجة البارفيه ووضعت عليها بعض الكريما ووضعت الطبق أمامه مع ملعقة ذات ساق طويلة مخصصة للحلوى.

«كُلْ هذه».

سأل: «ألا تريدين أن نتقاسمها؟». ولكن لعابه بدأ يسيل بالفعل.

«كلا، إنها لكَ فقط، أنت تحتاج إليها».

جلست قبالته في الوقت الذي بدا فيه تناول البارفيه بشهية، شاهدته إيميلي.. ذلك سيساعده على العودة إلى حاله السابق، يجب أن يفعل ذلك. إنها تحبه وتحتاج إليه.

«أصغِ إليّ يا عزيزي، ستبحث هذه المرأة عن بوني ولكنها لن تجد شيئاً، وستأخذ أتعابها وتمضي في سبيلها. إذا كانت ستسبب بمشكلة وهذا احتمال نسبته واحد في المئة إذا لم تكن واحداً بالألف، فهي غير متزوجة ويبدو أنها لا تملك أي شريك واضح بناءً على ما قرأتُه عنها، توفيت والدتها هذا الشهر، وقريبها الوحيد الحي هو خالها المصاب بالزهايمر في مركز رعاية المسنين. لديها شريك تجاري في الأعمال ولكن يبدو أنه عاجز عن مواجهة فيروس كورونا حالياً».

أسرع رودي قليلاً في تناول البارفيه، ومسح الكريما التي لطخت زاويتي فمه، اعتقد أن الأمور أصبحت أوضح الآن.

«هل وجدتِ كل ذلك على تويتر؟».

ابتسمت إيميلي: «هناك عدّة أماكن أخرى، ولديّ حيل صغيرة أيضاً، إنّ الأمر مشابه لذلك البرنامج التلفازي الذي نشاهده (مانيفست) حيث تقول الشخصيات دائماً

إن (كل شيء متصل ببعضه) إنه عرض سخيف ولكن المقولة ليست سخيفة. وجهة نظري بسيطة يا عزيزي، هذه امرأة ليس لديها أحد، لا بد أنها تشعر بالاكتئاب والحزن بعد أن فقدت والدتها، إذا ذهبت امرأة مثلها وانتحرت وقفزت في بحيرة تاركة وراءها رسالة انتحار على حاسوبها فمن برأيكِ سيسأل عنها؟».

«ربما يسأل عنها شريك أعمالها».

«وربما يتفهم ما حصل تماماً، أنا لا أقول إن هذا سيحصل.. كل ما في الأمر..».

«إن علينا الاستعداد للمطر عندما تكون الشمس مشرقة».

«بالضبط..». كانت البارفيه على وشك أن تنتهي وقد أكل منها ما يكفي بالفعل، قالت له: «أعطني هذه الآن».

أخذتها وأكلت ما تبقى منها.

5

جلست باربرا في غرفة نومها، مرتدية ثياب النوم وقرأت على ضوء مصباح مكتبها، ثمّ رنّ الهاتف.

الكتاب هو كاتاليبسي من تأليف خورخي كاسترو. ليس بجودة رواية (المدينة المنسية) ولكنه جيد جداً. إنه جيروم وهو يتصل من نيويورك، الساعة الحادية عشرة والربع مساء وبالتالي لا بدّ أن الغد قد حلّ بالفعل في المنطقة الزمنية الشرقية.

«مرحباً يا أخي، أنت سهران لوقت متأخر ولستَ في حفلة على ما يبدو إلا إذا كنتَ تستخدم الكثير من كواتم الصوت».

«لا، أنا في غرفتي في الفندق ولا أستطيع النوم من فرط الحماسة، هل أيقظتكِ؟».

أجابته بربارا: «لا»، وهي تجلس في سريرها، وتمسك بوسادة أخرى تضعها خلفها: «أقرأ قليلاً قبل النوم».

أغاظها قائلاً: «هل تقرأين لسيلفيا بلاث أم لآن سيكستون؟».

«إنها رواية، الرجل الذي كتبها درّس حقاً في كلية أعلى التلال لبعض الوقت». أعلى التلال تعني كلية بيل، سألته: «ما الذي يحدث معكَ؟».

أخبرها بكل ما سبق له أن أطلع عليه والديه وهولي بحماسة وسرعة، فسعدت

لأجله وأعلمته كم هي سعيدة، وتفاجأت عندما أبلغها أن الشيك قيمته مئة ألف دولار، وعندما أخبرها عن احتمال القيام بجولة ترويجية صرخت من الفرح.

«خذني معك، سأكون حارستكَ الشخصية».

«قد آخذك حقاً. ما الذي يحدث معك أنت يا باربارياً؟».

كادت تخبره بكل شيء ولكنها بدّلت رأيها، فليكن اليوم يوم تألق جيروم فقط.

«بارب؟ هل ما زلتِ على الخط؟».

«ما من شيء جديد، إنها الأحداث اليومية المعتادة».

«لا أصدق ذلك، أنتِ على وشك القيام بشيء ما. ما هو السرّ الكبير الذي تخفينه؟ أخبريني به».

وعدته: «قريباً.. أخبرني أنتَ ما الذي يحدث مع هولي، لم أُساعدها نوعاً ما في ذلك اليوم، شعرتُ بالسوء حيال ذلك». ولكن ليس كثيراً كان لديها ما تكتبه، إنه مهم ولكنها لم تحرز تقدماً كبيراً.. كبيراً؟ إنها لم تبدأ حتى.

لخّص لها كل ما حدث وانتهى بقصة إلين كراسلو، تفاعلت باربرا بقولها نعم، وواو، وأوه في الأوقات الصحيحة ولكنها لم تكن مركّزة بشكل كامل فقد عاودت التفكير بما يفترض بها كتابته والذي يجب أن تسلّمه إلى البريد بحلول نهاية الشهر. إنها تشعر بالنعاس.. لا تربط حالات الاختفاء التي أخبرها عنها جيروم بالتي أخبرتها عنها أوليفيا كينغسبري على الرغم من أنها وضعت رواية خورخي كاسترو على الطاولة بجانبها.

سمعها تتثاءب فقال لها: «سأترككِ تنامين، ولكن من الجيد التحدث إليك عندما تكونين مستمعة منتبهة حقاً».

«أنا دائماً أسمعكَ بانتباه يا أخي العزيز».

قال ضاحكاً: «كاذبة». وأنهى المكالمة. وضعت باربرا كتاب خورخي كاسترو جانباً من دون أن تدرك أنه واحد من مجموعة صغيرة سيئة الحظ للغاية، وتطفئ الضوء.

6

في تلك الليلة حلمت هولي بغرفة نومها القديمة.

يمكنها أن تعرفها من خلال ورق الجدران، إنها تلك الموجودة في شارع بوند

ستريت في سينسيناتي، ولكنها أيضاً معرض المتحف الذي تخيلته، هذه اللوحات الصغيرة في كل مكان، تحوي أسماء أشياء، موضوعة بجانب نظام الصوت، وبجانب سلة القمامة، ولأن العقل البشري أداة ربط رهيبة استيقظت وهي تفكر في والدها، إنها لا تفعل ذلك كثيراً، ولماذا قد تفعل؟ فقد مات منذ زمن طويل وحتى عندما كان على قيد الحياة لم يكن أكثر من مجرد ظل يتجول في المنزل عندما يكون في المنزل وهو أمر نادر أساساً. كان هوارد غيبني موظف مبيعات لدى شركة راي غارتون للآلات الزراعية وأمضى أيامه يسافر في الغرب الأوسط ويبيع الحصادات والجرارات، وكانت كلها باللون الأحمر الفاتح وكأن شركة غارتون تريد التأكد من أن شخصاً لن يخطئ بين منتجاتها ومنتجات جون ديري. عندما يكون هوارد في المنزل تتأكد شارلوت من أنه لن ينسَ أبداً أن يوفر احتياجات المنزل كاملة، ربما كان رجل مبيعات يعمل بجد خارج الولاية ولكن بينما يكون في المنزل فهو شخصية ميلكويست الحقيقية[1].

نهضت هولي من سريرها، وذهبت إلى مكتبها، حيث تحتفظ بسجلات حياتها العملية – الحياة التي تمكنت من الوصول إليها لوحدها – إمّا في شركة فايندرز كيبرز أو في (شارع فرانكلين) أو في مكتبها المنزلي الصغير، لكنها تحتفظ أيضاً بسجلات أخرى معينة (بعض المصنوعات اليدوية) في الدرج السفلي لهذا المكتب، لا يوجد كثير منها، ومعظمها يعيد لها ذكريات ومزيجاً من مشاعر الحنين والندم.

هناك اللوحة التي حصلت عليها كجائزة ثانية في مسابقة الإلقاء التي ضمّت عدة مدارس ابتدائية في المدينة (حدث هذا عندما كانت صغيرة، وتملك ما يكفي من الثقة للوقوف والتحدث أمام مجموعات كبيرة من الناس). ألقت قصيدة روبرت فروست (إصلاح الجدار) وبعد أن مدحها الحاضرون واللجنة، أخبرتها شارلوت أنها كانت تستطيع الفوز بالمرتبة الأولى لو أنها لم تتلعثم عدة مرات في منتصف الإلقاء.

هناك صورة لها مع والدها خلال فعاليات (خدعة أم حلوى) في الهالووين عندما كانت في السادسة من عمرها، كان يرتدي بذلة، وكانت ترتدي زي أشباح صنعه لها، تتذكر بشكل مشوش والدتها التي كانت عادة هي من تأخذها (أو بالأصح تسحبها من

---

(1) شخصية خيالية ابتكرها إتش تي ويبستر، ويوصف ميلكويست بأنه «الرجل الهادئ الذي يتعرض للضرب بعصا كبيرة». المترجم

منـزل إلـى منـزل) ولكنهـا كانت مصابة بالإنفلونزا ذلك العام، كان هوارد غيبني يبتسـم وكانت تؤمن بأنها تبتسـم أيضاً مع أنه يسـتحيل معرفة حقيقة ذلك بوجود ذلك الرداء فوق رأسها.

على الرغم من ذلك تمتمت هولي: «كنتُ أبتسـم.. لأنه لم يسـحبني حتّى يتمكن مـن العـودة إلـى المنزل ومشـاهدة التلفاز». وأيضاً لأنه لـم يذكّرها أمام كل منزل بقول شكراً فهو وبكل بساطة افترض أنها ستفعل ذلك كما كانت تفعل دائماً.

لكنهـا ليسـت اللوحـة التي تبحث عنها، أو صـورة الهالووين أو الزهور المجففة، أو نعي والدها الذي قصته وحفظته بعناية. بل ما تبحث عنه هو البطاقة البريدية، كانت تملـك أكثـر مـن عشـر بطاقات على الأقـل، وافترضت أن البطاقـات الباقية قد فُقِدت، ولكن بعد أن اكتشفت كذبة والدتها حول الميراث خطرت لها فكرة أكثر منطقية وهي أن والدتها قد سرقت تلك البطاقات التذكارية التي أعطاها لها رجل كان تحت سيطرة زوجته عندما يكون في المنزل (وقد كان هذا نادراً أساساً) ولكنه كان لطيفاً وممتعاً في المناسبات القليلة جداً التي يكون فيها مع فتاته الصغيرة وحيدين.

أمضى أربع سـنوات في دراسـة اللغة اللاتينية في المدرسـة الثانوية، وفاز بجائزته الأولى عندما كتب مقالاً من صفحتين بهذه اللغة، كان عنوان مقاله ما هي الحقيقة؟

قضت هولي عامين في دراسة اللغة اللاتينية في المدرسة الثانوية على الرغم من اعتراضات شارلوت القوية والحادة على ذلك، ولكنها لم تتألق كما كان والدها قبل أن يصبح موظف مبيعات. كانت تحصل دائماً على درجة متوسط وتتذكر ما يكفي لتعرف أن tristis puella تعنـي فتـاة حزينـة، وأن bella sidereal تعنـي حـرب النجوم، ما أصبح واضحاً لها الآن وما تفكر فيه هو أنها اتخذت سابقاً اللغة اللاتينية وسيلة للتواصل مع والدها. وقد تواصل معها بدوره حينها أليس كذلك؟ لقد أرسل لها تلك البطاقات البريدية من أماكن مثل أوماها، وتولسا، ورابيد سي.

انحنـت أمـام الدرج السـفلي وهي ترتـدي بيجامتها، وبحثت في الذكريات القليلة الباقيـة مـن ماضيهـا بصفتها فتاة حزينة، اعتقـدت أن حتّى تلك البطاقة البريدية الأخيرة اختفـت أيضـاً وهذه المرة بسـببها هي وليـس لأن والدتها أخذتها (مثلما حرصت على محي هوارد غيبني تماماً من حياتها).

أخيراً، عثرت عليها عالقة خلف أحد الأدراج، تُظهر الصورة الموجودة على البطاقة النصب التذكاري (قوس المدخل في سانت لويس). كانت الرسالة ومن دون أدنى شك مكتوبة بقلم حبر جاف يعود لشركة راي غارتون للآلات الزراعية وباللغة اللاتينية، كان يكتب جميع بطاقاته البريدية باللغة اللاتينية وكانت وظيفتها أن تترجمها بكل سرور، فتحت البطاقة وقرأت الرسالة.

Cara Holly! Deliciam meam amo. Lude cum matre tua. Mox .domi ero. Pater tuus

كانت هذه اللغة إنجازه الوحيد، وكان فخوراً بها أكثر من فخره ببيع جرار جديد يبلغ ثمنه مئة وسبعين ألفاً. ذات مرّة قال لها إنه موظف مبيعات الآلات الزراعية الوحيد في أمريكا الذي يملك شهادة باحث لاتيني أيضاً، قال ذلك على مسمع من شارلوت التي ردّت بضحكة وقالت: «أنت الشخص الوحيد الذي سيفتخر حقاً بأنه قادر على تكلم لغة ماتت منذ عهد طويل».

ابتسم هوارد ولم يقل شيئاً.

عادت هولي إلى سريرها ومعها البطاقة وقرأتها مرّة أخرى على ضوء المصباح، يمكنها أن تتذكر كيف كانت تحاول اكتشاف معانيها بالاستعانة بقاموسها اللاتيني، تمتمت الترجمة: «عزيزتي هولي! أحبكِ يا ابنتي الصغيرة، استمتعي مع والدتكِ، سأعود إلى المنزل قريباً.. والدكِ».

من دون أن تشعر وجدت هولي نفسها تُقبّل البطاقة البريدية، لم يعد ختم البريد واضحاً فوجدت صعوبة في قراءة تاريخ إرسالها، ولكنها تعتقد أنه أرسلها قبل وقت قصير من وفاته بنوبة قلبية في غرفة فندق يقع في إحدى ضواحي دافنبورت في آيوا. تتذكر كيف كانت والدتها تشتم وتشكو وتصرخ على الهاتف بسبب ارتفاع كلفة إرسال الجثة إلى المنزل عن طريق السكك الحديدية.

وضعت هولي البطاقة على الطاولة بجانب سريرها، وقالت إنها ستعيدها صباحاً إلى درج المكتب.

فكرت: إنها مقتنيات ثمينة.

شعرت بالحزن لقلة ذكرياتها عن والدها، وغضبت كثيراً عندما لاحظت أن والدتها

طمست وجوده تماماً. هل سرقت شارلوت البطاقات الأخرى كما سرقت ميراث هولي، ولكنها لم تستطع سرقة هذه البطاقة؟ ربما لأن هولي الشابة الصغيرة الخجولة تعوّدت أن تستخدمها كعلامة مرجعية وهي تقرأ الكتب وتضعها في الحقيبة (قماش الطرطان بالطبع) التي كانت تحملها في كل مكان حينها؟ لن تعرف أبداً. هل أمضى كثيراً من الوقت في سفره لأنه لم يرد العودة إلى المنزل وإلى زوجته تلك؟ هذا أمر آخر لن تستطيع معرفته. ما هي متأكدة منه هو أنه كان سعيداً دائماً بالعودة إلى المنزل ليكون إلى جانب عزيزته هولي، وما تعرفه أيضاً أنهما تمكنا معاً من بعث الحياة في تلك اللغة الميتة.

أطفأت هولي الضوء ونامت.

حلمت بشارلوت في غرفة نوم هولي القديمة.

قالت شارلوت: «تذكري إلى من تنتمين».

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها.

19 أيار 2021

1

دخلت باربرا ردهة المستشفى بسرعة، لم تكن تركض لأن ماري أخبرتها أنهما لم تأتيا بسبب حالة طارئة بل كانتا في زيارة روتينية معتادة، في المكتب الرئيسي لمستشفى كينر ميموريل سألت عن الطابق الذي يقع فيه قسم الأورام، دلّتها المرأة التي تجلس خلف طاولة المكتب إلى غرب المصاعد. وجدت باربرا نفسها في ردهة لطيفة عُلقت صورٌ جميلة على جدرانها (صورة لغروب الشمس، وأخرى للمروج الخضراء، والجزر الاستوائية) كانت الموسيقى الهادئة تُسمع من مكبرات الصوت المعلّقة أعلى الجدران، جلس كثير من الأشخاص هنا وهم يأملون الحصول على أخبار جيدة ويخشون سماع أخبار سيئة، الجميع يضعون الأقنعة الطبية، كانت ماري تقرأ كتاباً ورقي الغلاف لجون ساندفورد، وحجزت كرسياً لباربرا إلى جانبها.

ما إن رأتها باربرا حتّى سألتها: «لماذا لم تخبراني؟».

ردّت عليها ماري بكل هدوء: «لأننا لم نرد أن نقلقك من دون سبب». كانت ترتدي بنطالاً بنياً غامقاً، وقميصاً أبيض كالعادة، وكان تبرجها بسيطاً ومثالياً كالعادة، وكانت تسريحة شعرها مثالية هي الأخرى.

«لا تريدك أوليفيا أن تقلقي بخصوص أي شيء سوى شِعرك».

«أنا قلقة عليها». حاولت باربرا أن تبقي صوتها منخفضاً، ولكنها لاحظت أن أشخاصاً كثراً كانوا ينظرون إليها.

قالت ماري: «أُصيبت أوليفيا بالسرطان منذ فترة طويلة جداً، وقد أخبرها الدكتور بارون – أخصائي الأورام – إن نوع السرطان الذي تعاني منه ستموت وهي مصابة به وليس سرطاناً تموت لأنها مصابة به، كان يتقدم ببطء طيلة السنوات السابقة، ولكن وبحكم تقدمها في السن، أصبح تقدمه في السنتين الماضيتين أسرع.

همست باربرا قائلةً: «هل هو خبيث؟».

أجابتها ماري ولم يبارحها هدوؤها: «أجل.. لكن لم يحدث أي انتشار وقد لا ينتشر أبداً، تعوّدت أن تفحص انتشاراته مرتين في السنة، هذه السنة ستفحصه ثلاث مرات على فرض أنها ستعيش عاماً آخر، وكما تحب أوليفيا نفسها أن تقول: لقد مضى على مُعدَّاتها وقت طويل ضمن الخدمة، اتصلتُ بكِ لأن لديها ما تقوله لكِ، هل فوَّتِ المدرسة؟».

لوّحت باربرا بيدها، إنها في السنة الأخيرة ودرجاتها ممتازة دائماً، يمكنها أن تأخذ يوم إجازة في أي وقت تريده.

«ما الأمر؟».

«ستخبركِ بنفسها».

«هل للأمر علاقة بجائزة بينلي؟».

لم تجبها ماري، بل التقطت كتابها وعاودت القراءة، لم تُحضِر باربرا معها كتاباً لذلك أخرجت هاتفها، وفتحت تطبيق إنستغرام، وتصفحت بعض المنشورات المملة، ثمّ تحققت من بريدها الإلكتروني، ثمّ أعادت هاتفها إلى مكانه. بعد عشر دقائق خرجت أوليفيا من باب لا تريد باربرا أن تعرف ما خلفه من آلات، مشت أوليفيا متكئة على عكازين وتأرجحت حقيبتها التي تدلت من كتفها، كانت الممرضة تمسك بذراعها وتساعدها على المشي.

عندما وصلت إلى حيث تجلس باربرا وماري، شكرت الممرضة، وتنهّدت وهي تجلس. قالت لهما: «لقد نجوتُ مرّة أخرى من الإهانة الشديدة التي تحصل وهم يضعونني في تلك الآلة الصاخبة حيث أُسحب إلى داخلها كجثة في الوقت الذي يحللون فيه برازي في مكان آخر».

تابعت: «الشيخوخة هي الفترة التي يصبح فيها الإنسان منبوذاً، وكأن الأمر ليس سيئاً بما فيه الكفاية ولكنه أيضاً الوقت الذي تزداد فيه الإهانات». ثمّ نظرت إلى باربرا وخاطبتها: «أفترض أن ماري أخبرتكِ عن السرطان، ولماذا لم نخبركِ به».

قالت باربرا: «لا أزال أُفضل لو أخبرتماني من قبل».

بدت أوليفيا متعبة (فكّرت باربرا أنها متعبة حتّى الموت) ولكن علامات الاهتمام ظهرت على وجهها: «لماذا؟».

لم يكن لدى باربرا إجابة، ستبلغ هذه المرأة المئة من عمرها في الخريف، وفي مكان ما خلف ذلك الباب يجلس طفل أصلع لن يكون قادراً على العيش حتّى عيد ميلاده العاشر، فلماذا حقاً؟

ظهرت عيناها أعلى القناع ذي ألوان السلام الحمراء والبيضاء والزرقاء ساطعتين ولامعتين كما كانتا دائماً، سألتها: «هل يمكنكِ الصراخ يا باربرا؟».

«ماذا؟ لماذا؟».

«هل سبق لك أن صرختِ؟ صرخة حقيقية بكل ما في قلبكِ وبأعلى صوتكِ، صرخة تجعل صوتكِ مبحوحاً بعدها؟». فكرت باربرا في ماضيها مع برادي هارتسفيلد وموريس بيلامي وشيت أوندوفسكي، وبالأخص أوندوفسكي.

«نعم».

«لن تصرخي هنا، فهذا ليس مكاناً مناسباً للصراخ، ولكن ربما ستصرخين في وقت لاحق فهنا يجب أن تتحلي بالهدوء، كنت أستطيع الانتظار حتّى نصل إلى المنزل وأطلب من ماري أن تتصل بك، ولكن كلما تقدمت في السن انخفضت قدرتي على السيطرة على انفعالاتي، بالإضافة إلى ذلك لم أعرف كم سأبقى في تصوير الرنين المغناطيسي لذلك قلت لماري أن تطلب منك المجيء إلى هنا».

أمسكت حقيبتها الكبيرة وأنزلتها عن كتفها وفتحتها بعد أن تحسستها، وأخرجت منها مغلفاً عليه شعار الريشة والقلم والمحبرة الذي تعرفت إليه باربرا فوراً. تسارعت ضربات قلبها التي بدأت تتسارع أصلاً منذ اللحظة التي تلقت فيها مكالمة ماري.

«لقد سمحت لنفسي بفتح الملف لكي أنقل لكِ الأخبار السيئة على مراحل وأواسيك، إن كانت أخباراً سيئة، ولكنها ليست كذلك. هناك خمسة عشر شاعراً في القائمة النهائية القصيرة لقائمة الشباب تحت الثلاثين واسمكِ واحدٌ منها».

رأت باربرا يدها وهي تمسكُ بالمغلف ثمّ تفتحه وتسحب منه الورقة الثقيلة المطوية، رأت الشعار نفسه أعلى الرسالة، والجملة نفسها التي تبدأ بـ (من دواعي سرور لجنة حُكّام جائزة بينلي)، ثمّ ترقرقت عيناها بالدموع.

عُدن بسيارة ماري إلى شارع ريدج، جلست باربرا في الخلف، وصدحت الأغاني من الراديو الذي تم ضبطه على إذاعة سيريوس إكس أم وجميعها أغانٍ من فترة الأربعينيات، غنت أوليفيا مع بعضها. وحاولت باربرا أن تُخمن متى بدأت شعبية هذه الأغاني، كانت أوليفيا تنتعل حذاء مريحاً بلا كعب، وتربط شعرها باستخدام قطعة قماش. بقيت باربرا تقرأ الرسالة مراراً وتكراراً حتّى تتأكد تماماً من أنها حقيقية.

عندما وصلن إلى المنزل، ساعدت ماري وباربرا أوليفيا على الخروج من السيارة وصعود الدرج، وقد سارت العملية ببطء وتخللتها بعض أصوات إطلاق الغازات. قالت أوليفيا مبتسمة: «إنها مجرد نتائج للإرهاق الحاصل، وبعض التطهير للمخارج النهائية».

عندما وصلن إلى الردهة وأغلقن الباب، نظرت أوليفيا إلى باربرا وهي تمسك عكازاً بكل يد، وقالت لها: «إذا كنتِ تريدين الصراخ فالآن هو الوقت الجيد لذلك، كنتُ لأفعل ذلك بنفسي إن كنت أمتلك القوة الكافية من أجل ذلك».

لا تزال باربرا على الطريق الذي يقود للفوز بجائزة بينلي، حيث ستنشر دار راندوم هاوس العمل الفائز، ترى أن الأمر سيكون مذهلاً حقاً، ويمكنها بالتأكيد استخدام المال من أجل الكلية، ولكن ليس هذا هو الجزء المهم، فقد أكدت لها أوليفيا أن قصائدها ستنشر حتّى وإن لم تفز، وستُقرأ من قبل أشخاص يحبون ما تحب حقاً، وليس من قبل الجموع وعامة الناس، تنفست بعمق ثمّ أطلقت صرخة فرح وليس رعب.

ابتسمت أوليفيا: «جيد.. ماذا عن صرخة أخرى؟ هل تظنين أنك تستطيعين إطلاق صرخة أخرى؟».

تستطيع.. وضعت ماري ذراعها حول كتف باربرا وصرختا معاً.

قالت أوليفيا: «ممتاز.. لمعلوماتكِ سبق لي أن كنت المرشدة والموجّهة لشابين أُدرجت أعمالهما في القائمة الطويلة لجائزة بينلي، ولكنك يا باربرا روبنسون أنت أول طالبة لي تصل إلى القائمة النهائية القصيرة كما أنك الأصغر سناً، ومع ذلك ما زال هناك الكثير من العقبات التي عليكِ تجاوزها وهي عقباتٌ كبيرةٌ، تذكري أن معكِ أربعة

عشر شاباً وشابة يتمتعون بموهبة ومثابرة هائلة على العمل».

قالت ماري: «أوليفيا يجب عليكِ أن تسترخي».

«سأفعل ذلك، ولكن علينا مناقشة بعض الأمور أولاً».

27 تموز 2021

1

عند الساعة الحادية عشرة إلا ربع صباحاً، أُلهمت هولي الدليل الذي كانت تنتظره.

إنها في مكتبها (وكل الأثاث في مكانه وهذا ما بعث في نفسها شعوراً بالطمأنينة)، كانت تملأ فاتورة لشركة التأمين. في كل مرّة ترى فيها إعلاناً مَرِحاً لشركة تأمين على التلفاز تكتم الصوت، فعلى الرغم من أن إعلاناتهم تجعلك تضحك قليلاً، ولكن الشركات ليست كذلك أبداً. يمكنك أن توفر على الشركة ربع مليون دولار بإثبات المطالبات الزائفة، ولكن رغم ذلك يجب عليكَ أن ترسل الفواتير مرتين أو ثلاث أو أربع مرات في بعض الأحيان قبل أن تحصل على أتعابك.

رنّ الهاتف عندما كانت على وشك الانتهاء من الأسطر الأخيرة في نموذج الفواتير الغبي ذلك المكون من ثلاث صفحات. رفعت السماعة: «معكَ هولي غيبني، شركة فايندرز كيبرز، كيف أستطيع مساعدتك؟».

«مرحباً سيدة غيبني، أنا إيميليو هيريرا، من جيت مارت؟ لقد تحدثنا البارحة».

«أجل تذكرتكَ». جلست هولي بشكل مستقيم، وفقدت اهتمامها بالفاتورة الآن.

«لقد سألتِني إن توقف أي من الزبائن المعتادين الآخرين عن الحضور».

«وهل تذكرتَ أحداً ما سيد هيريرا؟».

«حسناً، ربما.. في الليلة الماضية وقبل أن أخلد إلى النوم، كنتُ أتنقل بين محطات التلفاز بحثاً عن شيء أشاهده ريثما يغلبني النعاس، وكان يُعرض فيلم ليباوسكي الكبير[1] على قناة آي أم سي، لا أعتقد أنك شاهدته».

قالت هولي: «سبق لي أن شاهدته». ثلاث مرات في الواقع.

(1) فيلم أميركي بريطاني كوميدي، وجيف ليباوسكي هو رجل من لوس أنجلوس عاطل عن العمل ولاعب بولينغ. المترجم

«على أي حال، لقد جعلني ذلك أتذكر موظفاً في نادي البولينغ، كان يأتي طوال الوقت ويشتري وجباتٍ خفيفة ومشروبات غازية، وأحياناً أوراق ريزيلا للفّ التبغ، كنتُ أراه فتى لطيفاً، ربما بدا فتى بالنسبة إليّ، وأعتقد أنه كان يُدخن الحشيش».

«ما اسمه؟».

«لا أتذكر ذلك حقاً، ربما كوري؟ أو كاميرون؟ كان يأتي قبل خمس سنوات على الأقل وربما أكثر».

«صفه لي؟».

«إنه نحيل، طويل الشعر، أشقر وقد كان يبقيه مربوطاً إلى الخلف، ربما لأنه كان يقود دراجة. ليست دراجة نارية ولا بخارية، بل من تلك الدراجات الحديثة بعضها كهربائي ولكن تلك كانت تعمل بالبنزين».

«لقد عرفتُها».

«كان صوتها صاخباً، لا أعلم إذا ما كان هناك خلل في المحرك أو أن هذا هو الصوت الطبيعي الذي تصدره تلك الدراجات، ولكن الأصوات الصادرة كانت مزعجة جداً مثل (بلاك–بلاك–بلاك) وكانت مغطاة بملصقات أشياء سخيفة من مثل (أقوم بأي شيء تخبرني به تلك الأصوات الصغيرة التي بداخلي) أو ملصقات لفرقة الروك (غريتفل ديد)، لقد كان مُعجباً كبيراً بالفرقة. كان يأتي كل ليلة عندما يكون الطقس دافئاً أي تعلمين الفترة من نيسان إلى تشرين الأول وأحياناً حتّى تشرين الثاني، كنا نتحدث عن الأفلام، وكان دائماً يشتري الأشياء نفسها؛ قطعتين أو ثلاثاً من الحلوى، وبي كو وفي بعض الأحيان ورق لف التبغ».

«ما هو البي كو؟».

«بيرو كولا، إنها مشابهة لمشروب جولت كولا الغازي، هل تتذكرينه؟».

بالتأكيد تتذكره، لقد كانت عاشقة لمشروب الجولت في فترة من الثمانينات، قالت: «لقد كان شعارها (كلّ السكر الذي ترغب فيه، وضعفا الكافيين)».

«هذا هو، أما بيرو كولا فشعارها (كلّ السكر الذي ترغب فيه وتسعة أضعاف الكافيين)، أعتقد أنه كان يصعد إلى درايف إن روك ويشاهد الأفلام في ماجيك سيتي،

ويقول: إنه يمكنكِ رؤية الشاشة بشكل جيد جداً من هناك...».

قالت: «صحيح ما قاله، سبق لي أن ذهبت إلى هناك». لقد أصبحت هولي أكثر حماسة الآن، قلبت نموذج الفواتير الخاص بالتأمين وخربشت بسرعة: كوري أو كاميرون، ملصقات سخيفة على دراجة صغيرة حديثة.

«أخبَرَني أنه ما كان يصعد إلى هناك في نهاية الأسبوع، لأن الكثير من الفتيان كانوا يصعدون إلى هناك ويثيرون المتاعب ويتجولون في كل مكان. إنه شاب لطيف حقاً ولكنني أظنه يُدخن الحشيش. سبق لي أن ذكرت هذا أليس كذلك؟».

«أجل لقد فعلت، ولكن لا بأس بذلك.. استمر من فضلك». ثمّ تخربش مجدداً: درايف إن روك وشارع ريد بانك.

«لذلك قلتُ له ما الفائدة منه عندما لا تكون قادراً على سماع الصوت، فقال إن الأمر غير مهم حقاً فهو حفظ كل الحوارات، وربما كان ذلك صحيحاً بالنسبة إلى الأفلام التي يعرضونها هناك كما تعلمين، تلك الأفلام القديمة، في الواقع هناك عدة أفلام أستطيع مشاهدتها من غير صوت لأنني حفظتُ حواراتها عن ظهر قلب».

«حقاً؟». بالطبع حقاً، فهولي نفسها حفظت حوارات طويلة من حوالى ستين فيلماً على الأقل وربما مئة.

«أجل، كما تعلمين جملاً مثل (ستحتاج قارباً أكبر) من فيلم الفك المفترس، و(انشغل بالموت أو انشغل بالحياة) من فيلم الخلاص من شاوشانك، وجمل أخرى كهذه».

لا تستطيع هولي أن تمنع نفسها من المشاركة: «(لا يمكنك التعامل مع الحقيقة) من فيلم القليل من الرجال الصالحين».

«أجل، هذه مقولة مشهورة أيضاً، سأخبركِ بشيء سيدة غيبني؛ في عملي هذا دائماً يكون الزبون على حق، إلا إذا كان طفلاً يريد السجائر أو البيرة، هذا هو الاستثناء. ولكن هذا لا يمنعني من تشغيل دماغي والتفكير أليس كذلك؟».

«بالطبع».

«أعتقد أن ذلك الفتى كان يمزج الهيروين مع الكوكايين، أعتقد أنه كان يصعد

إلى هناك ويدخن حتّى ينتشي ثمّ يشرب علبة من البي كو ليرفع المستوى قليلاً، لقد توقفت صناعة تلك المشروبات الغازية منذ سنتين أو ثلاث سنوات، ولستُ متفاجئاً من ذلك فلقد جرّبتُ أن أشرب علبة منها ذات مرة، وشعرتُ بالتوتر الشديد. كان روتين ذلك الفتى ثابتاً مثل الساعة، يخرج من مناوبته ويقود دراجته الصغيرة إلى هنا، ثمّ يشتري الحلوى والمشروب الغازي وأحياناً بعض أوراق لف التبغ، ويتحدث قليلاً ويمضي في سبيله».

«ومتى توقف عن المجيء؟».

«لا أعرف تماماً، أنا أعمل في جيت ميت منذ وقت طويل جداً، رأيتُ الناس يأتون ويذهبون. ولكن بحسب ما أتذكر فقد كان ترامب يخوض حملته الانتخابية لمنصب الرئيس. أتذكر ذلك لأننا تبادلنا بعض الدعابات عن الأمر، ولكن يبدو الآن أن الدعابات انقلبت علينا». توقف قليلاً وكأنه يفكر في ما قاله للتو قبل أن يقول: «ولكن إذا صوّتتِ له فكل ما قلتُه كان مجرد مزحة».

قالت هولي: «لقد صوّتتُ لكلينتون، هل وصفتَه بكونه فتى البولينغ؟».

«بالتأكيد كان يعمل في نادي البولينغ سترايكم آوت، كان ذلك مكتوباً على قميصه».

2

تحدثا لبعض الوقت، ولكن هيريرا لم يستطع تذكر أي معلومة قيّمة أخرى. مع أنها شعرت أنه يجب أن لا يكون من الصعب جداً تذكر اسم شاب البولينغ. ذكّرت هولي نفسها أن ذلك قد لا يعني شيئاً له صلة بالقضية مع أنه المتجر نفسه والشارع نفسه، وحدث الأمر بلا سيارة وفي الوقت نفسه –مساءً– الذي اختفت فيه بوني راي تقريباً، بالإضافة إلى ظهور درايف إن روك في القصة وهو المكان نفسه الذي جلست فيه هولي بعد أن وجدت قرط بوني.

تحققت من آيبادها أن صالة بولينغ سترايكم آوت تفتح عند الساعة الحادية عشرة صباحاً. هناك ستعرف اسم فتى البولينغ، توجّهت صوب الباب وخطرت لها فكرة أخرى، فعلى الرغم من أن إيماني ماغواير لم تسمح لها بتسجيل محادثتهما ولكنها

أعادت تلخيص جميع النقاط المهمة في تسجيل على هاتفها، وقبل أن تشغّل التسجيل تذكرت اسم زوج إيماني، ياردلي، الذي يعمل في الحجوزات.

وجدت رقم حجوزات المدينة وسألت إن كان السيد ياردلي ماغواير هناك.

«إنه يتحدث إليك».

«سيد ماغواير اسمي هولي غيبني، لقد تحدثتُ إلى زوجتكَ بالأمس...».

سأل: «عن إلين.. إيمي تقول إنه كان لديكِ بعض المعلومات الجيدة، لا أظن أنك تمكنتِ من الوصول إلى إلين بعدُ أليس كذلك؟».

«صحيح، لم أصل إليها بعدُ، ولكن ربما أكون قد عثرتُ على شخص آخر فُقِد قبل بضع سنوات أيضاً، قد لا يكون له علاقة بها، ولكن ربما تكون هناك صلة بين اختفائهما، لقد كان يقود دراجة صغيرة حديثة مغطاة بالملصقات، أخبرني أحدهم أنه كان عليها ملصقات لفرقة (غريتفل ديد)، و..».

قال يارد ماغواير: «بالتأكيد، أتذكر تلك الدراجة.. لقد بقيت هنا لمدة عام على الأقل وربما لأكثر من ذلك، وعندما لم يأتِ أحد أخذها جيري هولت أخيراً إلى منزله وأعطاها لابنه الأوسط، الذي كان يصرخ طوال الوقت مطالباً بواحدة، ولكنه أجرى عليها بعض التصليحات أولاً فقد كانت..».

«كانت تصدر أصواتاً صاخبة ومزعجة مثل (بلاك-بلاك-بلاك)».

ضحك ياردلي: «أجل حقاً، تشبه هذا الصوت بشكل كبير».

«أين وُجِدَت؟ أو بالأحرى أين تُركت؟».

«أوه.. ليس لديّ فكرة، قد يعرف جيري ذلك واسمعي سيدة غيبني، لم يسرقها جيري، حسناً؟ لقد كانت بلا لوحة ترخيص، ولو كان هناك رقم تسجيل لها ما كان أحد ليزعج نفسه ويبحث عنها في دائرة ولاية كاليفورنيا للمركبات، ليس من أجل تلك الدراجة الصغيرة».

حصلت هولي منه على رقم جيري هولت، وشكرته وطلبت منه أن ينقل تحياتها إلى إيماني. ثمّ اتصلت بهولت. سمعت صوت البريد الصوتي بعد ثلاث رنّات فتركت له رسالة تطلب فيها أن يعاود الاتصال بها. تجولت في مكتبها ومررت أصابعها عبر شعرها حتّى أصبح أشبه بكومة قش مرّت عليها رياحٌ عاصفة. مع أنها لا تعرف اسم

شاب البولينغ بعدُ ولكنها متأكدة بنسبة 90 بالمئة من أنه ضحية أخرى لذلك الشخص الـذي تعتـزم إطـلاق لقب (مُفترس شـارع ريد بانك) عليـه. من غير المحتمل أن يكون المفتـرس هـو السـيدة البيضـاء العجـوز المصابة بعرق النسـا، ولكنها ربما تتسـتر على شخص ما؟ ربما تقوم بالتنظيف والتخلص من ممتلكات الأشخاص؟ ربما يكون ابنها؟ يعلم الله أن مثل هذه الأشياء تحدث، وسبق لها أن حدثت، بالفعل. لقد قرأت هولي منذ فترة ليست بطويلة عن جريمة شرف حيث أمسكت سيدة عجوز بساقي زوجة ابنها حتّى يتمكن ابنها الغاضب من قطع رأس زوجته، أمور مثل: العائلة التي تقتل معاً تبقى معاً.

فكّرت في الاتصال ببيت، وحتى أنها فكّرت في الاتصال بإيزابيل غاينز من قسم الشـرطة، ولكنها عرفت في صميمها أنها لا تريد الاتصال بأي واحد منهما، إنها تريد أن تتعامل مع هذا الأمر بنفسها.

3

تعـد المنطقـة التـي يوجـد فيها نادي سـترايكم آوت كبيرة، ولكنها لا تحتوي على عدد كبير من السـكان، ركنت هولي سـيارتها ورنّ هاتفها في الوقت الذي كانت تفتح فيه الباب، إنه جيري هولت.

«بالتأكيد أتذكر تلك الدراجة، في الواقع بقيت لدينا لأكثر من سـتة عشـر شـهراً وعندما لم يُطالب أحد بها أعطيتُها لابني، هل يريد أحدهم استعادتها؟».

«كلا، كلا، لا شيء من هذا القبيل، أنا فقط...».

«جيد، لأن غريغ دمّرها عندما كان يقفز في حفرة مليئة بالحصى بالقرب من هنا، لقد كسـر الأبله ذراعه، وجعلت زوجتي أسـبوعي بأكمله معاناةً مسـتمرةً وهي تؤنبني لأنني جلبت تلك الدراجة».

«أريد فقط أن أعرف أين عُثِر عليها، هل تتذكر ذلك؟».

أجاب هولت: «أوه، أجل لقد دوّن ذلك في السجلات، في ديرفيلد بارك، في ذلك الجزء المتسارع النمو الذي يدعى الثيكرس».

خاطبت هولي نفسها أكثر من كونها تُخاطب جيري: «بالقرب من شارع ريد بانك».

«أجل، هذا صحيح لقد وجدها أحد الحراس».

4

هناك ملصقان على أبواب نادي البولينغ واحد كُتب عليه (المكان مفتوح) والآخر كُتب عليه (لا تملك قناعاً؟ لا مشكلة!) أخرجت هولي قناعها ووضعته على وجهها، البهو مزين بعشرات الصور لفرق الأولاد وفوقها توجد لافتة كُتب عليها: لأجل صحة أفضل اجعلوا أولادكم يلعبون البولينغ. تستطيع هولي التفكير في عدد كبير من الأنشطة الأكثر فائدة للصحة مثل السباحة والجري والكرة الطائرة، ولكن ذلك غير مهم حقاً.

هناك عشرون ممراً جميعها مظلمة ما عدا ثلاثة، يعلو صوت الكرات القليلة بين كل لحظة ولحظة، ولكن صوت ارتطامها بالأجسام الخشبية أعلى بكثير مثل لقطة من فيلم هوليودي عندما يقطع البطل السلك الأحمر بدلاً من الأزرق.

هناك شخص طويل ونحيل طويل الشعر يرتدي قميصاً مخططاً برتقالياً كُتب عليه سترايكم آوت يقف خلف المنضدة، يجلب البيرة لأحد لاعبي البولينغ في وقت مبكر من فترة بعد الظهر.

للحظة اعتقدت هولي أنها قد وجدت كوري ذلك -أو كاميرون- على قيد الحياة وبصحة جيدة ولم يختفِ أبداً، ولكن عندما استدار نحوها رأت شارة الاسم مثبتة على القميص (دارن).

«هل تريدين حذاءً؟ ما المقاس؟».

«لا شكراً.. اسمي هولي غيبني وأنا محققة خاصة...».

جحظت عيناه: «تمزحين!».

اعتبرت هولي قوله هذا على أنه تعبير تعجُّب مفاجئ عن ماهية عملها، وتابعت كلامها: «أبحثُ عن معلومات عن شخص كان يعمل هنا منذ بضع سنوات، شاب ربما كان اسمه..».

«لا يمكنني مساعدتكِ، أنا أعمل هنا منذ حزيران الماضي، مجرد وظيفة صيفية، يجب عليكِ أن تتحدثي إلى ألثيا هافيرتي، مالكة المكان، إنها في مكتبها الآن» وأشار إليه. توجّهت هولي صوب المكتب وهي تسمع أصوات تصادم المزيد من الأجسام الخشبية ويعلو صوت امرأة تصيح غضباً.

طرقت على الباب فصدح صوت من الداخل: «امم». والتي اعتبرتها هولي بمثابة

دعوة للدخول ففتحت الباب، كانت ستفتحه حتّى لو قال من في الداخل «اغربي بعيداً» لأنها تبحث في قضية وعندما تفعل ذلك تختفي شخصيتها الجبانة الطبيعية.

ألثيا هافيرتي هي امرأة ضخمة للغاية تجلس خلف مكتب فوضوي، تمسك عدة أوراق في إحدى يديها، وقد فتحت لابتوب أمامها، عرفت هولي من خلال نظرة ألثيا المريرة إلى الأوراق أنها فواتير.

سألت ألثيا: «ما المشكلة؟ هل الأمر يتعلق بالآلة التي تعيد صفّ الأجسام الخشبية في الممر الحادي عشر مرّة أخرى؟ لقد أخبرتُ دارن أن يقفل ذلك الممر مؤقتاً حتّى يأتي بروك ويصلحها، أقسم إن ذلك الشاب لا يركز في أي حرف أقوله».

«لم آتِ لألعب البولينغ».

قدّمت هولي نفسها وشرحت لها ما تريد معرفته، سمعت ألثيا تضع أوراقها جانباً، وقالت: «أنتِ تتحدثين عن كاري دريسلر، لقد كان أفضل عامل حظيتُ به منذ انتقل ابني إلى كاليفورنيا. فقد استطاع أن ينسجم مع الزبائن وكان لديه طريقة خاصة في التخلص من الذين يفرطون في معاقرة الشراب خلال فترات النهار من دون أن يغضبهم. أما بالنسبة إلى جدول المواعيد؟ لقد كان بطلاً حقيقياً. كان يتعاطى المخدرات، ولكن ألا يتعاطاها الجميع في هذه الأيام؟ لكن تعاطيها لم يؤثر في عمله، فهو لم يتأخر يوماً، ولم يأخذ يوماً إجازة بحجة المرض، ولكنه ذات يوم اختفى كفقاعة تلاشت من دون سابق إنذار، أنت تبحثين عنه أليس كذلك؟».

«صحيح». في الواقع زبونتها الأصلية هي بيني دال، ولكن في الوقت الحالي أصبحت هولي تبحث عن جميع المفقودين.

«حسناً، ما أستطيع الجزم به أن ذويه ليسوا من يدفعون لك من أجل البحث عنه، فليس من الضروري أن أكون محققة لأعرف ذلك». وضعت ألثيا يديها خلف رأسها وتمططت وهذا أبرز صدرها الضخم الذي أصبح يحجب نصف مكتبها.

«لماذا تقولين هذا؟».

أجابت: «لقد أتى إلى هنا من بلدة صغيرة في مينيسوتا، لأن زوج والدته يوبخه كثيراً، وعلى حد قوله كانت أمه تغضّ النظر عن الأمر وتتصرف وكأنها لا تعرف ما يجري. أخيراً، سئم منه ومن الوضع بأكمله، لذلك قرر أن يغادر. ليست قصة حزينة

في الواقع، وكان كاري يعتبرها أمراً واقعياً، وهذا سلوك جيد منه، كل ما كان يهم ذلك الشاب هو الأفلام والعمل هنا بالإضافة إلى بعض المخدرات على الأرجح، ولكنني لا أهتم بذلك فقد كان مجرد شاب، هل تعتقدين أن شيئاً ما حدث له؟ شيء سيئ؟».

«ربّما، هل تستطيعين مساعدتي في تحديد الوقت الذي اختفى فيه؟ لقد تحدثتُ إلى موظف في شركة جيت مارت حيث اعتاد كاري على التوقف قليلاً في طريق عودته إلى المنزل.. ربما إلى شقة، ولكن الشيء الوحيد الذي بدا العامل متأكداً منه هو أن ذلك حدث في الوقت الذي كان فيه ترامب يترشح لولايته الأولى».

«أولئك الديمقراطيون اللعينون سرقوا فترة الولاية الثانية، اعذري ألفاظي، انتظري لحظة». فتحت الدرج العلوي في مكتبها وشرعت تبحث فيه: «أكره أن أُفكّر في أن شيئاً ما حدث لكاري، فوضع الدوري ليس كما كان عليه بوجوده». واستمرت تبحث، وتبحث، وتبحث.

«أعني أن ذلك اللعين فيروس كورونا دمّر الكثير من البطولات – من الجيد أنه لم يدمر عملي بأكمله أيضاً – ولكن حتّى قبل أن يأتي فيروس كورونا اختلفت أحوال البطولات والمباريات بمجرد أن ترك كاري المكان. كان كاري جيداً للغاية في.. آه أعتقد أن هذا هو». وضعت القرص النقال في اللابتوب ووضعت نظارتها وشرعت تضغط على الأزرار وتهز رأسها ثمّ تضغط بقوة أكثر.. يجب على هولي أن تمنع نفسها من الالتفاف إلى جهة ألثيا والعثور بنفسها على ما تحاول تلك المرأة إيجاده.

نظرت ألثيا إلى الشاشة، واستطاعت هولي أن ترى في انعكاس نظارتها ما يشبه جدول البيانات، قالت: «حسناً، لقد بدأ كاري العمل هنا في العام 2012 وعلى الرغم من أنه كان صغيراً على تقديم المشروبات إلا أنني وظّفته بغض النظر عن ذلك، وأنا سعيدة حقاً لأنني فعلتُ ذلك. حصل على آخر راتب له في الرابع من الشهر التاسع عام 2015. أي منذ ست سنوات تقريباً! إن الوقت يمر بسرعة رهيبة حقاً أليس كذلك؟ وبعدها اختفى».

أزالت نظارتها ونظرت إلى هولي: «كان يفترض بزوجي أن يحل مكانه، كان ذلك قبل أن يصاب ألفي بنوبة قلبية».

«هل لديكِ صورة لكاري؟».

«تعالي معي إلى باولارو».

تبين لاحقاً أن باولارو هو مطعم تقدّم فيه الطعام امرأة تبدو عليها علامات التعب (إنها تضع قناعاً وهذا ما أشعر هولي بالسعادة والارتياح) كانت تُقدّم البرغر والبيرة إلى اثنين من لاعبي البولينغ. لقد زينت جدران المطعم بصور ذات أُطر، يظهر في صورتين مجموعة من الرجال المبتسمين الذي يحملون أوراق نتائج المباريات، وفوق هذه الصورة هناك لافتة كُتب عليها (النادي 300!)، ومعظم الصور الباقية هي للاعبي بولينغ يرتدون قمصان الدوري.

تذمرت ألثيا وهي تشير إلى الطاولات والمقاعد الفارغة: «انظري إلى هذا المكان.. لقد كان هذا عملاً جيداً حقاً يا هولي، إذا استمرّ الأمر هكذا سأخسره، وكل هذا بسبب بعض الأنفلونزا المزيفة، لو أن أولئك الديمقراطيين اللعينين لم يسرقوا الانتخابات.... حسناً ها هو ذا.. هذا كاري الذي يقف في المقدمة».

توقفت بالقرب من صورة لسبعة رجال متقدمين في السن – أربعة منهم شعورهم بيضاء، وثلاثة صلع – وهناك شاب رُبط شعره الأشقر الطويل إلى الخلف، في الصورة يحمل الشاب وأحد المتقدمين في السن الكأس معاً، وتحتها كُتِب (الكبار الذهبيون أبطال دوري الشتاء لعام 2015).

سألت هولي وهي ترفع هاتفها: «هل يمكنني التقاط صورة؟».

«بالطبع افعلي ما تريدينه».

التقطت هولي صورة.

«انظري إلى هذه الصورة أيضاً، إنه موجود في صورتين أُخريين».

كان كاري يقف مع ستّ نساء مبتسمات، يبدو وكأن اثنتين منهن على وشك أن تأكلا السيد دريسلر الصغير بأعينهما، وفقاً لما كتب على قمصانهنّ فهنّ (الساحرات الجذابات) الفائزات في دوري السيدات لعام 2014.

«لقد كنّ يردن أن يطلقن على أنفسهن اسم (المثيرات الجذابات) ولكن ألفي وضع حداً للموضوع، وها هو ذا كاري مع أحد الفرق الأخرى».

التقطت هولي مزيداً من الصور.

«كان كاري يُكمل أي فريق ينقصه رجلٌ أو امرأة في الدوري، إذا كان ذلك أثناء

مناوبته والتي كانت تستمر من الساعة الحادية عشرة صباحاً أي وقت الافتتاح حتّى الساعة السابعة مساءً، تمتع بشعبية كبيرة وكان لاعباً جيداً في (متوسط الـ 200)».

أشارت إلى صورة (الكبار الذهبيون) وقالت: «كان يتلاءم مع أي فريق ولكن هؤلاء الرجال كانوا المفضلين بالنسبة إليه، وكان يتعامل معهم معظم الأحيان.. كانوا يلعبون في فترة بعد الظهر أي عندما يكون هذا المكان ميتاً تقريباً حتّى قبل فيروس كورونا، كان بإمكان الكبار أن يأتوا إلى هنا بعد الظهر لأنهم كانوا متقاعدين، ولكنني أعتقد أن كاري له صلة بالأمر، صلة كبيرة».

«لماذا تقولين هذا؟».

«لأنهم نقلوا مبارياتهم إلى ليالي الاثنين بعد أن توقف كاري عن العمل هنا».

«هل تظنين أنه تحدث إلى أحد هؤلاء الرجال حول خططه المستقبلية عن الاستقالة وربما مغادرة المدينة؟».

«ربما، كل شيء ممكن».

«هل ما زالوا يلعبون البولينغ؟ أعني الرجال الظاهرين في هذه الصورة؟».

«بعضهم رحل». أشارت إلى رجل مبتسم ذي شعر أبيض يحمل كرة حمراء تبدو من الكرات المصممة خصيصاً، ثمّ قالت: «لا يزال رودي هاريس يأتي إلى هنا معظم أيام الأسبوع، ولكنه في هذه الأيام يكتفي بالمشاهدة، يقول إن وركيه أصبحا بحال سيئة بالإضافة إلى إصابته بالتهاب المفاصل في يديه، وهذا الشخص هنا ميت.. أعتقد أن هذا الشخص أصيب بجلطة دماغية...». نقرت بيدها على صورة الرجل الذي يحمل الكأس مع كاري: «لكن هذا الرجل لا يزال يلعب، في الحقيقة إنه قائد الفريق، اسمه هيو كليبارد، إذا كنتِ ترغبين بالتحدث إليه يمكنني أن أعطيكِ عنوانه فلدينا عناوين أعضاء جميع الفرق في حال فازوا بشيء ما أو إذا كانت هناك شكوى».

«هل تحصل الكثير من الشكاوى؟».

«أوه يا صديقتي، ستتفاجئين من ذلك، تزداد حماسة المنافسة ولا سيما في بطولات دوري الشتاء. أتذكر مباراة بين فريق الساحرات الجذابات وفريق آخر حيث انتهت باللكم والخدش وشد الشعر، وانسكبت البيرة في كل مكان، كان الأمر عبارة عن فوضى عارمة وكل ذلك بسبب خطأ صغير ارتكبه الفريق الآخر، كاري هو من فك

القتال في النهاية، كان جيداً في ذلك.. أوه أفتقده كثيراً».

«أودّ أن أحصل منكِ على عنوان السيد كليبارد ورقم هاتفه إذا كنتِ تملكينه».

«أجل لديّ».

تبعت ألثيا هافيرتي إلى مكتبها، لم تظن هولي للحظة أن كاري دريسلر أخبر أياً من هؤلاء الرجال الكبار عن خططه، لأنها لا تعتقد أنه كان يملك مثل هذه الخطط أصلاً، لقد غيّر شخصٌ ما خططه، وربما إلى الأبد. ولكن إذا قامت امرأة عجوز بتنظيف مقطورة إليـن فمن المحتمل أن يكون أحد هؤلاء الرجال على معرفة بها، وقد تكون مرتبطة به إمّا قرابة دم أو عن طريق الزواج، لأن مفترس شارع ريد بانك لا يختار ضحاياه بعشوائية تامة فقد كان يعلم أن إليـن بمفردها، ويعلم أن كاري بمفرده أيضاً، وربما يعرف أن والدة بيتر ستينمان تعاني من مشكلة الإفراط في معاقرة الخمر، وكان يعلم أن بوني انفصلت مؤخراً عن حبيبها بالإضافة إلى أن والدها خارج إطار حياتها، وقد توترت علاقة بوني مع والدتها. وبعبارة أخرى لدى المفترس معلومات واضحة تجعله يختار أهدافه.

أصبحت هولي أحسن من قبل فقد أصبحت أكثر واقعية وأكثر استقراراً من الناحية العاطفية، وأقل اتجاهاً نحو لوم النفس، ولكنها لا تزال تعاني من تدني احترام الذات وانعدام الأمان. هذه عيوب شخصية، ولكنها تجعل منها محققة أفضل، فهي تدرك أن أي افتراض تضعه حول القضية قد يكون خاطئاً تماماً، ولكنها تشعر في داخلها أنها على حق، إنها لا تريد أن تعرف إذا ما كان كاري قد أخبر أحداً (الكبار الذهبيون) بخططه حول مغادرة المدينة، ولكنها تريد أن تعرف إذا ما كان أي منهم يعرف أو ربما قد يكون متزوجاً من امرأة تعاني من عرق النسا.

من غير المحتمل ذلك، ولكن كما اعتاد موسكي أن يقول لنائب دوج في مسلسل الكرتون القديم: «هذا ممكن، هذا ممكن».

قالت ألثيا: «ها هو ذا». وأعطت هولي ورقة من المفكرة. طوتها هولي ووضعتها في أحد جيوب بنطالها الفضفاض.

«سيدة هافيرتي هل يمكنكِ أن تخبريني بأي شيء آخر عن كاري؟».

حملت ألثيا حزمة الفواتير مرّة أخرى، ووضعتها على الطاولة مجدّداً وقالت

متنهـدة: «أننـي أفتقـده كثيـراً، أراهن على أن المتقدمين في السـن الذين كانوا هنا عندما عمِل كاري – مثل كليبارد – يفتقدونه هم أيضاً. تفتقده عضوات فريق الساحرات أيضاً حتّـى أن الفتيـان الذيـن جـاؤوا مرّة واحدة في الشـهر يفتقدونه. أراهـن أن الفتيات كنّ مغرمات به، وأراهن أنه أينما يكن فهو يؤمن بهذه الأنفلونزا المزيفة تماماً مثلكِ أنتِ، لن أناقشـك وأجادلكِ في هذا الأمر يا هولي.. كلا.. فنحن في أميركا، وهذه أميركا.. يمكنـكِ أن تصدقـي مـا تريديـن، كل مـا أقولـه هو أنـه كان عاملاً جيـداً وأعداد هؤلاء في تناقص مسـتمر. على سـبيل المثال دارن يلتزم بالوقت وبأشـياء محددة، ولكن هل تعتقدين أن بإمكاني أن أطلب منه صنع ورقة إعلان لمسـابقة؟ لن يفعل ذلك حتّى لو صوّبت مسدساً إلى رأسه».

قالت هولي، وهي تدفع مرفقها من باب الحرص على عدم التلامس: «شكراً على وقتكِ».

ضحكت ألثيا: «آسفة لا أقصد الإهانة ولكنني لن أفعل ذلك».

فكّرت هولي أمي ماتت بسبب ما تعتقدينه أنفلونزا زائفة أيتها الوضيعة الساذجة.

ردّت هولي: «لم أعتبرها إهانة».

5

مشت هولي الهوينى عبر الردهة واستمعت إلى دحرجة الكرات ووقوع الأجسام الخشبية، إنها على وشك أن تفتح باب الردهة، مستعدة لموجة الحرارة والرطوبة التي على وشك أن تعصف في وجهها، ثمّ توقفت وفكرت وجحظت عيناها: يا إلهي.. حقاً؟

19 أيار 2021

احتست ماري وباربرا القهوة. أما أوليفيا، ونظراً لتاريخها مع نوبات عدم الانتظام القلبي على مدى السنوات القليلة الماضية فشربت الشاي المثلج الخالي من الكافيين. عندما جلسن جميعاً في غرفة المعيشة أخبرت أوليفيا باربرا بما ينتظرهن بخصوص جائزة البينلي. إنها تتحدث بتردد أكثر من المعتاد، وجدت باربرا هذا الأمر مزعجاً، ولكن لا يوجد أي كلام غير مفهوم وما تقوله أوليفيا واضح ودقيق أكثر من أي مرة.

«إنهم يجرونها بنفس آلية المسابقات التلفازية مثل الرقص مع النجوم، ولكن بدلاً من ذلك فهي جائزة شعرية يكاد لا يهتم بها أحد، في منتصف شهر حزيران تقريباً سيتم غربلة القائمة المختصرة إلى عشرة أسماء، ثمّ في منتصف شهر تموز سيعلن عن الخمسة النهائيين. وأخيراً، يتم الإعلان عن اسم الفائز بعد شهر أو نحو ذلك».

«لن ينتهي الأمر حتّى آب؟».

«كما قلتُ لكِ يحصل الأمر تدريجياً، ولن يُطلب منكِ تقديم المزيد من القصائد وهذا أمر جيد بالنسبة إليك، صحّحي لي إذا كنتُ مخطئة، ولكنني أعتقد أن مخزونك أصبح شبه فارغ. آخر قصيدتين أريتني إياهما كانتا وكأنكِ أجبرتِ الكلمات على الخروج، سامحيني على ما أقول».

تعرف باربرا ذلك بالفعل، استطاعت أن تشعر بنفسها وهي تدفع الكلمات للخروج بدلاً من أن تتدفق من داخلها تلقائياً، قالت: «ربما كانت كذلك حقاً».

«يُسمح لكِ بإرسال المزيد، ولكنني لا أنصحك بذلك، لقد أرسلتِ لهم أفضل ما كتبتِ، هل توافقينني الرأي؟».

«أجل».

قالت ماري: «يجب أن تذهبي إلى الفراش يا أوليفيا، يبدو من وجهك وصوتك أنك متعبة».

بالنسبة إلى باربرا بدت أوليفيا دائماً متعبة – باستثناء عينيها اللامعتين – ولكنها

تفترض أن ماري ترى بشكل أفضل منها، فهي حاصلة على شهادة تمريض وتعمل مع أوليفيا منذ ثماني سنوات.

أمسكت أوليفيا بيدها من دون أن تنظر إلى ماري، يكاد كفها يكون خالياً من الخطوط مثل طفل رضيع.

«إذا كنتِ واحدة من الخمسة النهائيين، فسَيُطلبَ منكِ أن تكتبي مقالاً توضحي فيه غرضكِ الشعري، لقد قرأتِ ذلك على الموقع أليس كذلك؟».

قرأت باربرا حتّى الجزء الذي وصلت إليه، ولكنها لم تتوقع أبداً أن تصل إلى نقطة أبعد من القائمة الطويلة، لكن وبما أن موقع جائزة بينلي ذُكِر فقد جعلها تفكر في أمر كان عليها التفكير فيه مسبقاً.

«هل أُدرجت أسماء المتأهلين النهائيين الخمسة عشر على موقع الجائزة على الإنترنت؟».

«لا أعرف، ولكنني أعتقد ذلك، ماري؟».

أخرجت ماري هاتفها، وشرعت تتحقق من موقع جائزة بينلي، وبما أنها تضع رابط الموقع ضمن الروابط المفضّلة لديها فقد أخذ الأمر ثوانٍ فقط للعثور عن إجابة لسؤال باربرا: «أجل، لقد أُدرجت».

قالت باربرا: «اللعنة».

سألتها ماري: «أمازلتِ تريدين إبقاء الأمر سراً؟ لأن الوصول إلى هذا الحدّ هو إنجاز عظيم ورائع يا بارب».

«حسناً، كنتُ أنوي ذلك، على الأقل حتّى يوقّع جيروم عقده، ولكنني أظن أن السرّ قد انكشف الآن، أليس كذلك؟».

ضحكت أوليفيا: «كوني واقعية، فأخبار جائزة بينلي ليست من الأخبار اليومية المهمة في صحيفة نيويورك تايمز، أو تظهر كأخبار عاجلة على قناة سي أن أن. أظن أن الأشخاص الوحيدين الذين يتفقدون الموقع هم الفائزون أنفسهم، وبعض الأصدقاء والأقارب، وربما أستاذ أو أستاذان، ولن يلاحظ أي شخص يعيش خارج هذا النطاق ذلك. إذا اعتبرتِ عالم الأدب مدينة فإن أولئك الذين يكتبون ويقرؤون الشعر هم الأشخاص الفقراء الذين يعيشون في أكواخ على أطراف الطرقات، أعتقد أن سرّكِ

بأمان، هل يمكننا العودة إلى المقال الذي سبق لي أن تحدثت عنه؟».

حاولت أن تضع كأس الشاي المثلج على الطاولة، ولكنها لم تصل إلى الطاولة وكادت توقعه. كانت ماري تراقبها فالتقطته مباشرةً.

قالت باربرا: «بالطبع تفضّلي أكملي، ومن الأفضل أن تستلقي وترتاحي بعدها».

أومأت ماري برأسها تأكيداً على ذلك.

«إنه مقال عن غرضكِ الشعري، لا يجب أن يتجاوز الخمسمئة كلمة، ومع أنّه هناك احتمالاً ألا تصلي إلى المرحلة النهائية، وبالتالي لا حاجة لأن تكتبي عن السبب الذي يجعلك تفعلين ذلك، ولكن لا ضرر في التفكير بذلك السؤال، هلّا تفعلين ذلك؟».

«أجل».

مع أن باربرا لا تملك أدنى فكرة عما تريد كتابته إذا فكّرت في الأمر. لقد تكلمتَا كثيراً عن الشعر، واستوعبت باربرا الأمر، وسُعدِت لأنها قالت أجل. إنّ ما تفعله مهم، أجل. وهي مسألة جدية يجب التفكير فيها، أجل. ولكن ما هي الأشياء التي قد تكتب عنها في مقال من صفحتين أو ثلاث صفحات بينما يبدو كل شيء مهماً؟ وحياتياً؟

«سوف تساعدينني في كتابة ذلك، صحيح؟».

أجابت أوليفيا والدهشة واضحة عليها: «لا على الإطلاق، أي شيء تقولينه عن عملكِ يجب أن يكون نابعاً من قلبكِ وعقلكِ، فهمتِ؟».

«حسناً، ولكن..».

«لا يوجد لكن، بقلبكِ وعقلكِ فقط ولا نقاش في الموضوع، أخبريني الآن: هل ما زلتِ تقرأين النثر؟ رواية (إلى البحر الأبيض) ربما؟».

قالت ماري: «أوليفيا كفى.. لو سمحتِ».

رفعت أوليفيا يدها مجدّداً.

«لقد قرأتُها، الآن أنا أقرأ (احمرار المساء في الغرب) للكاتب كورماك مكارثي».

«أوه هذه رواية سوداوية، مليئة بالرعب، ولكنها أيضاً مليئة بما يجعل بصيرتكِ ترى أشياءً جديدة».

«وأقرأ أيضاً رواية كاتاليبسي، للبروفيسور كاسترو الذي درّس هنا».

كتمت أوليفيا ضحكة: «لم يكن بروفيسوراً تماماً، ولكنه كان مدرّساً جيداً، لقد

كان من مجتمع الشواذ، هل أخبرتكِ سابقاً؟».

«أعتقد ذلك».

تلمست أوليفيا كأس الشاي المثلج وساعدتها ماري على وضعه وهي تنظر إليها نظرة طويلة من المعاناة، يبدو أنها استسلمت أمام المحاولات المستمرة الفاشلة في نقل أوليفيا إلى غرفة النوم في الطابق العلوي، فقد اندمجت السيدة في الحديث مجدداً.

«مثلي الجنس جداً، في السابق كان الناس أكثر تشدداً بخصوص هذا الأمر، ولكن معظم أعضاء هيئة التدريس تقبلوه كما هو، بحذائه الأبيض، وقمصانه الصفراء، والقلنسوة. لقد استمتعنا بحسه الفكاهي الذي كان يستخدمه كوسيلة لحماية لطفه الزائد. كان خورخي رجلاً لطيفاً للغاية، ولكن كان هناك -على الأقل - عضوة واحدة من أعضاء هيئة التدريس لم تطقه على الإطلاق، بل وربما كانت تكرهه وأعتقد أنها لو كانت رئيسة القسم بدلاً من روزالين بوركهارت كانت ستجد طريقة ما لطرده خارج الجامعة».

«هل هي إيميلي هاريس؟».

نظرت أوليفيا إلى باربرا وابتسمت لها ابتسامة تختلف عن ابتسامتها المعتادة: «هي بعينها، لا أعتقد أنها ترغب حقاً بتحقيق الفائدة لأي شخص غير أبيض، هذا هو أحد الأسباب الرئيسية التي جعلتني أحرص على إبعادك عنها مع أنني عجوز على حافة الموت، وأنا أعلم تماماً أنها لا تحب المتقدمين في السن الذين تصفهم بالرخويات.. ساعديني يا ماري.. أعتقد أنني سأطلق الريح بمجرد أن ترفعيني، من حسن الحظ أن ريح من في عمري لا رائحة له نسبياً». ساعدتها ماري، مع أن لدى أوليفيا عكازين ولكن بعد فترة الجلوس الطويلة هذه لا تظن باربرا أنها قادرة على المشي من دون مساعدة ماري.

قالت أوليفيا: «فكّري في ذلك المقال يا باربرا، وأتمنى أن تكوني من الخمسة المحظوظين الذين سيتعين عليهم كتابته».

«سأرتدي قبعة التفكير الخاصة بي». إنها جملة اعتادت صديقتها هولي قولها في بعض الأحيان.

توقفت أوليفيا بعد أن أصبحت وسط المسافة إلى الدرج، لم تعد عيناها بنفس التألق؛ لقد تذكرت شيئاً حدث منذ زمن طويل، وهو الشيء الذي أصبح يحدث كثيراً هذا الربيع: «أتذكر اجتماع القسم عندما كنا نناقش مستقبل ورشة الشعر وكيف تحدَّث

خورخي ببلاغة شديدة مطالباً بعدم إلغائها. أتذكر الحدث وكأنه حصل بالأمس، كيف ابتسمت إيميلي، وأومأت برأسها، ولكن عينيها لم تكونا تبتسمان إطلاقاً، لقد كانت تحاول أن تكمل رأيها فهي مصممة على تنفيذ ما تريده، هل تتذكرين حفلة عيد الميلاد في العام الماضي يا ماري؟».

أجابت ماري: «ومن يستطيع أن ينساها؟».

سألت باربرا: «ماذا عنها؟».

كررت ماري أن عليها أن تستريح.

«أوه يا امرأة، لن تستغرق هذه القصة سوى دقيقة واحدة وهي قصة رائعة.. تعوّد الزوجان هاريس إقامة حفلة قبل عدة أيام من عيد الميلاد كلّ عام، لقد كان تقليداً قديماً جداً يا باربرا، ولكن في العام الماضي تفشى وباء كورونا، وأُغلقت الجامعة وبدا وكأن التقليد الكبير على وشك الانهيار، ولكن هل كانت إيميلي هاريس لتقبل بحدوث ذلك؟».

أجابت باربرا: «لا أظن ذلك».

«صحيح، أقامت حفلة عبر تطبيق الزوم، وقررتُ وماري ألا نحضر، ولكن بالطبع، لم يكن ذلك جيداً بما يكفي لإيميلي لذلك استخدمت مجموعة من الشباب وألبستهم ثياب بابا نويل وجعلتهم يقدمون الهدايا للذين يقيمون في المدينة ممن حضروا الحفلة، لقد حصلنا على سلة مع أننا اخترنا ألا نحضر حفلة الزوم، أليس كذلك يا ماري؟ كانت تحتوي على البيرة والبسكويت، وشيئاً من هذا القبيل؟».

«أجل في الواقع، لقد أحضرت فتاة شقراء جميلة الطرد لنا، والآن من فضلكِ..».

«حاضر أيتها الرئيسة حاضر».

شقت الشاعرة العجوز طريقها ببطء إلى الدرج بمساعدة ماري، واستقرت على الكرسي الذي يرفعها للطابق الثاني بعد أن أطلقت دفعة أخرى من الغازات، قالت: «في ذلك الاجتماع حول ورشة الشِّعر، عندما بدا أن خورخي يؤثر في أعضاء التصويت وإن لدقيقة أو دقيقتين مع أن الابتسامة لم تفارق وجهها ولكنّ عينيها..». ضحكت أوليفيا على تلك الذكرى في الوقت الذي كان فيه الكرسي يصعد بها نحو الأعلى: «كانت عيناها توضحان أنها ترغب في قتله».

27 تموز 2021

1

قـرأت هولـي اللافتـة التـي كُتب عليها (مـن أجل صحة أفضـل، اجعلوا أولادكم يلعبون البولينغ) الموضوعة فوق الصور الجماعية لأولاد المدرسة الذين أتوا إلى هنا في الأيام التي سبقت فيروس كورونا للمشاركة قي مثل هذه النشاطات. جالت هولي بعينيها في الأرجاء لتتأكد من أن أحداً لا يراقبها، بالنسبة إلى الشاب دارن – الذي يعمل مـكان كاري دريسـلر الآن – كان يقـف بالقـرب مـن صنابير البيرة يتحقق من هاتفه، أما ألثيـا هافيرتـي فعـادت إلى مكتبها. تخشـى هولي أن تكـون الصورة التي تريد أن تلتقط لهـا صـورة ملصقـة بالحائـط، ولكنهـا كانت معلقة فقط، قلقت مـن ألا يكون هناك أي شـيء مكتـوب علـى قفاهـا، ولكن كُتِب بخط دقيق: (فتيات مدرسـة الشـارع الخامس المتوسطة، أيار 2015).

أعادت هولي الصورة إلى مكانها، وبعد ذلك – ولأنها هولي – عدّلتها جيداً بحيث تكون متوازنة تماماً، هناك اثنتا عشرة فتاة يرتدين الشورتات الأرجوانية الداكنة، والتي تعرف هولي الآن أنه لباس فريق مدرسة الشارع الخامس المتوسطة. هناك ثلاث فتيات فـي كل صـف تجلـس أربـع فتيـات القرفصاء أمـام أحد ممرات البولينـغ، وفي الصف الأوسـط كانت باربرا روبنسـون تبتسـم بشـعرها المسرّح على الطريقة الأفرو الذي كان متوسـط الطول في ذلك الوقت. كانت في الثانية عشـرة من عمرها وقتها وكانت طالبة في الصف السادس إذا لم تكن هولي مخطئة في تقدير الحسابات. لم يظهر كاري ديسلر في الصورة ولكن إذا كان دوامه يبدأ عند الحادية عشرة، عندما يفتح النادي أبوابه، فمن الممكن أن يكون الأولاد قد رأوه وهو يؤدي عمله خلال مناوبته.

توجّهـت هولـي إلـى سـيارتها، وللمرة الأولى بالكاد لاحظـت الحرارة ولم تفكر مباشرة في إخراج السيجارة، شغّلت المكيف وبحثت عن الصورة التي التقطتها لفريق

(الكبار الذهبيون)، تلك التي يحمل فيها قائد الفريق هيو كليبارد وكاري الكأس معاً، أرسلتها إلى باربرا وسألتها (هل تتذكرين هذا الشاب؟).

بمجرد أن انتهت عاودت تنبيهات النيكوتين العمل مرّة أخرى، أخرجت سيجارة وأشعلتها ووضعت المنفضة في الزاوية، حان الوقتُ لتبدأ بطرق الأبواب، بدءاً بهيو كليبارد.

2

كانت المنازل الفيكتورية الموجودة على طرفي شارع ريدج خفيف الانحدار جميلة، ولكن تلك الموجودة في لوريل كلوز للداخل من شوجر هايتس كانت الأجمل، إذا كانت كلمة أجمل لا تعني الثمن الباهظ فحسب بل الثمن الباهظ جداً، لم تكن هولي تهتم بكل ذلك حقاً. فيكفي أن تكون الأجهزة تعمل في شقتها والنوافذ لا تسرب الماء وعندها سيكون كل شيء جيداً بالنسبة إليها، وعندها لن يعدو الحراس كونهم مجرد إزعاج. عندما كانت تركن سيارتها بجانب الرصيف رأت حارساً (أو ربما فرد من طاقم الحراسة) خارج منزل كليبارد يجز العشب الذي يمتد على مساحة واسعة.

اتصلت برقم هيو كليبارد واستعدت لترك رسالة، ولكنه أجاب وأصغى إليها وهي تخبره باختصار عن اهتمامها بمعرفة معلومات أكثر حول كاري دريسلر.

«أوه لقد كان شاباً عظيماً، يسعدني أن أتحدث إليك عنه، تعالي إلى الفناء الخلفي أنا وزوجتي في الخارج بجانب المسبح».

دخلت هولي الممر، ولوّحت للحارس الذي أشار بيده وواصل جز العشب، خلال حياتها لم تكن هولي تستطيع أن ترى ما الذي يجزونه، فبالنسبة إليها يبدو العشب وكأنه مجزوز بالفعل أشبه بسطح طاولة بلياردو ملساء، حملت آيبادها الذي يحتوي على أكبر تكبير للصورة التي تريد أن تريها لكليبارد، وجالت في المنزل، ثمّ توقفت مؤقتاً لإلقاء نظرة خاطفة على غرفة الطعام حيث توجد طاولة ضخمة بما يكفي لاستيعاب فريق كرة قدم (أو دوري بولينغ).

كان هيو كليبارد وزوجته يجلسان على كرسيي الاسترخاء المتماثلين أسفل مظلة زرقاء واسعة، لحوض السباحة الظل الأزرق نفسه، ليس بالحجم الأولمبي الكبير ولكنه

ليس مسبحاً للأطفال أيضاً. كان كليبارد ينتعل صندلاً ويرتدي سروالاً أحمر ضيقاً.

رأى هولي فلوّح لها، كان بطنه أملس وتقسيماته العضلية واضحة، أما شعره الأبيض الطويل فلا يزال مبللاً وهذا ما أتاح له أن يسرح إلى الخلف بشكل أملس. كان انطباع هولي الأول أنه ربما كان في السبعين من عمره ولكن عندما اقتربت منه لتصافحه رأت أنه أكبر قليلاً، ولكنه ما زال في حال رائعة ويستحق لقب (الكبير الذهبي) حقاً.

ابتسم ابتسامة عريضة عندما ترددّت هولي في مدّ يدها لمصافحته، وأظهر أسنانه البيضاء المثالية: «لقد أخذنا أنا وزوجتي اللقاح يا سيدة غيبني، ونخطط للحصول على الجرعات الداعمة بمجرد أن يوافق عليها مركز السيطرة على الأمراض، هل لي أن أفترض أنكِ تلقيتِ اللقاح أيضاً؟».

هزّت هولي رأسها: «نعم». ثمّ أخفضت قناعها.

«هذه زوجتي ميدغ».

نظرت هولي إلى المرأة الجالسة أسفل المظلة ولاحظت أنها أصغر منه بحوالى عشرين سنة على الأقل، ولكنها ليست بذلك الشكل المنحوت المثالي؛ هناك بعض الشحم الظاهر أسفل ثوب السباحة المؤلف من قطعة واحدة. أزالت نظارتها عن وجهها ولوّحت بيدها إليها بشكل عابر ثمّ عاودت قراءة الكتاب، الذي يحمل عنواناً لا يدل على ذكاء شديد (فن اللامبالاة).

اقترح كليبارد: «تعالي إلى المطبخ فالجو حار هنا، هل لديك مانع ميدغ؟».

الجواب الوحيد هو تلويحة عابرة أخرى بيدها، هذه المرة من دون أن تبعد عينيها عن الكتاب، من الواضح أنها لا تبالي حقاً.

ولجا المطبخ عبر بابين كبيرين زجاجيين يشبهان ما تخيلته هولي، وكل شيء من أفخم الماركات: الثلاجة من سب زيرو، الساعة الموضوعة فوق منضدة الغرانيت من بيريغولد، صبّ كليبارد كوباً من الشاي المثلج لكل واحد منهما وطلب منها أن تخبره مزيداً من التفاصيل عن سبب زيارتها، ففعلت ذلك وأخبرته عن بوني والاتصال الذي تلقته من الموظف في جيت مارت، ولكنها ركّزت أكثر على كاري.

«هل أخبركَ بشيء عن خططه؟ بأي شكل من الأشكال؟ أنا أسألكُ لأن السيدة هافيرتي قالت إنك كنت المُفضل لديه».

لـم تتوقـع أن تقـدم لهـا إجابته مسـاعدة مهمة، قد تحصل على شـيء ما بالتأكيد، استناداً إلى (لا تقل «أبداً» أبداً) ولكن نظرة واحدة إلى زوجته ميدغ كانت كفيلة لتعرف أنها ليست المرأة العجوز التي رأتها إيماني ماغواير وهي تأخذ الأغراض من مقطورة إلين كراسلو.

صـاح كليبـارد وهـو يهزّ رأسـه: «كاري، كان شـاباً طيباً إلـى أقصى الحدود، وكان جيداً في دحرجة الكرة». ثمّ رفع إصبعه وأكمل: «ولكنه لم يستغل هذه الفرصة مطلقاً، لقد كان دائماً يضاهي بمهاراته الفرق التي لعبنا ضدها».

«كم مرّة استعين به بديلاً لأحدهم؟».

ضحك بطريقة خاصة: «كثيراً جداً!.. لا يدعوننا بالـ (الكبار الذهبيون) بلا سبب! فبعض اللاعبين يخرجون بسـبب ألم الظهر، أو بسـبب تشـنج الرقبة، وبعض الأشـياء الأخرى التي تصيب المتقدمين في السـن، وعندها نسـتعين بكاري ونصفق له بحرارة إذا كان قادراً على المشـاركة معنا، فهو لم يكن قادراً على المشـاركة دائماً، ولكن في معظم الأحيان استطاع، لقد أحببناه وأحبنا، هل تريدينني أن أخبركِ سرّاً؟».

«أحبّ سماع الأسرار». وهذه معلومة صحيحة حقاً عنها.

أخفـض هيـو كليبـارد صوتـه حتّى أصبح قريباً من الهمـس: «لقد تعوّد البعض منا شـراء الحشـيش له! لم يكن لديه دائماً القدرة على شـراء الأشـياء الرائعة، ولكنه كان يمتلك أشياءً مقبولة، سيد الكرات الصغيرة لم يكن ليلمس هذه الأشياء، ولكن معظمنا لم يكن يمانع القليل، وقتها لم تكن قانونية كما تعلمين».

«من هو سيد الكرات الصغيرة؟».

«رودي هاريس، لقد أطلقنا هذا الاسـم لأنه يُدحرج الكرة الصغيرة بوزن العشـرة باوند، بينما يستخدم معظمنا وزن الاثني عشر أو الأربعة عشر».

«هل كان السيد هاريس يعاني من حساسية تجاه الحشيش؟».

«كلا، لقـد كان مجنونـاً فقـط». قهقـه ضاحـكاً: «لقد كان جيـداً ولكنه مزعج، لقد أطلقنا عليه أيضاً اسم سيد اللحمة، إنه يدعي أن اللحوم تُحسّن من خلايا المخ وتعيد لها شبابها، بينما بعض المنتجات النباتية - بما فيها الحشيش - تساهم في تدميرها».

تمـدّد كليبـارد، فظهرت تقاسـيم بطنه العضلية، ولكنهـا رأت التجاعيد على باطن

ذراعيه، ففكرت في الطريقة التي ينتقم فيها الزمن.

«يا إلهي، لقد عدت بك إلى تلك الأيام، لقد مات معظم هؤلاء الرجال، عندما بدأتُ مسيرتي مع الفريق كنتُ أُدرّس في جامعة بيل، وأعيش في وسط المدينة، وأُضارب يومياً في البورصة كعمل جانبي، الآن أنا أعمل بشكل كامل في مجال الاستثمار، وكما ترين فإنّ عائدات العمل جيدة جداً!». وهو يشير إلى ما يحيط بهما من تجهيزات المطبخ، وحوض السباحة في الفناء الخلفي، وربما إلى الزوجة الأصغر سناً.

«ترامب شخص أحمق، وأنا سعيدٌ لأنه رحل، لم يستطع الرجل أن يشق طريقه، ولكنه سياسته أفادت البورصة.. هل تريدين المزيد من الشاي المثلج؟».

«لا شكراً لك، هذا يكفي ومنعش جداً».

«أما بالنسبة إلى سؤالك يا سيدة غيبني، فلا أذكر أن كاري أخبرني عن خطط لمغادرة المدينة أو تغيير الوظيفة، ربما نسيتُ شيئاً قاله فيما يتعلق بذلك فقد حدث الأمر منذ سنوات، ولكن بدا ذلك الشاب سعيداً تماماً بالنسبة إليّ، مهووساً بالأفلام وبركوب تلك الدراجة الصغيرة الصاخبة، هل أخبرتِني أن شخصاً ما وجدها في ديرفيلد بارك؟».

«أجل».

«يصعب عليّ تصديق أنه غادر وتركها، لقد كانت ترافقه في كل مكان».

«هل لي أن أريكَ صورة؟ على الأغلب سبق لك أن رأيتها فهي معلّقة في باولارو». ثمّ عرضتها له على آيبادها.

انحنى كليبارد قليلاً نحوها وقال: «بطولة الشتاء، صحيح.. كانت تلك الأيام الخوالي! لم نفز بها منذ ذلك الحين، ولكننا كنا قريبين من الفوز بها العام الماضي».

«هل تستطيع التعرف إلى الرجال الموجودين في الصورة؟ وهل تعرف عناوينهم؟ وأرقام هواتفهم؟».

«أوه إنه تحدي ذاكرة. دعينا نرَ إذا كنتُ قادراً على تجاوزه».

«هل يمكنني التسجيل على هاتفي؟».

«بالطبع افعلي ما تريدينه.. هذا أنا بالطبع، وهذا هو رودي هاريس الملقب أيضاً باسم سيد الكرات الصغيرة، وسيد اللحمة يعيش هو وزوجته في منزل فيكتوري في

شارع ريد رود. لقد كان يُدرِّس علم الحياة، وزوجته – لا أذكر اسمها – كانت في قسم اللغة الإنكليزية». ثمّ حرك إصبعه باتجاه الرجل التالي: «هذا بن ريتشاردسون ماتَ بنوبة قلبية منذ عامين».

«هل كان متزوجاً؟ ربما لا تزال زوجته في المدينة؟».

نظر إليها مستغرباً وقال: «بن طلّق زوجته في الفترة التي بدأنا فيها لعب البولينغ أي منذ فترة طويلة جداً، سيدة غيبني هل تعتقدين أن أحد رجال الفريق له علاقة باختفاء كاري؟».

أكدت له هولي: «لا، لا شيء من هذا القبيل.. أنا فقط آمل أن يكون أحدهم قادراً على إخباري أين ذهب كاري».

«حسناً، فهمت. لنتابع من حيث توقفنا، هذا الأصلع ذو الكتفين العريضين هو إفرايم ويلش. إنه يسكن في واحدة من تلك الشقق في ليكسايد، وإذا كنتِ تتساءلين عن زوجته فلقد ماتت منذ عدة سنوات، وهو لا يزال يلعب البولينغ». ثمّ ينتقل إلى شخص آخر أصلع: «جيم هيكس، لقد كنّا نُطلق عليه لقب الجذاب السريع، انتقل هو وزوجته إلى راسين، ما رأيكُ بي حتّى الآن؟».

صاحت هولي: «رائع!» ويبدو أن صوتها كان مُلفتاً، فقالت ميدغ وهي تتجول في مكان ما بالداخل: «أتستمتعان بوقتكما يا صغيريَ؟».

«يا قطة!». إمّا أن كليبارد لم يلحظ اللهجة الساخرة في صوت زوجته أو أنه اختار تجاهلها، صبت لنفسها كأساً من الشاي المثلج ثمّ وقفت على رؤوس أصابعها لتحصل على زجاجة من الويسكي البني من خزانة تحتوي على كثير من الزجاجات المصفوفة جنباً إلى جنب، صبت كمية صغيرة في كأسها ثمّ أمسكت الزجاجة ورفعتها بما يوحي أنها تسأل هل يريد أحدنا كأساً.

قال كليبارد بصوتٍ عالٍ: «ولم لا؟ لا أحد يحبُّ الجبناء».

فصبت القليل في كأسه، ثمّ توجهت صوب كأس هولي.

«ماذا عنكِ سيدة غيبلي؟ القليل من ويسكي ويلد توركي ستُعدّل هذا الشاي المثلج بشكل مثالي».

قالت هولي: «لا، شكراً. سأقود السيارة».

قالت ميدغ: «أنتِ ملتزمة جداً بالقوانين». ثمّ خرجت قائلة: «تا دا أيها الصغيران». نظر إليها كليبارد نظرة ربما تحمل بعض الكراهية الخفيفة وربما لا، ثمّ أعاد انتباهه إلى هولي.

«هل تلعبين البولينغ يا سيدة غيبني؟». وشدد على أحرف اسمها وكأنه يحاول تصحيح ما فعلته زوجته باللاوعي منه.

«كلا، لا ألعب».

«حسناً، تتكون فرق الدوري عادةً من أربعة لاعبين فقط، ولكن كنا نلعب بهذه الطريقة خلال نهائيات البطولة فقط، ولكن خلال الموسم العادي فإننا نلعب أحياناً بخمسة أو ستة لاعبين. طبعاً، إذا افترضنا أن الفريق الآخر يلعب بعدد اللاعبين نفسه، لأنه في دوري اللاعبين فوق الـ 65 هناك دائماً شخص ما في قائمة الـ دي- ال، وأحياناً هناك شخصان أو ثلاثة، قائمة الدي- ال تعني..».

قالت هولي: «قائمة العاجزين». لم تُكلّف نفسها عناء إخباره أن اسمها تغير الآن إلى (قائمة المصابين)، فهي تريد أن تخرج من هنا بسرعة، هناك شيء يزعجها بشأن هيو كليبارد، لا تعتقد أنه تعاطى الكوكايين على الرغم من الأمر يبدو كذلك، تقسيمات عضلات بطنه.. أو سروال السباحة الأحمر الضيق جداً.. أو سماره.. أو التجاعيد الزائدة..

«من هذا؟».

«إرني كوغينز، يعيش في أبريفير مع زوجته، ولا يزال يلعب معنا في ليالي الاثنين إذا استطاعت ممرضة زوجته أن تأتي، امرأة مسكينة تعاني من مرض القرص التنكسي في مراحله المتقدمة، إنها تستعمل الكرسي المدولب، ولكن إرني في حال جيدة فهو يعتني بنفسه».

أدركت هولي الآن ما يزعجها، لأن الجلوس والتحدث يزعجه هو، فمعظم الرجال الذين في الصورة ينهارون، وإذا كان الثمانون متوسط العمر فلماذا قد لا يحدث ذلك؟ فقد تعبت أجسادهم وهو أمرٌ لا يريد هيو كليبارد أن يعترف به على ما يبدو، إنه كما يقولون قابعٌ في مرحلة الإنكار.

«ديزموند كلارك ليس موجوداً في الصورة، أعتقد أنه لم يكن موجوداً عندما

التُقطت، مات ديس وزوجته أيضاً في تحطم طائرة صغيرة في فلوريدا، كان هو من يقود الطائرة، ذلك الأحمق اللعين حاول أن يهبط وسط ضباب كثيف، ولكنه لم يستطيع رؤية مدرج الهبوط». يتحدث كليبارد بنغمة ثابتة رتيبة، ثمّ ارتشف رشفة كبيرة من الشاي المثلج الممزوج بالويسكي وقال: «أفكر في ترك الأمر».

اعتقدت للحظة أنه يتحدث عن الخمر، ولكنها رأت أن الأمر لا يتعلق بذلك: «أتتحدث عن ترك فريق الكبار الذهبيين؟».

«أجل، لقد كنتُ أحبّ هذا الاسم حقاً، ولكن في هذه الأيام أصبح أشبه بحملٍ ثقيلٍ على ظهري، الوحيدان في هذه الصورة اللذان ما زلتُ ألعب معهما هما أفرايم وإرني كوغ، يأتي سيد الكرات الصغيرة أحياناً ولكن فقط للمشاهدة، لم يعد الأمر كما كان سابقاً».

قالت هولي بلطف: «لا شيء يبقى على حاله».

«لا؟.. لا ولكن يجب أن تبقى الأشياء كذلك، ويمكن أن تكون، إذا اعتنى الناس بأنفسهم». في الوقت الذي كان يحدق إلى الصورة اختلست هولي نظرة إليه وأدركت أنه حتّى تقاسيم عضلات بطنه بدأت تختلط ببعض التجاعيد.

«من هو آخر شخص هنا؟».

«إنه فيك أندرسون، لقد اعتدنا تسميته فيك البارع، أصيب بجلطة دماغية، وهو الآن في دار رعاية في شمال الولاية».

«هل اسم الدار الذي يقيم فيه رولينغ هيلز؟».

«نعم هذا هو».

تبدو حقيقة وجود أحد لاعبي البولينغ الكبار في دار الرعاية نفسها التي يقيم فيها الخال هنري وكأنها مصادفة، وجدت هولي ذلك مثيراً للارتياح لأن رؤية صورة باربرا روبنسون في بهو نادي سترايكم آوت كان يبدو وكأنه قدرٌ.

«لقد انتقلت زوجته إلى هناك حتّى تتمكن من زيارته في كثير من الأحيان، هل أنتِ متأكدة من أنك لا تريدين القليل من الويسكي؟».

«كلا، شكراً حقاً». عندها أوقفت هولي التسجيل وقالت: «شكراً جزيلاً لك سيد كليبارد». لا يزال ينظر إلى الصورة على الآيباد وبد وكأنه شاردٌ فيها قليلاً، قال: «أنا

حقاً لم أكن مدركاً تماماً لعدد الذين تبقوا منّا». أوقفت عمل الآيباد وعندها نظر إلى الأعلى وبدا أنه لا يعرف أين هو.

«شكراً لكَ على الوقت الذي خصصته لي».

«العفو، إذا تمكنتِ من معرفة مكان كاري، فاطلبي منه أن يأتي إلينا يوماً ما، هلّا فعلت ذلك؟ أو على الأقل اعطه بريدي الإلكتروني. سأكتبه لكِ».

«وأرقام اللاعبين الذين ما زالوا على قيد الحياة».

«بالطبع».

مزق ورقة ملاحظات من المطبخ مكتوب في أعلاها (ملاحظة من مطبخ ميدغ) وجلب قلماً من كوب مليء بالأقلام، وأمسك بهاتفه وفتح على جهات الاتصال ثمّ بدأ يكتب الأرقام التي طلبتها، لاحظت هولي رعشة يده الخفيفة وهو يكتب الأرقام وبريده الإلكتروني، طوت الورقة ووضعتها في جيبها، وفكّرت مرّة أخرى بالطريقة التي حوّل فيها الزمن أحوالهم، لا تمانع هولي التعامل مع المتقدمين في السن، أمّا ما يجعلها غير مرتاحة فهو الطريقة التي يتعامل بها كليبارد مع شيخوخته.

ما عادت تطيق صبراً على مغادرة هذا المكان.

3

هناك مركز تسوق واحد (من الطراز الباهظ) في شوغار هايتس، توقفت هولي هناك، وأشعلت سيجارة ودخّنت تاركة الباب مفتوحاً، وضعت قدميها على الرصيف وأسندت مرفقيها على فخذيها، لقد بدأت رائحة الدخان تلتصق بسيارتها، ولا يستطيع معطر الجو الذي تتركه في السيارة أن يقضي على الرائحة، يا لها من عادة سيئة ولكنها ضرورية لها ولا تستطيع التخلي عنها.

الآن سوف تفكّر فقط، وتفكر مجّدداً في القديس أغوسطين وهو يصلي من أجل أن يجعله الله عفيفاً.. ولكن لم يحن الوقت بعدُ.

تفقدت هولي هاتفها لترى إن ردّت باربرا على رسالتها بخصوص الصورة التي يظهر فيها كاري دريسلر مع الكبار الذهبيين، لكنها لم ترد بعدُ. وعندما نظرت هولي إلى ساعتها رأت أنها تشير إلى الثانية والربع ظهراً أي أن هناك الكثير من الوقت المتبقي

حتّى ينتهي اليوم وليس لديها نية في تضييع أي منه. فماذا ستفعل؟

بالطبع عليها أن تترك سيارتها وتطرق الأبواب.

كان هناك ثمانية لاعبين في فريق الكبار الذهبيين في عام 2015 بما في ذلك ديزموند كلارك الذي لم يظهر في الصورة، ثلاثة منهم لا حاجة للتحقق منهم، بل أربعة إذا اعتبرت أن هيو كليبارد لا علاقة له بالأمر. إنه يبدو قادراً على التغلب على بوني والفتى الذي يملك لوح تزلج، أما إلين فلم تكن متأكدة إن كان قادراً على التغلب عليها، ولكنها استثنته من قائمة المشتبه بهم في الوقت الحالي فقط، هو والاثنين المتوفيين وجيم هيكس (الذي يعيش في ويسكونسن.. على الرغم من أنها يجب أن تتحقق منه). وبالتالي بقي رودي هاريس وإفرايم ويلش وإرني كوغينز. وأيضاً فيكتور أندرسون، ولكن هولي تشك حقاً في قدرة شخص أصيب بسكتة دماغية على التسلل خارج دار الرعاية لاختطاف الناس.

إنها تعرف أنه لا يحتمل أن يكون أي من لاعبي (الكبار الذهبيين) هو مفترس شارع ريد بانك، ولكنها ومع مرور الوقت تصبح مقتنعة أكثر فأكثر بأن عمليات الاختطاف المفترضة لـ دريسلر، وكراسلو، وستينمان، وبوني راي دال كانت مخططة وليست عشوائية، فقد كان المفترس يعرف روتينهم، وفي عمليات الاختطاف كلها كان المسرح هو ديرفيلد بارك.

كان لاعبو البولينغ يعرفون كاري، إنها لا تحتاج إلى ذكر أمرٍ آخر إلا إذا شعرت – وكما أخبرها بيل هودغز – أن تلك الأسئلة حول كاري تجعل الشخص الذي أمامها يشعر بالتوتر أو يصبح دفاعياً، ربما يكون هو الشخص المذنب، إنها تعرف ما يجب عليها أن تبحث عنه لقد علّمها بيل ذلك جيداً، من الأفضل أن تحتفظ بإلين وبيت وبوني كبطاقات مخبّأة، على الأقل في الوقت الراهن.

لم يخطر ببالها أبداً أن بيني دال قد كشفت كل أوراقها على فيسبوك وانستغرام وتويتر.

4

في الوقت الذي كانت فيه هولي تُدخن في مرأب شوغار هايتس بوتيك، كانت

باربرا روبينسون تحدق باستمرار إلى الخلاء بلا فائدة. لقد ألغت جميع الإشعارات في حاسوبها وهاتفها المحمول، الصوت الوحيد الذي أبقته هو المكالمات من والديها وجيروم، تلك الأضواء الصغيرة الحمراء، التي تذكرها بالتحقق من الرسائل النصية والبريد، مغرية للغاية، ولكن مقال جائزة بينلي- الذي يجب على المتسابقين الخمسة النهائيين كتابته - يجب أن يكون جاهزاً ويرسل في البريد بحلول نهاية الشهر ولم يبقَ أمامها سوى أربعة أيام، في الواقع ثلاثة أيام فهي تريد أن تأخذ مقالها إلى مكتب البريد يوم الجمعة وتتأكد تماماً من الختم البريدي، ففكرة أن تُستبعد بعد كل هذا بسبب أمر تقني سيكون شيئاً مثيراً للجنون. لذلك عكفت على العمل.

الشعر مهم بالنسبة إليّ

لأنه يثير في داخلي مشاعر الخوف والرعب، ما كتبته يبدو مثل السطر الأول من تقرير كتاب المدرسة المتوسطة. مسحت كل ذلك.

الشعر مهم بالنسبة إليّ لأن...

أسوأ. مسحت كل ذلك.

سبب كتابتي للشعر هو...

حذف، حذف، حذف.

أغلقت باربرا حاسوبها، وأمضت بضع دقائق تحدق إلى الفضاء، ثمّ نهضت وخلعت بنطال الجينز وارتدت شورتاً بالإضافة إلى بلوزة عديمة الكمين، وربطت شعرها بتسريحة ذيل حصان، وذهبت لتركض.

الجو حار جداً لا يمكن الجري فيه، ودرجات الحرارة تتجاوز التسعين فهرنهايت على الأغلب، ولكن هذا كل ما يمكنها التفكير فيه، إنها تدور حول المجمع السكني الذي تعيش فيه.. وهي مسافة طويلة. حتّى يحين الوقت الذي يجب عليها أن تعود إلى المنزل ستكتفي بالتعرق واللهاث لتلتقط أنفاسها، ركضت دورة أخرى. وقفت السيدة كالتروب التي تروي أزهارها وهي تعتمر قبعة هائلة لحمايتها من الشمس ونظرت إليها وكأنها فتاة مجنونة، ربما هي كذلك.

عندما كانت تجلس أمام حاسوبها، نظرت إلى الشاشة الفارغة والمؤشر الوامض الذي يبدو وكأنه يسخر منها، شعرت بالإحباط والخوف من مواجهة الأمر، لأن أوليفيا

رفضت مساعدتها، ولأن عقلها كان فارغاً تماماً مثل الشاشة. ولكن الآن في الوقت الذي يتصبب فيه العرق من كل أنحاء جسدها أصبح قميصها أغمق، وتدفقت قطرات العرق على جانبي وجهها كالدموع، أدركت ما يكمن أسفل مشاعر الخوف والإحباط تلك: إنه الغضب، أجل إنها تشعر وكأنه يتمّ التلاعب بها، وكأنهم يطلبون منها القفز عبر الحلقات مثل كلب السيرك.

عندما عادت إلى المنزل – وبحكم أنه ملكها بالكامل الآن بما أن والدها ووالدتها في وظائفهما – صعدت الدرج درجتين درجتين، وخلعت ملابسها في الردهة وهي في طريقها إلى الحمام، ثمّ فتحت ماء الدوش على أقصى قوة، عندما لامس الرذاذ البارد وجهها الذي يشع حرارة صاحت مجدّداً، من الجيد حقاً أن تصيح كما فعلت في ذلك اليوم قبل شهرين عندما صاحت مع ماري دوشامب، لذلك صاحت للمرة الثالثة.

خرجت من الحمام وهي ترتجف، ولكنها تشعر بالتحسن، أصبحت رؤيتها أوضح، نشفت نفسها إلى الأعلى والأسفل حتّى تتوهج بشرتها ثمّ عادت إلى غرفتها والتقطت ملابسها في طريقها، ورمتها على السرير وتوجّهت عارية صوب حاسوبها، ومدت يدها إلى زر التشغيل، ثمّ فكّرت: كلا، هذا خاطئ.

أمسكت بأحد دفاتر الملاحظات المدرسية من الرف بجانب مكتبها، ثمّ قلّبت الملاحظات التي كتبتها عن هنري السابع وحرب الورود، حتّى وصلت إلى صفحة فارغة، مزقتها بلا مبالاة تقريباً، لا تستطيع تجاهل الحافة غير المنتظمة ولكنها سعيدة بذلك، إنها تفكر في شيء قالته أوليفيا خلال إحدى لقاءاتهما الصباحية، أخبرت باربرا أن الجملة قيلت لأول مرّة من قبل كاتب إسباني يدعى خوان رامون خمينيس ولكنها – أوليفيا – سمعتها للمرة الأولى من خورخي كاسترو. قالت إن خورخي ادعى أنها حجر الأساس لكل شيء كتبه أو كان يفكر في كتابته وهي: إذا أعطوكَ ورقة مُسطرة، فاكتب عليها بالعكس.

فعلت باربرا ذلك الآن وشرعت تكتب مقالها بسرعة فوق الخطوط الزرقاء المُسطرة المعاكسة لمسار الكتابة، وفقاً لمتطلبات جائزة بينلي يجب ألا يتجاوز عدد كلمات المقال الخمسمئة كلمة ولكن مقال باربرا أقصر بكثير، واتضح بعد كل شيء أن أوليفيا قد ساعدتها حقاً، بشيء آخر قالته خلال أحد الاجتماعات الصباحية التي

غيرت حياتها ربما أكثر من أي مدرسة سبق لها أن دخلتها.

أكتبُ الشعر لأنه..

من دونه فأنا مجرد مُحرّك ميت، توقفت لبرهة ثمّ تابعت: فكرة أنه يجب أن أكتب مقالاً عن غرضي من كتابة الشّعر بعد أن أرسلتُ إليكم الكثير منه هو أمرٌ سخيف، شعري هو مقالي.

طوت الورقة ذات الحواف الخشنة مرتين ثمّ وضعتها في مغلف مختوم وكُتب عليه العنوان بالفعل، ارتدت ملابسها وركضت عائدة إلى أسفل الدرج ثمّ عبرت الباب وتركته مفتوحاً، ركضت بسرعة، ربما أفسدت حمامها البارد فقد تعرقت مجدّداً، ولكن ذلك لا يهمها، يجب أن تفعل ذلك قبل أن تُبدّل رأيها، عليها القيام بهذا لأن ما كتبته هو الشيء الحقيقي الصحيح.

هناك صندوق بريد عند الناصية، أسقطت المغلف بداخله ثمّ انحنت وأمسكت بركبتيها وتنفست بصعوبة.

لا أهتم إذا خسرتُ أو ربحتُ، لا يهمني ذلك.. لا يهمني ذلك.

ربما ستندم على ما كتبته في وقت لاحق، ولكن الأكيد أنها ليست نادمة الآن. الآن بينما تنحني على نفسها بشعرها المبلل المنسدل على وجهها تعلم أن ما كتبته هو الحقيقة.

أعمالها هي ما يهم.

ولا شيء آخر، لا الجوائز، ولا أن ينشروا لها، ولا أن تصبح غنية أو مشهورة أو كليهما.

فقط أعمالها.

1 تموز 2021

8:03

قادت بوني راي دراجتها متجهة إلى شارع ريد بانك واستدارت صوب جيت مارت.

8:04

ترجّلت عن الدراجة وخلعت خوذتها ونفضت شعرها، ثمّ وضعت الخوذة على مقعد الدراجة الخلفي ودخلت.

ابتسمت قائلة: «مرحباً إيميليو».

بادلها الابتسامة وقال: «أهلاً».

سارت أمام زجاجات البيرة باتجاه المبرِّد الخلفي حيث توضع المشروبات الغازية، تناولت منه قنينة ببيبسي دايت وعادت عبر الممر، لتتوقف مجدّداً عند رفّ الوجبات الخفيفة التي هي عبارة عن كعك، مثل تورنكيز، هو هوس، ويودلز، وليتل ديبيز، وجلبت واحدة من هو هوس.

وفي الوقت الذي كان فيه إيميليو يُرتب علب السجائر على الرفّ خلف طاولة المحاسبة لمح شاحنة صغيرة تمرّ متجهة إلى أسفل التل.

8:05

قاد رودي هاريس الشاحنة، إنه يضع حقنة الفاليوم في جيب معطفه الرياضي، وتجلس إيميلي في كرسيها المدولب جاهزة للبدء.. فهي بحاجة إليه هذه الليلة. لقد عاد إليها ألم عرق النسا عودة المنتقم، ركن رودي شاحنته عند الطريق المتصدع في مكان ورشة بيلز لإصلاح السيارات والمحركات الصغيرة بحيث يكون بابها الخلفي مواجهاً للمتجر المهجور.

قال: «متقمصة شخصية بابا نويل قادمة إليكِ على الفور».

قالت إيميلي: «أسرع.. لا أريد أن نضيعها، إنني أشعر بعذاب حقيقي».

حرّكت كرسيها ليصبح مواجهاً للباب، ضغط رودي على زر فانفتح الباب إلى الخلف وانزلق المنحدر الخاص بالكرسي، حرّكت إيميلي كرسيها صوب الرصيف، وشغل رودي أضواء الشاحنة الوامضة وترجل منها. وقبل أن يغادرا الشاحنة تراشقا ببعض الكلام حول أن يتركا أضواء الشاحنة الوامضة، ولكنهما قررا في النهاية أن يخاطرا، فلا يمكنهما تحمل فقدانها. إيميلي في وضع صعب، ورودي نفسه ليس في أحسن أحواله، فوركاه يؤلمانه ويداه متصلبتان ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في تهويماته الذهنية، فهو بدأ يغيب تدريجياً عن واقعه. إنه ليس الزهايمر، فهو يرفض أن يقرّ بذلك، ولكنه بالتأكيد يشعر بأن أفكاره تصبح أحياناً مشوشة، معتقداً أن شُرب بعض سوائل الأدمغة الشابة سيعيده إلى حاله الطبيعية من جديد. والباقي سيجعل إيميلي تعود إلى سابق عهدها، خاصة كبد متقمصة شخصية بابا نويل، هذا سيكون الكأس المقدسة ولكن بالطبع يجب أن لا يهدر منها أي جزء.

8:06

أعادت بوني هو هوس مرّة أخرى إلى مكانه، وهي تشعر بالقليل من الندم، ثمّ توجهت صوب طاولة المحاسبة وهي تحمل تلك المحفظة بيدها، رغم أنها مماثلة للمحفظة التي يضعها الرجال في جيوبهم.

سألها إيميليو: «لماذا لا تفكرين مجدّداً في شراء هو هوس؟ أنتِ في حال جيدة لن تؤثر فيكِ».

«اتركها ورائي، إن جسدي ليس ملكي في النهاية».

ردّ إيميليو: «كما تريدين، الزبون في هذا المتجر دائماً على حق».

ضحكا، وضعت بوني النقود التي أعادها لها إيميليو في محفظتها، وأنزلت الحقيبة التي تتدلى من إحدى كتفيها، ووضعت القنينة بداخلها، فهي تنوي الاحتفاظ بها لشربها أثناء مشاهدة مسلسل أوزارك على نتفليكس، أغلقت الحقيبة وأعادت تعليقها على كتفها.

«ليلة سعيدة إيميليو».

رفع يده مُلوّحاً.

8:07

اعتمرت بوني خوذتها، واستقلت دراجتها، وتوقفت متأنية لتضبط حزامي الحقيبة جيداً. على الجانب الآخر من الحديقة في الجزء المتسارع النمو، جرّبت إيميلي كرسيها المدولب للوصول إلى الجزء الخلفي من الشاحنة، الرصيف متصدع وغير مستوٍ، في كل مرّة تمشي فيها فوق صدوع هذه الأرصفة فإن كرسيّها يتأرجح، فتشعر بألم شديد أسفل ظهرها، ضغطت هذه المرة على شفتيها لتمنع نفسها من الصراخ، ولكنها لم تستطع التوقف عن الأنين.

همست بألم: «ابقِ نظركَ عليها واجذبها من فضلكَ يا رودي لا تفشل».

لم يضع رودي الفشل في حساباته، فإذا لم تتوقف بوني، فلن يتبقى أمامه سوى أن يركل دراجتها وهي تحاول المرور بجانبه. بالطبع، إذا افترضنا أن وركيه قادران على القيام بذلك. إنه مستعد للقيام بكل شيء ليثبت لنفسه أنه عاد إلى عمر الخمسين أو حتّى الستين.

استدار صوب إيميلي ورأى شيئاً لا يحبه، لا يزال ضوء الكرسي المدولب مضاءً على الرصيف، من الصعب أن يصدق أحدهم أن بطارية الكرسي المدولب قد استنفدت طاقتها المسحونة ولا يزال ضوؤها مشتعلاً و=ها هي الفتاة قادمة بسرعة نحو أسفل التل.

همس رودي: «اطفئي الضوء. اطفئي الضوء اللعين».

فعلت ما طلبه منها في الوقت المناسب، لأن الفتاة – التي تقمصت شخصية بابا نويل عيد الميلاد –وصلت، نزل رودي عن الرصيف ولوّح بذراعه: «هل يمكنكِ مساعدتنا من فضلك؟ نحتاج مساعدتكِ».

تجاوزته بوني بسرعة، وكانت بعيدة جداً فلم يستطع حتّى التفكير بركل دراجتها. للحظة رأى أن كل ما خططا له يذهب أدراج الرياح، فالضوء الخلفي الأحمر الوامض للدراجة يبتعد رويداً رويداً عبر المنحدر، ولكن الفتاة ضغطت على المكابح واستدارت عائدة، إنه لا يعرف إذا عادت لأنه لوّح بذراعه أو بسبب الضوء الرباعي الوامض للشاحنة، أو لأنها ترغب في أن تكون شخصاً جيداً، كل ما يعرفه أنه يشعر بالراحة لأنها عادت، في البدء، تحرّك بحذر وبطء ولكن ما زال هناك القليل من ضوء النهار الذي يكفي لترى الشخص الذي لوّح لها: «بروفيسور هاريس؟ ما الأمر؟ ما الخطب؟».

«إنها إيميلي لقد عاودتها أوجاع عرق النسا وأصبحت آلامها شديدة للغاية، وقد نفدت بطارية كرسيها المدولب، هلا ساعدتني في إدخالها إلى السيارة، من الجانب الآخر، أريد أن آخذها إلى المنزل».

سألت إيميلي بصوت ضعيف: «بوني؟ بوني دال، هل هذه أنتِ؟».

«أجل.. يا إلهي إيميلي.. يحزنني ما أصابكِ». ثمّ ترجّلت بوني عن دراجتها وثبتتها، وأسرعت صوب إيميلي وانحنت عليها وسألتها: «ما الذي حدث؟ لماذا توقفتما هنا؟».

في هذه اللحظة، مرّت بمحاذاتهم سيارة وأبطأت تدريجياً من سرعتها، كاد قلب رودي أن يتوقف إلاّ أن السيارة ما لبثت أن عاودت السرعة. ليس لدى إيميلي إجابة جيدة على سؤال بوني، لذلك انتحبت من الألم.

كرّر رودي بصوت عالٍ: «يجب أن ننقلها إلى الجانب الآخر لنستطيع إدخالها عبر المنحدر المخصص للكرسي.. هل يمكنكِ مساعدتي في دفعها؟».

انحنى وكأنه على وشك أن يمسك بأحد مقبضي الكرسي الخلفيين، ولكن بوني نحّته جانباً وأمسكت بالمقبضين، وحركت الكرسي ودفعته نحو مؤخرة الشاحنة.

تألمت إيميلي عند كلّ مطبّ صغير أو اهتزاز، تجاوزها رودي ومال إلى الباب الجانبي لمقعد السائق وأوقف تشغيل ضوء الشاحنة الرباعي الوامض، معتقداً أنه بذلك قد تخلص من أحد الأشياء التي تثير قلقه مع أنها أقلها إثارة للقلق.

سألت بوني: «هل يجب أن أتّصل بأحد؟ هاتفي..».

قالت إيميلي لاهثة: «فقط ساعديني في صعود المنحدر.. سأكون بخير بمجرد أن أصل إلى المنزل وآخذ مرخي العضلات».

وضعت بوني الكرسي المدولب في مواجهة الباب الخلفي للشاحنة وتنفست بعمق، فكّرت في أن تسحبها أولاً إلى الخلف قليلاً ثمّ تركض فهذا سيعطيها قوة دفع أكبر، ولكن الرصيف لم يكن مستوياً. حسناً يمكنها أن تقوم بذلك بدفعة واحدة قوية، أنا قوية بما فيه الكفاية.. يمكنني القيام بذلك.

سألها رودي: «هل تريدين مساعدة؟». وتحرّك خلفها وبدلاً من أن يمسك بالمقبض الآخر، أدخل يده بهدوء إلى جيبه، ثمّ أزال الغطاء الواقي الصغير للحقنة من دون أي مشكلة، سبق له أن قام بذلك كثيراً خلال التدريبات وخلال العمليات الحقيقية.

كانت الشاحنة تحجب ما يحدث هنا في الخلف عن الشارع، وليس لديه سبب يجعله يُفكّر في أن الأمر لن يسير كما هو مخطط له، إنهم على وشك أن ينتهوا من كل شيء.

«لا.. يمكنني فعل ذلك.. يمكنكَ البقاء في الخلف».

انحنت بوني مثل العدائين عند خط البداية، وأمسكت بإحكام بالمقبضين المطاطيين.. ودفعت. في منتصف الطريق باتجاه أعلى المنحدر تماماً، وفي اللحظة التي اعتقدت فيها أنها لن تتمكن من إنهاء الأمر اشتغل محرك الكرسي المدولب فجأة، وشعرت بوني في اللحظة نفسها بدبور يلدغ مؤخرة رقبتها. دخلت إيميلي الشاحنة، وتوقع رودي أن تنهار بوني تماماً كما كان يحدث مع الآخرين، فقد قام بكل ما كان يفعله متوقعاً النهاية ذاتها، وحقن للتو 15 ميليغراماً من الفاليوم على بعد أقل من 5 سنتم من مخ الفتاة – متقمصة شخصية بابا نويل عيد الميلاد – ولكنها بدلاً من ذلك شدت ظهرها واستدارت ولمست بيدها مؤخرة رقبتها، للحظة ظن رودي أنه أعطاها جرعة مخففة، أو ربما لم يعطها أي جرعة بل مجرد ماء. لكن عينيها أقنعتاه بخلاف ذلك. عندما كان رودي هاريس طالباً جامعياً أصغر سناً بكثير وأكثر قوة، عمل خلال فصلي صيف في مسلخ للأبقار في تكساس، حيث بدأ في ابتكار نظرياته عن الخصائص شبه السحرية للحم. في ذلك المسلخ كان يُستخدم مسدس خاص مزود بمواد مخدرة لإفقاد الأبقار وعيها، عندما تكون الجرعة قليلة أو تُصوّب بعيداً من المكان المستهدف، كانت الأبقار تبدو مثل بوني دال الآن، كانت تتوسع حدقاتها وتنظر إلى اللامكان وترتخي عضلات وجهها تماماً.

قالت إيميلي باستياء وهي تنظر من باب الشاحنة المفتوح: «ماذا.. ماذا فعلتَ؟.. ماذا... لماذا لم تفقد وعيها؟».

قال: «ابقي هادئة، ستفقده».

لكن بدلاً من أن تفقد وعيها مشت بوني باتجاه باب الشاحنة في المؤخرة، ومدّت ذراعيها لكي تتوازن، ونزلت نحو الشارع، حاول رودي أن يمسك بها، ولكنها دفعته بعيداً بقوة فاجأته، تعثر إلى الخلف بسبب أجزاء الرصيف غير المستوية وهبط على مؤخرته. آلمه وركه وكزّ على أسنانه فعض قطعة من لسانه بالخطأ، فنزف الدم من فمه، في هذه اللحظة العصيبة استمتع بمذاق الدم مع أنه يعلم أن دمه لن يفيد، فأي دم بلا

لحم لا فائدة منه.

صرخت إيميلي: «إنها تذهب بعيداً».

أحب رودي زوجته ولكنه في هذه اللحظة لم يسعه سوى أن يكرهها، إذا كان هناك أناس على الجانب الآخر من شارع ريد بانك بدلاً من الشجيرات الشائكة فلا بدّ أن يأتوا للبحث عن مصدر كل هذا الضجيج.

انحرفت بوني بعيداً عن شارع ريد بانك، ووصلت الآن مترنحة إلى الجزء الأمامي من ورشة تصليح الآليات المهجورة، وحاولت بإحدى يديها أن تمسك بالباب الصدئ حتى لا تقع، وخطت خطوات واسعة متعرجة وكأنها ثملة، شقت طريقها حتّى نهاية المبنى قبل أن يتمكن رودي من لفّ ساعده حول رقبتها وجذب ظهرها باتجاهه، لا تزال تحاول مقاومته وتلوي رأسها من جانب إلى آخر، ارتطمت خوذتها بكتفه، وسقط أحد قرطيها، ولكن رودي لم يكن ليلاحظ مثل هذا الأمر، كما أن يديه كانتا منشغلتين بالعمل الأهم. رغم هذا الموقف، فإن رودي لم يستطع منع نفسه من التفكير في حيوية بوني المذهلة ولا الانتظار حتّى يتذوق لحمها ليستمد منه شيئاً من حيويتها، سحبها إلى الخلف نحو الشاحنة وهو يلهث، أصبح يشعر بدقات قلبه ليس فقط في صدره بل في رقبته ورأسه أيضاً.

قال وهو يحركها لتدخل: «هيّا تعالي.. تعالي يا متقمصة شخصية بابا نويل عيد الميلاد – تعالي.. تعالي..».

ضرب أحد مرفقيها المتدليين وجهه، فأومضت عيناها، ولكن بعد قليل ولحسن الحظ، ارتخت ركبتاها وسقطت أخيراً.

استدار صوب إيميلي وسألها: «هل تستطيعين مساعدتي؟».

نهضت قليلاً، ثمّ بدّلت رأيها وجلست مجدّداً: «كلا.. إذا ساء ألم ظهري أكثر في الطريق فسيزداد الأمر سوءاً، عليكَ أن تفعل ذلك بنفسكَ.. أنا آسفة».

فكر رودي لستِ آسفة بقدري.. ولكن الخيار البديل هو السجن، والظهور في العناوين الرئيسية للصحف، والمحاكمات، وذكر أخبارهما على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع. أمسك ببوني من تحت ذراعيها وسحبها نحو المنحدر وهو يشعر بالألم في ظهره، ولكنه ذكّر نفسه بأن الخيار الآخر الوحيد هو السجن. كانت حقيبتها جزءاً من

الصعوبات التي يواجهها، لذلك أنزلها عن كتف بوني – إنها تزن تسعة باوندات على الأقل – وأعطاها لإيميلي، التي أبقتها في حضنها.

قال: «افتحيها.. اخرجي هاتفها إذا كان هناك.. وعليكِ أن..». لم يستطع أن ينهي جملته، لأنه اضطر إلى التوقف قليلاً حتى يلتقط أنفاسه ويستطيع متابعة العمل الذي يقوم به، أضف إلى ذلك أن إيميلي تعرف ما عليها فعله، الآن عليهما الخروج من هذه المنطقة، وهذا ما سيحصل إن حالفهما الحظ قليلاً، فكّر رودي في أنهما يستحقان القليل من الحظ الجيد بعد كل ما مرّا به، ولم يخطر بباله أبداً فكرة أن بوني هي الشخص الذي حظي بأسوأ حظ على الإطلاق هذا المساء.

أخرجت إيميلي بطاقة السيم من هاتف بوني، وأتلفتها، وبينما كان رودي يجرّها إلى أعلى المنحدر أبعدت إيميلي الكرسي المدولب لتمنحه بعض المساحة الإضافية، لقد فكّت بالفعل أزرار حقيبة ظهرها وبدأت تبحث عمّا في داخلها.

يودّ أن يتوقف قليلاً ليلتقط أنفاسه، وكان قد مضى وقت طويل على ركنهما الشاحنة، بل طويل جداً. ركل ساقي بوني، كانت هذه الركلة ستشعرها بألم شديد لو كانت واعية... ولكنها كانت غائبة عن الوعي.

«الملاحظة.. الملاحظة».

إنها موضوعة في جيب المقعد الخلفي، في مغلف بلاستيكي شفاف، لقد طبعتها إيميلي بعد أن ألقت نظرة على عدة ملاحظات كتبتها بوني خلال فترة عملها القصيرة، إنها ليست نسخة طبق الأصل، ولكن ليس هناك من داعٍ لتكون كذلك، إنها قصيرة ومختصرة فقط: لقد اكتفيت. ربما لن تكون هذه الملاحظة بتلك الأهمية إذا سُرقِت الدراجة وربما قد تكون مهمة إذا ألقي القبض على اللص، وضع رودي الملاحظة على مقعد دراجتها ومسحها جيداً بكم معطفه الرياضي ليزيل آثار البصمات إن كان قد بقي لها أثر على الورق (يبدو أن آراء الناس منقسمة حول هذا الأمر على الإنترنت).

جلس في مقعد السائق، وتنفس بعمق مرّة تلو الأخرى، ثمّ ضغط على الزر الذي يسحب منحدر الشاحنة ويغلق الباب الخلفي.

تسارعت نبضات قلبه بشكل غير معهود، وفكّر هل ستستطيع إيميلي قيادة الشاحنة إذا أصيب بنوبة قلبية وإيصالها إلى شارع 93 ريدج، وركنها في المرأب؟ وحتى إذا

استطاعت ذلك ماذا سيحدث للفتاة الغائبة عن الوعي؟ يعتقد أنه سيتوجب على إيميلي أن تقتلها، وحتى في حاله هذه والألم يجتاح جسده، شعر بالأسف بمجرد أن فكّر في كل اللحم الذي سيُهدر وبالندم لأن هذه الفكرة راودته.

8:18 مساءً.

27 تموز 2021

1

قال إفرايم ويلس: «انظري فقط إلى هذا». إنه يرتدي شورتاً قصيراً (تملك هولي عدة شورتات مثله تماماً) وأشار إلى ركبتيه، هناك ندبتان ملتئمتان على شكل حرف S على ركبتيه، تابع: «لقد قمتُ بعملية تبديل مفصل الركبة للركبتين في 31 آب 2015 من الصعب نسيان ذلك اليوم، لقد كان كاري وقتها يعمل في سترايكم آوت. في منتصف شهر آب كنتُ أذهب للمشاهدة فقط، فقد كانت ركبتاي بوضع سيئ جيداً لا يسمح لي حتّى في أن أفكر برمي الكرة، وعندما ذهبتُ بعدها كان كاري قد غادر، هل تفيدكِ هذه المعلومات؟».

أجابت هولي: «أجل بالتأكيد». مع أنها لا تعرف إن كانت تفيدها حقاً، سألته: «متى عدتَ مجدّداً إلى صالة البولينغ بعد عمليتك؟».

«أتذكر ذلك أيضاً، لقد عدت في 17 تشرين الثاني، كانت الجولة الأولى من بطولة دوري اللاعبين فوق الـ 65، لم أكن وقتها قادراً على اللعب، ولكنني ذهبتُ لأشجع فريقي القديم».

«لديكَ ذاكرة جيدة».

إنهما يجلسان في غرفة المعيشة في شقة الطابق الثالث في أحد مباني مجمع سنرايز باي السكني، هناك الكثير من التحف التي هي عبارة عن سفن موضوعة في صندوق زجاجي، أخبرها ويلس أنه يهوى صناعتها، ولكن المكان الأبرز في غرفة المعيشة كان حيث وضع صورة مؤطرة لامرأة مبتسمة في أواسط الأربعينيات من عمرها، ترتدي فستاناً حريرياً جميلاً وقد وضعت طرحة من الدانتيل على شعرها الكستنائي، وكأنها خرجت للتو من الكنيسة.

أشار ويلس إلى تلك الصورة: «يتوجب عليّ أن أتذكر، لقد شُخِّصت ماري

بسـرطان الرئة في اليوم التالي، وماتت بعد عام، وهل أخبركِ بشـيء؟ لم يسـبق لها أن دخنت سيجارة واحدة».

تعتريها الآن مشـاعر عدائية حادة تجاه عادتها السـيئة في كل مرّة تسـمع فيها عن شـخص غير مدخن مات بسـرطان الرئة، وهي تفترض أن ذلك سـيجعل منها شـخصاً مُقرفاً.

«أنا آسفة لخسارتكَ».

ويلس رجل ضئيل الحجم ويملك ساقين نحيلتين وبطناً كبيراً، قال متنهداً: «لستِ آسفة بقدري سيدة غيبني، لقد كانت حب حياتي، بالطبع كانت لدينا خلافاتنا الخاصة كأغلب المتزوجين، ولكن هناك قول مأثور لا تدع الشمس تغرب وأنتما غاضبين من بعضكما ونحن عملنا على هدي هذا القول دائماً».

«قالت ألثيا إنكم جميعاً – أعني فريق الكبار الذهبيين –أحببتم كاري».

«الجميع أحبوا كاري.. إنه مثل تريبل.. أفترض أنكِ قد لا تعرفين ما معنى هذا...».

«بلى أعرف.. أنا من محبي مسلسل ستار تريك».

«أجل.. حسناً إذاً لقد كان كاري مثل تريبل.. لا يمكن للشخص إلا أن يحبه، كأنه نوع من مخلوقات الفضاء الدخيلة، فهو ودود ومبهج دائماً، أعتقد أنّ المنشطات التي كان يأخذها أدت دوراً في ذلك أيضاً، لقد كان يدخن ولكن ليس السجائر بل الحشيش كما يقول الجامايكيون».

قررت هولي أن تغامر وتقول: «أعتقدُ أن بعض أعضاء الفريق الآخرين ربما كانوا يدخنون الحشيش أيضاً».

ضحك ويلس: «أوه لقد فعلنا ذلك، أتذكّر في بعض الليالي كنا نخرج ونمرّر بعض السجائر ونضحك، وكأننا عدنا إلى أيام الثانوية، باستثناء رودي فهو لم يكن يمانع قيامنا بذلك، فلم يكن متعصباً، بل كان يخرج معنا أحياناً ولكنه لم يدخن مُطلقاً، كنا ندخن ثمّ نعود إلى الداخل، وهل تعلمين ماذا؟».

«ماذا؟».

«بعد التدخين كنا نلعب بشكل أفضل، وخاصة هيو، عندما كان يدخن قليلاً كان ينتشي ويصبح قادراً على التغلب على بروكلين بأكملها ووضعها في جيبه». ثمّ حرّك

يديه وكأنه يضرب الكرة محاكياً الصوت: «بووش!.. على أي حال لم يكن رودي كذلك، فقد بقي ذلك البروفيسور وكأنه لاعب البولينغ الذي ظل كما كان عليه في الرابعة والأربعين من عمره من دون أي دخان سحري، أليس ذلك مذهلاً؟».

«بالتأكيد».

غادرت هولي الحي بعد أن اكتشفت شيئاً واحداً: إفرايم ويلس أيضاً تريبل، فإن اكتُشفَ لاحقاً أنه هو مفترس شارع ريد بانك فإن كل شيء آمنت به واعتقدته – من الناحية الفكرية أو الحدسية – سينهار. وجهتها التالية هي رودي هاريس، البروفيسور المتقاعد الذي لعب البولينغ لمدة إحدى وأربعين سنة، والمعروف أيضاً بلقب سيد الكرات الصغيرة، وسيد اللحم.

2

قرأت باربرا قصيدة لراندال غاريل بعنوان «موت برج الكرة المدفعي» وتعجبت أمام أسطرها الخمسة المليئة بالرعب الخالص عندما رنّ هاتفها، ما زال هاتفها يستقبل الاتصالات من ثلاثة أشخاص فقط، وبما أن والدتها ووالدها في الطابق السفلي فردّت من دون أن تنظر إلى اسم المتصل: «أهلاً جيروم، ما الأخبار؟».

«سأبقى في نيويورك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، ولكن ليس في المدينة، فقد دعتني مديرة أعمالي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في مونتوك، أليس هذا رائعاً؟».

«حسناً لا أعرف، أعتقد أن عليك أن لا تخلط بين الجنس والعمل».

ضحك، لم يسبق أن سمعت جيروم يضحك بهذه السهولة كما كان يفعل خلال محادثتهما القليلة الماضية، شعرت باربرا بالسعادة لسعادته، قال: « يمكنكَ أن تلقي الفكاهات الرائعة في النهاية، مارا في أواخر الخمسينات من عمرها ومتزوجة ولديها أولاد وأحفاد، معظمهم سيكونون هناك، لقد أخبرتُكِ بكل هذا، ولكنكِ لم تكوني لتصغي جيداً، هل يمكنكِ تذكّر اسم مارا الأخير؟».

تعترف باربرا أنها لا تتذكره، رغم أنها متأكدة من أن جيروم أخبرها به.

«أندرسون.. ما خطبكِ؟».

صمتت للحظة، ثمّ نظرت إلى السقف شاردة حيث تتوهج النجوم الصنعية

المفلورة في الظلام، لقد ساعدها جيروم على تعليقها عندما كانت في التاسعة من عمرها. قالت: «إذا أخبرتكَ، هل تعدني أنك لن تغضب؟ لم أخبر أمي وأبي بعد، ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن أخبرهما بمجرد أن أخبركَ».

قال وهو يجمع بين المزاح والجد: «أختي.. طالما أنكِ لستِ حاملاً، فلن أغضب».

حان دور باربرا لتضحك: «لستُ حاملاً..». ثمّ أخبرته بكل شيء، عن لقائها الأول مع إيميلي هاريس، وكيف كانت خائفة من الاقتراب. ثمّ عن أوليفيا كينغسبري وعن لقاءاتها المتكررة بالشاعرة العجوز، وكيف قدّمت أوليفيا القصائد إلى لجنة جائزة بينلي من دون أن تخبرها، وكيف أنها لا تزال في خضم سباق الفوز بالجائزة.

أنهت حديثها وانتظرت أن تبدأ علامات الغيرة بالظهور، أو أن يقول لها مبارك بفتور شديد، ولكن لم يحدث أي من كل ذلك،، لقد شعرت بالخجل من نفسها لأنها لم تعلمه بالأمر طوال الأيام السابقة، ولكن ربما كان من الأفضل أنها فعلت ذلك لأنها سُعِدَت كثيراً بردّ فعل جيروم الذي كان عبارة عن مزيج من التهنئة والأسئلة الحماسية.

«حسناً هذا هو الأمر، هذا ما كنتِ تخفينه، يا إلهي بارب، يا ليتني كنت بالقرب منك لأحتضنك بكل ما أوتيت من قوة».

قالت وهي تكفكف دموعها: «سيكون ذلك محرجاً للغاية». اجتاحتها راحة شديدة لدرجة شعرت معها أنها تكاد تطفو وتسبح بجانب نجومها المتدلية من السقف، وهي تفكر في مدى جمال أخيها، وكم هو كريم ومحب، هل نسيت، أم أن رأسها قد امتلأ بالخوف إلى حدّ أنساها كل ذلك؟

«ماذا عن المقال؟ هل كتبتِه».

قالت: «أجل لقد فعلت». فكّرت قليلاً: سوف يقرأونه ثمّ يرمون الورقة فيما يسميه أبي بالملف الدائري.

«ذلك عظيم، رائع».

«أخبرني مرّة أخرى عن تلك المرأة التي اختفى ابنها، يمكنني الإصغاء والانتباه جيداً الآن، فكما تعلم لم أكن كذلك سابقاً».

لم يخبرها عن فيرا ستينمان فحسب بل أخبرها باختصار القصة بأكملها، وأنهى حديثه بإخبارها أن هولي قد تكون – وبالصدفة البحتة – قد اكتشفت قاتلاً متسلسلاً

يعمل في شارع ريد بانك في ديرفيلد بارك، أو ربما في الجامعة أو في كليهما.

قال: «ولقد اكتشفتُ شيئاً، لقد كان يزعجني ولكنه أخيراً عاد إلى مكانه الصحيح، الأمر مشابه لصور بقع الحبر تلك التي تحدقين بها باستمرار واستمرار، وفجأة ترينها كوجه يسوع أو ديف تشابيل».

«ماذا حدث؟».

ثمّ تحدثا قليلاً، قالت باربرا أنها تريد أن تخبر والدتها ووالدها عن جائزة بينلي.

«قبل أن تقومي بذلك، أريد منكِ أن تفعلي شيئاً لأجلي، انزلي إلى مكتب أبي القديم حيث كنتُ أعمل على الكتاب، وابحثي عن محرك الأقراص المحمول برتقالي اللون، إنه موضوع إلى جانب لوحة المفاتيح، هل تستطيعين القيام بذلك؟».

«بالتأكيد».

«صلي القرص، وأرسلي لي منه المجلد الذي يحمل اسم (بكس، ب – ك – س)، تظن مارا أن الناشرين سيرغبون بالحصول على صور من منتصف الكتاب، وقد يرغبون في استخدامها للترويج».

«الترويج من أجل الجولة؟».

«أجل، إلا إذا لم ينتهِ وباء كورونا هذا، عندها ربما ستصبح الجولة عبر الزوم والسكايب».

«سأكون سعيدة جداً إذا استطعتُ أن أشاركَ فيها جيروم».

«واحدة من صور مسرح السيرة الذاتية، لمانهاتن ميلودراما في سرادق، السيرة الذاتية في المكان نفسه الذي تم فيه تصوير جون ديلنغر، تعتقد مارا أنها ستكون رائعة كغلاف للكتاب.. وبارب..».

«نعم؟».

«أنا سعيد جداً لأجلكِ يا أختي، أحبكِ».

قالت باربرا إنها تحبه هي الأخرى، ثمّ أنهت المكالمة، وبكت، وصعب عليها أن تتذكر آخر مرّة كانت فيها سعيدة إلى هذا الحدّ، قالت لها أوليفيا إن الشعراء –حتى ولو كانوا من ذوي الشهرة–عادة ما يكتبون شعراً سيئاً، ولكن هذا الشأن ليس موضع اهتمامها الآن.

2 تموز 2021

استيقظت بوني عطشى، وعانت من صداع خفيف، ولكن ما تشعر به الآن لا يقارن بما شعر به خورخي كاسترو وكاري دريسلر عندما استيقظا، فقد حقنهما رودي بمحلول الكيتامين، ثمّ استخدم الفاليوم على إلين وبيت، ولم يكن ذلك بسبب الأعراض الشديدة التي ظهرت عليهما – فلم يكن ليهتم ذلك كثيراً – بل لأن عينات التشريح أظهرت تلفاً أولياً في البنية الخلوية لكاسترو ودريسلر في القفص الصدري والعقد اللمفاوية، ولحسن الحظ لم يصل النخر إلى كبديهما؛ فالكبد هو مركز القدرة على التجدد، ولكن رغم ذلك كانت تلك الغدد اللمفاوية مثيرة للقلق، فيمكن للضرر الخلوي الذي يصيب العُقد هناك أن يؤدي إلى تلوث الشحوم التي يستخدمها ليديه المصابتين بالتهاب المفاصل والتي تدهن منها إيميلي ردفها وساقها اليسرى لتهدئة آلام العصب الوركي.

هناك العديد من الاستخدامات الشائعة للأدمغة، ولكن الأعضاء الأخرى مثل القلب والكلى والكبد– بالأخص الكبد– هي الأهم، لأن تناول كبد الإنسان هو الذي يزيد الحيوية ويطيل العمر، ويستطيعان فعل ذلك بمجرد أن يتنشط الكبد تماماً – يساعد تناول كبد العجل على تنشيط كبد الإنسان الذي سيتناوله – بالطبع كان كبد إنسان آخر ليساعد على تنشيطه بقوة أكبر، ولكن ذلك يعني أن عليهما القضاء على شخصين معاً في كل مرّة قرر أحد ما أن يتبرع بكبده والآخر ليتغذى على كبده قبل أن يُذبح، قرر الزوجان أن ذلك سيكون خطيراً للغاية، لا بأس بكبد العجل فهو يخدم بشكل جيد جداً، ويكاد يكون قريباً من الكبد البشري على المستوى الخلوي، حتّى أن كبد الخنزير وحمضه النووي قريب جداً من الكبد البشري، ولكن هناك خطر الإصابة بالبريونات في حال استخدام كبد الخنازير، وعلى الرغم من أن نسبة التعرض لتلك الإصابات نادرة ولا تكاد تُذكر إلا أن رودي وإيميلي لا يريدان الموت بسبب البريونات التي تُحدِث ثقوباً في دماغيهما القيمين.

بالطبع، لم تكن بوني تعرف شيئاً عن كل هذا، كل ما تعرفه أنها عطشى ورأسها يؤلمها، وشيء آخر: إنها سجينة، يبدو أن الزنزانة تقع في قبو شخص ما، يصعب عليها أن تصدّق أنها تحت المنزل الفيكتوري الأنيق للبروفيسور هاريس، ولكن في الوقت نفسه يصعب عليها ألا تصدق ذلك. القبو كبير ومضاء بوهج أصفر مُهدِّئ، وأمام الزنزانة التي وجدت نفسها فيها رأت مساحة واسعة نظيفة إسمنتية، وخلفها درج، وخلف الدرج ورشة عمل تحتوي على آلات لا تعرف أسماءها تبدو أنها أدوات كهربائية تستخدم للقطع والتنعيم وأشياء من هذا القبيل. أكبر عنصر في الغرفة موجود في الجانب الآخر من الغرفة وهو صندوق معدني مزود بخرطوم يعبر الحائط بجوار باب صغير، يبدو وكأنه وحدة تدفئة وتكييف هواء.

جلست بوني ودلّكت رأسها في محاولة لتخفيف صداعها، وقع شيء على الفراش الذي استيقظت عليه، إنه أحد قرطيها، لم تعثر على الآخر، ربما سقط خلال صراعها السابق، أجل كان هناك صراع إنها تتذكر الأمور بشكل مشوش، ولكنها تتذكر كيف كانت تترنح أمام واجهة مكان مهجور، وتحاول البقاء صاحية بما يكفي للهرب والابتعاد، ولكن رودي أمسك بها وسحبها إلى الخلف.

نظرت إلى المثلث الذهبي – لم يكن مصنوعاً من الذهب ولكن شكله جميل، وضعته أسفل الفراش، وذلك لعدة أسباب: فليس من الرائع أن تضعَ قرطاً واحداً إلا إذا كنتَ قرصاناً أو مثلياً يحاول أن يبدو لطيفاً، ولسبب آخر أهم وهو أن زوايا المثلث حادة، وقد تحتاج إليه في وقت لاحق.

هناك بورتا جون، تعرف ما يعنيه ذلك – مثل خورخي كاسترو وكاري دريسلر وإلين كراسلو من قبلها (أما ستينكي ستينمان ربما ليس كثيراً): يعني أن شخصاً ما ينوي الإبقاء عليها هنا لفترة. لا يزال يصعب عليها أن تصدق أنّ ذلك الشخص هو البروفيسور رودني هاريس، عالم الأحياء المتقاعد وخبير التغذية، من الأسهل أن تصدق أن إيميلي شريكته.. أو على الأرجح أنه شريكها، لأن إيميلي هي الشخص المُسيطر والأقوى في علاقتهما، مع أن إيميلي حاولت أن تتقرب من بوني، ولكنها لم تصبح صديقتها. في الواقع، لم تكن لتثق بها ثقة تامة، لكنها كانت تحاول دائماً أن تقوم بما عليها القيام به بشكل صحيح حتّى خلال فترة عملها القصيرة، إذ لم تكن

إيميلي من النوع الذي ترغب بوني بالتعامل معه.

فحصت بوني القضبان، إنها ملحومة بالمنزل وصلبة كالصخر، هناك لوحة مفاتيح يمكنها رؤيتها عندما تميل جانب رأسها عبر القضبان، ولكن هناك غطاء بلاستيكي فوقها ولا يمكنها أن تزيله أو تفكه، وحتى إن استطاعت فإن كتابتها لجميع الأرقام الصحيحة صعب كصعوبة الحصول على جميع أرقام اليانصيب بشكل صحيح.

كما رأى النزلاء السابقون لهذه الزنزانة فهي تستطيع رؤية عدسة الكاميرا، ولكن على عكس سابقيها، لم تصرخ في وجهها، فهي امرأة ذكية وتعرف أنه في نهاية الأمر، لا بد من أن يأتي شخص ما، وعلى الأرجح فإنه سيكون أحد أفراد آل هاريس، هل سيعتذرون، وهل سيقولون بأن الأمر بأكمله كان مجرد خطأ فادح؟ ربّما أن مثل هذا السيناريو على الأرجح لن يحدث. بوني خائفة جداً.

هناك صندوق برتقالي على الحائط البعيد من الزنزانة وعليه قنينتا ماء من شركة أرتيسيا. لقد حصل خورخي كاسترو وكاري دريسلر على ماء من شركة داساني، ولكن إيميلي أصرّت على تبديلها لاحقاً بشركة أرتيسيا، لأن شركة داساني ملك لشركة كوكاكولا وهم (وفقاً لها) يسحبون المياه الجوفية من شمال الولاية، أمّا أرتيسيا فهي شركة مملوكة محلياً وهذا ما يجعل منها أفضل من الناحية السياسية.

فتحت بوني إحدى القنينتين وشربت نصفها، ثمّ أغلقتها مجدّداً، ثمّ رفعت غطاء مرحاض بورتا جون وأخفضت بنطالها، لا تستطيع أن تفعل أي شيء حيال الكاميرا، لذلك أخفضت رأسها وغطت وجهها وكأنها طفلة صغيرة تفعل شيئاً معيباً فتغطي رأسها معتقدةً أنهم لن يروها إذا لم تستطع هي بدورها رؤيتهم، انتهت، ثمّ شربت مزيداً من الماء وعاودت الجلوس على الفراش.

مع أنها تشعر بالغرابة الجديدة في ظل هذه الظروف، ولكن بعد أن روت عطشها شعرت بالراحة، لا يمكن القول إنها منتعشة ولكنها مرتاحة قليلاً. حاولت أن تفكر في السبب الذي جعلهما يختطفانها، قد يبدو الجنس هو الدافع الأكثر وضوحاً، ولكنهما كبيرين في السن، أليسا كبيرين جداً؟ ربما لا، ولكن إذا كان الأمر يتعلق بالجنس حقاً في سنهما هذا، فإن ذلك يبدو على شيء من غرابة، ولا بد أن نهايته لن تكون مريحة.

هل يمكن أن يكون ما يقومان به نوعاً من التجارب؟ تجربة تتطلب كائناً بشرياً؟

سمعت من الناس في الحرم الجامعي أن رودني هاريس يبدو شخصاً معتلاً عقلياً عندما يتحدث في محاضراته بشكل صارخ عن اللحوم وكيف أنها الركيزة الأساسية التغذوية، ولكن هل هو مجنون إلى هذا الحدّ، وهل هومثل أولئك العلماء المجانين في أفلام الرعب؟ إذا كان الأمر كذلك فيجب أن يكون مختبره في مكان آخر.

أصبحت بوني تفكر في من سيفتقدها، ربما ستفتقدها والدتها، ولكن بيني لن تدرك على الفور أن شيئاً سيئاً قد حدث، فهما في خضم واحدة من خلافاتهما الباردة. ماذا عن توم هيغينز؟ لن يفتقدها لأنهما لم يتحدثا إلى بعضهما منذ أشهر بالإضافة إلى ذلك فقد سمعت أنه رحل، ربما تكتشف لاكيشا اختفاءها، ولكن تكاد المكتبة تكون مغلقة خلال أغلب الأيام بسبب العطلة الصيفية وفيروس كورونا، وقد تظن لاكيشا أنها أخذت عطلة لعدة أيام، وخاصة أنها لا تزال تملك الكثير من أيام الإجازات، أو قد تفترض أن بوني قررت ترك كل شيء وراءها ومغادرة المدينة؟ لقد تحدثت بوني عن رغبتها في الذهاب غرباً: اذهبي غرباً أيتها الفتاة الشابة اذهبي غرباً وعيشي حياتك ربما إلى سان فرانسيسكو أو كارميل بجانب البحر، ولكن هذه كانت مجرد أحاديث، ولاكيشا تعرف ذلك.

ألا تعرف ذلك؟

يفُتح الباب أعلى الدرج، نظرت بوني عبر قضبان الزنزانة، وشاهدت رودني هاريس ينزل ببطء، وكأنه على وشك أن ينهار ويقع، عادةً ما تجلب إيميلي الصينية في المرة الأولى، ولكن ازداد ألم عرق النسا لديها اليوم كثيراً لدرجة أنها استلقت على السرير ووضعت مشداً حرارياً حول ظهرها، فهي- وإن كانت لا تتوقع أن يفيدها هذا المشدّ، إلا أنه لا يعدو كونه أحد الاكتشافات الطبية الكاذبة، على أنّ حبوب الألم، تلك الحبوب التي تدمر بشكل متواصل نقاط المشابك العصبية في الدماغ تبقى أسوأ من ذلك.

لقد أذاب رودي اللحم الباقي من بيتر ستينمان، وصنع عصيدة من القلب وإحدى الرئتين وبعض العظم، ربما ساعدتها قليلاً، ولكن ليس بالمقدار المطلوب، ما تحتاج إليه إيم حقاً هو كبد طازج، ولكنهما استخدما كبده منذ فترة طويلة، دائماً ما ينفد مخزونهما، وبالطبع، فإنهما مع تقدمهما بالعمر فالمدة الزمنية للفوائد التي يحصلون

عليها من قرابينهم كما اعتادا سابقاً لا تستمر زمناً، فهو لم يقل ذلك لإيميلي، ولكنه متأكد من أنها تعرف الأمر، إنها ليست عالمة ولكنها ليست غبية.

وقف على مسافة آمنة من الزنزانة، ثمّ ركع على إحدى ركبتيه ووضع الصينية على الأرض، ثمّ استقام وبدا الألم جلياً على وجهه (فكل شيء يؤلمه هذا الصباح) ترى بوني كدمة أرجوانية على عظم خده الأيمن، انتشرت صعوداً حتّى عينه ونزولاً حتّى أسفل فكه تقريباً، لطالما كانت تعتبر نفسها فتاة متوازنة ذات ردود فعل هادئة، ولا تملك تلك المشاعر الجياشة القوية، باستثناء تعاملها مع والدتها، ولكن تلك الكدمة وإن كانت قد أسعدتها فقد أغضبتها في الوقت ذاته.

فكّرت لقد استطعتُ النيل منك؟ أليس كذلك؟ لقد نلتَ منكَ جيداً حقاً.

سألته: «لماذا؟».

لم يرد، أخبرته إيميلي أن هذه أفضل طريقة لإجراء الأمور، وهي محقة. لا يجب عليك توجيه العملية، وبالتأكيد لا يفترض بك أن تنخرط في أي محادثة، لماذا قد تفعل ذلك؟ الأمر الوحيد الذي عليكَ فعله هو تقديم الطعام.

«ماذا فعلتُ لكَ يا بروفيسور هاريس؟».

فكّر وهو يتوجه لإحضار المكنسة الموضوعة على الدرج لم تفعلي لي شيئاً، نظرت بوني إلى الصينية ورأت صندوق طعام بلاستيكي للوجبات الخارجية، وإلى جانبه مغلف بني مطوي، ربما هو نوع من أنواع الفطور، والشيء الآخر الموجود في الصينية هو قطعة من اللحم النيء.

«هل هذا كبد؟».

لم يجب على سؤالها.

المكنسة هي من النوع واسع القاعدة الذي يستخدمه عمال النظافة، دفع الصينية عبر الفتحة أسفل الزنزانة.

قالت بوني: «أحب الكبد، ولكن مع البصل المقلي، وشيء آخر.. وأفضله مطبوخاً».

لم يردّ، بل عاد إلى الدرج وأعاد المكنسة، وغادر.

«بروفيسور؟».

استدار لينظر إليها ورفع حاجبيه.

«لقد أصبتَ بكدمة جيدة هناك».

تحسس الكدمة وأجفل مجدداً من الألم، وهذا ما أسعد بوني.

«هل تعرف؟ أتمنى لو أنني فصلتُ رأسك المجنون اللعين عن عنقكِ اللعينة».

احمرّ الجانب السليم من وجهه وبدا أنه سيرد عليها، ولكنه ضبط نفسه، صعد الدرج وأغلق الباب خلفه، كلا لم يغلقه بل صفعه، هذا أيضاً أشعرها بالسعادة.

سحبت المغلف المطوي من الصندوق، رأت أنه مسحوق شراب الكاتشافا، سبق لها أن سمعت به لكنها لم تُجربه، يبدو أنها ستضطر إلى تجربة القليل منه الآن، فعلى الرغم من كل شيء هي جائعة، مزّقت الجزء العلوي من المغلف وأفرغته في الكوب ثمّ أضافت إليه الماء من القنينة الأخرى، وحرّكت بإصبعها وهي تفكر بأن ذلك العجوز اللعين كان يستطيع جلب ملعقة على الأقل، جرّبت المشروب فوجدته مقبولاً.

شربت بوني نصف الكوب، ثمّ وضعته على الغطاء المغلق لمرحاض بورتا جون، توجّهت صوب القضبان، هل ذلك البروفيسور العجوز مجنون أم ماذا، إنه يعاني من وسواس قهري، لا تحتوي الأرضية الإسمنتية على بقعة وسخ واحدة، أما المفاتيح فقد عُلّقت بترتيب تنازلي حسب أحجامها، وكذلك المفكات، بالإضافة إلى ثلاثة مناشير كبيرة ومتوسطة وصغيرة، بالإضافة إلى كماشة.. ثمّ أزاميل.. ثمّ بكرة من الشرائط.. ثم...

وضعت بوني يدها على فمها وسرى الخوف في جسدها، شعرت بالرعب، ما تنظر إليه يريها المستقبل الذي ينتظرها: لقد سُجنت مثل فئران التجارب في قفص وإذا لم تحدث معجزة فلن تخرج من هنا على قيد الحياة.

رأت خوذتها الواقية وحقيبة ظهرها معلقتين هناك إلى جانب بكرة الشرائط على اللوحة.

27 تموز عام 2021

1

توجّهت هولي إلى المرأب، وفتحت نافذة سيارتها وأشعلت سيجارة ثمّ اتصلت بمنزل هاريس، أجابها رجل فأخبرته هولي باسمها وعملها، وسألته إن كان بوسعها القدوم وطرح بعض الأسئلة.

«بخصوص ماذا؟».

«أستميحك عذراً؟».

«قلت بخصوص ماذا؟».

كررت هولي اسمها وقالت إنها مهتمة بكاري دريسلر: «أنا أعمل على قضية ظهر فيها اسم السيد دريسلر، ذهبت إلى صالة البولينغ التي كان يعمل فيها...».

قال: «صالة سترايكم آوت»، وبدأ أن صبره قد نفد.

«هذا صحيح، أحاول أن أعثر على مكانه، إن القضية لها علاقة بسرقة دراجة، لا يمكنني مناقشتك بالتفاصيل ولكنني أود التحدث إليك، رأيت صورة فريقك البولينغ وكان السيد دريسلر فيها، وأردت سؤالك إن كنت تعرف مكانه، لقد تحدثت بالفعل مع السيد كليبارد والسيد ويلس وبما أنني قريبة ف...»

«هل دريسلر سارق؟».

«لا يمكنني التطرق إلى هذا يا سيد هاريس، أنت السيد هاريس أليس كذلك؟».

«البروفيسور هاريس، أعتقد أنه بوسعك القدوم، ولكن لا تفكري في البقاء طويلاً، لم أرَ السيد دريسلر منذ سنوات وأنا مشغول جداً».

«شكراً لـ...»

أنهى هاريس المكالمة بسرعة.

2

أنهى رودي المكالمة واتجه صوب إيميلي، لقد خفت آلام عرق النسا قليلاً، ولم تعد تحتاج كرسياً مدولباً واكتفت بالعكازين كما أن شعرها احتاج إلى بعض التسريح، وخطرت في بال رودي فكرة وقحة: تبدو كساحرة عجوز في قصص الخيال.

قال: «ستأتي ولكنها لن تتحدث عن فتاة دال بل عن دريسلر، هذا ما قالته لي».

«أنت لا تصدق هذا أليس كذلك؟».

«ليس بالضرورة، ولكن هناك شيء من المنطق، تقول إنها تحقق في سلسلة حوادث تتعلق بالدراجات». توقف قليلاً.

«سرقات، سرقة دراجات، أشك في احتمال أن يعمل المحقق الخاص على قضية واحدة فقط، فهو بذلك لن يجني كثيراً من المال». هل كان هذا التعبير الصحيح؟ اعتقد رودي أنه كذلك.

«استلمت قضيتين تتضمنان اثنين من الأشخاص الذين اختطفناهم، ألا تظن أن هذه صدفة يصعب تصديقها؟».

«ليس أمراً مستحيلاً، ولم قد يؤدي تحقيق غيبسون بأمر بوني دال إلى صالة البولينغ؟ لم تكن تلك الفتاة تلعب البولينغ».

«اسمها غيبني، هولي غيبني، ربما يمكنني أن أتحدث إليها حين تأتي».

أشاح رودي برأسه وقال: «لستِ أنتِ من تعرفين دريسلر بل أنا، إنها تريد التحدث إليّ فسأتولى الأمر».

رمقته بنظرة شك وقالت: «أحقاً هذا؟ لقد أخطأت في التحدث إليها، أنت... لا أعرف كيف سأوصل إليك هذه الفكرة يا عزيزي ولكن...».

«لقد زل لساني، ها قد قلتها من أجلك، هل تعتقدين أنني لم أدرك هذا؟ لقد أدركته بالفعل وسأفكر ملياً بالمستقبل». ولمس وجنتها.

وضعت يدها على يده وابتسمت: «سأراقب الوضع من الطابق العلوي».

«أعرف هذا، أحبك يا عزيزتي».

قالت: «وأنا أيضاً».وصعدت الدرج ببطء، كان حالها يزداد سوءاً، ولكنها لم تكن تنوي استعمال الكرسي المدولب مثل تلك الشمطاء في نهاية الشارع، لم تتمكن إيم

مـن تصديـق أن أوليفيـا لا تـزال علـى قيد الحياة وأنها هي التي سـرقت تلك الفتاة التي كان لديها على الأرجح بعض الموهبة.

خصوصاً أن هذا كله حدث مع شخص أسود، أي مع زنجية.

كانت تلك هي الكلمة التي تُفضل إيميلي استخدامها.

3

صعدت هولي إلى شرفة آل هاريس وطرقت الباب، فتح لها رجل طويل ونحيل يرتـدي بنطـالا قديمـاً وينتعل صندلاً وسـترة بولو عليها شـارة جامعـة بيل، كانت عيناه لامعتين وذكيتين، ولكن ظهرت عليهما ملامح التقدم في السن، أما شعره فكان أبيض ولكن لم يشبه شعر هيو كليبارد، فقد ظهرت جلدة رأسه الوردية من بين خصل الشعر، كما كانت هناك آثار كدمة على وجنته.

قال: «تفضلي بالدخول إلى غرفة المعيشـة يا آنسـة غيبني، ويمكنك إزالة قناعك فـلا توجـد كورونـا هنـا إذا افترضنا أن الكورونا حقيقية في المقام الأول ولكنني أشـك في هذا».

«هل تلقيت اللقاح؟». قطّب حاجبيه في وجهها وقال: «أنا وزوجتي نتبع التعليمات الصحية».

اكتفت هولي بهذا الجواب، ولكنها قالت إنها تطمئن أكثر بوضعها القناع، تمنت لو أنها وضعت قفازين طبيين، ولكن لم ترد في تلك اللحظة أن تخرجهما من جيبها، بدا أن السيد هاريس منحاز لرأيه في موضوع الكورونا، وحرصت هي على أن لا تثير غضبه.

«كما تريدين».

تبعته هولي عبر الرواق إلى غرفة كبيرة مكسوة بالخشب أنارتها مصابيح كهربائية، كانت السـتائر مُسـدلة كي تمنع شـمس الظهيرة الحارقة من الدخول، سـمعت صوت صفير جهاز التكييف بالإضافة إلى صوت موسيقى كلاسيكية خافتة جداً.

قال هاريس: «سأكون مضيفاً فظاً ولن أدعوك للجلوس حيث إنني أكتب رداً مطولاً لبحث غبي وفقير بالمعلومات في المجلة الفصلية للتغذية ولا أود قطع سلسلة أفكاري، كما أن زوجتي تعاني من نوبة شقيقة لذا أريد أن أطلب منك أن تخفضي من صوتك».

قالت هولي: «أنا آسفة».وهي لم تعتد رفع صوتها حتّى في أوقات غضبها.

«كما أن سمعي ممتاز».

فكّرت إيم: هذا صحيح، إنها في غرفة النوم الإضافية تراقب الوضع عبر حاسوبها الشخصي، كانت هناك كاميرا صغيرة مخفية بين الأغراض العشوائية على الرف، خشيت إيميلي أن يكشف رودني شيئاً، لا يزال ذهنه متقداً في كثير من الأحيان، ولكنه كان يخطئ في الكلام وينسى مع اقتراب المساء كثيراً من الأشياء.

إنها تعرف أن هذا شائع في بدايات الزهايمر –وكانت هذه المتلازمة تعرف باسم متلازمة الغروب– ولكنها رفضت تصديق هذا الجانب عن الرجل الذي أحبته، إلا أن الشك بدأ يساورها إلى حدّ بعيد.

ولم تكن لتفضل أن يتفاقم هذا الأمر لا سمح الله.

أخبرت هولي البروفيسور هاريس بقصة سرقة الدراجة التي استقلتها على الطريق كالفتاة الصغيرة في قصة ساكي حيث كانت الرومنسية اللحظية من اختصاصها، كان حرياً بها أن تستخدم القصة مع كليبارد وويلس ولكن خطرت لها في وقت لاحق، خططت لاستخدامها بالطبع حين تتحدث مع إرني كوغينز الذي أثار اهتمامها للغاية: فهو لا يزال يلعب البولينغ ولا يزال متزوجاً، ولا بد أن الزوجة لم تكن تعاني من آلام المفاصل ولكن هذا ممكن، كل شيء ممكن.

4

توجّهت باربرا إلى مكتب والدها القديم، فوجدت حاسوب جيروم على المكتب إلى جانب الكثير من الأوراق، اعتقدت أن الكدسة السميكة إلى يمين الحاسوب كانت نص كتابه، جلست وتصفحت الأوراق إلى أن وصلت إلى الصفحة الأخيرة: 359، دُهشت بأن جيروم كتب كل ذلك، وفكّرت في ديوان شعرها الذي قد يصل إلى مئة وعشرين صفحة وكانت المساحات الفارغة تطغى عليها... ولم يكن نشر الديوان مضموناً، طمأنتها أوليفيا وقالت لها إنه سينشر، ولكن باربرا لم تُصدق ذلك، لم تكن القصائد عن التجربة السوداء بل كانت بمعظمها عن التأقلم مع الرعب.

فكّرت: من الصعب التمييز بين الأمرين أحياناً ثمّ ضحكت.

لقد عثرت على قرص التخزين النقال البرتقالي في المكان الذي أخبرها عنه جيروم، اتجهت إلى الحاسوب، وأدخلت كلمة سر جيروم (#شيزل#) وانتظرته كي يعمل، كانت خلفية الشاشة عبارة عن صورة لجيروم وباربرا وهما يجثوان على الأرض إلى جانب كلبهما أوديل الذي ذهب إلى المكان الذي ترحل إليه جميع الكلاب.

وضعت قرص التخزين ووجدت مسودات من كتابه مرقمة 1 و2 و3، كما وجدت ملفات مرافقة وملف مسمى: صور، فتحته فظهرت لها بعض الصور لجدهما الأكبر الذي لطالما ارتدى ملابس تعود لحقبة التسعينيات بالإضافة إلى قبعة ديربي التي أزاحها إلى اليمين، فكّرت: هذا مهم، كما وجدت صوراً عن نادٍ للزنوج ورأت فيها عدة رواد يرقصون الجتربغ (أو قفزة لينـدي) على أنغام الفرقة المبدعة، وجدت صورة مسرح بايوغراف وصورة أخرى لجون ديلينغر بذاته وهو ممدد على لوح تشريح، قالت باربرا: أووف كما تعوّدت هولي أن تقول، أغلقت ملف الصور وسحبته إلى بريد إلكتروني موجّه إلى شقيقها وأرسلته.

إلى يسار الحاسوب وجدت رزمة من الملاحظات ورأت على الملاحظة العليا: اتصل بمارا بخصوص الترويج، أما الملاحظات التي كانت أسفلها مباشرة فبدت أنها عن شيكاغو وإنديانا بوليس وديترويت في الثلاثينيات، وكان هناك العديد من المراجع التي تشير إلى كتب عن هذه المناطق خلال فترة الفصل والكساد، قالت باربرا لنفسها: أتمنى ألا تبالغ في الأمر يا جي.

تحت هذه الملاحظات عثرت على خريطة مابكيست لديرفيلد بارك والمناطق المجاورة له، وبسبب الفضول اطلعت عليها، لم تكن تمت لكتاب جيروم بصِلَة، ولكنها كانت محورية بخصوص قضية هولي، رأت ثلاث نقاط حُمر وخط جيروم أسفل كل منها.

كتب: بوني د، الأول من تموز عام 2021 شرقي الحديقة مقابل المساحة الصغيرة التي كانت تدعى ثيكيتس.

أما النقطة التي كتب أسفلها: إلين سي، تشرين الثاني عام 2018 فكانت حرم جامعة بيل فوق اتحاد الطلبة ومقر بيلفري، اعتادت باربرا وأصدقاؤها الذهاب إلى هناك لتناول الشطائر بعد زيارتهم لمكتبة رينولدز، وباعتبارهم طلاب ثانوية لم يكن

لديهم صلاحيات الوصول إلى كل الكتب، ولكن غرفة المراجع كانت جيدة بالإضافة إلى غرفة الحاسوب.

آخر نقطة حمراء كانت: بيتر س في نهاية شهر تشرين الثاني عام 2018، كانت باربرا تعرف هذا الموقع أيضاً: ديري ويب، ولم يكن طلاب الثانوية يرتادونه ولكنه اعتبر مفضلاً بالنسبة إلى الصغار.

فكّرت: لطف الله لم يجعلني واحدة منهم.

أنهت عملها، وأغلقت الحاسوب واستعدت للمغادرة، عاودت الجلوس وأمسكت بالخريطة، وجدت كوباً مليئاً بالأقلام، أخذت القلم الأحمر الذي استخدمه جيروم على الأرجح في رسم النقاط الحمراء، ووضعت نقطة حمراء أخرى على شارع ريدج مقابل منزل أوليفيا كينغسبري، لأن هذا المكان الذي ذكرته أثناء تفكيرها في القصيدة التي قالت إنها آخر قصيدة جيدة لها.

كتبت تحت النقطة: خورخي كاسترو تشرين الأول عام 2012، مع أنها قامت بذلك إلا أنها اعتبرت نفسها سخيفة.

لعل كاسترو قال فقط: «اللعنة على قسم الأدب الإنكليزي الغبي» وغادر، بالإضافة إلى: «اللعنة على إيميلي هاريس ورهابها التي لم تستطع إخفاءه».

لكن حين أضافت كاسترو إلى خريطة جيروم وجدت شيئاً مثيراً للاهتمام ومزعجاً في الوقت ذاته، بدت النقاط وكأنها تحيط بالحديقة، لقد وقعت حادثة بوني في وقت أبكر من الآخرين فعلاً أي في الصيف وليس في الخريف. ولكن ألم تشاهد باربرا أنه لدى -وربما في مسلسل مايندهانتر على نيتفلكس- القتلة المهووسين ميولاً للانتظار لفترات تتناقص شيئاً فشيئاً بين جرائمهم؟ مثل مدمني المخدرات الذين يتعاطون بتواتر يتزايد شيئاً فشيئاً؟

لم تتوافق إلين س وبيتر س مع نمط الجرائم حيث وقعت الحادثتان في وقت متقارب، ربما لأن القاتل لم يأخذ ما يريده، ولم يكتفِ بشخص واحد؟ أو ربما لأن أحدهما لم يشبع تعطش القاتل؟

فكّرت باربرا: أنت ترعبين نفسك وترين وحوشاً -شيت أوندوفسكي- حين لا يكون هناك شيء سوى الظلام.

على الرغم من هذا اعتقدت أنه كان حرياً بها مشاركة معلومة خورخي كاسترو، تناولت هاتفها لتتصل بهولي، ولكنه رنّ في يدها، كانت المتصلة ماري دوشامب، أخبرتها أن أوليفيا في كاينر ميموريال حالياً وهي تعاني من رجفان أذيني، وكانت الإصابة خطيرة هذه المرة، نسيت باربرا أمر إخبار هولي، وأسرعت إلى الأسفل وقالت لأمها إنها بحاجة لاستخدام السيارة، وحين سألتها تانيا عن السبب قالت باربرا إن صديقتها في المستشفى وستشرح لها الأمر في وقت لاحق، كما كانت لديها أخبار جيدة ولكن أرادت تأجيلها إلى وقت لاحق.

«هل الموضوع له علاقة بمنحة دراسية؟ هل حصلت على منحة دراسية؟».

«لا، إن الموضوع لا علاقة له بالمنحة».

قالت تانيا: «حسناً يا عزيزتي»، ثمّ ردّدت شعارها: «قودي بحذر».

5

سألت هولي رودني هاريس إن كان لديه فكرة عن مكان كاري دريسلر، أو إن كان ينوي مغادرة المدينة؟ هل بدا عليه (كان هذا ارتجالاً حديثاً) إنه يملك مبالغ طائلة من المال؟ قالت: «أعرف أنه كان يدخن الحشيش، وذلك من شيم اللصوص».

حدّق هاريس إلى الفراغ وقطّب حاجبيه كرجل يحاول تذكّر شيء ليفيدها فيه، أجابها: «لقد كان يبدو شخصاً لطيفاً، لم أعرفه حق المعرفة، ولكنني عرفت أنه يتعاطى، قال لي إنه لم يتعاطَ سوى الحشيش ولكن هل كان من الممكن أن يتعاطى أكثر من...؟».

دعت تعابير وجهه هولي لتسر له بمعلومات أكثر، ولكنها اكتفت بالابتسام.

أكمل بنبرة حيادية: «من المتعارف عليه أن الحشيش عبارة عن بوابة للمخدرات الأقوى، ليس دائماً ولكنه يُسبب تعوداً يعيق التطور المعرفي، كما يسفر عن تغييرات تكوينية على الحصين الذي يعتبر مركز الفصل الصدغي للتعلم والذاكرة، إن هذا أمر متعارف عليه».

تذمرت إيم في الطابق العلوي وقالت لنفسها: الفص الصدغي يا عزيزي ولا تنجرف كثيراً.

لم يبدُ أن غيبني لاحظت، فاستدرك رودي نفسه وكأنه سمع إيم: «اعذريني على

المحاضرة يا آنسة غيبسون، سأترجل الآن عن عربة هواياتي».

ضحكت هولي بأدب ولمست أحد القناعين في جيبها وتمنت مجدّداً لو أنها وضعت واحداً، لم ترد أن يعتقد البروفيسور هاريس أنها كانت هاورد هيوز ولكن سكنتها فكرة أن يكون كل شيء مغطى بكوفيد-19 أو بمتحور دلتا، وفي هذه الأثناء أكمل هاريس حديثه.

«لقد كان بعض أعضاء فريقي يذهبون مع دريسلر إلى الخلف كي ينفّخوا الأعقاب بالإضافة إلى التعامل مع بعض النساء».

«الساحرات الجذابات؟».

قطّب هاريس حاجبيه مجدداً وقال: «نعم، ونساء أخريات أيضاً، شعر بعض منا أن بعض الساحرات يبدين إعجاباً، ولكن كما سبق لي أن قلت لك: لم أعرفه حق المعرفة، لقد كان ودوداً ويحل محل فرد مصاب، ولكننا لم نكن مقربين، ليس لديّ فكرة عن ماله وأخشى أن لا يكون لديّ فكرة عن مكانه».

فكّرت إيميلي: توقف عند هذا الحدّ يا عزيزي ورافقها إلى الباب.

أمسك رودي بمرفق هولي وفعل هذا تماماً: «والآن، أكثر ما يثقل عليّ أن عليّ العودة إلى واجباتي».

قالت هولي: «أتفهم هذا تماماً، عددت هذا اختياراً مستبعداً في جميع الأحوال»، مدّت يدها إلى حقيبتها وأعطته بطاقتها وحرصت على ألا تلمس أصابعه: «إذا تذكرت شيئاً يمكنه مساعدتنا اتصل بي من فضلك».

عندما وصلا إلى الباب ضغطت إيميلي على الكاميرا التي تظهر الرواق، سأل رودي: «هل لي أن أسألك عن خطتك في متابعة القضية؟».

قالت إيميلي لنفسها: كلا، لا تُفكّر يا رودي فالأمر ليس مضموناً.

لكن المرأة بدت بسيطة، الأمر الذي يُشكل حافزاً لإيميلي أن توليها اهتماماً، قالت لرودي إنها لا تستطيع التحدث في الموضوع ودفعت مرفقها نحوه، لامس رودي مرفقها بدوره وابتسم لها ابتسامة صفراء.

«شكراً جزيلاً على وقتك يا سيد هاريس».

«لا عليك يا آنسة... ذكريني باسمك؟».

«غيبني؟».

«استمتعي بيومك يا آنسة غيبني، وأتمنى لك التوفيق».

6

سرعان ما سمعت هولي الباب الأمامي ينغلق وراءها فمدت يدها إلى جيبها وتناولت معقم اليدين الذي كان فوق القناعين اللذين أرادت وضع أحدهما، لقد أخطأت مرّة ونسيت وضع قناعها عندما كانت تتحدث إلى موظف ديري ويب، ولكن المحادثة جرت في الخارج على الأقل، أما المحادثة مع رودني هاريس فحصلت في غرفة يمكن للمكيف أن ينثر في كل مكان ذلك فيها الفيروس الذي قتل والدتها.

فكّرت: أنت تتصرفين بسخافة وذعر، ولكنها لاحظت أنها سمعت هذه الكلمات بصوت والدتها التي ماتت بسبب ذلك الفيروس اللعين.

وجدت ما كانت تبحث عنه: أنبوب صغير من جيرم-إكس وسحبته من جيبها، وضعت كمية كبيرة على راحتها ومسحت يديها بقوة، وفكّرت في أن رائحة الكحول اللاذعة أصبحت ملاذاً آمناً لها بعد أن كانت تسبب لها ذعراً في صغرها لأنها كانت تعتبره إنذاراً بقدوم الحقنة.

راقبت إيميلي هذا من الطابق العلوي وابتسمت، لم تستمتع بأي شيء في هذه الأيام بسبب الألم المزمن في ظهرها وأسفل ساقها، ولكنها وجدت منظر تلك الوضيعة وهي تعقم يديها بذعر مضحكاً للغاية.

3 تموز عام 2021

1

لم تأكل ضيفة آل هاريس الأخيرة الكبد النيء، وحاولت تنظيم شربها للماء وكان لا بد في نهاية المطاف أن ينفد الماء من القنينتين، مررت يدها فوق الكوب وحاولت استخلاص ما بقي من الكاتشافا ولكن عطشها ازداد، وشعرت بالعطش أيضاً.

حاولت أن تتذكر آخر شيء تناولته، شطيرة طون وبيض أليس كذلك؟ اشترتها من مقصف الطلبة وأكلتها وهي تجلس على أحد المقاعد، كان بوسعها أن تدفع أي شيء مقابل تناول شطيرة أُخرى ناهيك عن زجاجة الصودا التي اشترتها في جيت مارت، كانت ستتجرعها في غضون ثوانٍ، ولكن لا وجود للصودا أو الهاتف، كما أن خوذتها وحقيبتها (التي يبدو أنها أفرغت) كانتا معلقتين مع المعدات.

بدأت تتقبل الكبد النيء حتّى بعد أن بقي في حرارة الغرفة. لذا مدّت يدها خارج الزنزانة وأبعدته عنها، فكّرت: ابتعد عني أيها اللعين، كان بوسعها أن تشعر بجفاف حلقها، وخطر لها أن الكبد النيء سيكون مليئاً بالسوائل، تخيّلت السوائل وهي تسري في عروقها وتبرّدها، ولكن حين فكّرت أن الملح سيزيد من عطشها لم تستسغ الفكرة، عادت إلى الفراش وتمدّدت عليها، ولكنها لم تُبعد عينيها عن صحن الكبد، وبعد مرور فترة غاصت في نوم مليء بالأحلام.

أخيراً، عاد رودني هاريس واستيقظت بوني، كان يرتدي ملابس نوم عليها صور سيارات إطفاء بالإضافة إلى ثوب وخف لذا أخطأت بوني وفكرت أن الوقت كان بعد الظهر، ظنت أن يوماً مرّ على تخديرها وخطفها، شعرت أن هذا أطول وأفظع يوم في حياتها لأنها لم تعرف ما يجري، ولكن السبب الرئيسي هو أنها لم تحظَ سوى بقنينتين من المياه وبكوب من الكاتشافا.

قالت وهي تحاول استجماع الكلمات: «من فضلك، أريد القليل من الماء».

أمسك بالمكنسة ودفع الصحن إليها وقال: «كلي الكبد ثمّ ستحظين بالمياه».

«إنه نيء كما ظل في حرارة الغرفة طوال اليوم وليلة البارحة... على ما أعتقد، هل هذه الليلة الثالثة؟ إنها كذلك أليس هذا صحيحاً؟».

لم يجبها، ولكنه أخرج من جيبه قنينة ماء أرتيسيا ورفعها، لم ترد بوني إعطاءه شرف التلذذ بلعقها لشفتيها، ولكنها لم تستطع مقاومة هذا، وبعد أن ظلت قطعة الكبد في حرارة الغرفة لمدة يوم بدت وكأنها تذوب.

«كلي الكبد وعندها سأعطيك الماء».

قررت بوني أنها محقة إلى حدٍّ ما، لم يكن هذا جنساً بل شيئاً يشبه تجربة غريبة، لقد سمعت الناس في الجامعة يقولون إن البروفيسور هاريس كان مريباً في موضوع ما يدعيه «التوازن الغذائي المثالي» ولكنها تجاهلت هذا الكلام وعدته كلاماً اعتيادياً يشبه: هذا البروفيسور غريب الأطوار وذاك البروفيسور مهووس، أما الآخر فيدخل يده في أنفه، وهناك فيديو مضحك على تيكتوك فاحرصي على مشاهدته، تمنت الآن لو أنها أصغت إلى هذا الحديث.

لم يكن مريباً وحسب بل مجنوناً أيضاً، اعتقدت أن تناولها للكبد سيكون أقل مشاكلها خطراً.

كان حرياً بها أن تخرج من هنا وتهرب، وهذا يعني أن عليها التصرف بذكاء وعدم السماح للذعر بأن يتملكها حيث كانت حياتها تعتمد على ذلك.

استطاعت هذه المرة منع نفسها من لعق شفتيها، ركعت وسحبت الصحن إليها وقالت: «أحضر لي قطعة طازجة وسآكلها، ولكن مع الماء كي أستطيع تقبّلها».

بدت عليه معالم الإهانة وقال: «أؤكد لك أن هذا الكبد ليس... ليس»، لقد عانى في التحدث، ولم ينطق بأي كلمة، وحرّك فكه من اليمين إلى اليسار: «لم تنتشر فيه البكتيريا، وفي الواقع وكبقية أنواع اللحم يعد كبد العجل مفيداً في حرارة الغرفة، هل سمعت باللحم المقدد؟».

«إن لونه يتحول إلى الرمادي».

«إنك مزعجة يا آنسة دال ولستِ في وضع يسمح لك بعقد صفقات».

أمسكت بوني برأسها وكأنه يؤلمها، لقد تألمت بسبب الجوع والعطش ناهيك عن

الذعر: «أحاول أن أتفاوض معك ليس إلا، لديك سبب وراء هذا لذا أعتقد...»

صرخ وقال: «بالطبع لديّ سبب».

«سأنفذ ما تريد، سأكل، ولكن ليس هذه القطعة، لن أفعل هذا».

استدار وصعد الدرج بغضب وتوقف لبرهة وعبس في وجهها ثمّ أكمل طريقه.

ازدردت بوني لعابها، وسمعت دلائل جفاف حلقها، فكّرت: إن صوتي يشبه صرصار ليل يموت من العطش.

2

كانت إيميلي في المطبخ وبدا الألم على وجهها، بدت مسنة وعجوزاً، صُدم رودي لأن معالم التقدم في العمر ظهرت بعد كل محاولاتهما كبح الشيخوخة، لم يكن من العدل أن تختفي آثار وجباتهما الخاصة المفعمة بمواد تمدد الحياة بهذه السرعة، لقد مرت ثلاث سنوات بين كاسترو ودريسلر وثلاث سنوات (تقريباً) بين دريسلر والفتى ستينكي، وكان لديهما الآن بوني دال ولم تمر أقل من ثلاث سنوات وحسب، ولكن أعراض الشيخوخة (كان يُفضّل أن يدعوها بالأعراض) كانت تتسارع منذ أشهر.

«هل تأكله؟».

«لا، تقول إنها ستأكله إذا أعطيتها قطعة طازجة، لدينا قطعة أخرى بالطبع حيث اتخذنا قاعدة بأخذ احتياطاتنا بعد الذي جرى مع فتاة كاسلوم...».

صححت له إيم معلوماته وقالت: «كراسلو، كراسلو». بدا النزق في صوتها... ولم تستخدم هذا الصوت معه إلا في اللحظة التي كانت تعاني فيها من الألم الشديد، «أعطها إياها، لم أعد أتحمل الألم».

حاول مواساتها فقال: «لم يبق سوى بعض الوقت، أريد زيادة عطشها، فهذا يجعل الماشية أكثر تعاوناً». أشرق وجهه فجأة وقال: «ولعلها تأكل تلك القطعة، لقد أبعدتها عنها، ولكنني لاحظت أنها تركتها في متناول يدها هذه المرة».

حاولت إيميلي الوقوف أثناء هذه المحادثة، ولكنها جلست وتنهدت، برزت عروق عنقها وقالت: «حسناً، سأصبر إذا كان هذا ضرورياً، أجبني يا رودي، هل حميتنا هذه تنفعنا في شيء؟ هل ما فعلناه مجرد وهم؟ مجرد شيء يشبه العلاج الوهمي الذي

ترسخ في عقلينا بدلاً من جسدينا؟».

«هل تعتبرين توقف الشقيقة وهماً؟».

«لا... لا أعتقد على الأقل...».

«وماذا عن مفاصلك؟ ماذا عن التهاب مفاصلك... ومفاصلي؟ هل تعتقدين أنني أُفضّل هذا الوضع؟». رفع يديه فظهرت أصابعه المنتفخة ولم يستطع تقويمها من دون بذل جهد مضنٍ: «هل تعتقدين أنني أُفضّل البحث عن كلمات كنت أحفظها عن ظهر قلب؟ أو الدخول إلى مكتبي لأكتشف لاحقاً أنني لم أعد أتذكر سبب قدومي إليه في المقام الأول؟ لقد لمستِ النتائج بنفسك».

همست إيميلي: «في العادة كانت النتائج تستمرّ لوقت أطول، هذا كل ما في الأمر، إذا أكلت الكبد هذه الليلة... سواء أكانت القطعة التي في الأسفل أو القطعة التي في الثلاجة... فهل سيتم الأمر غداً؟».

فضّل رودي أن يتم بعد ثمان وأربعين ساعة حيث إن الوقت المثالي هو اثنتين وسبعين ساعة، ولكن دال يافعة وبالتأكيد سيتنشط كبدها بشكل أسرع وهذا سيُسرع ضخ الدم والمواد الغذائية مع كل ضربة من ضربات قلبها اليافع، لقد توصلا إلى النتيجة من ستينكي.

بالإضافة إلى أنه لم يعد يطيق صبراً على معاناة زوجته.

قال: «غداً مساء، إذا افترضنا أنها أكلتها».

قالت إيميلي: «إذا أكلتها». فكّرت في تلك الوضيعة العنيدة، يا لتلك الوضيعة اليهودية.

استطاع رودي قراءة أفكارها بعد كل تلك السنوات: «لا تشبه الفتاة الزنجية، لقد وافقت على تناول الكبد إلى حدّ ما إذا أعطيتها ماء...».

قالت إيم: «إلى حدّ ما». ثمّ تنهدت.

لم يبدُ أن رودي سمعها، كان ينظر إلى الأفق بطريقة بدأت تثير قلقها شيئاً فشيئاً، وكأنه خرج من هذا العالم لبرهة، أخيراً قال: «ولكن عليّ أن أكون حذراً، لم تطرح كثيراً من الأسئلة، في الواقع لم تتكلم كثيراً ككاسلو، كما لم تتوسل أو تصرخ ككاسلو أيضاً، يجب أن لا تزل قدمي الآن».

أمسكت إيميلي بيده وقالت: «انتبه إذاً، فأنا أعتمد عليك، واسمها كراسلو».

قال مبتسماً: «لن نحتفل في الرابع من تموز من هذه السنة يا عزيزتي، ولكن في اليوم السادس...».

ازدادت ابتسامته ألقاً وقال: «سنقيم مأدبة في اليوم السادس».

3

في تمام الساعة العاشرة مساء، عاد رودي إلى القبو بعد أن ساعد إيميلي في صعود الدرج، جلست في السرير حيث ستتمدد وتتلوى من الألم وعساها تنال قسطاً من الراحة، طمأن نفسه إلى أن استفسارها عن الوجبة المقدسة كان نابعاً من ألمها وليس من وعيها، ولكنه لا يزال مستاء من الأمر.

كان يحمل قطعة الكبد الإضافية في يده حين لاحظ في تسجيلات الفيديو أن دال لا تزال ترفض القطعة الأولى، تمنى لو أنه يستطيع تسريع الوقت وذلك كي تتنشط موادها الغذائية، كما أنه لم يفضل الانصياع لأوامر سجنائه ولكن إيميلي لم تستطع الانتظار أكثر، وكانت ستصر عليه قريباً كي يأخذها إلى طبيب ليصف لها بعض الأدوية، ولكنه كان يعتبر هذه الأدوية وصفة للموت السريع معبئة في زجاجة.

وضع الصحن على الأرض، وطلب من دال أن تدفع له كوب الكاتشافا، فعلت دال هذا من دون أن تسأل عن السبب، إنها تشبه حقاً فتاة تشيسلي، لديها جانب متيقظ لم يحبه ولم يثق به.

أخرج من ردائه قنينة أرتيسيا، وصب القليل من الماء في الكوب، ثمّ أمسك بالمكنسة ودفع الكوب صوبها بهدوء، وجب عليه دفع الكأس بحذر، فلم يرد أن تتحول هذه المسرحية الهزلية إلى سيرك عظيم، رفعت يدها وقالت له: «سلمني إياها يا بروفيسور».

لقد كان على وشك الانصياع لأمرها، ولكنه تمالك نفسه وقهقه قائلاً: «لا أعتقد هذا».

وحين اقترب منها الكوب أمسكته وتجرعته؛ أنهته بسرعة البرق.

«تناولي هذا الكبد، وسأعطيك مزيداً من الماء، وإذا رفضت فلن تريني قبل مساء

الغد». كان تهديداً فارغاً ولكن دال لم تعرف هذا.

«هل تعد بأنك ستعطيني مزيداً من الماء؟».

«وعد شرف، إذا لم تتقيئي وإذا حاولت تقيؤ ما أكلته بشكل سري فستكشفك إيم، وعندها سنجد نفسنا في ورطة كبيرة».مكتبة سُر مَن قرأ

«هل أنا واقعة في مشكلة بالفعل يا بروفيسور، صارحني بالحقيقة».

لقد أثارت قلقه شيئاً فشيئاً كما أنها أخافته قليلاً، عد هذا التفكير سخيفاً، ولكنه خطر في باله، وبدلاً من الإجابة أمسك المكنسة ودفع الكبد باتجاهها، لم تتردد دال، أمسكته وغزت أسنانها في اللحم الطازج وقضمت قطعة ثمّ مضغتها.

انبهر بقطرات الدم التي سالت على شفتها السفلى، لقد عزم أن يغط هاتين الشفتين في الخامس من تموز بالطحين ويقليهما، وربما سيضيف إليهما بعض الفطر والبصل، كانت الشفتان مليئتين بالكولاجين، وهذا ما سيفيده في معالجة ركبتيه ومرفقيه وفكه، في النهاية كانت الفتاة تستحق كل هذا العناء، فهي ستتبرع ببعض من شبابها.

قضمت قضمة أخرى ومضغتها ثمّ ابتلعتها وقالت: «مذاقه ليس فظيعاً، لديه طعم أكثف من الكبد المطهو، هل تستمتع بمراقبتي وأنا آكل أيها الوغد؟».

لم يجبها رودي، ولكنه أراد أن يقول نعم.

«لن أخرج من هنا أليس كذلك؟ لا أظن أنه يفترض بي أن أعدك بأنني لن أتفوه بأي كلمة لأي أحد أو شيء من هذا القبيل أليس كذلك؟».

كان رودي مستعداً لهذا السؤال، تظاهر أنه فوجئ وقال: «بالطبع ستخرجين، إن هذا عبارة عن مشروع بحثي حكومي، وحين ستنهين هذا الكبد ستجرى اختبارات محددة وستوقعين على تعهد عدم إفصاح عن المشروع».

قاطعته ضحكتها التي كانت هزلية وهستيرية: «إذا صدّقت هذا فلا جرم أن السماء وردية وليست زرقاء، أعطني المياه اللعينة حين أنتهي وحسب».

ارتعش صوتها قليلاً، وترقرقت عيناها بالدمع، فارتاح رودي حينها.

«عليك أن تفي بوعدك».

27 تموز عام 2021

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

عادت هولي إلى منطقتها المفضلة في المرأب وأشعلت سيجارة بعد أن فتحت الباب ووضعت قدميها على الرصيف، خطر لها أن هناك تناقضاً بين اتباع كل الاحتياطات الخاصة بالوقاية من كورونا وإشباع رئتيها بهذه المادة المميتة.

فكّرت: عليّ أن أتوقف فعلاً ولكن ليس اليوم.

لا بد أن فريق البولينغ الكبار الذهبيين هم ن عبارة عن طريق مسدود، لم تستطع أن تتذكر هذه اللحظة سبب اعتقادها بأن ذلك كان سيؤدي بها إلى شيء قيم، هل هذا لأن كاري دريسلر الذي زار في ذلك الوقت متجر بوني المفضل كان يرتاده بشكل دائم؟

لكن دريسلر اختفى أيضاً وترك دراجته وراءه، ولكن هذه الدلائل واهية للغاية، لم يبدُ لها أن رودي هاريس مرشح مناسب لهوية سفاح ريد بانك (إذا كان هناك شخص كهذا في المقام الأول)، لم تعرف إن كانت زوجة هاريس تعاني من عرق النسا والشقيقة –وكان اكتشاف صحة هذه المعلومة ممكناً، ولكن هولي لم تعتقد أنها من أولوياتها– من الواضح أن هاريس لديه ما يكفيه من المشاكل، لقد أخطأ في لفظ عدة كلمات كلشبونة بدلاً من كورونا كما أنه نسي اسمها، ومرت لحظات لم يفعل فيها شيئاً سوى التحديق والتوقف عن الكلام، لم يعنِ هذا أنه يعاني من مرض الزهايمر ولكن من أعراض التقدم في العمر، بالإضافة إلى...

قالت: «هكذا بدأ مع خالي هنري».

ولكن بما أنها بدأت بقضية المسنين فعليها متابعتها، أطفأت السيجارة في منفضتها المحمولة، واتجهت إلى الشارع الرئيسي، كان إرني كوغينز يعيش في أبريفر، أي على بعد أربعة مخارج وحسب، ولكن بما أن خالها هنري خطر على بالها لم تنفك عن التفكير به، متى كانت آخر مرّة زارته فيها؟ في الربيع أليس كذلك؟ نعم، ألحت عليه

أمها وأشعرتها بالذنب في نيسان الماضي قبل أن تمرض.

وصلت هولي إلى مخرج أبريفر وتمهلت، ثمّ غيرت رأيها وتابعت باتجاه كوفينغتون حيث كان منزل أمها ودار رعاية المسنين رولينغ هيلز الذي يُقيم فيه خالها هنري (في حال أردتم التفكير بالأمر على هذا النحو)، كما أنه مسكن عضو آخر من فريق الكبار الذهبيين، أي أنها على وشك ضرب عصفورين بحجر واحد، لا يمكن أن يكون فيكتور أنديرسون أكثر نباهة من خالها، فوفقاً لهيو كليبارد تعرض أنديرسون لجلطة وبما أنه كان في دار رعاية دائم لا بد أنه لم يتعافَ منها، كان بوسع هولي إزالته من قائمتها والتحدث إلى إرني كوغينز غداً حين تكون في كامل نشاطها، بالإضافة إلى أن القيادة على الشارع الرئيسي تهدئ من روعها، وحين تكون هولي في حالة مستقرة تتبادر الأشياء الكثيرة إلى ذهنها.

ولكن الأمور بدأت تتحول إلى عملية ملاحقة على غير هدى.

توهج جوالها ثلاث مرات في رحلة الساعات الأربعة الأولى باتجاه فندق دايز الذي سبق لها أن مكثت فيه ثلاث ليالٍ.

لم ترد على الاتصال مع أن سيارتها مجهزة بنظام بلوتوث، كان الاتصال الأول من جيروم، أما الثاني فمن بيت هنتلي.

أما الثالث فمن بيني دال التي كانت تريد الاطلاع على آخر المستجدات وهذا من حقها.

2

عندما وصلت هولي إلى كوفينغتون زقزقت عصافير بطنها من شدة الجوع، دخلت إلى برغر كينغ وطلبت من دون تردد حين حان دورها، لديها طلبات مفضلة في جميع متاجر الأطعمة السريعة، لطالما طلبت في برغر كينغ شطيرة بيغ فيش وفطيرة هيرشي وصودا، وحين وصلت إلى نافذة الدفع مدت يدها إلى جيبها لتخرج أحد قفازيها لم تجد سوى زجاجة جيرم-إكس، تناولت منديلاً واستخدمته لتعطي المال للموظفة، نظرت إليها الموظفة بشفقة، عثرت هولي على قفاز في جيبها الأيمن فارتدته قبل أن تصل إلى النافذة اليمنى لتأخذ طلبها، لم تعد تتذكر شيئاً عن مصير قفازها الثاني،

ولكنها لم تهتم لذلك، كان لديها علبة كاملة منها في صندوق سيارتها أهدتها إياه باربرا روبينسون، حجزت في الفندق وضحكت من نفسها لأنها لاحظت أنها وصلت مرّة أخرى من دون أي أمتعة، كان بوسعها أن تذهب إلى متجر الدولار الواحد ولكنها لم تفعل، وقالت لنفسها إن السوق لن تنهار إذا ارتدت سروالها الداخلي ذاته يوم غد، لم يكن هناك مغزى من ذهابها إلى دار الرعاية اليوم لأن الزيارات تتوقف في تمام الساعة السابعة.

تناولت طعامها ببطء لتتمتع بشطيرتها وفطيرتها، لم يكن هناك أفضل من اكتساب بعض السعرات الحرارية حين تكون في حيرة من أمرك أو عندما لا تعرف ما الذي ستفعله في ذلك الحين.

فكرت: تعرفين تماماً ما ستفعلينه بعد العشاء. اتصلت ببيني دال التي سألتها إن أحرزت أي تقدم في القضية.

قالت هولي: «لا أعرف»، وكانت هذه الحقيقة الخالصة كما اعتاد خالها هنري أن يقول.

«هل أحرزتِ تقدماً أم لا؟».

لم ترد هولي إخبار بيني أن ابنتها على الأرجح أصبحت آخر ضحية لقاتل متسلسل، ولكنها في النهاية ستخبرها -كانت هولي واثقة من ذلك- ولكنها شعرت أن الخبر سيكون قاسياً على بيني وكان عليها أن تكون واثقة من معلوماتها قبل أن تُخبرها بها.

«سأعطيك تقريراً كاملاً، ولكنني أريدك أن تمهليني أربعاً وعشرين ساعة، هل توافقين على هذا؟».

«لا، أنا لا أوافق على هذا. إذا عثرت على شيء فمن حقي أن أعرف، بالله عليك، أنا أدفع لك مقابل عملك».

قالت هولي: «سأصوغ الأمر بطريقة أخرى يا بيني: عليك أن تتعايشي مع الأمر؟».

زمجرت بيني وقالت: «عليّ أن أوقف التعامل معك».

قالت هولي: «هذا من حقك، ولكن تقرير إنهاء القضية سيتطلب مني أربعاً وعشرين ساعة أيضاً حيث إنني ألاحق عدة أمور».

«وهل هذه الأمور واعدة؟».

«لست متأكدة»، أرادت قول شيء يبعث التفاؤل في النفوس ولكنها لم تستطع.

عمّ الصمت ثمّ قالت بيني: «أتوقع منك تقريراً مساء الغد في تمام الساعة التاسعة وإلا فإني سأوقف التعامل معك».

«حسناً، إن الأمر وما فيه هو أنني لم أجهز الآن...»

أرادت القول: كل شيء في ترتيب مثالي، ولكن بيني أنهت الاتصال قبل أن تكمل هولي حديثها.

3

اتصلتْ هولي بجيروم، وقبل أن تلقي عليه التحية سألها إن تحدثت إلى باربرا.

«لا، هل عليّ التحدث إليها؟».

«نعم، لديها أخبار رائعة، ولكنني أردتها أن تخبرك بنفسها، كما أنها بدأت بالكتابة وصادف أنها مرشحة للفوز بجائزة أدبية تبلغ قيمتها خمساً وعشرين ألف دولار».

«هل تمزح؟».

«لا، ولا تخبري والدي ووالدتي، ربما لم تخبرهما حتى الآن، ولكنني لا أتصل لهذا السبب، اكتشفت أخيراً ما كان يزعجني في تلك الشاحنة التي ظهرت في فيديوهات المراقبة في المتجر، هل تتذكرينها؟».

«ما خطبها؟».

«إن هيكلها عالٍ جداً ولا تشبه باقي الشاحنات، إنها أعلى بنسبة قدمين أو ثلاثة تقريباً من باقي الشاحنات، بحثت على الإنترنت واكتشفت أن تلك الشاحنات مصممة للأشخاص العجزة، وقد صمم الهيكل فيها على أساس أن يرتفع ليسمح بفتح منحدر للكراسي المدولبة».

4

اتصلت هولي ببيت وهي تقف بالقرب من آلة صنع الثلج حيث كانت تدخن سيجارة، لقد توصلت لنفس استنتاج جيروم بخصوص الشاحنة، ولكنه وصف تلك

الشاحنة بعربة المعاقين، أجفلت هولي وشكرته ثمّ سألته عن حاله، قال إنه يشبه ذلك الرجل في أغنية شيكاغو المشهورة: أي أنه يشعر بازدياد قوته شيئاً فشيئاً، فكّرت أنه يحاول إقناع نفسه بذلك.

أطفأت سيجارتها، وجلست على الدرج لتفكر، لم يكن لديها سوى معلومة أكيدة تستطيع أن تخبر بيني بها مساء غد: يُرجح أن بوني خطفت من قبل شخص يدّعي أنه معاق.

لعلهم كذلك جميعاً، أو لعلهم لا يتظاهرون بهذا؟ استذكرت هولي قولاً لإيماني: بدت السيدة العجوز المسكينة وكأنها تتألم بشدة، قالت إنها لا تشعر بأي ألم، ولكنني أستطيع أن أميز عرق النسا حين أراه.

يا ليتها استطاعت إلقاء نظرة على إيميلي هاريس، كان عليها التحقق من الجامعة لترى إن كان أحد يعرف وضعها الصحي وذكّرت نفسها بإلقاء نظرة على زوجة إرني كوغينز عندما تلتقي به يوم غد.

تمددت على سرير غرفتها واتصلت بباربرا، حوّلت إلى البريد الصوتي مباشرة، طلبت هولي معاودة الاتصال قبل الساعة العاشرة والنصف لأنها ستطفئ هاتفها وتصلي ثمّ تخلد إلى النوم، بعدها اتصلت بجيروم: «لم أستطع الوصول إلى باربرا والفضول يقتلني، أخبرني ماذا يجري».

«إن هذا الخبر لباربرا يا هولي...»

«من فضلك؟ سأحضر لك بعض السكاكر».

«حسناً، ولكن شريطة أن تصطنعي المفاجأة حين تخبرك بارب».

«أعدك».

أخبرها جيروم أن هولي كانت تكتب الشعر في السر لفترة طويلة وأنها قابلت أوليفيا كينغسبري...

صرخت هولي من هول المفاجأة: «أوليفيا كينغسبري؟ يا إلهي».

«هل تعرفينها».

«ليس بشكل شخصي، ولكنها يا جيروم إحدى أعظم شاعرات أميركا، فوجئت بـ باربرا تستجمع قواها وتتواصل معها ألف مبروك لها».

«لم تكن بارب جبانة يوماً في حياتها».

«حين كنت مراهقة وأحاول كتابة أشعاري الخاصة قرأت كل مؤلفات كينغسبري المتاحة، لم أعرف أنها لا تزال على قيد الحياة».

«قالت بارب إنها تبلغ من العمر مئة سنة تقريباً، على أي حال ألقت كينغسبري نظرة على قصائد باربرا ووافقت على أن تكون مرشدتها، لا أعرف كم استغرق هذا من وقت، ولكن في النهاية ترشحت بارب إلى هذه الجائزة، إن اسمها بينوورث أو شيئاً من هذا القبيل...»

قالت هولي: «جائزة بينلي»، لقد كانت مذهولة ومسرورة لأن صديقتها أنجزت كل هذا ونجحت في كتم السر.

«نعم، هذه هي، ولكن لا تكترثي بأمري وتسألي ماذا كنت أفعل طوال هذا الوقت بمالي يا هولي بيري، ناهيك عن الأسبوع القادم الحافل في مونتوك، ألا تريدين سماع أخبار الحفلة التي سيحضرها سبيليرغ أو أي شخص من تلك الجوقة المملة».

في الواقع، أرادت هولي سماع كل تلك الأخبار كما أنهما تحدثا لمدة نصف ساعة تقريباً، أخبرها عن غدائه في بلارني ستون والشيك والمناقشات حول نشر الكتاب والخطط التي تخص الترقية، بالإضافة إلى مقابلة محتملة مع ذا أميركن هيستوريكل ريفيو، وكان هذا ما يحمسه ويخيفه في الوقت ذاته.

بعد أن تحدثا عن كل جوانب ما يسمى بتجربة جيروم الممتازة في نيويورك سألها عن آخر أخبار قضيتها، أخبرته بها، وأنهت التفاصيل باعترافها له أن تحقيقها مع فريق البولينغ عبارة عن طريق مسدود، لكن جيروم خالفها الرأي.

«إن هذا مسار صحيح للتحقيق يا هول، كان دريسلر يعمل هناك وقد اختفى، أعتقد أنهم متورطون في القضية بشكل أو بآخر، أنا متأكد من هذا».

قالت هولي: «ربما، ولكنني أشك أن الفاعل كان لاعب بولينغ مسن، سأرى غداً فرداً تعرض لجلطة، أعتقد أنني تمنيت اكتشاف أن أحدهم كان يحمي قريباً أو صديقاً يافعاً، سواء أكان يحميه أو يوظّفه».

في الواقع لا تزال هولي تتمنى هذا، رغم أنه لم يكن أمامها سوى يوم أو أقل

لإخبار زبونتها بآخر المستجدات، وأرادت أن تحصل على شيء قاطع لتخبر بيني به، ولكن لم يكن إخبارها هو الأهم، بل كان الأهم التوصل إلى دليل أكيد.

5

عندما كانت هولي تتحدث إلى جيروم كانت باربرا روبينسون تجلس مع ماري دوشامب في غرفة انتظار مستشفى كاينر، كانتا تنتظران معرفة إن استطاع الأطباء إعادة ضبط نبض أوليفيا.

كما كانتا تنتظران -على الرغم من عدم إقرارهما الصريح- اكتشاف ما إذا كانت الشاعرة المسنة قد فارقت الحياة أم لا.

اتصلت باربرا بمنزلها وتحدثت إلى والدها، وأخبرت جيم أنها في المستشفى تنتظر ورود بعض الأخبار عن صديقتها المسنة، إن صديقتها مسنة للغاية واسمها أوليفيا كينغسبري، كان هذا مؤسفاً ولم تخلُ جعبتها من الأخبار الجيدة، طلبت منه أن يتصل بجيروم الذي سيشرح له كل شيء، ولكنها الآن مع مساعدة أوليفيا في انتظار سماع ما سيقوله الطبيب عن حال أوليفيا في أقرب وقت.

سأل جيم: «هل أنت بخير يا عزيزتي؟».

كان الجواب كلا ولكنها قالت له نعم، سألها عن موعد قدومها إلى المنزل، فأجابته إنها لا تعرف الوقت بالضبط، وكررت أنها على ما يرام وأنهت الاتصال. ولتمضية الوقت تحققت من رسائلها الصوتية، وجدت رسالة من هولي، ولم تجد في نفسها رغبة التحدث إلى صديقتها كما أنها لم ترد التحدث إلى والدها في المقام الأول، فقد حاولت تكريس كل طاقاتها النفسية لتبقي أوليفيا على قيد الحياة، لا شك أن هذا الطقس كان محض هراء ولكن من يعلم؟ هناك الكثير من الأشياء التي لا تصدق لا في الجنة ولا على الأرض، لقد كان هاملت محقاً في هذه الناحية، لقد شهدت باربرا بعض هذه الأشياء بنفسها.

وردتها رسالة نصية من هولي أيضاً فأجابت عليها بكلمتين. ظهر طبيب أوليفيا واقترب منهما، وحين نظرت كل من باربرا وماري إلى وجه الطبيب أدركتا أن الأخبار كانت سيئة.

6

خلال الوقت الذي قرأت باربرا فيه رسالة هولي وأرسلت الرسالة الموجزة وقفت إيميلي هاريس قرب نافذة سريرها ونظرت إلى شارع ريدج، وحين دخل رودي التفتت إليه وسارت نحوه (ببطء وثبات ولم تعرج إلا قليلاً) ثمّ عانقته.

قال رودي: «يبدو أنك تشعرين بتحسن».

ابتسمت وقالت: «ببطء يا عزيزي، خطوة فخطوة، لم تبدُ تلك المحققة مثيرة للاهتمام أليس كذلك؟ بسبب قناعها وأسئلتها الساذجة؟».

«بالطبع لا».

«ولكن علينا أن نحترس منها، عليّ تصديق كلامك في أنها تحقق في أمر دريسلر ودال بشكل منفصل لصالح زبونين مختلفين، ولكنني لا أزال أشك في الأمر. وأشك فيما لو كانت قد أتت إلى هنا بسبب الفتاة دال فقط دون أن تصرّح بذلك فأعتقد أنها تشك في شيء ما».

توجّها إلى النافذة، ونظرا إلى نور الشارع في الليل، فكّر رودني هاريس في احتمال أن يُفتضح أمرهما، واعتقد أن العالم سيعاملهما وكأنهما فقدا عقليهما، كانت مسيرته الأكاديمية التي بناها على مدى سنوات ستنهار أمام عينيه.

أما إيميلي التي اعتبرت الطرف الأكثر عملية في شراكتهما فلا تزال تُفكّر في بوني دال، كان هناك شيء آخر يقلق راحتها ولكنها تجاهلته.

«ماذا يمكن أن تكتشف الفتاة غيبني تلك؟ ليس الكثير، وربما لا شيء، لقد أنجزت لي دال عدة أمور مكتبية بعد عيد الميلاد، ولكن لفترة قصيرة ودفعت لها نقداً، طلبت منها التزام الصمت لهذا السبب، وذكّرتها بأن هذا مبلغ لا يجوز التصريح عنه».

قال رودي: «قبل عيد الميلاد أيضاً، وكما... تعرفين...».

«لقد أخذت دور متقمصة شخصية بابا نويل في الحفلة، ولكن كان هناك اثنا عشر متقمصاً آخر على الأقل، ودفع لهم نقداً كما منعوا من الإعلان عن هذا العمل على وسائط التواصل الاجتماعي».

تنحنح رودي وقال: «وكأننا نطلب من المطر ألا يهطل».

اعترفت إيم بصحة هذه المقولة حيث إن جيل الشباب هذا ينشر كل شيء على

العلن بما في ذلك صور الأعضاء الجنسية، ولكنها تأكدت أن بوني دال لم تنشر شيئاً عن عملها في عيد الميلاد، لا على فيسبوك ولا على إنستغرام ولا على تويتر.

لقد تحققت إيميلي من الأمر، ولكن لم يكن هذا كل ما في الأمر: «لقد عرفت أن العمل المكتبي كان مثيراً للشبهات ولكنها لم ترد تفويته».

«لعلها أخبرت والدتها به».

حان دور إيم لتتنحنح: «بالطبع لا، لطالما نفرت من إلحاح والدتها وتدخلها، وبالطبع فقد أخفت الأمر عن صديقها الحميم، لا تعرف غيبني شيئاً عن علاقتنا – الوجيزة– بالشابة دال، ولم تكتشفها على الأقل في هذه الأمسية، هل رأيت مدى خوفها من لمسك؟ يا لها من فأرة!». ضحكت إيميلي ثمّ تأوهت من الألم، ووضعت يدها على ظهرها.

قال رودني: «يا عزيزتي المسكينة، ما رأيك في أن أضع لك بعض المرهم المنعش؟».

ابتسمت له شاكرة وقالت: «سأفضل هذا، اسمعني يا رودي، ألا يزال الشيء رقم واحد بحوزتك؟».

«نعم».

«أبقه معك احتياطاً، لا تنس». لقد أصبح ينسى كثيراً في هذه الأيام.

«سأبقيه معي ولن أنسى، ألا تزالين تملكين الشيء رقم اثنين؟».

«نعم». ثمّ قبّلته وقالت: «ساعدني الآن في خلع رداء النوم».

7

أخبر بيل هودغز هولي أن القضية كانت عبارة عن بيضة.

أخبرها بهذا في الأيام الأخيرة من حياته حين كان يتألم كثيراً ويأخذ الكثير من الأدوية، لقد كان رجلاً عملياً –شرطياً قلباً وقالباً– ولكنه اعتاد استخدام الاستعارات تحت تأثير المورفين، جلست هولي قرب سريره، وأصغت إليه تماماً حيث أرادت استيعاب كل شيء يمكنه أن يعلمها إياه، كل شيء.

«تعتبر معظم القضايا هشة كهشاشة البيضة تماماً، لماذا؟ لأن معظم المجرمين

حمقى، حين يصل الأمر لفعل الرذيلة فحتّى الأذكياء يتحولون إلى حمقى لأنهم قرروا فعل الرذيلة في المقام الأول، لذا عليكِ التعامل مع القضية كما تعاملين البيضة، عليك البدء بفقسها ثمّ خفقها إلى أن تضعيها في مقلاة مع بعض الزبدة، وعندها يمكنك أن تُعدّي لنفسك طبق أومليت لذيذاً».

بدأت قضية هولي تتهاوى شـيئاً فشـيئاً في غرفتها في فندق دايز وهي تجثو قرب سريرها وتصلي.

4 تموز عام 2021

1

تولى رودني هاريس مهمة الطهي ووافقت إيميلي، فهي لا تزال تعاني من آلام مفاصلها، وحين طلب منها إعطاء علامة بخصوص الطعام الذي أعده على مقياس من عشرة قالت له إنه فاق المعايير العالمية ويستحق علامة اثنتي عشرة، نظرت إلى الطعام بعينيها الغارقتين وجلدها المجعد البراق، قال لها إنه لم يبقَ سوى القليل وحسب، لأن سجينتهما أنهت كل الكبد ليلة البارحة، قال لإيميلي إنها ستشعر بالراحة قريباً.

أراد الطاهي هاريس أن يعد الليلة طبقه المشهور وهو شرائح لحم الضأن مع زبدة الثوم، بالإضافة إلى بعض المقبلات مثل الفاصولياء الخضراء مع قطع لحم الخنزير المقدد، فاحت رائحة مذهلة وتأكد تماماً أن الشابة دال استطاعت شمّها، لأن باب القبو كان مفتوحاً، كما أنه وضع مروحة على الطاولة فوق المقلاة المعدنية التي كانت تطهى فيها شرائح اللحم.

توجّه إلى الثلاجة، وأخرج زجاجة البيبسي التي كانت آخر مشتريات بوني، كانت جيدة وباردة، أخذها معه وهو ينزل الدرج ببطء ويمسك بالدرابزين، لم يعانِ من الآلام المبرحة مثل إيم، ولكن حركته لم تكن خفيفة، كما أن حس التوازن لديه لم يعد كما في السابق، اعتقد أن هذا بسبب ضمور في أذنه الوسطى، ولكنه تفاءل بأنه سيشعر بالتحسن في القريب العاجل.

كانت دال تقف بالقرب من قضبان الزنزانة، وكان شعرها الأشقر مشعثاً، وفقد لمعانه، سألته وكأنها كانت سيدة العمل وهو الحاجب: «أين كنت؟ لقد مكثت هنا بمفردي طوال اليوم».

اعتقد رودي أنها قالت هذا في لحظة غفلة لأنه أمر بديهي ولكنه ابتسم وقال: «كنت منشغلاً في كتابة ردّ على مقال غبي».

لطالما كتب ردوداً على مقالات غبية، ولكن من دون جدوى، ولكن ما الذي بوسعه فعله سوى المضي قدماً؟ اعتقد أن بوني دال لن تكترث لهذه الأمور الآن وهذا ما تبيّن له مؤخراً.

لا أحد يعلم متى كانت المرة الأخيرة التي تناولت الطعام فيها قبل الكبد، إنها جائعة وعطشى للغاية، كان بوسعه القول لها إن مشاكلها أوشكت على الانتهاء، ولكنه شك في أن هذه المعلومة ستواسيها.

«سيحضر العشاء قريباً، وليس كبداً هذه المرة ولكن...».

قالت: «شرائح لحم الخنزير، أستطيع شم رائحتها وهي تقودني إلى الجنون، أعتقد أنك تريدني أن أشمها، إن كنت تريد قتلي لم لا تنهي الأمر بسرعة وتكف عن تعذيبي؟».

«لا أتعمد تعذيبك». وكان هذا صحيحاً فهو لا يكترث إلى هذا الأمر فهو يعتبرها من المواشي «انظري إلى ما أحضرته لك، هيّا إروي عطشك وسأحضر لك شيئاً ألذ من الكبد النيء».

بالطبع، ما كان سيفعل ذلك، كان على دال أن تموت وليس في معدتها شيء سوى الكبد النيء، أخفض قنينة البيبسي واستخدم المكنسة ليرسلها إلى أسفل الزنزانة، انحنت وأمسكتها ونظرت إليها بجشع وشك.

قال رودي: «لا زالت مختومة كما جاءت من المتجر، تحققي بنفسك، كان بوسعي أن أحضر لك قنينة مع سكر كما تعلمين، ولكن ليس لدينا صودا في منزلنا».

فتحتها بوني وشربت منها، لم تلحظ الصمغ الذي كان على الغطاء، وشربت كثيراً قبل أن تتوقف ونظرت إليه.

«إن طعمها ليس طبيعياً».

«اشربيها وسأحضر لك شرائح لحم الخنزير والفاصولياء الخضر...».

ألقت القنينة خارج الزنزانة وكانت على وشك إصابته، وعلى الرغم من أنها لم تكن مليئة كان بوسعها أن تخلّف كدمة كالتي سبق لها أن سببتها له.

«ما الذي بداخلها؟ ما الذي جعلتني أشربه؟».

لم يجبها، لم تأكل شيئاً سوى الكبد ليلة البارحة كما أنها لم تشرب شيئاً اليوم.

مع أنها لم تشرب القنينة كلها إلا أن تأثير الجرعة الكبيرة من الفاليوم كان قوياً عليها.

ارتجفت ركبتاها بعد ثلاث دقائق من إطلاقها للشتائم، أمسكت بالقضبان مع أن عضلات ذراعيها قد وهنت بشكل ملحوظ.

قالت: «لماذا؟ لماذا؟».

«لأنني أحب زوجتي». توقف ثمّ أضاف: «وأحب نفسي بالطبع، أحلاماً سعيدة يا بوني».

سقطت على الأرض أو هكذا بدا الأمر، كان عليه أن يتوخى الحذر مع هذه الشابة لأنها يافعة وهو مسن.

أراد إمهالها بعض الوقت.

2

جلست إيميلي في غرفتها وساقها المصابة مثنية والأخرى ممدودة، فهذه الوضعية الوحيدة التي تؤمّن لها بعض الراحة.

قال رودني: «لقد أعطى الفاليوم مفعوله».

«هل أنت واثق؟ عليك أن تتوخى الحذر».

أخرج الحقنة من جيبه وقال: «أريد أن أحقنها بهذا، فزيادة الخير خيران».

«ولكن لا تفسدها». اقتربت إيميلي منه وقالت: «لا تفسد اللحم، لا تفسد الكبد، أنا في أمس الحاجة إليه يا رودي».

قال: «أعرف هذا، تماسكي يا عزيزي فلن يطول الأمر».

3

عاد رودي إلى القبو وسمع شخيراً متقطعاً، لم يعتقد أن مصدره شخصاً يتظاهر بالنوم، ولكن عليه أن يحترس في جميع الأحوال، دفع عصا المكنسة باتجاهها ووكزها، لم تأتِ بحركة، وكزها بقوة أكبر فلم تأتِ بحركة، انحنى قليلاً وهو يمسك بالحقنة ومدّ يده الثانية باتجاهها.

أمسك بإصبعها وأخرج يدها، أمسكته بمعصمه... ولكن بخفة ثمّ استرخت أصابعها.

فكّر: لا يمكنه أن يخاطر مع هذه الشابة، ثمّ حقن نصف محتوى الحقنة في معصمها وانتظر.

بعد مرور خمس دقائق أدخل أرقام كلمة المرور التي تفتح باب الزنزانة وفكر: ستكون شابة خارقة إذا قاومته بعد جرعة مضاعفة من المخدر، كان يُفضّل أن تقف إيميلي حاملة المسدس، ولكنها لم تكن قادرة على نزول درج القبو حالياً، فضّل أن يحظيا بمصعد، ولكنهما لم يتناقشا في الأمر، كيف كانا سيفسران وجود زنزانة في نهاية القبو للعمال أو للنجارين؟

لم تصادفه مشكلة، فبوني دال ليست فتاة خارقة بل مستسلمة تماماً، أمسك بذراعيها وجرها على أرض القبو إلى باب صغير قرب جدار معداته، وداخل الغرفة المجاورة كان هناك كيس بلاستيكي بسعة خمسين غالوناً وكان مربوطاً بقطاعة الخشب، وفي منتصف الغرفة هناك طاولة عمليات بالإضافة إلى معدات وأدوات كثيرة.

كان آخر قسم من العملية -العملية التي تسبق العملية الأساسية إذا كنتم تفهمون ما أقصد- هو الأصعب وهو: وضع الفتاة الغائبة عن الوعي على الطاولة، استطاع رودي أن يحمل وزنها البالغ مئة وأربعين رطلاً ويضعها على الطاولة، ولكنه شعر بألم مبرح في ظهره ووركيه، خشي لبرهة من إسقاطها، ثمّ فكّر في إيم التي كانت تتمدد على سريرهما وتثني ساقها المصابة ووجهها يتلوى ألماً، فاستجمع قوته ووضع دال على الطاولة.

كانت على وشك أن تسقط من الجانب الآخر، يا لسخرية القدر أليس كذلك! أمسك شعرها بيد وفخذها بيد أخرى وسحبها إلى الخلف، تنهدت قليلاً وقالت كلمة تشبه أمي، تذكر أن معظم الضحايا كانوا يذكرون أمهاتهم في لحظاتهم الأخيرة حتّى وإن كن سيئات، لقد ذكرها الفتى ستينكي.

كان الفتى ستينكي ضرورياً لأنهما لم يستوعبا حجم إخلاص إلين كراسلو لحميتها النباتية الحمقاء.

انحنى رودي وهو يلهث ويأمل ألا يصاب بذبحة قلبية، فكّر: علينا أن نضع مصعداً هنا، هذا صحيح، ولكن كان من المستحيل تبرير وجود الزنزانة للعمال، وعندما تباطأ نبضه أخيراً قيدها من معصميها وكاحليها، وأمسك المقص وبدأ بقص ثيابها.

27 تموز عام 2021

1

صـدرت النغمـة المعتـادة مـن هاتف هولـي النقال، ولكنها لم تتعـرف إلى الرقم، وكانـت علـى وشـك أن ترفـض الاتصال لأنها اعتقـدت أن المتصل كان رجلاً يريد أن يمدد تأمين سيارتها أو لديه عرض عن دواء ضد كورونا لا يجب تفويته، ولكنها كانت على رأس عملها وهناك قضية بين يديها، فأجابت على الاتصال واستعدت لأن تضغط على زر إنهاء الاتصال.

«مرحباً؟ هل أنت هولي؟ هولي غيبني؟».

«نعم، من معي؟».

«راندي؟».بـدا أنـه كان متـرددا ولم يكن واثقاً من هويته، «راندي هولسـتن؟ أتيتِ إلى حيث أقيم لتسألي عن توم وصديقته الحميمة بوني؟».

«هذا صحيح».

«أردت مني أن أتصل بك إذا تذكرت شيئاً هل تذكرتني؟».

لم تعتقد هولي أن راندي كان ثملاً، ولكنها اعتقدت أنه شـرب بعض الكؤوس: «نعم، وهل تذكرت شيئاً؟».

«هل ماذا؟».

قالت لنفسها اصبري: «هل تذكرت شيئاً يا راندي؟».

«نعم، ولكنني لا أعتقد أنه ذا قيمة، كنت في حفلة، حفلة رأس السنة وكنت ثملاً للغاية...».

«لقد انتهينا من هذه النقطة».

«قصدتُ المطبخ لأجلب البيرة وخرجت بوني تلك وتكلمنا قليلاً، لا أعتقد أنها كانت ثملة، ولكنها شربت القليل من الكحول حيث ترنحت قليلاً في مشيتها... تعرفين

ما أقصده، لقد توليت معظم الكلام كعادتي وأصغت بوني إليّ، أعتقد أنها خرجت كي تبتعد عن توم، هل أخبرتك بهذا؟».

«نعم».

«ولكن هناك شيء تذكرته بعد حديثنا في ستارباكس، لم أرد الاتصال بك، ولكنني لم أرَ ضرراً في هذا».

«ما الذي تذكّرته؟».

«سألتها عما فعلته في عطلة عيد الميلاد وقالت إنها تقمصت شخصية بابا نويل، سألتها عن قصدها فقالت إنها أدت دور بابا نويل في عيد ميلاد، لا يعني هذا شيء أليس كذلك؟».

قالت: «كل شيء له معنى بالطبع».

صرخ راندي وقال: «مرحى، هذا جميل، أنت الأفضل يا هولي، إذا أردتِ يوماً أن نخرج معاً لتناول الشطائر أو شرب العصير يوماً ما...».

شكرته هولي، وقالت إنها ستفكر بالأمر ثمّ تملصت من المكالمة.

تقمصت شخصية بابا نويل، قالت إنها كانت شخصية بابا نويل عيد ميلاد، لا يعني هذا شيء على الأرجح ولكن كما يقول يودا: إن هذا أمر مثير للاهتمام.

كان باستطاعة بيني أن تعرف ما تقصده بوني، ولكن هولي لم ترد أن تتحدث إلى بيني مجدّداً إلا عند الضرورة.

كل ما أرادته الآن بعد أن شعرت بالنشاط هو تدخين سيجارة، ارتدت ملابسها وذهبت إلى آلة صنع الثلج، خطرت لها فكرة على الطريق، بحثت في هاتفها، عن اسم لاكيشا ستون واتصلت بها.

«إذا كان هذا الأمر يتعلق بحملة تبرعات للكنيسة...»

«كلا، أنا هولي غيبني يا لاكيشا، هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً سريعاً؟».

«بالطبع، إذا كان ذلك سيساعدك في العثور على بوني، لم تعثري عليها بعد أليس كذلك؟».

كانت هولي متأكدة إلى حد كبير من أن بوني لم تعد على قيد الحياة، قالت هولي: «ليس بعد، هل ذكرت لك شيئاً بخصوص... قد يبدو هذا غريباً... تنكرها بشخصية

بابا نويل عيد الميلاد؟».

ضحكت لاكيشا وقالت: «ليس غريباً إطلاقاً يا صديقتي، لقد تقمصت شخصية بابا نويل عيد ميلاد بالفعل، ولكنها كانت أشبه ببابا نويل، كانت ترتدي حذاء الأقزام الأخضر، قالت إنها اشترته من غودويل، لمَ تسألين عن هذا؟».

«هل عملت في مناسبة ضمن مركز تجاري؟».

«لا، تنكرت من أجل حفلة عيد ميلاد خاصة، تمت الحفلة على زوم بسبب الكورونا، ولكن الذين تقمصوا شخصية بابا نويل -لم أعرف كم كان عددهم، أعتقد أنهم كانوا قرابة الاثني عشر ذهبوا إلى الحفلة مع الحلوى والبيرة، أو لعلهم اصطحبوا معهم الشامبانيا لأنها أرقى حيث كان عليهم أن يرسموا صورة لائقة».

لقد شعرت هولي بالدفء يدب في عروقها، لم يكن هناك شيء ملموس بعد، ولكنها نادراً ما كانت تحظى بحدس قوي.

«هل تعرفين من نظّم الحفلة؟».

«آل هاريس، هو بروفيسور في علوم الحياة وهي أستاذة في اللغة الإنكليزية».

2

أشعلت هولي سيجارة أخرى، واتجهت إلى مرأب فندق دايز إن، وقد غرقت في أفكارها إلى درجة أنها لم تنتشل عقب سيجارتها من بين شفتيها وترميه في القمامة، اكتفت بالدوس عليه وأكملت مسيرها وهي مستغرقة بالتفكير ومقطبة الحاجبين، كانت لديها مشكلة في مزامنة فرضياتها، وكان عليها أن تذكر نفسها دائماً أنها كانت مجرد فرضيات، شبّه بيل القضية بالبيضة كما حدثها عن متلازمة الشيفروليه الزرقاء: حالما تشترين سيارة شيفروليه زرقاء سترينها في كل مكان.

كررت وهي تشعل سيجارة أخرى: ليست إلا فرضيات، ليست حقائق بل فرضيات صحيحة إلى حدّ ما.

ولكن.

يعمل كاري دريسلر في صالة البولينغ التي كان يلعب فيها رودي هاريس الملقب بسيد الكرات الصغيرة، وليس هذا فحسب، بل كان كاري دريسلر يلعب أحياناً في فريق

رودي، عملت بوني دال لصالح آل هاريس في عيد الميلاد ولكن قالت لنفسها: هدئي من روعك يا فتاة، كان عملاً لليلة واحدة، أما بالنسبة إلى إلين كراسلو...

عاودت الاتصال بلاكيشا: «هذه أنا مجدداً، أنا آسفة على إقلاق راحتك في وقت النوم».

ضحكت لاكيشا وقالت: «لا تقلقي فأنا من النوع الذي يقرأ في وقت متأخر حين يكون المنزل هادئاً، ما الخطب يا قطتي الصغيرة؟».

«هل لديك فكرة ما إن كان لبوني تعاملات أخرى مع آل هاريس؟ أقصد بعد حفلة عيد الميلاد».

«في الواقع نعم، ساعدت بوني الأستاذة في كتابة رسائل شكر وأمور من هذا القبيل، كما علمتها أموراً تتعلق بالحاسوب مع أنها كانت تعرف أن الأستاذة كانت ضليعة في استخدامه مع أنها لا تظهر معرفتها»، ترددت لاكيشا قبل أن تقول: «قالت إنها تعتقد أن السيدة العجوز منجذبة إليها، لم تسألين؟».

«أحاول فقط أن أتتبع اتصالاتها وما كانت تفعله بين نهاية 2020 ووقت اختفائها».

فكرت هولي بأن هذه التفاصيل محاكاة قوية للحقيقة: «هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً أخيراً؟ لا يخص بوني بل هو متعلق بالشابة الأخرى التي ذكرتها، إلين كراسلو».

«بالطبع».

«قلت إنك كنت تتحدثين معها في بيلفري، ولكن ألم تقولي أيضاً أنها كانت تعمل في مبنى علوم الحياة؟».

«نعم، هل هذا مهم؟».

«على الأرجح لا»، ولكنه ربما يفيد في شيء ما، ربما رودني هاريس لا يزال لديه مكتب في الجامعة حيث إن أساتذة الجامعة لا يتقاعدون فعلاً أليس كذلك؟ حتّى وإن لم يكن لديه مكتب الآن فلعله كان موجوداً في فترة اختفاء إلين.

3

نفدت سجائر هولي، ولكن كان هناك متجر سفن-إلفن قرب النزل، رنّ هاتفها وهي في الطريق إليه، كانت تانيا روبنسون تتصل بها، حيّتها هولي وجلست على مقعد

خارج المتجر، لقد تجمعت قطرات الندى على المقعد فرطبت بنطالها، كانت ستتأفف من هذا الأمر لو أنه حدث في وقت عادي، لكن الأمر مختلف الآن، فلم تتأفف، رغم أنها لا تحمل معها بنطالاً آخر، بل حتى أنها لم تلحظ ذلك الأمر.

قالت تانيا: «أردت أن أخبرك بشأن باربرا».

جلست هولي باستعداد وقالت: «هل هي على ما يرام؟».

«إنها بخير، هل أعلمتك بآخر أخبارها؟ أعتقد أنها كانت منشغلة للغاية اليوم فلم يتسنَ لها وقت لتخبرك بها».

احتارت هولي في أمرها، ولكن بما أن تانيا كانت على دراية بالأمر فلا ضير من القول إنها كانت تعرفه هي الأخرى: «لم تخبرني ولكن جيروم أخبرني بذلك، إنه خبر رائع حيث تعتبر جائزة بينلي من أهم جوائز الشعر».

ضحكت تانيا وقالت: «أصبح لديّ كاتبان الآن في العائلة! من الصعب تصديق هذا، لم يكن جدي يستطيع القراءة أما بالنسبة إلى جيم... أعتقد أنك تعرفين الباقي».

كانت هولي تعرف رجل عصابات شيكاغو الأرعن ألتون روبينسون حق المعرفة، كان مصدر إلهام كتاب جيروم القادم.

«لقد كانت باربرا تلتقي بشاعرة محلية اسمها أوليفيا كينغسبري...».

قالت هولي: «أعرف من تكون». لم تكن ستتكبد عناء إخبار تانيا بأن كينغسبري كانت أكثر من مجرد شاعرة محلية.

«قال جيروم إنها تُرشد باربرا».

«لمدة أشهر ولم أعرف بهذا قبل اليوم، أعتقد أنها شعرت بأنها ستتهم بتقليد شقيقها وهذه فكرة سخيفة للغاية، ولكن هذه هي شخصية باربرا، على أي حال لقد تقربتا للغاية ولكن السيدة كينغسبري دخلت المستشفى، هل سبق لك أن سمعت بالرجفان الأذيني؟».

«نعم، إن هذا مؤسف للغاية، ولكنه متوقع في عمرها، فأوليفيا كينغسبري على مشارف المئة».

«إن حالتها مستقرة الآن، ولكن باربرا أخبرتني أن العجوز المسكينة مصابة بالسرطان منذ سنوات، وقد امتدّ الآن إلى رئتيها ودماغها، أخبرتني بالمزيد ولكنني لم

أفهم ما قالت لأنها كانت تبكي».

«أنا آسفة للغاية».

«طلبت مني أن أتصل بأصدقائها، فهي ستعود إلى منزل السيدة كينغسبري مع مساعدة العجوز، إنها وماري في حال أسى عارم وستمضيان الليلة في المستشفى وتعيدان السيدة كينغسبري إلى منزلها في اليوم التالي على ما أعتقد، قالت لهما السيدة إنها لا تحبذ الموت في المستشفى وأنا لا ألومها في قرارها».

قالت هولي: «هذا تصرف ناضج للغاية من باربرا».

«إنها فتاة طيبة ومسؤولة». ذرفت تانيا بعض الدموع وتابعت: «إنها تنوي أن تمضي أيام الأسبوع الباقية في منزل السيدة كينغسبري، ولكنني لا أعتقد أن الأمر سيستغرق كل هذا الوقت، لقد أعلنت باربرا والسيدة كينغسبري أنها لا تريد أن تعود إلى المستشفى فيما لو أصيب أصيبت بنوبة أخرى من الرجفان الأذيني».

«هذا منطقي». فكّرت هولي في أمها التي توفيت وحيدة في المستشفى: «أوصلي لباربرا تهاني الحارة على هذا الإنجاز المميز».

«سأفعل هذا يا هولي، ولكنني لا أعتقد أنها تهتم بشيء الآن، عرضت لها أن أذهب إلى المستشفى ولكنها رفضت، أعتقد أنها وماري –هذا اسم المساعدة– تريدان البقاء بمفردهما مع السيدة كينغسبري، أعتقد أنه لم يتبق لديها أي من معارفها على قيد الحياة».

4

فحوى اتصال تانيا هو أن باربرا لن تتواصل مع أحد أثناء مكوثها قرب كينغسبري في أيامها الأخيرة، ولكن هولي اتصلت بباربرا حين عادت إلى غرفتها بعد أن اشترت علبتي سجائر ووضعتهما في جيب بنطالها، لم تجب باربرا على اتصالها، فتركت لها رسالة صوتية ذكرت فيها أن تانيا أخبرتها بكل شيء وأنها كانت مستعدة لمساعدتها في أي شيء، وعبّرت عن أسفها لأن فرحتها لم تكتمل.

أخيراً قالت هولي: «أحبك».

خلعت ملابسها ونظّفت أسنانها بإصبعها وصابون الفندق (وسعلت) ثمّ جلست

على السرير وتمددت على ظهرها، حدقت في ظلمة الليل والأفكار تتزاحم في عقلها لدرجة أنها اعتقدت أن النوم لن يزورها في تلك الليلة، تذكرت أن لديها ظرف ميلاتونين في حقيبتها فأخذت حبة مع جرعة ماء ثمّ تحققت من هاتفها.

لم تردها سوى رسالة واحدة في تلك الليلة وكانت تلك من باربرا، لم ترسل سوى كلمتين، جلست هولي على السرير وقرأتهما مراراً وتكراراً.

سرى الدفء مجدداً في عروقها حيث إن الرسالة التي أرسلتها إلى باربرا أسفل صورة كاري دريسلر وفريق الكبار الذهبيين كانت مختصرة: هل تتذكرين هذا الرجل؟

لا بد أن باربرا قد أرسلت رسالتها من كاينر وفقاً للطابع الزمني كما أن رسالتها هذه كانت مقتضبة: أي واحد منهما؟

5 تموز عام 2021

1

قال رودي وهو يدخل إلى غرفة النوم: «أعتقد أن بوسعك مساعدتي هذه الليلة».

ابتسمت إيميلي رغم ألمها، لا تزال شطيرة اللحم التي أحضرها لها -التي كانت نيئة كما تفضلها- على الطاولة.

لم تقضم منها سوى قضمة واحدة: «لا أعتقد أن بوسعي النهوض من السرير اليوم ناهيك عن مساعدتك، عليك أن تعتمد على نفسك فهذا الألم... لا يحتمل».

كان يحمل صينية وعليها منديل، رفعه وأظهر كوباً فيه شيء يشبه دهن الخنزير مليئاً بشعيرات حمراء وإلى جانبه ملعقة: «كنت أحتفظ بهذا».

لم يكن هذا صحيحاً، لأنه في الواقع كان قد نسي أنه يحتفظ به، وجده في الثلاجة وهو يبحث عن مقبلات ستوفر التي يُفضلها، سخّن الدهن في الفرن برفق فهو يرى أن الميكروويف يقتل كل المواد المغذية، فلا عجب أن معظم الأميركيين ليسوا أصحاء، كان يجب على القانون أن يمنع التسخين في الميكروويف.

لمعت عينا إيميلي الغائرتين ومدّت يدها: «أعطني إياه! كان عليك أن تعطيني إياه البارحة أيها الرجل القاسي».

«لم أكن أحتاج إليك البارحة على عكس اليوم، نصف في الداخل ونصف في الخارج، تعرفين الترتيب يا إيم، النصف بالنصف».

أعطاها الكأس والملعقة، لم يكن بيتر ستينكي فتى مكتنزاً، ولكنه أصبح كالدجاجة التي تبيض ذهباً عندما عولج بشكل صحيح، بدأت زوجته تلتهم الدهن بشراهة، سال بعض الدهن على ذقنها فمسحه وأطعمها إياه فلعقت إصبعه، في الأيام الخوالي كانت هذه اللعقة تثيره للغاية، ولم يكن باليد حيلة، إن مضار الفياغرا والأدوية المحرضة الأخرى لا تعد ولا تحصى، ويطول تأثيرها على الدماغ كما أنها تُسرّع ساعة

الكروموسومات، يخسر الإنسان ستة أشهر من حياته في كل عملية جماع تتم بسبب الفياغرا وهذه حقيقة مثبتة، ولكن الشركات المصنعة لا تفصح عنها بالطبع.

أخذ منها الكأس قبل أن تنهيها، كانت على وشك أن تسقطها -يا للمأساة!- ولكنه أنقذ الموقف قبل فوات الأوان: «استديري لأرفع لك ثوب النوم».

«يمكنني أن أفعل ذلك»، فعلت هذا حقاً، وكشفت عن فخذيها المجعدين ومؤخرتها النحيلة، شرع في دهن بقايا الدهن على طرفها الأيسر من الأسفل إلى أعلى، أي على مكان العصب الملتهب.

تألمت قليلاً.

«هل تحسنت؟».

«أعتقد ذلك... نعم، لقد تحسنت قليلاً، آه، يا إلهي».

استعمل كل ما تبقى من الدهن واستمر بالتدليك، سرعان ما اختفى لمعان الدهن عندما امتصه الجلد ليعالج ذلك العصب اللعين ويعيده إلى سباته.

فكّر: سيخبو قليلاً ولكنه لن يختفي، ستأتي الراحة الحقيقية غداً بمساعدة كبد الفتاة وبعدها الحساءات المغذية واليخنات بالإضافة للفيليه والأضلع.

لاحظ بعض بقايا الدهن تحت أظافره فلعقها ونظّفها ثمّ أنزل لها ثوبها: «ارتاحي الآن ونامي واستعدي لهذه الليلة».

قبّل جبهتها المتعرقة.

2

قبيل الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة استيقظت بوني لتجد نفسها عارية وممددة على طاولة في غرفة صغيرة ومظلمة إلى حدّ ما، كانت أطرافها مقيدة كما كان رودني وإيميلي هاريس يراقبانها وهما يرتديان مريولين أبيضين ويغطيان أيديهما بقفازات طويلة.

قال رودي: «مفاجأة!!».

كان ذهن بوني مشوشاً بعض الشيء، وكانت على وشك أن تحسب ما تراه حلماً أو أسوأ كابوس تعيشه، ولكنها كانت مدركة أن ما تعيشه كان حقيقياً.

تمكنت من رفع رأسها، وشعرت به وكأنه كتلة من الخرسانة، لاحظت أنهما رسما عليها بقلم أبيض وكانت الرسمة أشبه بخريطة غريبة.

بالرغم من جفاف فمها سألت بصوت أجش: «هل ستغتصبانني أخيراً؟».

قالت إيميلي: «لا يا عزيزتي». كان شعرها أشعث ووجهها شاحباً ونحيلاً للغاية وأشبه ما يكون بالجمجمة، وكانت عيناها تتلألآن وبدا من فمها أنها تعاني من آلام مبرحة «سنأكلك».

بدأت بوني بالصراخ.

28 تموز 2021

1

وقفت إيميلي عند نافذة غرفة النوم تتأمل شارع ريدج الفارغ تحت ضوء القمر، كان رودني نائماً خلفها وقد تعالى صوت شخيره، لم يكن الصوت مزعجاً إلى هذا الحدّ، ولكن إيميلي حسدت زوجها على الراحة التي يشعر بها، استيقظت عند الساعة الثالثة والربع وهي تعرف أنها لن تخلد مجدداً إلى النوم لأنها تعرف ما الذي يُقلقها.

كان عليها أن تدرك الأمر حين اتصلت غيبني واخترعت قصة تورط دريسلر في سرقة الدراجات، كان الأمر بديهياً للغاية، لماذا لم تكن أكثر نباهة؟ في البداية، تساءلت إن كانت تفقد عقلها مثل رودني، (كان بوسعها أن تحسب الآن هذا الأمر صحيحاً) ولكنها تدرك تماماً أنه ليس كذلك فعقلها لا يزال متقداً كعادته، ولكن بعض الأشياء كبيرة للغاية وبديهية إلى حدّ كبير، إلى درجة أنك تتجاهلها كقطعة أثاث كبيرة وقبيحة تعتاد عليها وتلتف حولها إلى أن تتعثر بها وتقع.

أو إلى أن تحلم بوضيعة زنجية نباتية.

فكّرت إيم: كنت أعرف هذا، كان عليّ أن أعرف هذا في المقام الأول، قلت له إن اجتماع قضايا منفصلة حول أشخاص خطفناهم سابقاً لا يمكن أن يكون صدفة؛ تجاهل الأمر وقال إن المصادفات تحدث، وقبلت بهذا.

وقبلت بهذا! يا إلهي! كم أنا بلهاء!

لم تتذكر حينها أن غيبني التي كانت تستخدم اسم لورين باكالفان كاسم مستعار طرحت أسئلة عثرت عليها على تويتر إلى آل كراسلو، اعتقدت إيم أن اجتماع دال ودريسلر يمكن أن يكون صدفة، أما دال ودريسلر وكراسلو؟

لا.

اتجهت إيميلي ببطء إلى الحمام، وهي تضع يدها أسفل ظهرها المتألم، وقفت

على رؤوس أصابعها (وكان هذا مؤلماً للغاية!) مدّت يدها إلى خزانة الدواء لتمسك بقارورة دواء بنية اللون، فيها حبتان خضراوان وهما ملاذهما الأخير في حال تفاقمت الأمور.

لا يزال هناك مجال لإيم كي تتأمل الأفضل أي أنها تأمل ألا يحتاجا إليهما، عادت إلى غرفة النوم، ونظرت إلى زوجها الذي كان يشخر ويفتح فمه، فكّرت: يبدو عجوزاً جداً.

تمددت ووضعت القارورة بنية اللون تحت وسادتها، كانت ستخبره غداً بما توصلت إليه الآن والذي وجب عليها معرفته سابقاً، ولكنها أرادت أن تسمح للرجل العجوز بنيل قسط من الراحة.

تمددت إيم على سريرها وحدقت إلى الظلام الدامس.

2

نفعت حبة الميلاتونين، استيقظت هولي وشعرت أنها امرأة جديدة، استحمت وارتدت ملابسها ثمّ تحققت من هاتفها.

لقد ضبطت الإشعارات على وضع عدم الإزعاج، ولاحظت أنها تلقت اتصالاً من بيت هنتلي عند الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل، وجدت رسالة صوتية، لم تكن من بيت بل من ابنته التي استخدمت هاتفه.

«مرحباً يا هولي أنا شونا، تعرض والدي لانتكاسة وهو في المستشفى، اللعنة على كورونا فهي لا تتركه وشأنه».

فكّرت هولي: قال لي إنه يشعر بتحسن وقوة مع مرور الأيام.

«حاول أن يحمل كيساً من القمامة ليرميه في الحاوية، ولكنه فقد وعيه في الردهة، عثرت عليه السيدة لوثروب واتصلت بالإسعاف، لقد مكثت معه طوال الليل، لم يصب بذبحة قلبية، ولم يصلوه بجهاز التنفس الاصطناعي، حمداً لله على هذا، يبدو أن حاله تحسن في الصباح، ولكنني أتوقع أنه يكابر كعادته، سيجرون له بعض التحاليل ثمّ يرسلونه إلى المنزل فهم يحتاجون إلى الغرفة لأن المرض متفش في كل مكان، عليك أن تتوخي الحذر»، وانتهت الرسالة هنا.

شعرت هولي أنها تريد إلقاء هاتفها في آخر الغرفة، وكما تقول شونا هنتلي: يا لها من طريقة لعينة لبدء يوم لعين، تذكرت ألثيا هافيرتي في صالة البولينغ وهي تتحدث عن الإنفلونزا المزيفة، وهي تُحدق بازدراء إلى مرفق هولي الذي دفعت به باتجاهها وقالت لها: لا أقصد الإهانة، ولكنني لا أفعل هذا، لم تتمنَ هولي أن تراها ممددة في المستشفى وعلى وجهها المكتنز قناع أوكسجين بعد كل نكرانها للكورونا ولكنها... تمنت هذا في الواقع.

3

توجّهت هولي إلى برغر كينغ لتناول الطعام، كانت تغطي يديها بقفازين دفعت عبر إحدى النوافذ واستلمت طلبها عبر نافذة أخرى، تناولت الطعام في غرفتها، وبعدها سجلت خروجها ثمّ اتجهت إلى دار رعاية المسنين رولينغ هيلز، وصلت إلى هناك قبل وقت الزيارات، لذا ركنت سيارتها، وفتحت الباب لتدخن سيجارة، بعثت برسالة نصية إلى باربرا لتسألها عن قصدها بعبارة: أي واحد منهم؟ لم تتلقَ رداً ولكنها لم تتوقع هذا في المقام الأول كما لم تحتج إليه في الواقع، لا بد أن بارب تعرفت إلى رودني هاريس وكاري دريسلر، أرادت هولي أن تعرف كيف تعرفت إلى البروفيسور هاريس، ولكنها كانت متأكدة من شيء واحد ألا وهو أن فكرة اقتراب باربرا من البروفيسور رودني هاريس أقلقتها، أجرت بحثاً عن البروفيسور رودني هاريس على غوغل، وحصلت على العديد من المعلومات بما فيها صورة له في عمر أصغر حين كان شعره داكناً ولا تخطط وجهه سوى قلة قليلة من التجاعيد، بحثت عن الأستاذة إيميلي هاريس وانهالت عليها المعلومات أيضاً، كانت بوني تعرف إيميلي هاريس أو بالأحرى سبق لها أن عملت تحت إدارتها.

كان رودني يعرف كاري دريسلر، لم يكن صديقه الصدوق، ولكنه لعب معه البولينغ حين كان فريق الكبار الذهبيين بحاجة إلى بديل.

كان باستطاعة رودني أن يعرف إلين كراسلو ولا بد أنه تحدث إليها لأنهما اعتادا العمل في المبنى ذاته ووفقاً لاكيشا ستون لم تكن المرأة معادية للتواصل بشكل عام.

بعثت برسالة أخرى إلى باربرا أكثر تحديداً: هل تعرفت إلى رودني هاريس؟ هل

التقيت به؟ أعرف أنك منشغلة ولكن تواصلي معي حين تستطيعين.

تحققت من ساعتها، ورأت أنها التاسعة صباحاً، لقد بدأت الزيارات بشكل رسمي، لم تتوقع معرفة أي معلومات جديدة من فيكتور أنديرسون (هذا إن حصلت على معلومات في المقام الأول) وعرفت حق المعرفة أنها لن تحصل على أي شيء من الخال هنري، ولكن وجب عليها المضي قدماً بما أنها وصلت إلى هنا، كان بوسعها إنهاء زيارتها في تمام الساعة العاشرة صباحاً لأنها أرادت الاطمئنان على بيت والعودة إلى المدينة، هل كانت ستذهب للتحدث إلى إرني كوغينز؟ ربما ولكنها لم تحبذ الفكرة.

فكل أصابع الاتهام موجهة الآن لآل هاريس.

4

ذهبت هولي إلى مكتب الاستقبال، وأعلمت الموظفة باسم الشخص الذي كانت تريد زيارته، تحققت الموظفة وكان اسمها السيدة نورمان من حاسوبها، وأجرت اتصالاً سريعاً، قالت إن هنري سيرويس كان يستحم ويقص شعره، أما فيكتور أنديرسون فكان في الغرفة المشمسة مع أن ذهنه كان متيقظاً ولكن من الصعب فهمه، نصحت هولي بالانتظار قليلاً إلى أن تأتي زوجته فهي لا تتأخر عادة وبمقدورها أن تفهم ما يمكن أن يقوله.

قالت السيدة نورمان: «إن إيفيلين عملة نادرة».

وافقت هولي على انتظار زوجة أنديرسون حيث لمعت في بالها فكرة، لعلها كانت سيئة، ولكن لم يخطر شيء آخر في بالها، دخل شريكها إلى المستشفى، وكان جيروم في نيويورك وباربرا منشغلة مع صديقتها التي كانت تحتضر، ورغم ذلك لم تحبذ الاستعانة بها بعد حادثة شيت أوندوفسكي.

فتحت جهازها الآيباد، ونظرت إلى صور شارع 93 ريدج على زيلو حيث استخدمت خاصية التجول في الشارع، لقد رأت المنزل وما أرادته الآن هو معاينة المرأب ولكن أملها خاب.

كان الشارع منحدراً، ولم تستطع سوى رؤية السقف، كما أن تكبير الصورة لم

ينفعها، يا للأسف.

دخلت امرأة نحيلة ترتدي بنطالاً أبيض وتنتعل حذاء أبيض وكان شعرها الأشيب أنيقاً، واتجهت صوب السيدة نورمان، تحدثتا وأشارت السيدة نورمان إلى مكان هولي، وقفت هولي وعرّفت عن نفسها ودفعت مرفقها نحوها، لامسته السيدة أنديرسون وسألتها كيف تستطيع مساعدة هولي.

«أريد أن أطرح على زوجك بعض الأسئلة ولن أُتعبه، أنا أحقق في اختفاء شخص عمل في صالة بولينغ يدعى كاري دريسلر، فهمت أن السيد أنديرسون كان يلعب معه أحياناً، قالت لي السيدة نورمان إن بوسعك أن... في الواقع...»

ابتسمت السيدة أنديرسون وقالت: «أترجم لك؟ نعم، يمكنني القيام بذلك، لم أقابل السيد دريسلر، ولكنني أعرف من يكون، قال فيك إنه لاعب ماهر وشاب طيب واعتبره كفؤاً للغاية»، أخفضت صوتها وهمست لهولي: «أعتقد أنهما كانا يدخنان الحشيش معاً أحياناً».

همست لها هولي بدورها وقالت: «سمعت بهذا».

«هل تشكين في... يا إلهي... شيء غير قانوني؟»، لا تزال إيفيلين تبتسم من خلف قناعها.

قالت هولي التي شكت في هذا أيضاً إنها أرادت فقط معرفة مكانه.

قالت إيفيلين أنديرسون بحماسة: «هيّا بنا إذاً، أشك في أنه قادر على مساعدتك، ولكن دماغه متقد كالعادة وستنفعه رؤية وجه جديد».

كان بعض المسنين يتناولون الفطور في الغرفة المشمسة وعمل بعض المساعدين على إطعام بعض العجزة، كانت تعرض حلقة من ميبيري آر.إف.دي على التلفاز الكبير، وسمع صدى تسجيل الضحكات في الغرفة، كان فيكتور أنديرسون يجلس في كرسي متحرك عكس اتجاه التلفاز كي ينظر إلى المرج الذي يجزه رجل ليزيد من نضارته، لاحظت هولي أن أنديرسون كان بحجم رجلين، حيث كان ضخم الجثة عريض المنكبين كما كان صدره عريضاً.

في الوقت ذاته غطت الأكزيما ساقيه النحيلتين، كان أنديرسون يضع قناع أن 95 ولكنه أنزله على رقبته.

قالت إيفيلين: «مرحباً أيها الوسيم، هل تود الخروج في موعد؟».

التفت، ولاحظت أن نصف وجهه الأيسر كان متهدلاً وعليه ملامح التعب، أما نصفه الأيمن فكان سليماً. حاول أن يبتسم، قال: «مرحباً... أيتها الجميلة».

ربتت إيفيلين على شعره الأشيب، وقبّلت وجنته: «جئتك بصحبة هذه الفتاة، اسمها هولي غيبني، وهي تريد طرح عدة أسئلة عليك عن البولينغ، هل لديك مانع؟».

حرّك رأسه للأسفل وكأنه يومئ به ثمّ قال شيئاً غير مفهوم.

«يريد أن يعرف ماذا تريدين أن تسألي».

قالت هولي: «هل تتذكر كاري دريسلر؟».

قال أنديرسون شيئاً، وأشار بيده الثقيلة، كانت يده الأخرى تستلقي مسترخية على ذراع كرسيه وكفه إلى الأعلى.

«قال إن بوسعه سماعك فهو ليس أطرش».

احمرّت هولي من شدة الخجل وقالت: «آسفة جداً».

«لا عليك، يمكنني أن أضع له قناعه، ولكنني لن أتمكن عندها من فهم ما يقوله، لقد أخذ اللقاح شأنه شأن كل الموجودين هنا».

أخفضت صوتها ثمّ قالت: «رفضت ممرضتان ومساعدة أخذه فَفُصِلْن من العمل».

ربتت هولي على ذراعها وقالت: «وأنا أيضاً».

«تتذكر الشاب دريسلر أليس كذلك يا فيك؟ لقد دعوته بالكفؤ».

وافقها أنديرسون وقال: «أجا» وابتسم مجدداً بنصف فمه، خطر في بال هولي أنه كان يشبه لي جي. كوب في فيلم على الواجهة البحرية وفيلم اثني عشر رجلاً غاضباً قبل أن يصبح عاجزاً، أي إنه كان وسيماً وقوياً.

قالت إيفيلين: «اعذراني دقيقة» وتركتهما، ظهرت العمة بي على التلفاز، وقالت شيئاً طريفاً ثمّ ارتفع صوت الضحكات.

سحبت هولي كرسياً وقالت: «هل تتذكر كاري يا سيد أنديرسون؟».

«أجن».

«وتتذكر رودني هاريس أليس كذلك؟».

«أوودي! را-را! عن!»

عادت إيفيلين وفي يدها عبوة صغيرة من سيتافيل: «قال طبعاً، ولكنني لا أعرف معنى رات–رة».

قالت هولي: «أنا أعرف، تقصد الكرات الصغيرة أليس كذلك؟».

حاول أنديرسون أن يومئ برأسه مجدداً وقال: «صا–صا، حييح!»

قبّلته زوجته مرّة أخرى على جبهته، وجثت على ركبتيها، وفركت قدميه، لقد شعرت هولي أن هذه اللحظة مليئة باللطف لدرجة أنها أوشكت على الابتسام والبكاء في الوقت ذاته: «أجب عن أسئلة السيدة غيبني يا فيك، وسنحظى بزيارة لطيفة بعدها، هل تريد بعض الحليب؟».

«ليب».

«كل ما يثير فضولي يا سيد أنديرسون هو مدى علاقة البروفيسور هاريس بكاري، لا أعتقد أن علاقتهما كانت وثيقة؟».

حرّك أنديرسون طرفه الأيمن بطريقة تشبه المضغ، وكأنه يحاول إيقاظ طرفه الأيسر.

تكلم بعدها، ولكن هولي لم تستطع فهم سوى بعض الكلمات والجمل أما إيفيلين ففهمت كل شيء.

«قال إن رودي وكاري كانا صديقين».

وافقها أنديرسون وقال: «يقين!» وتابع كلامه، تابعت إيفيلين وضع مسحوق الترطيب على قدميه وهي تصغي إليه

ابتسمت عدة مرات، وضحكت أيضاً، وشعرت هولي أن هذا الصوت يعتبر أكثر صدقاً من تسجيلات الضحك على التلفاز.

«لم يكن البروفيسور يخرج مع الآخرين لتدخين الحشيش، ولكنه تعوّد شراء بيرة لكاري بعد اللعب، يقول فيك إن الأستاذ شجّع كاري ليتكلم عن نفسه حيث إن...»

قالت هولي: «لم يسبق لأحد أن طرح عليه هذا السؤال من قبل»، لقد فهمت ذلك الجزء تماماً، قالت لفيك: «دعني أتحقق من فهمي، ثمّ سأتركك لتتناول الحليب، يمكنك القول إنهما كانا صديقين جيدين؟».

أومأ أنديرسون رأسه بطريقته الغريبة وقال: «أجا».

«هل احتسيا البيرة معاً في صالة البولينغ؟ البولارو أو أياً ما كان اسمها؟».

«نيف أور إيليز».

قالت إيفيلين وهي تغلق عبوة سائل الترطيب: «نيكس دور أت نيليز، هل تريدين شيئاً آخر يا سيدة غيبني؟ فهو يتعب بسرعة هذه الأيام».

«هولي»، سمحت للمرأة التي تجثو على ركبتيها لترطب قدمي زوجها بمناداتها باسمها الأول: «ادعيني هولي، كما أنني طرحت جميع أسئلتي».

سألتها إيفيلين: «لماذا تهتمين بالبروفيسور هاريس؟». وجعّدت أنفها لبرهة، ولكن هولي انتبهت إليها.

«هل تعرفينه؟».

«ليس تماماً، ولكن عند انتهاء الجولات تعوّدوا الاجتماع لتناول العشاء في بيت واحد منهم للاحتفال، سواء فازوا أم خسروا، ولكن فريق فيك كان يخسر أكثر مما يربح».

قهقه أنديرسون بصوت أجش.

«أياً يكن الأمر، حان دورنا في يوم ما أقمنا حفلة شواء في باحتنا الخلفية واستولى البروفيسور على المشواة، قال... قال في الواقع... إنني كنت أشوي اللحم بطريقة غير صحيحة لأنني أزلت المواد المغذية منها أو ما شابه، ثمّ تصرفت بتهذيب وسمحت له بتولي الأمر ولكنني شعرت أنه تصرف بوقاحة، كما أنه...»

قاطعها أنديرسون وقال: «ني، شبه ني!»، كانت ابتسامته مروعة وساحرة في الوقت ذاته.

قالت إيفيلين: «هذا صحيح، لقد كان اللحم شبه نيء ولم أستطع تناول قطعتي، لماذا أنت مهتمة بالبروفيسور هاريس؟ اعتقدت أنك أردت التحقيق بشأن كاري».

تصنّعت هولي الحيرة وقالت: «هذا صحيح، ولكنني أعتقد أنني ألاحق دليلاً قوياً سبق لي أن تحدثت إلى عدد من أعضاء من الفريق، لقد تحدثت بالفعل إلى السيد ويلش والسيد كليبارد».

قال أنديرسون: «أووي، ذا مش جي».

قالت إيفيلين بلا وعي: «كان يدعى هيوي بالمشبك».

«نعم، فهمت ذلك، هل كان البروفيسور هاريس يمتلك شاحنة يا فيك؟».
لقد كرر أنديرسون حركة المضغ تلك وهو يُفكّر بالإجابة ثمّ قال:
«أوبايو».
قالت إيفيلين: «لم أفهم هذا يا عزيزي».
ولكن هولي فهمت: «يقول إنها سوبارو».

6

أخبرت هولي السيدة نورمان عند مكتب الاستقبال أنها ستعود لزيارة خالها، ولكنها نسيت شيئاً في سيارتها، كانت تكذب فهي خرجت لتدخن سيجارة كي تستطيع التفكير بعمق.

دخّنت في مكانها المعتاد لتستنشق النيكوتين قبل أن تقابل خالها الذي نجا من كورونا وهو لا يزال على قيد الحياة في عالم داكن من التناقضات، أو لعل التناقضات قد غابت هي الأخرى، وهو لا يزال يحظى بلحظات من الوعي، ولو أتت متباعدة، أصبح دماغه المتقد راكداً بعد أن كان متميزاً بحفظ جميع الأسماء والأرقام ناهيك عن إخفاء المال عن ابنة أخته.

لقد سُرت بزيارتها لفيك أنديرسون لأنها شهدت هذه العاطفة الأبدية بين الزوجين بالإضافة إلى أنها رأت رودني هاريس في ضوء أوضح، كان يقود شاحنة سوبارو بدلاً من شاحنة المعاقين -ولم تُفاجأ لأنه لم يكن معاقاً في المقام الأول- ولكن اتضح لهولي أنه أشبه بشخص يغطي على سفاح ريد بانك أو يساعده.

قال البروفيسور هاريس إن معرفته بكاري دريسلر سطحية، ولكن وفقاً لفيك تعوّدا احتساء البيرة معاً في الحانة المجاورة -لا بد أنها لم تتعارض مع أفكار هاريس عن المواد المغذية كالحشيش، قال أنديرسون إن هاريس شجّع دريسلر على أن يتكلم عن نفسه حيث «لم يسأله أحد هذا السؤال من قبل».

هل هو بروفيسور مسن وطيب يتعامل مع رجل وحيد؟ هذا ممكن، وإذا كانت هذه هي الحقيقة فلماذا أخفاها هاريس؟ فكّرت هولي أن رودني هاريس كان معجباً بدريسلر كما كانت زوجته معجبة ببوني وفقاً للاكيشا، ولكنها استبعدت الفكرة ورجّحت أن

يكـون هاريـس مسـاعداً في جمـع المعلومات، بالطبع لن يقتل هاريس أشـخاصاً وهو في هذه السـنّ كما أنها استسـخفت فكرة مسـاعدة زوجته له، اعتقدت هولي أن ظنها في مكانه، وأنهما كانا يتسـتران على شـخص آخر، كان عليها أن تتأكد إن كان لديهما أولاد، ولكنها أرادت تأجيل هذا الآن كي ترى الكائن الذي يشبه خالها بالشكل فقط.

وحين نهضت خطر في بالها شيء آخر، لم تُفضّل هولي الفيسبوك، كانت تدخل إلى حسابها الشخصي بين الفينة والأخرى كي لا يلغى حسابها، ولقد استخدمت هذه المنصة في أغلب الأوقات تحت اسم لورين باكالفان، فتحت صفحة حسابها وزارت صفحـة بينـي دال، كان يفتـرض بهـا أن تدخلهـا مـن قبـل ولم تُفاجأ حين رأت اسـمها الشخصي.

وصفـت علـى أنهـا «المحقّقة المشـهورة هولـي غيبني». تلك الصفـة التي لطالما كرهتها، وكان حرياً بها أن تطلب من بوني عدم ذكر اسمها ولكن لم يخطر هذا في بالها.

تساءلت إن كان البروفيسور هاريس يعرف أنها تتحرى عن اختفاء بوني دال، وفي حال توصل إلى هذا اليقين، فإن ذلك يعني أنه يسبقها بخطوة.

قالت هولي: «على الأقل أصبحت وإياه على المسار نفسه».وعادت إلى دار رعاية المسنين لزيارة خالها.

7

فكّـرت وهـي تطـرق الباب: ها قد دخل مليونير جديد إلى جناح المسـنين، كانت بعض غرف دار الرعاية هذه فردية ولكن معظمها كانت مزدوجة لتخفف الضغط على الممرضات والمسـاعدين والأطباء (كما أنها صممت لمضاعفة الأرباح)، وكان هناك أربعـة أجنحـة يتألـف كل جنـاح منها من غرفتين، وكان الخال هنري يقيم في واحد من هذه الأجنحة، إذا فكّرت هولي يوماً في الطريقة التي استطاع المحاسب المتقاعد هنري سيرويس بها تحمل تكاليف هذا الجناح (لم تتذكر أنها فكرت في هذا الأمر من قبل) فرجحت أن روحه مباركة لأنه كان سيمضي شيخوخته هنا.

لكنها الآن أصبحت تعرف ما كان خَفِياً عليها.

كان هنري يجلس في غرفة المعيشـة ويرتدي سـترة مرقطة وبنطال جينز واسـع،

وبدا نحيل الجسد أنيق الشعر حليق الذقن، تسلّطت أشعة الشمس على وجهه الذي سال عليه اللعاب، رأت شراباً من البروتين فيه قشة على الطاولة بالقرب منه، سألها مساعد إن أرادت مساعدته على شربه فقالت له هولي إنها ستسر بذلك، كان التلفاز يعمل ويعرض برنامج ألعاب مُسجلاً تُقدمه ألين لادين التي توفيت منذ زمن بعيد.

تأملت هولي الأثاث البسيط والأنيق بما فيه سرير كبير وسرير طبي في الغرفة الثانية، فشعرت بغضب عارم لا يشبهها، رأت أن من حقها الشعور بالغضب، ولكن الشعور بخيبة الأمل لم تكن من شيمها المعتادة، ولكن الظروف كانت مختلفة في هذه الغرفة.

قالت لنفسها: باع عيسَو بكوريته لقاء طبيخ من العدس، ولكنني لم أبع حقي لأي أحد بل سرقاه مني... أو حاولا، وهذا سبب غضبي كما أن الفاعلين بعيدان عني وأفلتا من العقاب مع أن أحدهما لا يزال يتنفس أمامي، أعتقد أن هذا هو سبب عجزي.

سألت وهي تُقرّب كرسيها: «كيف حالك اليوم يا خالي هنري؟». حاول المشاركون في برنامج المسابقات الذي يُعرض على شاشة التلفاز حل اللغز، ولكن من دون جدوى، أرادت هولي مساعدتهم حينها.

حرّك هنري رأسه لينظر إليها، واستطاعت سماع طقطقة عظام رقبته وكأنها مصنوعة من المعدن الصدئ، قال: «جيني» وعاود النظر إلى التلفاز.

«لا، أنا هولي».

«هل يمكنك إحضار الكلبة؟ فأنا أسمع نباحها».

«اشرب بعضاً من هذا».

حملت شراب البروتين الذي وضع في كأس بلاستيكية غير قابلة للكسر.

أمسك القشة بشفتيه المتشققتين من دون أن يكفّ عن النظر إلى التلفاز، لقد قرأت هولي عن الزهايمر، وعرفت أن بعض الأمور تبقى عالقة في الدماغ، فعلى سبيل المثال تمكن الأشخاص الذين لا يتذكرون أسماءهم ركوب الدراجة أو ترديد أغاني مشهورة من دون تذكر الطريق الذي يؤدي إلى منزلهم، كما أن بعضهم يستطيعون الشرب بواسطة القشة كما كانوا في طفولتهم حتّى في أوقات الهذيان، بالإضافة إلى أن بعض الحقائق لا تزول من الذهن.

«هل تتذكر من كان خامس رئيس للولايات المتحدة الأميركية يا خالي هنري؟».

قال من دون تردد وهو يركّز على التلفاز: «جيمس مونرو».

«ومن هو الرئيس الحالي؟».

«نيكسون، نيكسي-بيبز»، قهقه فسال الشراب على ذقنه، مسحته هولي قبل أن يلوث سترته.

«لمَ فعلت هذا يا خالي هنري؟». ولكن لم يكن هذا السؤال الصحيح -كما أنها لم تتوقع جواباً في المقام الأول، كان هذا السؤال مجازياً: «دعني أصغ الأمر بصيغة أدق، لم سمحت لها بفعل هذا؟».

«ألن تصمت تلك الكلبة؟».

لن تستطيع الكلبة الصمت لأنها ماتت، ولكن هولي تستطيع كتم صوت التلفاز، أمسكت بجهاز التحكم وكتمت الصوت.

«لم تتمنَ لي النجاح أليس كذلك؟ لم تردْ أن أحظى بحياة خاصة بي».

استدار الخال هنري نحوها وفمه مفتوح ثمّ قال: «جيني؟».

«وسمحت لها».

رفع هنري يده كي يمسح فمه وقال: «سمحت لمن؟ بفعل ماذا؟ لمَ تصرخين يا جيني؟».

صرخت هولي وقالت: «لوالدتي»، كانت تستطيع اختراق جدار الركود في عقله إذا صرخت، وأرادت ذلك للغاية بل كانت في أمس الحاجة إليه «شارلوت غيبني».

«شارلي؟».

ما النفع من هذا؟ لا شيء، خاطبت نفسها: يدخل مليونير إلى حانة ويكتشف أنه لا نفع من هذا، مسحت هولي عينيها بكمها.

فُتح الباب، وسألها المساعد الذي سبق لها أن رأته باستغراب: «هل كل شيء على ما يرام هنا؟».

قالت هولي: «نعم، رفعت صوتي ليسمعني فهو أطرش إلى حدّ ما كما تعرف».

أغلق المساعد الباب، ورأت هولي الخال هنري يحدق إليها، وبتعبير أدق حملق بها وملامح الحيرة تعتلي وجهه، لقد كان رجلاً مسناً يعاني من الخرف يقيم في

جناح يحتوي على غرفتين وسيبقى مقيماً فيه طالما بقي على قيد الحياة يشرب شراب البروتين، ويشاهد برامج المسابقات، كانت ستزوره لأن هذا واجبها، وبالطبع فإنه سيناديها بجيني، لأن جيني هي المفضلة لديه.

قالت هولي، ولكنها لم تخاطبه لأنه لم يكن حاضراً سوى بجسده: «أما هي فلم تُبدِ أي ملاحظة، ولم تشعر بحاجة إلى تبرير موقفها أو الاعتذار، وهذا ما كان يمكن ملاحظته في سلوكها».

قال الخال هنري: «جيمس مونرو، حكم بين عامي 1817 و1825 وتوفي عام 1831 في الرابع من تموز، أين هو ذلك الشراب؟ إن طعمه مقزز ولكن حلقي جاف».

رفعت هولي الكوب، فشرب خالها هنري من القشة، شرب إلى أن أنهى ما في الكوب، وحين أنزلت الكوب بقيت القشة في فمه فبدا مظهره وكأنه مهرج، سحبتها من فمه وقالت إن عليها المغادرة، لقد شعرت بالعار بسبب ثورة غضبها، رفعت جهاز التحكم لتغير قناة التلفاز ولكنه وضع يده التي غطتها التجاعيد على يدها.

قال: «هولي».

أدهشها الأمر ونظرت إلى وجهه ثمّ قالت: «نعم»، عكست تعابير وجهه تركيزاً عالياً بالنسبة إلى شخص بمثل وضعه.

«لم يستطع أحد الوقوف في وجه تشارلي فلطالما حصلت على مرادها».

فكّرت هولي: لكنها لم تستطع تحقيقه معي، لقد هربت منها بمساعدة بيل، لقد كان بيل، القشة التي تمسكت بها لأنفد بجلدي. «هل خرجت من حالة الهذيان لتقول لي هذا وحسب؟».

لم يجبها فقبّلته وقالت له إن عليها الذهاب.

قال: «أحضري الرجل يا جيني، ذلك الرجل الذي يأتي إلى هنا دائماً، قولي له إنني بحاجة إليه حيث أعتقد أنني بللت نفسي».

8

جلست باربرا في غرفة معيشة أوليفيا لترد على رسالة هولي، ولكن ماري نادتها من أعلى الدرج وقالت: «أعتقد أن عليك المجيء يا عزيزتي فهي تريد مقابلتنا، أعتقد...

أعتقد أنها تلفظ أنفاسها الأخيرة».

أرسلت باربرا الرسالة من دون أن تنهيها وصعدت إلى الأعلى، تخرجت أوليفيا كينغسبري من برين مور واستمرّت شاعرة لمدة ثمانين سنة تقريباً، ورشّحت لجائزة الكتاب القومية، ونُشر خبر ترشيحها لنوبل مرتين: مرّة على الصفحة الأولى لنيويورك تايمز (وهي تترأس حملة للسلام وتحمل جانباً من لافتة كتب عليها فلتخرج الولايات المتحدة الأميركية من فيتنام الآن)، كما درّست لفترة طويلة في جامعة بيل للآداب والعلوم ولكنها تعمل الآن مرشدة لباربرا روبينسون، وقفت ماري بالقرب من أحد جانبي سريرها ووقفت باربرا بالقرب من الجانب الآخر، أمسكتا بيديّ الشاعرة، لم تقل أي كلمات أخيرة، بل نظرت أوليفيا إليهما، وابتسمت ثمّ توفيت، وتوفي معها عالم من الكلمات الشاعرية.

9

في طريقها إلى المدينة توقفت هولي عند فرع لواوا كي تزود سيارتها بالوقود، وبعد أن ملأت خزانها اتجهت إلى أبعد نقطة في المرأب لتدخن في وضعيتها المعتادة حتى لا تلوث سيارتها بالدخان، وضعت مرفقيها على ركبتيها وقدميها على الرصيف، تحققت من هاتفها ورأت أنها تلقت رسالة من باربرا رداً على رسالة هولي: أي واحد منهما؟ وألحقت هذا السؤال بطلب مفصل: هل تعرفتِ إلى رودني هاريس؟ هل التقيتِ به؟ أعرف أنك منشغلة ولكن تواصلي معي حين تستطيعين.

كان الرد كالتالي: لقد قصدت إيميلي هاريس من أجل الإرشاد ولم أتجرأ على إزعاج أوليفيا، كان البروفيسور هاريس يغسل سيارته، واكتفينا بتبادل التحية، وبالمناسبة لقد أضفت خورخي كاسترو لخريطة جي ولكن ربما هذا ليس مه...

انتهت الرسالة هنا، اعتقدت هولي أن باربرا أرسلتها عن طريق الخطأ ثمّ انشغلت بشيء آخر، لطالما فعلت هولي هذا مع معارفها، تذكرت أن جيروم أخبرها أنه وضع إشارة لجميع حالات الاختفاء على خريطة مطبوعة ولكن من هو خورخي كاسترو هذا؟

اتصلت بباربرا لتكتشف الأمر، رنّ هاتف باربرا بصوت خافت على منضدة أوليفيا كينغسبري في غرفة المعيشة، أوشكت هولي على ترك رسالة لها، ولكنها بدّلت رأيها، أقفلت سيارتها ودخلت إلى مطعم واوا الصغير (لقد كان مجرد متجر للوجبات الخفيفة في الواقع) ولكنه يتيح لزبائنه الوصل إلى إنترنت مجانية، اشترت شطيرة برغر ومعها صودا وجلست ثمّ فتحت الآيباد، أدخلت اسم خورخي كاسترو، وحصلت على كثير من النتائج، كان من بينها: خورخي مليونير يعمل بتجارة السيارات وخورخي لاعب كرة قاعدة، رجّحت أن يكون كاسترو هو الروائي الذي لديه روابط مع جامعة بيل، وجدت مقالاً من صحيفة الجامعة أسفل صفحة كاسترو على ويكيبيديا، ضغطت على الرابط وهي تتناول شطيرتها من دون أن تستطعمها، كانت شبكة المتجر بطيئة ولكنها حصلت على نتيجة في النهاية.

وجدت عنواناً عريضاً، لذا اعتقدت هولي أن هذا العنوان تصدر العدد الذي نشر في التاسع والعشرين من تشرين الأول عام 2012.

اختفاء الروائي المشهور فجأة

بقلم كيرك إيلوي

اختفى الكاتب خورخي كاسترو الحائز على عدة جوائز المعروف بروايتي الإغماء التخشبي والمدينة المنسية فجأة وبشكل غير متوقع، وهو كاتب مقيم في قسم الخيال الأدبي المشهور ضمن جامعة بيل، لقد مر شهران على بدء تدريسه للفصل الرابع في جامعة بيل وكان محبوباً بين طلابه.

قالت بريتني أنغليتون التي باعت لتوها أول رواية خيالية لها (المستذئبون!) لكروفتيرز برس: «لا أعرف ماذا سأفعل من دونه»، أضافت أنه وعدها بتنقيح عملها الحالي، وقال جيريمي بروك: «لقد كان أفضل مُدرّس للكتابة قابلته في حياتي»، تحدث طلاب آخرون عن لطفه وحس دعابته العالي، وافق طالب لم يرد ذكر اسمه على هذا

ولكنه أضاف: «كان يعمل على رفع عملك من القاع إذا كان سيئاً».

قال فريد مارتن الذي اعتاد أن يعيش مع كاسترو أنهما تناقشا مطولاً بخصوص مستقبلهما، ولكنه أضاف: «لم نتجادل فلا أعتقد أن نقاشاتنا وصلت مرة إلى مرتبة الحدّة، كنا نحب بعضنا ونثمن علاقتنا كثيراً ونترفع عن الجدال، كانت نقاشات صريحة وحسب، بمعنى تبادل لوجهات النظر، أردت المغادرة في نهاية الفصل، ولكن خورخي أراد البقاء حتّى نهاية السنة، وكان يفكر بالانضمام إلى الكادر التدريسي».

أياً يكن الأمر، فلا بد أن تلك النقاشات كانت أقرب إلى الجدال، إلا أن السيد مارتن لم يرد الاعتراف بهذا، على أن مصدراً في قسم الشرطة أفاد بأن كاسترو ترك ملاحظة تفيد «لقد نفدت طاقتي على التحمل».

وحين سئل السيد مارتن عن هذا قال: «هذا سخيف للغاية، لم أراد البقاء، إذا كان هذا ما يشعر به؟ لو كنت مكانه لوددت المغادرة حيث ضقت ذرعاً برهاب المثلية الشائع في الغرب الأوسط».

شارك كاسترو في فصل الربيع ضمن حملة لإنقاذ ورشة الشعر، ولكن الحملة باءت بالفشل، قال عضو من الهيئة التدريسية في قسم اللغة الإنكليزية لم يود ذكر اسمه: «لقد كان خورخي طليق اللسان بالفعل، ولكنه قبل بالقرار النهائي بصدر رحب، أعتقد أنه عزم على إثارة الموضوع مرة أخرى عندما يعاود الالتحاق بالهيئة التدريسية، قال إن الشاعرة المشهورة (والأستاذة المتقاعدة) أوليفيا كينغسبري كانت تسانده الرأي، وستسر بالتحدث إلى أعضاء القسم إذا أثار الموضوع مجدداً».

وحين سئل السيد مارتن عن زمن اختفاء كاسترو أجاب أنه لا يعرف لأنه غادر المنزل.

كانت هناك صورة لخورخي كاسترو وهو يُدرس وأخرى من الغلاف الأخير لأحد كتبه، اعتقدت هولي أنه كان وسيماً للغاية، ولكن ليس بوسامة أنطونيو بانديراس (وهو المفضل لديها) ولكنه كان يشبهه إلى حدّ ما.

لم تعتقد أن المقال الذي قرأته لتوها قيم لدرجة أن يتصدر صحيفة مهمة على الرغم من ركود الإعلام المطبوع، شعرت أن لهذا المقال غاية خفية ذكرتها بإينسايد فيو أو أعمدة النميمة في نيويوركس بوست ولكنها استفادت منه، يا إلهي! لقد شعرت بذلك الدفء المعهود وهو يسري في عروقها وفكّرت: لا عجب أن باربرا أضافت كاسترو إلى خريطة جيروم.

لا بد أن أوليفيا كينغسبري هي من أخبرتها عنه، وكان هذا مطابقاً، أليس كذلك؟ حتّى الملاحظة كانت مطابقة، كاسترو: «لقد نفدت طاقتي على التحمل»، بوني دال: «لقد ضقت ذرعاً»، ولكن يفصل بين الاختفاءين تسع سنوات...

وقتها لم تكن الشرطة تفتقد إلى الموظفين بسبب كورونا ولم يكونوا متخوفين من اندلاع العنف في احتجاجات حركة حياة السود مهمة، ولم تعثر على جثة أو أي شيء غير دراجة نارية ودراجة هوائية ولوح تزلج...

تمتمت هولي لنفسها: «لن يتحقق هذا حتّى لو أشرقت الشمس من الغرب».

خورخي كاسترو عام 2012، كاري دريسلر عام 2015، إلين كراسلو وبيتر ستينمان عام 2018، وبوني دال عام 2021، كانت تلك الحوادث تبعد عن بعضها بفارق ثلاث سنوات فقط باستثناء إلين وبيتر، دعونا نفترض أن أحداً منهما قد هرب، ولكن أليس هناك احتمال بأن خطباً ما قد دهمه؟ أي لم يوافق مطالب السفاح؟ ولكن ما هو غرضه؟ لطالما التزم القتلة المتسلسلون الذين لديهم دافع جنسي بالرجال (كغيسي ودامير) أو بالنساء (باندي وريدير وإلخ...)، أما سفاح ريد بانك فقد اختطف أفراداً من الجنسين... بما فيهم فتى صغير.

لماذا؟

اعتقدت هولي أن الشخص القادر على إجابتها عن هذا السؤال هو البروفيسور رودني هاريس الملقب بسيد الكرات الصغيرة وسيد اللحم.

ذكّرها ذلك اللقب بجيفري دامير، ولكنها استسخفت هذا ولم تستطع تصديقه.
ألقت هولي شطيرتها في القمامة، وأخذت زجاجة الصودا وغادرت.

10

كانت هذه فكرة باربرا ووافقتها ماري مباشرة في حال تمكنهما من أخذ موافقة رئيسة قسم اللغة الإنكليزية روزالين بوركهارت.

خرجت المرأتان إلى شرفة أوليفيا لتشربا الصودا وتنتظرا وصول طاقم دار كروسمان للجنائز ليأخذ جثمان الشاعرة الكبيرة، لم تواجها أي صعوبات في الترتيبات حيث أطلعت أوليفيا ماري على كل شيء بعد الوعكة الأخيرة التي تعرضت لها، حتّى أنها اختارت الموسيقى (في البداية: أغنية فلوغينغ مولي إذا غادرت هذا العالم يوماً وأنا على قيد الحياة أما في النهاية: فروح في السماء لنورمان غرينبوم)

لكنها لم تحدد تفاصيل اللقاء التأبيني في جامعة بيل، وهذا ما اقترحته باربرا.

حين سمعت روزالين أن أوليفيا توفيت أجهشت بالبكاء، لقد فعّلت ماري خاصية مكبر الصوت فأجهشن معاً في البكاء، حين انتهت موجة البكاء أخبرت باربرا الأستاذة بوركهارت بفكرتها فوافقت عليها فوراً.

قالت: «يمكننا أن نجتمع في الخارج كي لا نلزم الناس بوضع الأقنعة إذا وافقوا على ترك مسافة ست أقدام بين بعضهم، هل تودين أن نقرأ أشعارها؟».

قالت ماري: «نعم، لدينا العديد من النسخ، سأحضرها ويمكننا توزيعها».

قالت روزالين: «تغرب الشمس قرابة الساعة التاسعة في هذا الوقت من السنة، يمكننا الاجتماع في الساحة عند الساعة...الثامنة تقريباً ما رأيك؟».

نظرت باربرا إلى ماري ووافقتا على الموعد.

قالت روزالين: «سأجري اتصالاتي وهل يمكنكِ أن تجري اتصالاتك سيدة دوشامب؟».

«بالطبع، ربما يزداد العدد قليلاً ولكن لا بأس في ذلك».

قالت باربرا: «سأرافق جثمان أوليفيا إلى دار الجنائز، أريد قضاء مزيد من الوقت في الكنيسة كي أُفكّر بشكل أوضح»، خطرت لها فكرة جديدة فقالت: «هل يمكنني

إحضار الشموع؟ يمكننا إشعالها في التأبين».

قالت روزالين: «إنها فكرة رائعة، هل أنت الشاعرة الواعدة التي حدثتنا عنها أوليفيا؟ لقد كانت تتحدث عنك، أليس كذلك؟».

قالت باربرا: «أعتقد هذا، ولكنني لا أستطيع التفكير الآن بأحد سواها، أحببتها كثيراً».

قالت روزالين: «لقد أحببناها كلنا»، ثمّ ضحكت في الوقت الذي كانت الدموع تنهمر فيه من عينيها، «باستثناء إيميلي هاريس، انضمي إلينا حين تستطيعين يا باربرا، يقع مكتبي في تيريل هول، أعتقد أن الجميع تلقوا اللقاح أليس كذلك؟».

تبعت باربرا عربة دفن الموتى إلى دار الجنائز، جلست في الكنيسة وهي تفكر في أوليفيا، وخاطبت نفسها: هذه هي الطريقة التي تغلق فيها العصافير باب السماء، وهذا ما جعلها تبكي بحرقة، سألت مدير دار الجنائز السيد غرير عن الشموع، فأعطاها علبتين منها، وقالت إنها ستجمع المال من الحاضرين في تأبين أوليفيا.

قال السيد غرير إن هذا ليس ضرورياً، اتجهت إلى حرم بيل وانضمت إلى روزالين وماري وأتى أفراد آخرون.

خرجوا إلى الساحة التي اجتمعت فيها الدموع والضحكات والقصص، كما تبادل الناس فيها أسماء قصائدهم المفضلة، حصلت اتصالات إضافية وانضم مزيد من الأشخاص، وصلت صناديق النبيذ وجرى تبادل للأنخاب، وشعرت باربرا بشعور لا يوصف ألا وهو تلاقي العقول المتشابهة، وتمنت لو انتمت إلى الناس الذين يعتبرون القصص والقصائد أكثر أهمية من الأسهم والمال، ولكنها حدّثت نفسها قائلة: ولكنني منهم، حمداً لله لأنه وضعك في طريقي يا أوليفيا.

مرت العشية بسلام، وكان هاتف باربرا منسياً على المنضدة في غرفة معيشة أوليفيا كينغسبري.

11

في تمام الساعة الثالثة من بعد الظهر جلست هولي في مكتبها، وبرزت أمامها صورة بيل هودغينز في إطار، راحت هولي تتأمل تلك الصورة، كم تمنت لو أنه معها

الآن، فهي الآن لا سند لها -إلا إذا أرادت الاتصال بإيزي غاينز ولكنها لم تحبذ الفكرة- كانت هولي بمفردها.

توجّهت صوب النافذة، ونظرت إلى شارع فرانكلين، لطالما ساعدتها مراقبة ذلك الشارع في التعبير عن أفكارها بصوتٍ عالٍ وهذا ما فعلته.

«لم أتفاجأ بأن الشرطة لم تكتشف حتى الآن حيثيات الموضوع، لأن هذا الرجل تصرف بدهاء فيما يتعلق بعمله».

فكّرت: وما الذي كان سيمنعه من هذا؟

«وما الذي كان سيمنعه من هذا؟ إذا صح تخميني: لقد حظي بمساعدة بروفيسور في العلوم في البحث عن المعلومات وزرع معلومات مشككة في بعض القضايا، ولعل زوجته عملت على مساعدته أيضاً وهي ذكية للغاية، لم تُكتشف أي جثث لأنهم تخلصوا منها بطريقة أو بأخرى ولم يعثر حتى الآن على رابط واضح بين الضحايا، ليست لديّ فكرة عن دافع السفاح أو عن سبب مساعدة آل هاريس له ولكن حقيقة أن...»

توقفت لبرهة وقالت لنفسها: (اعتاد بيل أن يقول إن التفكير هو طريق المعرفة)، ثمّ تابعت التحدث إلى النافذة المطلة على شارع فرانكلين أي التحدث إلى نفسها.

«إن إدراك اختلاف الضحايا يدفع إلى تسليط الضوء على المنهجية التي اتبعت بحدّ ذاتها، فلكل ضحية قضية... باستثناء الفتى ستينكي، وأعتقد أنه كان ضحية الفرصة... في كل قضية هناك آل هاريس في الخلفية، اعتاد رودني لعب البولينغ مع دريسلر، أما كراسلو فعملت في المبنى الذي أُرجح أن رودني كان يمتلك مكتباً فيه، وعملت بوني كواحدة من متقمصي شخصية بابا نويل في عيد الميلاد.. والآن ظهر خورخي كاسترو، كانت إيميلي هاريس زميلته في قسم اللغة الإنكليزية التابع لجامعة بيل، أعتقد أن الزوجين هاريس متورطان بهذا الأمر من أعلى رأسيهما حتّى أخمص قدميهما، هل استخدما شاحنة للمعاقين؟ هل أدى أحدهما دور العاجز؟».

لم تستطع إثبات شيء، ولم يكن أمامها سوى أمر واحد لتقوم به، لقد شابه هذا الأمر إعطاء شاهد محتمل عدة صور ليرى إن كان حدسه وليس معلوماته سيتيح له التعرف إلى الفاعل.

بحثت في الآيباد، وتوصلت إلى صورة المكان الذي تريده، وأيضاً إلى رقم إيماني

ماغواير في ملاحظاتها وسعت إلى الاتصال بها.

عرّفت هولي عن نفسها مجّدداً، وسألتها إن كان لديها إنترنت على هاتفها.

قالت إيماني بحماسة: «بالطبع لديّ، أليست هذه حال كل الناس؟».

«حسناً، اذهبي إلى موقع جامعة بيل، هل تستطيعين ذلك؟».

انتظري... عليّ فتح مكبر الصوت...حسناً، لقد وجدته».

«اختاري العام، هذا الخيار متاح على القائمة».

«حسناً، أي عام؟ تبدأ الأعوام من 1965».

لقد حددت هولي العام بالفعل، وكانت تنظر إليه على جهازها: «2010».

قالت إيمي باهتمام بالغ: «حسناً، ماذا بعد؟».

«اذهبي إلى قسم اللغة الإنكليزية، هل ترين صوراً لرجال ونساء؟».

«نعم، لقد وجدتها».

عضت هولي على شفتيها، لقد حانت لحظة الحقيقة: «هل ترين المرأة التي أتت وأخذت أغراض مقصورة إلين؟».

لم تحاول إيماني إخفاء ردّ فعلها الحقيقية وقالت: «يا إلهي إنها هي! ولكنها هنا أصغر سنّاً، أنا شبه متأكدة من أنها هي».

كان محامي الدفاع سيقتنص هذه الفرصة في المحكمة، ولكنهما ليستا في محاكمة الآن.

«ذُكر هنا أن اسمها إيميلي هاريس».

قالت هولي وهي ترقص أمام شارع فرانكلين: «نعم، شكراً لك».

«لماذا تأخذ أستاذة الجامعة الأغراض من مقطورة إلين؟».

«هذا سؤال يستحق الإجابة عنه أليس كذلك؟».

12

كتبت هولي تقريراً أولياً ذكرت فيه كل ما توصلت إليه سواء من خلال جهودها الخاصة أو من خلال التلميحات التي ألقى لها القدر بها، فضّلت الاعتقاد (ولكن هذا لم يعنِ أنها تصدق بهذا) بأن القدر يولي هذا النوع من البحث عناية خاصة في ما يتعلق

بالخطأ والصواب، لعلها عناية عمياء ولكنها قوية كالقوة التي يرمز إليها تمثال سيدة العدالة التي تمسك بالميزان، أي أن هناك قوة من الرجال والنساء تقف إلى جانب الضعيف الخيّر في مواجهة القوي الشرير، لعل الأوان قد فات على بوني والآخرين، ولكن الانتصار لهذه القضية سيتحقق وبذلك يمكن وضع حدّ لجرائم مماثلة قد تحدث في المستقبل.

أرادت اعتبار نفسها إلى جانب الضعيف الطيب، ولكن إرادتها لم تستطع أن تحجب ضعفها أمام سيجارة تُدخّنها.

لقد عملت ببطء على التقرير الذي تخللته عدة فرضيات ولم تنهِ قبل المساء، تساءلت إلى من سترسله، لم ترد ارساله إلى بيني التي فضّلت مقابلتها بشكل شخصي –فلم ترد إرسال أخبار مروعة لها بصيغة رسمية في بريد إلكتروني كما قال موظف جيت مارت هيريرا.

اعتادت إرسال رسائل إلى بريد شريكها، ولكن بيت في المستشفى، ولم ترد إزعاجه بقضيتها الحالية... التي نصحها ألا تقبل بها.

ولكن هذا محض هراء.

في الوقت الحالي لم ترد إرسال تقريرها لا إلى شريكها بيت ولا إلى أي شخص آخر، لقد قطعت هولي شوطاً طويلاً بعد أن كانت انطوائية وخجولة حين قابلت بيل هودغيز قرب دار جنائز منذ عدة سنوات، إلا أنها ظلت محتفظة بمشاعرها الأنثوية في مكان عميق في داخلها.

تعوّدت تلك المرأة الخوف من الوقوع في الخطأ إذ لم تكن شديدة الثقة بأنها على صواب وإن كانت كذلك، لقد اختلفت جداً عن المرأة التي لطالما اعتقدت أنها مخطئة، ولكن آثار انعدام الثقة لا تزال ظاهرة حتى وإن وصلت إلى عمر الستين أو السبعين أو الثمانين –هذا إن وصلت إلى هذا العمر، ولكنها لم تعتقد يوماً بأنها ستصل إلى هذا العمر لأنها مُدخنة– إنها لا تزال تستيقظ ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع لتتأكد من أنها أوقفت عمل الفرن وأقفلت الأبواب مع أنها شبه متأكدة من أنها فعلت ذلك، وإن كانت القضية التي تتابعها تشبه البيضة فعلاً فهي أيضاً تشبه البيضة، ولكن قشرتها أكثر هشاشة، فهي لا تزال تخاف أن يتنمر الناس عليها وينادوها جيبا–جيبا،

تلك كانت المخاوف التي تحملها معها.

أريد التحقق إن كانت الشاحنة هناك، وعندها سأتأكد من الأمر.

نعم، اعتبرت أن التحقق من أمر الشاحنة وتعرّف إيمي ماغواير إلى إيميلي هاريس بصفتها المرأة التي أخذت الأغراض من مقصورة إلين كراسلو أمران كافيان لتأكيد شكوكها، وذلك ما جعلها تنوي إخبار والدة بوني بكل شيء في تمام الساعة التاسعة.

يمكنها عند ذلك أن تعطي بيني الخيار في أن تتابع التحقيق معها أو تتوجه معاً إلى إيزابيل غاينز من شرطة المدينة، ولو أنها هي رجّحت الخيار الأخير لثقتها بأن لدى إيزي من السلطة ما يسمح لها باستدعاء آل هاريس للتحقيق.

وفقاً لصفحتهما على ويكيبيديا ليس لدى الزوجين هاريس أبناء، على أننا لا يمكن أن نثق بكل ما يذكر على ويكيبيديا، كل ما هي متأكدة منه هو أن هذين الشخصين كانا يحميان شخصاً ما.

لم تحاول خداع نفسها وتصديق أن الزوجين هاريس لم يكونا مؤذيين لأنهما في الثمانين من العمر، على إن جميع الكائنات الحية قادرة على الدفاع عن نفسها إذا ما حوصرت في الزاوية مهما يكن عمرها، ولكن رودني هاريس لم يعد يلعب البولينغ بسبب وركيه، ووفقاً لإيماني فإن زوجته تعاني من آلام عرق النسا، اعتقدت هولي أن بوسعها مواجهتهما بما جمعته من معلومات إذا توّخت الحذر، ولكنهما سيبلغان عنها على الأرجح إذا أمسكا بها وهي تتلصص على منزلهما... ولكن هل سيبلغان عنها إذا كانت شاحنة المعاقين المركونة في المرأب منجماً للبصمات؟

لاحظت هولي أنها أمضت خمساً وأربعين دقيقة أمام تقريرها الأولي ولم تحقق تقدماً، وكأنها هامستر يدخل متاهة، لو كان بيل مكانها فإنه سيقول إن الوقت حان لتضرب أو تهرب...لم ترسل تقريرها إلى أحد بل خبأته بحيث أن بإمكان بيت أن يعثر عليه إذا ما أصابها مكروه، وكذلك جيروم حين يعود من مغامرته العظيمة.

فتحت خزنة الجدار، وأخرجت منه مسدساً عيار 0.38 سميث أند ويسون، كان من الطراز الفيكتوري ويعود لوالد بيل انتقلت ملكيته إلى بيل، وأصبح الآن ملكاً لهولي، عندما كان بيل يعمل في الشرطة كان يستخدم مسدس غلوك الأوتوماتيكي، ولكنه

فضّل سميث أند ويسون لأنه أنيق، وجدت ذخيرة في الخزنة، ذخّرت المسدس واتبعت توصيات بيل ثمّ أغلقت الأسطوانة، ووضعت المسدس في حقيبة كتفها.

كان هناك شيء آخر لبيل في الخزنة علمها بيت استخدامه، أخرجت صندوقاً مصنوعاً من جلد التمساح أملس السطح وطوله تسعة إنشات وعرضه ثلاثة إنشات، وضعته في حقيبتها مع المسدس (ناهيكم عن مستحضرات تجميلها كمرطب الشفاه والمناديل ومصباحها وبخاخ الفلفل وقداحتها من نوع بيك وعلبة سجائر جديدة).

سألت سيري عن موعد الغروب فأجابتها بطريقتها الاحترافية ولباقتها المفرطة، والتي قد تكون طريفة في بعض الأحيان؛ ستغرب الشمس عند الساعة الثامنة وثمانٍ وأربعين دقيقة، لم تستطع الانتظار حتّى ذلك الحين حيث أرادت أن تتبين معالم الشاحنة، ولكنها عدت الغسق وقتاً مثالياً للأعمال التي يجب أن تجري في الخفاء، لا بد أن الزوجين هاريس كانا في غرفة المعيشة يشاهدان فيلماً أو ألعاب طوكيو الأولمبية، لطالما كرهت هولي الانتظار، وبما أنها وجدت نفسها مجبرة على ذلك، قررت الذهاب إلى المنزل وتمضية بعض الوقت هناك.

في طريقها من المكتب إلى المنزل فكّرت في إعلان رأته على التلفاز، رأت مراهقين يركضون هرباً من رجل يشبه ليذيرفيس، اقترح أحدهم الاختباء في العلية واقترح الآخر القبو ولكن الثالثة قالت: «لم لا يمكننا أن نركب السيارة؟» وأشارت إليها، فقال صديقها: «هل أنت مجنونة؟ دعونا نختبئ وراء المناشير الكهربائية»، وهذا ما فعلوه، قال المذيع: «حين يكون الشخص في فيلم رعب فسيميل لاتخاذ قرارات سيئة»، ولكن هولي لم تكن في فيلم رعب وأقنعت نفسها أنها لا تتخذ قرارات سيئة، كان بخاخ الفلفل معها على أنها ستستخدم سلاح بيل إذا اضطرت إلى ذلك.

لقد توصلت إلى الحقيقة ولكنها اضطرت أن تخفيها عميقاً وتحتفظ بها لنفسها.

13

في المنزل أعدت هولي لنفسها طعاماً ولكنها لم تأكله، اتصلت بجيروم فأجابها فوراً بحماسة مفرطة: «احزري أين أنا!»

«في أعلى مبنى إمباير ستيت».

«لا».

«في التايمز سكوير».

«لا».

«في عبّارة ستاتين آيلاند؟».

همهم وقال لا.

«استسلمتُ يا جيروم».

«في سنترال بارك! إنها جميلة! يمكنني المشي لأميال في هذا المكان ورؤية شيء جديد كل مرة، كما أن هنالك قسماً برياً يشبه ثيكيتس في ديرفيلد بارك، يُسمى رامبل!»

«تبدو سعيداً».

«نعم، لقد كان يوماً مميزاً وجميلاً، أنا سعيد من أجلي ومن أجل باربرا، كما أن والدينا سعيدان من أجلنا».

قالت هولي: «بالطبع»، لم تخبره أن صديقة باربرا قد توفيت لأنها رأت أن من الأفضل أن تخبره باربرا ذلك بنفسها، فهي لم ترد أن تُعكّر مزاجه، «أنا سعيدة من أجلك يا جيروم ولكن لا تفسد الأمر وتلقبني بهولي بيري».

«بالطبع لا، ما هي آخر تطورات القضية؟».

فكّرت: هذه هي فرصتي كي أركب السيارة لا أن أختبئ خلف المناشير الكهربائية.

ولكنها الفتاة التي لا يُعتمد عليها فقد نسيت كتاب يوم لا تموت فيه الخنازير في الحافلة تلك الفتاة التي في داخلها همست لها قائلة: ليس الآن، ليس بعد.

قالت: «يبدو أن باربرا اكتشفت ضحية أخرى».

أخبرته بشأن خورخي كاسترو وبعدها تحدثا عن كتابه وتطلعاته بخصوصه، تحدثا قليلاً، ثمّ تركت هولي جيروم يستمتع برحلته المميزة في سنترال بارك، لاحظت أنها لم تخبره بالتطورات الأخيرة في ما يتعلق بارتفاع ثقتها بنفسها، فهي لم تُخبر أحداً، وهذا يشبه إلى حدّ ما تمنعها عن الكلام بخصوص الشاحنة، وفي الحالين لم يكن الأمر سهلاً عليها.

14

أحضرت باربرا وماري نسخاً أخرى من كتب أوليفيا الاثني عشر بما فيها مجموعة القصائد الكبيرة، تبيّن لهما أن لا ضرورة لذلك لأن معظم المتجمهرين في الساحة أحضروا نُسخهم الخاصة ووقفوا في ظل برج الجرس المشهور، كانت النسخ بمجملها مهترئة وقديمة وحالت قطعة من المطاط دون تبعثر صفحات إحدى النُسخ، حمل بعض الحاضرين صوراً لأوليفيا تُظهرها في مختلف مراحل حياتها (ولكن أكثر صورة حُملت هي صورتها مع هامفري وهما يقفان أمام نافورة تريفي)، أحضر آخرون أزهاراً، وارتدى أحد الحاضرين سترة مصممة لهذه المناسبة وكتب عليها: حياة جيدة.

ظهرت عربة فرانكي، وشرعت في تأدية مهمتها في تقديم العصائر والشطائر، لم تعرف باربرا إن كانت هذه فكرة روزالين أو أن فرانكي تطوع بنفسه لهذا الأمر، ولكن باربرا تعتقد أن فرانكي كان معجباً بأعمال أوليفيا.

لم تُفاجأ بتطوع فرانكي وهي التي كانت واثقة أن شيئاً لن يفاجئها في هذه المناسبة الأليمة، ولقد اعتراها مزيج غريب من الأحاسيس التي راوحت بين الحزن والسعادة والفخر.

بحلول الساعة السادسة والنصف وصل عدد الحاضرين إلى المئة تقريباً، وكان هناك مزيد من الوافدين الجدد، لم يشعل أحد الشموع رغم بداية ظلام الغسق، اعتلى المنصة رجل يافع وقد قص شعره على طريقة موهوك وشرع بقراءة قصيدة المهر في البرية من خلال مكبر صوت، تحلق الناس لينصتوا إليه وهم يتناولون شطائر الهوت دوغ، ويحتسون الصودا ويلتهمون البطاطا المقلية وحلقات البصل ويشربون البيرة والنبيذ.

طوّقت ماري كتفي بربارا بذراعيها وقالت: «أليس هذا رائعاً؟ كانت ستحب هذا؟».

تذكّرت باربرا لقاءها الأول مع الشاعرة العريقة، وتذكرت كيف كانت أوليفيا تربت معطفها المصنوع من الفرو وتقول فر، فر، فرو مزيف، أجهشت بالبكاء وعانقت ماري وقالت: «نعم، كانت ستحب هذا جداً».

أفسح الشاب المجال لفتاة ظهر وشم أفعى على عضد ساعدها، رفعت هذه الفتاة مكبر الصوت وقرأت قصيدة كنت أطول في صباي.

أصغت باربرا ومع أنها شربت قليلاً من النبيذ، إلا أنها ظلت في كامل تركيزها، فكّرت: لا تشربي كثيراً فعليك أن تتذكري هذا، عليك أن تتذكري هذا طول حياتك، أفسحت الفتاة المجال لشاب نحيل يضع نظارة، وبدا أنه طالب دراسات عليا، تذكرت أنها تركت هاتفها في منزل أوليفيا، وفي العادة هي لا تتحرك إلى أي مكان من دونه، ولكنها لم ترغب في حمله الآن، أرادت شطيرة عليها الكثير من الخردل بالإضافة إلى الاستماع للشعر الذي رغبت بالاستزادة منه.

15

في الوقت الذي كانت باربرا وماري تُسلمان فيه نسخاً من كتب أوليفيا للقلة القليلة الذين لم يحضروا نسخهم معهم مشى رودي هاريس في ديرفيلد بارك كعادته عند العصر أو في بداية المساء، كان المشي يساعده على تمرين وركيه اللذين يؤلمانه أكثر من اللازم بعد مشاركته في تحضير الطعام الصحي من لحم متقمصة شخصية بابا نويل عيد الميلاد بل هناك سبب آخر، لم يرغب بالإفصاح عنه، ولكن قدرته على تذكر الأمور تدهورت كثيراً، ولم يرد أن يفقد صوابه كما يقول المثل، فالمشي يساعد في تصفية الذهن.

في الأسابيع الأخيرة، تناول رودي ستة أطباق بارفيه مصنوعة من مزيج من المثلجات والتوت البري ودماغ متقمصة شخصية بابا نويل، ولكنه واجه صعوبة في البقاء متيقظاً، وهذا أمر غريب ومزعج في الوقت ذاته، أشارت أبحاثه إلى أن الحمية التي تتضمن دماغاً بشرياً تعود بفوائد إيجابية فورية على الشخص الذي يتناولها، فحين يسرق ذكور الشمبانزي صغار الشمبانزي من أمهاتها ويقتلونها تأكل الذكور الدماغ أولاً، لعل الشمبانزي لا تعرف سبب قيامها بذلك ولكن الباحثين تعرفوا إلى السبب الجوهري: يتضمن دماغ القرد أحماضاً دهنية تعتبر ضرورية لتطور الأعصاب وصحتها، فالجسم لا يصنع الأحماض الدهنية (كما أن الدهون تُشكل ما نسبته ستين في المئة من الدماغ) فإذا بدأت هذه بالتلاشي كما هو حاله فما عليه إلا أن يستعيدها، بدا الأمر له بسيطاً، فقد كان مجدياً في السنوات التسع الأخيرة، وشروط جدوى هذا الأمر بسيطة للغاية، ولكنه لم يجرؤ على ذكرها في مقال أو محاضرة، وقد توصل إلى النتيجة

الأساسية: تناول أنسجة الدماغ البشري الصحية، وخصوصاً إذا عادت لشخص يافع، يشفي من الزهايمر.

أو هذا ما يظنه... ماذا لو كان مخطئاً؟

لا، لا ثمّ لا.

رفض أن تكون النتائج التي توصل إليها بعد سنوات من البحث غير صحيحة، ولكن ماذا سيحصل إذا أفرز دهوناً عصبية بشكل أسرع مما يستطيع أن يتحمل؟ ماذا سيحصل إذا غرق دماغه في الدهون؟ كانت الفكرة سخيفة بالطبع، ولكنه عملياً لم يعد يتذكر رقم صندوق بريده، وهو يظن أن مقاس قدمه تسع وثلاثون، ولكنه لم يستطع التأكد تماماً فربما كان ثماني وثلاثين، فعليه التحقق من حذائه في كل مرة، وها هو اليوم يعاني في تذكر اسمه الأوسط.

في معظم الأوقات استطاع أن يخفي ما يحصل له، كانت إيميلي تعرف ما الذي يعاني منه، ولكنها لم تعرف مقدار تدهور وضعه.

حمداً لله لأنه تقاعد من التعليم، وحمداً لله على نعمة إيميلي التي تدقق وتنقح الرسائل التي يبعث بها إلى عدة مجلات أكاديمية.

في معظم الأحيان يكون ذهنه متقداً ومتيقظاً، ولكنه في بعض الأوقات يشعر وكأنه يجلس في طائرة تُحلق على علو منخفض فوق مرج أخضر، وفجأة تعبر تلك الطائرة وسط غيمة ويصبح كل شيء رمادياً، عندها يضطر للإمساك بذراعي المقعد منتظراً الاصطدام، وعندما تكثر الأسئلة فعليه الابتسام والتظاهر بالحكمة بدلاً من الإجابة، في النهاية ستخرج الطائرة من الغيمة ليظهر المرج الأخضر مجدّداً، ويتضح كل شيء وتصبح الحقائق في متناول اليد.

تُهدئ الرحلات إلى الحديقة أعصابه، لأنه لا يكون قلقاً من قول الشيء غير الصحيح، ولا يقلقه طرح الأسئلة التي لا يفترض به طرحها مثل الاستفسار عن اسم شخص يعرفه منذ ثلاثين سنة، في الحديقة لا يكون متأهباً بل بوسعه أن يتوقف عن بذل قصارى جهده، فيمشي أحياناً لأميال وأميال وهو يتناول كرات صغيرة مقلية من اللحم البشري التي يبقيها في جيبه، كان يتلذذ بالطعم الذي يشبه لحم الخنزير المقرمش (لا تزال لديه أسنان، وكانت في حال جيدة، وهذا شيء يفتخر به).

توجّه من طريق إلى آخر قاده بدوره إلى طريق ثالث ورابع، تعوّد الجلوس في بعض الأحيان على مقعد والنظر إلى العصافير ولكنه لم يعد قادراً على تذكر أسمائها... فليس عليه تسميتها لأنه جالس بمفرده، في النهاية أي نوع من العصافير هو عصفور، لقد كان شكسبير محقاً في هذه الناحية... ومن وقت إلى آخر يستأجر أحد القوارب الملونة والصغيرة التي تُزين رصيف بركة ديرفيلد ويجذف ويستمتع بالمياه الساكنة والسلام العام ولا يأبه إن كانت الغيمة قد غطت على عقله أم لا.

بالطبع، من وقت إلى آخر ينسى طريق المنزل أو رقم منزله، ولكن بوسعه تذكر اسم الشارع، وحين يطلب من حارس أن يدله على اتجاه شارع ريدج يدلّه ولا يشعر بالخجل، لأن الأمر شبه طبيعي فديرفيلد حديقة كبيرة ولطالما ضاع الناس فيها.

أما إيميلي فلديها نصيبها الخاص من المعاناة، تراجع التهابها قليلاً بفضل متقمصة شخصية بابا نويل عيد الميلاد والكمية الهائلة من الأنسجة الدهنية، ولكنه عاد في هذه الأيام، ذات مرّة -بعد كاسترو ودريسلر- راقبها وهي ترقص التانغو مع شريك خفي، لقد مارسا الجنس أيضاً وخصوصاً بعد كاسترو، ولكنهما لم يمارساه منذ ذلك الحين، كانت تلك آخر مرة... منذ ثلاث سنوات؟ أو أربعة؟ متى اختطفا كاسترو؟

لا يفترض بها أن تشعر بالألم، فاللحم البشري يحتوي على مواد مغذية مختلفة الفعالية كما أنها نادرة الوجود في أي لحم آخر ولا يقاربه لحم الخنازير البرية أو خنازير الحظائر.

عرف الطبيب الإسباني أرنالدوس دي فيلا نوفا في القرن الثالث عشر أن بوسع نقي العظام وعضلات جسم الإنسان معالجة التهابات المفاصل، وكان البابا إينوسنت الثامن يتناول أدمغة الشباب ويشرب دماءهم، وفي إنكلترا خلال القرون الوسطى استعملوا لحم الأسرى الذين أُعدموا لإعداد طعام شهي.

ولكن إيم كانت تتلاشى فهو يعرفها بقدر ما تعرفه فلاحظ الأمر.

صدحت رنة كوباكابانا التي خصصها لإيميلي من هاتفه النقال، وكأن تفكيره بها قد استدعاها.

قال لنفسه: تمالك نفسك، تمالك نفسك وكن متيقظاً وواعياً «مرحباً يا عزيزتي، ما الخطب؟».

قالت: «هناك أخبار جيدة وسيئة، ما الذي تريد أن تسمعه أولاً».

«الأخبار الجيدة بالطبع، تعرفين أنني أُحب تناول الحلويات قبل الخضار».

«إليك الخبر الجيد: لقد توفيت العجوز الشمطاء التي سرقت نابغتي».

لقد كان متيقظاً تماماً وأجاب بسرعة: «تتحدثين عن أوليفيا كينغسبري أليس كذلك».

ضحكت إيم وقالت: «من سواها؟ هل بوسعك أن تتخيل كم هي قاسية، لا بد أنها بقساوة لحم الجاموس».

قال رودي: «أنت تتحدثين بشكل مجازي بالطبع»، لقد سبقها هذه المرة حيث لاحظ أنهما يتحدثان بواسطة هاتف ومن السهل التنصت على مكالمتهما.

قالت إيم: «بالطبع، بالطبع لقد توفيت تلك الشمطاء، أين أنت يا عزيزي؟ هل أنت في الحديقة؟».

«نعم»، جلس على المقعد، وأنصت إلى أصوات الأولاد الذين يلعبون في الحديقة، ولم يكونوا كثراً وهذا عنى أن وقت العشاء قد حان.

«متى ستعود إلى المنزل؟».

«سأعود قريباً، هل قلت إن هناك أخباراً سيئة؟».

«لسوء الحظ، هل تتذكر الفتاة التي سألتنا عن دريسلر؟».

«نعم»، ولكن ذاكرته كانت مشوشة.

«أعتقد أنها تشك أننا كنا... تعرف البقية».

قال: «بالطبع»، ولكنه لم يملك فكرة عمّا كانت تتحدث، لأن الطائرة كانت تعبر غيمة أخرى.

«علينا أن نتحدث فربما كان هذا الأمر جدياً، هل تستطيع العودة قبل حلول الظلام؟ أنا أعد شطائر لحم متقمصة شخصية بابا نويل ووضعت عليها الكثير من الخردل، تماماً كما تحب وتشتهي».

«يبدو هذا شهياً»، شهي من ناحية أكاديمية، اعتاد أن يتحمس في السابق لفكرة شطيرة فيها شرائح لحم بشري (شرائح طرية)، «سأسير لبعض الوقت، كي أتحضر للطعام».

«حسناً يا عزيزي، لا تنسَ».

أعاد رودي هاتفه إلى جيبه، وتلفت حوله، أين هو بالضبط؟ رأى تمثال توماس إديسون وهو يحمل مصباحاً وعرف أنه قرب البحيرة، هذا ممتاز! لطالما استمتع بمنظر البحيرة.

المرأة التي سألتنا عن دريسلر.

حسناً، لقد تذكرها الآن، إنها تلك الفأرة التي خافت من إزالة قناعها والمهووسة بالتعقيم، لماذا عليهما الخوف منها؟

أذناه بجودة أسنانه وبوسعه سماع دبيب النمل بفضل سماعتي أذنيه المتشحتين بدهون الإنسان التي كان يدهنها ليلاً، ليس لديه فكرة عما يدور في الجامعة صيفاً، ناهيك عن الشائعات المغرضة التي تطلق عليها إيميلي اسم الإنفلونزا الجديدة، ربما كانت لها علاقة بالفتى الزنجي الذي مات وهو يقاوم الشرطة.

لم يكن له علاقة بهذا في جميع الأحوال.

سار رودي هاريس عالم الغذاء المشهور الحائز على شهادة الدكتوراه في البيولوجيا.

16

تعوّد الخال هاري القول إن هولي تصل باكراً إلى كل شيء، وهذا صحيح. لقد شاهدت نصف نشرة أخبار المساء التي تكلم فيها ديفيد موير عن كورونا وكورونا والمزيد من الكورونا ولكن صبرها نفد، غادرت شقتها، ثم جابت البلدة ورغم أنه الوقت الذي كانت الشمس تغيب فيه فإن الضوء كان لا يزال قوياً إلى درجة أنها اضطرت إلى إغماض عينيها أكثر من مرة مع أنها أنزلت واقية الشمس، عبرت بقرب حرم الجامعة وسمعت هتافات قادمة من مكبر صوت ولم تستطع تمييزها، ولكنها اعتقدت أنها قادمة من تجمع لحملة حياة السود مهمة.

التفت عند الشارع المنحدر وتجاوزت المنازل الفيكتورية الموجودة على أحد جانبيه والحديقة الواقعة على الجانب الآخر، التزمت بحدود السرعة وحرصت على عدم إبطاء سرعتها أمام منزل آل هاريس، وعاينته لبعض الوقت، لم تلحظ أثراً لأحد في

المنزل، ولكن هذا لم يعنِ شيئاً، ربما ذهبا لتناول العشاء ثم ما لبث أن داخلها الشك بالأمر نظراً للكورونا والكورونا والمزيد من الكورونا، ربما هما يشاهدان التلفاز أو يتناولان العشاء في المنزل أو كلا الأمرين في الوقت ذاته، لم تستطع معاينة المرأب بسبب ذلك الطريق المنحدر، ولكن بوسعها رؤية السقف الذي يبدو كبيراً ويتسع لمركبتين.

عاينت أيضاً المنزل المجاور الذي عليه لافتة للبيع أمامه مرج صغير يحتاج إلى سقاية.

فكّرت: على السمسار العقاري أن يهتم بهذا الوضع، وتساءلت إن كان السمسار هو جورج رافيرتي، لم يُكتب على اللافتة شيء، ولكنها لم تهتم بالإشارة أو بالمرج في جميع الأحوال، بل اهتمت بالسياج الشجري الممتد على طول العقار، والذي يصل إلى مرأب آل هاريس.

اتجهت هولي إلى التل وركنت سيارتها قرب رصيف لا يبعد كثيراً عن الحديقة، كانت المساحات الفارغة كثيرة هناك، ولكنها أرادت أن تدخن وهي تنتظر اللحظة المناسبة، ولم ترد أن يكتشف الأولاد عادتها السيئة، فتحت الباب وأخرجت ساقيها وأشعلت سيجارة.

إنها الساعة السابعة والثلث، أخرجت هاتفها من جيبها، وفكّرت أن تتصل بإيزابيل غاينز ولكنها أعادته مجدّداً، كان عليها التحقق من وجود تلك الشاحنة في مرأب آل هاريس، إذا لم تكن الشاحنة في المرأب فإن هولي ستنصح بيني بعدم الاتصال بالشرطة -فلم يكن هناك أدلة قاطعة بل أدلة بوسع آل هاريس (أو محاميهما) دحضها بسهولة- ولكن إذا ما تبين لها ما يشير إلى بقاء بوني على قيد الحياة فعلى بيني الاتصال بالشرطة في الحال. عندها سيعرف الزوجان هاريس أنهما مراقبان ولا يبقى أمامهما إلا أن ينقلا هذا الخبر إلى الشخص الذي يحميانه أو يتسران عليه.

وعندها سيختفي الشخص أو السفاح.

الشاحنة، إذا كانت الشاحنة في المرأب فكل شيء سيكون على ما يرام.

غادر معظم المراهقين الحديقة، فرأت هولي شابين وفتاة يتسكعون في الجوار، وكان الشابان يدفعان الفتاة التي كان شعرها يتطاير بفعل النسيم، اعتقدت هولي أن

أصدقاءهم سينضمون إليهم قريباً، لا يبدو أن مراهقي البلدة يهتمون بما يحدث في الجامعة.

تحققت من ساعتها مجدّداً، فرأت أنها تشير إلى السابعة والنصف، لم يعد بوسعها الانتظار إذا أرادت أن تلقي نظرة على الشاحنة في حال كانت موجودة، ولكن الظلام لم يحل بعد والنور وافٍ، قررت الانتظار حتى الساعة الثامنة إلا الربع لتسمح للظلال بالتشكل، وشعرت بالإنزعاج لأن الانتظار لم يكن أمراً تحبه.

لقد انضم عدد من المراهقين إلى المجموعة الأولى، وذهبوا إلى الحديقة، لعلهم كانوا متجهين إلى الغابة أو الصخرة، أشعلت هولي سيجارة أخرى، ودخّنت وهي تضع ساقيها على الرصيف، دخنت ببطء، ولكن الساعة لم تكن قد تجاوزت الثامنة إلا ثلثاً عندما أنهت سيجارتها.

قررت أنها لن تستطيع الانتظار أكثر، فأطفأت سيجارتها في منفضتها المتنقلة (التي كانت ممتلئة بأعقاب السجائر، كان عليها الإقلاع عن التدخين قريباً) وأعادتها إلى مكانها، تناولت قبعة كولومبوس كليبيرز ووضعتها على رأسها لتخفي بها جبهتها، وأقفلت سيارتها، ومشت على الرصيف باتجاه المنزل الفارغ المجاور لمنزل آل هاريس.

17

عاد الوضوح المؤقت لرودي ففكّر: ماذا لو كانت المرأة التي تشغل بال إيم تعرف بشأن الفتاة الزنجية؟

لم يستطع تذكر اسم الفتاة الزنجية، ربما كان إيفيلين، ولكنه كان يتذكر أنها كانت نباتية ومثيرة للمتاعب، هل قالت إيم شيئاً عن تويتر؟ عن شخص يتقفى أثر الفتاة السوداء على تويتر؟

ترك البركة وراءه ومشى ببطء على طريق يُغطي الحصى أرضيته قرب ملعب الحديقة، جلس على مقعد ليريح وركيه قبل أن يصعد التل ويتجه إلى منزله لأنه لم يرد مصادفة المراهقين الذين كانوا يلعبون على دوامة الخيل المخصصة للصغار.

في الجهة المقابلة من الشارع هناك فتاة تجلس في سيارتها وتضع قدميها على

أرضية الشارع وتدخن سيجارة، مع أنه لم يتذكرها إلا بشكل مشوش، إلا أن إنذار الخطر رنّ في رأس رودي، هناك خطب بها، هناك خطب كبير.

لا يزال بوسعه أن يصفي ذهنه حين يتوجب عليه ذلك، كما عليه بذل هذا الجهد الآن، كانت المرأة تجلس واضعة مرفقيها على فخذيها، وتخفض رأسها ولم ترفعه سوى لتدخن تلك المادة المسرطنة، وحين انتهت منها وضعتها في علبة معدنية صغيرة بدت وكأنها علبة ساكريتس ثم وقفت، اعتقد أنه عرفها من أول لمحة لأنها ترتدي البنطال الفضفاض الذي ارتدته حين زارتهما، أو ربما ترتدي بنطالاً مطابقاً له، ولكنه تأكد حين رأى وجهها إنها المرأة المهووسة التي سألتهما عن كاري دريسلر، وهي نفسها التي تحقق بشأن بوني دال ولكنها لم تعترف بذلك.

قالت إيميلي إن لديها شكوكاً.

قالت إيميلي إن هذا الأمر جدي.

اعتقد رودي أنها محقة.

أخرج هاتفه من جيبه واتصل بالمنزل، وضعت المرأة قبعة وأنزلتها بسبب أشعة الشمس (أو لتخفي عينيها)، أقفلت سيارتها فأنيرت الأضواء، ومشت بعيداً ورن الهاتف في يده مرة..

فاثنتين... فثلاثة.

قال لنفسه: «هيّا، هيّا، هيّا».

أجابت إيميلي على الهاتف وقالت: «إذا كنت تتصل الآن لتقول إنك جائع...»

«لست جائعاً»، في الجهة المقابلة من الشارع اتجهت تلك المهووسة إلى التل: «أتت تلك المرأة، لا أعرف ما اسمها مولي غيفينز أو ما شابه، لا أعتقد أنها آتية لتطرح مزيداً من الأسئلة وإلا لمَ ركنت سيارتها في نهاية الشارع، أعتقد أنها ستتلص...»

ولكن إيميلي غابت عن الخط.

أعاد رودي الهاتف إلى جيبه الأمامي الأيسر وربت جيبه الأيمن على أمل أن يعثر على ما يريده، اعتاد أن يحمله بيده حين يمشي بمفرده حيث هناك العديد من الأشخاص المؤذين في الحديقة، لقد اطمأن عندما عثر عليه، كانت المرأة تمشي بسرعة (بالنسبة إلى مدخنة) حال وضع وركيه دون اللحاق بها، ولكن الوضع سيكون مستتباً

إن لم تنظر خلفها.

فكّر: ماذا تعرف بالضبط؟ هل تعلم شيئاً عن الفتاة النباتية إيفيلين أو إيليانور أو مهما يكن اسمها؟»

إذا كانت تعرف بشأنها وبشأن كاري ودال فـــ... فـــ...

قال لنفسه: «فيمكن لهذا أن يُدّمر كل شيء».

18

توجّهت إيميلي بسرعة إلى المكتب السفلي، وهي تشعر بألم شديد، ولكنها لم تبطئ من وتيرتها، تأوهت قليلاً، ووضعت يديها أسفل ظهرها، وكأنها تحاول حماية ظهرها، لقد اختفى الألم المبرح منذ أن تناولا كبد الشابة دال، أعطاها رودي الحصة الأكبر، فتناولت اللحم شبه نيء، ولكن الألم لم يتركها وشأنها كما حدث عندما تناولت كبد كاسترو ودريسلر، كانت تتهيب الألم القادم، ولكن عليها التعامل مع هذه الوضيعة التي تُدعى هولي غيبني وليس مولي غيفينز.

ما الذي تعرفه بالضبط؟

قررت أيم عدم الاكتراث بهذا، كانت تعرف ما يكفي حين أدخلت إلين كراسلو إلى الصورة، لعل رودي أخطأ باسمها، ولكنه مُحق بشأن شيء واحد: لا يمكن أن تركن سيارتك على بعد ميل تقريباً إذا كنت تريد طرح الأسئلة وحسب، كان المبرر الوحيد لفعلتك هو رغبتك بالتلصص على الناس.

كانا يملكان نظام إنذار يغطي العقار بالكامل، لم يكن ليباشر الاتصال بالشرطة إلا إذا لم يتوقف جهاز الإنذار عن العمل بعد ستين ثانية، حين ركّبا هذا النظام لم يكترثا كثيراً باللصوص ومقتحمي المنازل ولكنهما لم يعترفا بهذا الأمر، شغّلت إيم الإنذار وضبطته على خيار المنزل فقط، ثم شغلت الكاميرات العشر، وضعها رودي بنفسه في وقت كان من الممكن الوثوق به لأداء مثل هذه الأمور، كانت الكاميرات تغطي المطبخ وغرفة المعيشة والقبو (بالطبع) ومدخل المنزل وجانبيه وفناءه الخلفي والمرأب.

جلست إيميلي لتراقب الوضع وفكّرت: لقد قطعنا شوطاً طويلاً ولا يفترض بنا الاستسلام.

19

اقتربت هولي من العقار المجاور في 91 شارع ريدج، تلفتت وراقبت نهاية الشارع، لم ترَ أحداً... لم تتردد -فلطالما كانت تخسر حين تتردد- في الذهاب إلى المرج غير المعتنى به والتوجّه إلى يسار المنزل مبقية على مسافة بينها وبين المنزل المجاور رقم 93، عبرت الفناء الخلفي للمنزل وتوجّهت إلى السياج الشجري الذي يفصل هذا المنزل عن منزل آل هاريس، مشت بسرعة، لقد انخرطت في الأمر، واستولت نسخة هولي باردة الأعصاب على شخصيتها، إنها النسخة ذاتها التي رمت بكل التماثيل الصغيرة في الموقد في منزل والدتها، مشت ببطء قرب السياج الشجري، عثرت هولي على عدة أماكن فارغة للعبور منها، لأن الفصل كان صيفاً، والطقس حار وجاف، ولأن التربة والمرج لم يعتنَ بهما أحد منذ انتقال مالكي المنزل السابقين، اعتقدت أن المكان الأفضل هو مقابل مطبخ آل هاريس، ولكنها لم ترد عبور هذه الرقعة، أما المكان الأسوأ فكان بالطبع يقع مقابل المرأب، ولكنها عزمت العبور منه، فهي ترتدي سترة طويلة الكمين وبنطالاً طويلاً، انحنت وراقبت المرأب من السياج، لم تستطع رؤية سوى جانب المرأب وبالتالي لم تستطع أن تعرف إن كانت هناك مركبة أم مركبتان، ولكنها رأت شيئاً مثيراً للاهتمام، لم ترَ سوى نافذة وحيدة سوداء بالكامل، ربما كانت هناك ستارة سوداء، ولكن هولي اعتقدت أنها طليت من الداخل.

تمتمت لنفسها وقالت: «من عساه يفعل هذا؟»، ولكن الجواب كان بديهياً: شخص لديه شيء ليخفيه.

سارت هولي بشكل جانبي، وعانقت حقيبتها واندفعت عبر سياج الأشجار، خرجت سليمة باستثناء بعض الخدوش البسيطة على رقبتها، تلفتت حولها، وجدت حاويتي قمامة من البلاستيك وحاوية إعادة تدوير النفايات تحت سقف المرأب، استطاعت رؤية الطريق الذي يؤدي إلى الشارع وسقف سيارة.

اتجهت إلى النافذة، وتأكدت أنها كانت مطلية باللون الأسود، ومنها توجّهت صوب الفناء الخلفي للمنزل، فوجدت ما تمنته: باباً خلفياً، اعتقدت أنه موصد وصح اعتقادها، أخرجت العلبة المصنوعة من جلد التمساح من حقيبتها وفتحتها، إنها عدة بيل هودغز لفتح الأقفال المصفوفة وكأنها أدوات جراحة، عاينت هولي القفل.

القفل من نوع ييل، لذا أخرجت الأداة المعقوفة، وأدخلتها فوق القفل بهدوء كي لا تعبث به، أما الأداة الثانية فأدخلتها وراءها، أدارت هولي الأداة الثانية إلى اليمين إلى أن أُعيقت عن الحركة.

عندها استطاعت فتح القفل العلوي بالأداة المعقوفة... سمعت صوته وهو يتحرك... ثم صوت الأداة الثانية... ثم...

هل هناك قفل ثالث؟ كزّت على أسنانها لدرجة أنها آلمت نفسها وهي تدير الأداة المعقوفة، لقد سمعت صوت قرقعة وخشيت لبرهة أنها أفسدت الأمر لدرجة أنها ستضطر لمعاودة الكّرة من جديد. فجأة انفتح الباب تحت ضغط الأداتين.

أطلقت هولي تنهيدة ارتياح، وأعادت عدتها إلى العلبة، وأعادت الأخيرة إلى الحقيبة التي وضعتها على رقبتها، ثم أخرجت هاتفها من جيبها.

فكّرت: كوني موجودة، كوني موجودة من فضلك.

20

لم تستطع إيميلي انتظار رودي، مُرجّحة أن عقله المشوش أوحى له بالذهاب في طريق مغاير تماماً.

كانت هناك ثلاث درجات إسمنتية تقود من المطبخ إلى فناء آل هاريس، جلست على أخفض درجة وتمددت، لقد ضغطت حافة الدرجة على ظهرها وآلمتها كثيراً، ولكنها نحّت الألم حالياً، أبعدت ساقها جانباً، ووضعت ذراعها خلف ظهرها، وأملت أن تبدو وضعيتها غريبة، وحده الله يعلم أن هذه الزاوية غريبة بالفعل.

هل بدت وكأنها امرأة عجوز في أمس الحاجة إلى المساعدة لأنها سقطت عن الدرج؟

فكّرت: يجدر بي أن أبدو هكذا، يجدر بي حقاً.

21

كانت الشاحنة أمامها، ولم تضطر هولي إلى التحقق من وجود الهيكل القابل للفتح، وجدت لوحة من ويسكونسين وإلى جانبها رمز لكرسي متحرك، وهذا يعني

أنها شاحنة مخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة، كان النور المنبعث من الباب الخلفي ضعيفاً ومناسباً في الوقت ذاته، رفعت هاتفها والتقطت ثلاث صور، اعتقدت أن لوحة الشاحنة كافية لبدء تحقيق رسمي.

أدركت أن الوقت قد حان للمغادرة، فقد مكثت أكثر من اللازم، ولكنها متعطشة إلى المزيد، تلفتت حولها -لم ترَ أحداً في الجوار- فاقتربت من الجهة الخلفية للشاحنة، كانت نوافذها معتمة، ولكن عندما قرّبت رأسها من النافذة رأت ما الذي هو في داخل هذه الشاحنة.

إنه كرسي مدولب.

هتفت بما يوحي بنجاحها بمعرفة ما يجري: هكذا يفعلانها، هكذا يرغمان ضحاياهما على التوقف، ثم يخرج من يتعاملان معه -السفاح الحقيقي- من الشاحنة ويتكفل بالباقي.

أدركت أنه لا يجدر بها المجازفة أكثر، التقطت ثلاث صور للكرسي المدولب، وغادرت المرأب وأغلقت الباب، توجهت صوب السياج الشجري، عازمة على العودة أدراجها، ولكنها سمعت صوت إنسان يتأوه «النجدة! هل يستطيع أحد أن يساعدني؟ لقد سقطت وأنا أتألم جداً».

لم تقتنع هولي بهذا، ولم تنطلِ عليها الحيلة لسببين: لم تكن الحيلة مقنعة في المقام الأول، ولأن والدتها كانت تؤدي الدور نفسه حين تريد منها البقاء.. أو تريد أن تُشعرها بالذنب كي تعود في وقت أقرب، لقد انطلت عليها الحيلة لوقت طويل وقالت هولي لنفسها: حين انتهى مفعول هذه احتالت عليّ هي والخال هنري.

«النجدة! ساعدوني! فليساعدني أحد!»

كانت هولي على وشك التوجّه إلى السياج وترك المرأة -إيميلي هاريس بالطبع- لتتدبر أمرها ولكنها بدّلت رأيها، تلفتت واتجهت صوب نهاية المرأب، وجدت المرأة ممددة على الدرج بزاوية غريبة، وكان ثوبها يغطي نصف فخذها، إنها نحيلة وشاحبة وهشة وشعرت أنها تتألم حقاً، قررت هولي أن تمثل بدورها، فكّرت: سنظهر كبيت ديفيس وجوان كروفورد في فيلم واتيفير هابيند تو بيبي جين، وإذا خرج زوجها فإن المسرحية ستزداد جمالاً.

قالت وهي تقترب من المرأة: «يا إلهي! ماذا حصل؟».

قالت المرأة: «لقد تزحلقت»، أجادت تمثيل رجفان الصوت، ولكن هولي اعتقدت أن التأوه الذي تلاه محض تمثيل، «ساعديني أرجوك، هل تستطيعين تقويم ساقي، لا أعتقد أنها مكسورة ولكن...»

تصنعت هولي التعاطف وقالت: «ربما تحتاجين كرسياً مدولباً، لديك كرسي في شاحنتك أليس كذلك؟».

ارتجفت إيميلي عندما سمعت ما قالته هولي، ولكنها تأوهت أكثر، لم تعتقد أن تأوهها مزيف تماماً، كانت هذه المرأة تتألم فعلاً ولكنها يائسة أيضاً.

انحنت هولي وهي تضع يدها في حقيبتها لتلمس مسدس بيل عيار 0.38: «كم شخصاً اختطفتما يا أستاذة هاريس؟ أنا متأكدة من أربعة وأعتقد أنكما اختطفتما كاتباً أيضاً أليس كذلك؟ ولصالح من كان الاختطاف؟ هذا ما أريد معرفته...»

مدت إيميلي يدها خلف ظهرها لتمسك بسلاح فايبرتيك في.تي.إ-989 الذي عرف في منزل آل هاريس بالشيء الأول، كان عياره 300، ولكن هولي لم تسمح لها بالضغط على الزناد، فمنذ اللحظة التي رأت فيها إيميلي هاريس ممددة على الدرج بهذا الشكل لم تثق باليد التي كانت خلف ظهرها، فأمسكت بماسورة مسدس بيل وضربت بأخمصه معصم إيميلي برشاقة، تهاوى الشيء الأول على الأرض من دون أن يؤدي غرضه.

صرخت إيميلي بصدق وقالت: «آه! لقد كسرت معصمي أيتها الوضيعة».

قالت هولي وهي تنحني لالتقاط السلاح: «إن الصاعق الكهربائي غير قانوني في هذه الولاية، ولكنني أعتقد أن هذا سيصبح آخر اهتماماتك حين...»

لاحظت أن المرأة حرّكت عينيها بحثاً عن مخرج من هذا المأزق ولكن الأوان فات، تستطيع ذبذبات فايبرتيك اختراق ثلاث طبقات من الثياب حتى لو كانت الطبقة الأولى معطفاً شتوياً، ولكن هولي لم تكن ترتدي سوى سترة قطنية، اخترقتها ذبذبات الشيء الثاني ولم يعترض قفل حمالة الصدر طريقها، وقفت هولي وحرّكت ذراعيها في الهواء وكأنها لاعبة كرة سلة ثم هوت أرضاً.

قالت إيميلي: «حمداً لله لمجيء فارسي، ساعدني فقد كسرت تلك الوضيعة

معصمي».

ساعدها رودني في الوقت الذي ضحكت فيه إيميلي عندما رأت هولي بلا حول لها ولا قوة. في الحقيقة، كانت تقهقه ولكنها كانت صادقة: «لقد جعلتني أنسى ظهري لبرهة، سأحتاج إلى كمادة مياه باردة وبعضاً من شايك الأخضر، هل ماتت؟ قل لي من فضلك إنها لم تمت، علينا أن نعرف ماذا تعرف وهل هناك أحد آخر يعرف ما توصلت إليه».

جثا رودي ووضع أصابعه على رقبة هولي: «نبضها ضعيف ولكنه موجود، ستستفيق بعد ساعة أو ساعتين».

قالت إيميلي: «كلا، لأنك ستعطيها حقنة، وليس فاليوم، كيتامين»، وضعت يدها السليمة أسفل ظهرها ثم تمطّت «أعتقد أن ظهري تحسّن فعلاً، ربما عليّ اللجوء إلى علاج درج الإسمنت من الآن فصاعداً، علينا معرفة ما مقدار المعلومات التي عرفتها ثم قتلها».

رجفت شفتا رودي وترقرقت عيناه بالدمع، قال لإيميلي: «أعتقد أن هذه هي النهاية، حمداً لله لأن معنا دواء...»

نعم، لقد كان بحوزتهما فقد أحضرته إيميلي إلى الطابق السفلي تحسباً لأي ظرف طارئ.

«ربما، ربما لا، لا تذكر الموت أبداً يا عزيزي، لا تذكر الموت، لقد انتهت أيام تجسسها»، ركلت أضلاع هولي بقوة «هذا جزاء من يتدخل في ما لا يعنيه أيتها الوضيعة»، وخاطبت رودي: «أحضر غطاء، علينا جرّها، لا يجب أن تكسر ساقها حين نجرها إلى القبو، ولكنها لن تعاني كثيراً».

22

في تمام الساعة التاسعة ليلاً جلست بيني دال على الشرفة الأمامية لمنزلها الأنيق من طراز كيب كود في أبريفر التي تبعد إثني عشر ميلاً عن وسط المدينة، كان يوماً حاراً، إلا أن الحرارة بدأت تنخفض وكان الجو لطيفاً هنا، طارت بعض اليراعات –ولكن ليست بالعدد ذاته الذي شهدته في صباها– راسمة أشكالاً في الجو قبالتها، وضعت

هاتفها في حضنها، إنها تنتظر أن يرن في أي لحظة لتطلعها المحققة على التقرير.

عندما تجاوزت الساعة التاسعة والربع انزعجت بيني، وعندما تجاوزت الساعة التاسعة والنصف استشاطت غضباً، كانت تدفع لتلك المرأة بما يفوق قدرتها المالية، وذلك بعد أن وافق طليقها هيربيرت على تقاسم المبلغ بما يخفف الحمل عنها، ولكن المصاريف عالية للغاية.

عندما أصبحت الساعة عشرة إلا ثلثاً اتصلت برقم هولي، فتحوّل الاتصال إلى البريد الصوتي، لقد سجلت هولي رسالة قصيرة ومباشرة: «هذا بريد هولي غيبني، لا يمكنني الإجابة الآن، اتركوا رسالة مقتضبة من فضلكم بالإضافة إلى رقم كي أستطيع معاودة الاتصال بكم».

«معك بيني، اتفقنا على أن تقدمي لي التقرير في تمام الساعة التاسعة، عاودي الاتصال بي حالاً».

أنهت الاتصال وراقبت اليراعات، لطالما كان صبرها ينفد بسرعة -باستطاعة هيربيرت دال وبوني أن يشهدا على ذلك- بحلول الساعة العاشرة ما عادت قادرة على السيطرة على نفسها، اتصلت بهولي مجدّداً وانتظرت الصافرة، وحين سمعتها قالت: «سأنتظرك لغاية العاشرة والنصف ثم سأخلد إلى النوم، وعندها اعتبري نفسك مفصولة». ولكن تلك الجملة الباردة لم تشفِ غليلها «سأطردك». ضغطت بقوة على هاتفها وكأن هذا سيفيدها بشيء.

أصبحت الساعة العاشرة والنصف ثم الحادية عشرة إلا الربع ولاحظت بيني أن هولي تجاهلتها، اتصلت مرة أخرى وحُوّلت مجدّداً إلى البريد الصوتي: «معك رئيستك بيني، أو رئيستك السابقة، أنت مطرودة». أوشكت على إنهاء الاتصال حين فكّرت في شيء آخر «وأريد استرجاع مالي، أنتِ عديمة الفائدة».

دخلت منزلها غاضبة، ورمت هاتفها على أريكة غرفة المعيشة وتوجّهت إلى الحمام كي تنظف أسنانها.

نظرت إلى انعكاس صورتها على المرآة، بدت نحيلة وشاحبة للغاية وأكبر من عمرها الحقيقي بعشرة أعوام، كانت ابنتها مفقودة وربما ميتة وربما خرجت محققتها الفاشلة للتسكع في حانة ما.

بكت حين خلعت ملابسها وتمددت على السرير. لا، لم تخرج للتسكع في حانة حيث أصبحت الحانات مقصد العديد من الناس، ولكن هذه المرأة التي تضع قناعاً وتسلم من خلال ملامسة المرفق لن تخرج إلى حانة، ربما أطفأت هاتفها على الأرجح لتشاهد التلفاز.

قالت بيني وهي تجلس وحيدة في الظلام شاعرة بالخذلان: «لقد نسيت تلك الوضيعة الغبية أمري تماماً، اللعنة عليها».

ثم أغمضت عينيها.

29 تموز 2021

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

في تلك الليلة، راود هولي حلم غريب، رأت نفسها في قفص وراء قضبان متشابكة، رأت رجلاً مسناً يجلس على كرسي مطبخ ويحدق إليها، لم تستطع تمييزه تماماً لأن رؤيتها كانت مشوشة بعض الشيء، ولكنها اعتقدت أنه يرتدي بذلة الإطفاء، قال لها: «هل تعرفين أن هناك 2600 سعرة حرارية في كبد الإنسان؟ إن بعضها دهون ولكن معظمها بروتين صاف، هذا العضو الرائع...»

أكمل رجل الإطفاء محاضرته وتطرّق إلى شيء عن الأفخاذ، ولكنها لم ترد سماعه، كان حلماً فظيعاً وأسوأ من أحلامها عن أمها التي عدتها مصدر الأسى في حياتها، أغمضت عينيها واستسلمت للظلام.

2

من شدة غضبها، جافى النوم عيني بيني، تقلبت في السرير حتى أثارت فوضى عارمة فيه، بحلول الساعة الثالثة بعد منتصف الليل تحوّل غضبها من هولي إلى قلق متنامٍ، لقد اختفت ابنتها وكأنها وقفت أمام أحد أبواب العالم المسحورة الخفية واختفت من الوجود، ماذا لو حدث الأمر ذاته لهولي؟

حين انتابتها ثورة غضب نعتت هولي بعديمة الفائدة، ولكنها لم تبدُ كذلك بل على العكس تماماً، بدت محترفة ومتمكنة، كما أن سجلها يشهد لها بذلك –حين بحثت بيني عنها بدافع الحرص– ولكن في بعض الأحيان يرتكب المحترفون بعض الأخطاء، لعلهم وقفوا أمام باب خفي واختفوا بلمح البصر.

نهضت بيني وأمسكت هاتفها واتصلت بهولي، ولكنها حوّلت مجدّداً إلى البريد الصوتي، تذكرت كيف تنامى قلقها حين حوّلت إلى البريد الصوتي في كل مرة اتصلت

فيها ببوني، كان بوسعها إقناع نفسها أن الموضوعين ليسا متشابهين وأن هناك تفسيراً منطقياً حيث لم تمر سوى ست ساعات على الموعد المحدد، ولكن المخاوف ألقت بظلالها على تفكيرها عند الثالثة بعد منتصف الليل، تمنت لو أن لديها رقماً خاصاً لشريك هولي بالإضافة إلى الرقم المدوّن على الموقع، ولكن للأسف لم تعرف أياً منهما، ليس بحوزتها سوى رقم هولي الخاص ورقم مكتب فايندر كيبرز، لم يعد لديها خيار أليس كذلك؟ ومن عساه يترك هاتفه على الوضع العام في هذه الساعة المتأخرة؟

فكّرت: العديد من الناس، أهالي المراهقين... الأفراد الذين لديهم مناوبة ليلية... وربما المحققون الخاصون أيضاً.

خطرت لها فكرة، ولجت موقع فايندر كيبرز الإلكتروني، وعثرت على اسم شريكها ورقم المكتب وقائمة الخدمات وساعات العمل: من الساعة التاسعة صباحاً حتى الرابعة عصراً مثل دوام المصرف الذي تعمل فيه بيني، وفي نهاية الموقع هناك رقم للاتصال خارج ساعات العمل 225 521 6283، كما كتب تحت هذا الرقم بالأحمر: إذا شعرتم أنكم في خطر طارئ اتصلوا بـ911.

أرادت بيني الاتصال بـ 911 ولكنهم سيستهزئون بها، هذا إن ردّ أحد على الاتصال في المقام الأول، ولكن الرقم المدوّن تحت قائمة الاتصال بعد ساعات العمل صحيح على الأرجح، لقد بدت المرأة التي أجابت على الاتصال ناعسة للغاية وسعلت عدة مرات، تخيلت بيني صورة فتاة تعمل وظيفة يمكن إنجازها من المنزل حتى في أوقات المرض.

«معكم خدمات بريدين للاستعلامات، من هو الزبون الذي تودون الوصول إليه؟».

«فايندرز كيبرز، أنا بينيلوبي دال وأريد التحدث إلى أحد الشريكين، اسمه بيتر هنتلي والأمر طارئ على الأرجح»، اعتقدت أن هذه ليست حجة قوية فقالت: «أقصد أن الأمر طارئ في الواقع».

«لا يسمح لي بإعطاء أرقام خاصة يا سيدتي...»

«ولكن لا بد أنكم تملكونها أليس كذلك؟ للطوارئ؟».

لم تجبها الموظفة، هذا في حال لم تعتبروا السعال نوعاً من أنواع الإجابة.

«حاولت الاتصال بالشريكة الأخرى هولي غيبني، لم أكف عن الاتصال بها ولكنها

لم ترد، إن رقمها هو: 8218 771 440، يمكنك التحقق منه ولكنني لا أملك رقمه، أحتاج لبعض المساعدة في هذا من فضلك».

سعلت موظفة الاستعلامات مجدداً، سمعت صوت تقليب صفحات، فكّرت بيني: لا بد أنها تتحقق من بروتوكول العمل، ثم قالت المرأة: «أعطني رقمك وسأعلمه به، أو بالأحرى سأتركه في البريد الصوتي لأن الساعة تجاوزت الثالثة والنصف بعد منتصف الليل كما تعرفين».

«أعرف هذا، قولي له أن يتصل ببينيلوبي دال، أو بيني، رقمي هو...»

«إنه يظهر على شاشتي»، وسعلت المرأة مجدّداً.

«شكراً جزيلاً لك واعتني بنفسك يا سيدتي».

مرّت عشرون دقيقة دون أن تتلقى اتصالاً من هنتلي (لم تتوقع اتصالاً في المقام الأول)، عادت بيني إلى سريرها ووضعت هاتفها بالقرب منها، نامت وحلمت بعودة ابنتها إلى المنزل، وبأنها عانقتها وقالت لها إنها لن تتدخل في حياتها مجدّداً، لم يرّن الهاتف أبداً.

3

لم تستعد هولي وعيها بل أجبرت على ذلك بسبب الألم المبرح، لم تفرط في معاقرة الشراب سوى مرة واحدة في حياتها –وكان ذلك خلال الاحتفال برأس السنة، لم تحبذ التفكير به– ولكن آثار الإفراط في معاقرة الشراب تافهة مقارنة بما تشعر به من ألم الآن، شعرت وكأن دماغها هش ومحصور في قفص ضيق، آلمتها مؤخرتها للغاية وكأن سرباً من الدبابير –دعي النوع الجديد منها بالدبابير القاتلة– قد غرز إبره السامة في ظهرها ولسعه، كما آلمها الجزء الأيمن من أضلاعها للغاية لدرجة أنها وجدت صعوبة في التنفس، ضغطت على أضلاعها برفق وهي تُغمض عينيها، لقد تألمت بسبب هذا، ولكنها تأكدت من أنها لم تكن مكسورة.

فتحت عينيها لترى المكان الذي ضغطت عليه، ولكنها شعرت بألم مبرح يجتاح رأسها على الرغم من أن الضوء في قبو آل هاريس خافت، رفعت سترتها على الجانب الأيمن، لقد آلمتها قرصات الدبابير كثيراً، وهيمنت موجة أخرى من الألم على رأسها،

ولكنها استطاعت رؤية كدمة كبيرة لونها أسود مائل إلى البنفسجي تحت حمّالة صدرها.

فكرت: لقد ركلتني، لقد ركلتني تلك الوضيعة بعد أن غبت عن الوعي.

وعلى ذكر هذا: من كانت تلك الوضيعة؟

إيميلي هاريس، يا لها من وضيعة!

لاحظت أنها في زنزانة وتشابكت قضبانها لتشكل مربعات صغيرة في نقاط التقائها، وجدت تحتها أرضية إسمنتية بالإضافة إلى صندوق معدني كبير في نهاية الغرفة، وضع في حيز يشبه ورشة عمل، وأعلى الصندوق حدقت إليها عدسة كاميرا.

وجدت كرسي مطبخ أمام الزنزانة، فأدركت أنها لم تكن تحلم برجل الإطفاء، لأنه سبق له أن جلس هناك بالفعل.

وجدت نفسها ممددة على فراش، ورأت مرحاض بورتا جون في إحدى زوايا الزنزانة، استطاعت الوقوف على قدميها (الهوينى، الهوينى) مستعينة بالقضبان حيث سحبت نفسها إلى الأعلى بيدها اليسرى، حاولت رمي ثقلها على يدها اليمنى أيضاً، ولكن أضلاعها آلمتها بشدة، لقد زادت هذه المحاولة من ألم رأسها ولكن الوقوف أزال بعض الضغط عن أضلاعها المزرقة، اكتشفت الآن أنها عطشى إلى حدّ كبير، شعرت أن بوسعها شرب برميل كبير من الماء من دون توقف.

مشت ببطء شديد إلى المرحاض، ورفعت الغطاء، ولم ترَ شيئاً فيها ولا حتى ماء مخلوطاً بذلك المطهر الأزرق الذي يشبه مضاد التجمد أو ماء تنظيف شبابيك السيارة، كان المرحاض جافاً مثل فمها وبلعومها.

كانت ذكرياتها مشوشة، ولكن وجب عليها استعادتها، فكّرت أن هناك احتمالاً كبيراً أن تموت في هذه الزنزانة مثل الذين ماتوا قبلها على يدي سفاح ريد بانك، ولكن موتها محتم في حال لم تستعد فطنتها، لم تعثر على حقيبتها أو هاتفها أو مسدس بيل، أضف إلى ذلك أن أحداً لا يعرف مكانها، لم تملك سوى فطنتها.

4

جلس رودي هاريس على الشرفة الأمامية ينتعل حذاء ويرتدي رداء فوق بيجاما زرقاء طُبعت عليها رسوم سيارات إطفاء حمراء، أهدته إيميلي هذا اللباس في عيد

ميلاده منذ سنوات كنوع من الدعابة ولكنه أحبه، لقد ذكّره بطفولته عندما تمتع بمراقبة سيارات الإطفاء وهي تمر.

جلس على الشرفة الأمامية منذ شروق الشمس واحتسى القهوة من كوب ستارباكس كبير الحجم وانتظر وصول الشرطة، إنها الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الخميس ولم يحدث شيء سوى حركة المرور المعتادة، لا يعتبر هذا دليلاً على أن المرأة لم تخبر أحداً عن مكانها، ولكنه يُعتبر خطوة في الطريق الصحيح، لقد قال رودي إن بوسعهما الاعتقاد أن غياب الآنسة الفضولية لم يلاحظ بعد إذا حل الظهر ولم يحدث شيء.

كتب عنوانها على رخصة القيادة الخاصة بها ودل على مبنى في الجانب الشرقي، ولأن ظهر إيميلي لم يسمح لها بالنزول للوصول إلى سيارة الفضولية تكفل رودي بالمهمة، وحين أوصل رودي السيارة إلى منزلها تولت إيميلي بقية المهمة، لحق بها رودي في سيارتهما الخاصة إلى مبنى الآنسة الفضولية، ضغطت إيم زر رفع بوابة المرأب السفلي، ركنت إيم السيارة (توفرت العديد من الأماكن الفارغة في هذا الوقت الحار من السنة) ثم عرجت إلى سيارتهما من نوع سوبارو، أصرت على قيادة السيارة إلى المنزل على الرغم من أنها لم تستطع استخدام سوى يد واحدة بشكل فعلي، لعلها خافت من احتمال نسيان رودي طريق المنزل ولكن هذا أمر سخيف.

لقد تناول بعض كرات لحم متقمصة شخصية بابا نويل بعد إنزالهما للفضولية إلى الأسفل وإدخالها إلى الزنزانة -كما أن إيم تناولت البعض أيضاً- فاتقد ذهنه للغاية، لم يكن متيقظاً جداً هذا الصباح، ولكنه أدرك ما يحصل حوله، لقد توصل إلى نتيجة أن الوقت ليس مناسباً لفقدان فطنته.

انضمت إليه إيميلي، لفت ذراعها بإحكام بضماد من نوع إيس لأنه متورم وآلمها كثيراً، حاولت غيبني جاهدة كسرها ولكنها لم تنجح تماماً: «لقد استيقظت، علينا أن نتحدث إليها».

«كلانا؟».

«سيكون هذا أفضل».

«حسناً يا عزيزتي».

دخلا المنزل وكانت هناك حبتا دواء في صحن أبيض على طاولة المطبخ: حبتا سيانيد، وهو السم ذاته الذي قتل به جوزيف وماغدا غوبيلز أولادهما الستة في ملجأ الفوهرر، أخذ رودي حبتي السم ووضعهما في جيبه، لم يرد ترك وسيلة الهروب الأخيرة في المطبخ وهما في القبو.

أخذت إيميلي قنينة ماء أرتيسيا من الثلاجة، لم تجد أضلاع عجل فيها ولم يكونا بحاجة إليها، كما لم يحبذا تناول جثة الآنسة الفضولية الملوثة بالدخان، وهذا أمر لا يحتمل النقاش.

ابتسمت إيميلي لرودي ابتسامتها الصفراء الشهيرة وقالت: «دعنا نرَ ما لديها، هيّا بنا».

قال رودي: «احترسي على الدرج يا عزيزتي وانتبهي على ظهرك».

قالت له إيم إنها على ما يرام، ولكنها أعطت قنينة المياه لرودي كي تستطيع الإمساك بالدرابزين بيدها السليمة، ثم نزلت الدرج ببطء، درجة تلو الأخرى، انتحب رودي وفكر: إذا نجونا من هذه الورطة علينا اختطاف فريسة أخرى في أقرب وقت.

لم يحتمل رؤيتها وهي تعاني سواء أكانت هناك خطورة أم لا.

5

راقبتهما هولي وهما ينزلان الدرج، لقد تحركا بحذر شديد، واستغربت كيف تمكنا من الإيقاع بها، تذكرت الإعلان القديم مجدّداً، كان عليها الذهاب إلى السيارة بدلاً من الاختباء وراء المناشير الكهربائية.

«لا أعتقد أنه يفترض بك الابتسام وأنت في هذا الوضع سيدة غيبني، ولكن يبدو أن لديك سبباً وجيهاً للابتسام أليس كذلك؟».

قالت إيميلي وهي تضع يديها خلف ظهرها: «هل تريدين أن تطلعينا على هذا السبب؟».

تعوّد بيل أن يقول لها: لا تجيبي عن أسئلة المشتبه بهم أبداً لأن عليهم أن يجيبوا هم عن أسئلتك.

قالت ولم تكترث بإيميلي... التي لم تفضل أن يتم تجاهلها: «مرحباً مجدّداً أيها

البروفيسور هاريس، لقد ظهرت خلفي أليس كذلك؟ ومعك الصاعق الكهربائي؟».

قال رودي بفخر: «نعم».

«هل أتيت إلى هنا ليلة البارحة؟ يبدو أنني أتذكر لباس نومك».

«نعم، كنت هنا».

اتسعت عينا إيميلي، وحدثت هولي نفسها: لم تعرفي هذا أليس كذلك؟... التفتت إيميلي إلى زوجها وأخذت منه قنينة الماء وقالت: «أعتقد أن هذا يكفي يا عزيزي، دعني أطرح الأسئلة».

خطر في بال هولي أنهما سيطرحان سؤالاً واحداً قبل أن يغلقا الباب ويطفئا الأضواء فأرادت أن تطيل بقاءهما أمامها، فلقد، لقد تذكرت شيئاً آخر من ليلة البارحة يتناسب مع لقب هذا الرجل تماماً، كانت ستستبعد هذه الفكرة لو أنها كانت حرة، بل ربما كان بإمكانها نقاش هذه القضية مع أصدقائها تحت ضوء النهار، لكنها صارت على يقين بالفكرة التي راودتها، فهي الآن محتجزة في القبو وتشعر بعطش وألم شديدين.

«هل تأكلونهم؟ هل هذا سبب اختطافكما لهم؟».

تبادلا نظرة حيرة صادقة تماماً، ثم قهقهت إيميلي فجأة بطريقة أنثوية.

بعد لحظة شاركها رودي القهقهة، تشاركا نظرة تنم عن سرعة فهم أحدهما للآخر بسرعة كنتيجة حتمية لزواج دام لعقود وهما يضحكان بتناغم، أومأ رودي برأسه بطريقة يقول فيها: أخبريها، ما الضرر في ذلك؟ فالتفتت إيميلي إلى هولي.

«ليس هناك شخص ثالث يا عزيزتي، فقط نحن، نحن أكلناهم».

6

في الوقت الذي كانت فيه هولي تستوعب حقيقة أن هذين العجوزين اللذين يحتجزانها يأكلان لحوم البشر. استحمت بيني دال ووضعت كمية كبيرة من الشامبو على شعرها، رنّ هاتفها فوقفت على رقعة الحمام وتناولته من فوق علاقة الثياب، والمياه تسيل على رقبتها وظهرها، تحققت من الرقم، هل هذه هولي؟ لا.

«مرحباً؟».

لم يجبها رجل بل امرأة ولم تكترث بالترحيبات: «لم اتصلت في منتصف الليل؟

ما هي الضرورة القصوى؟».

«من معي؟ لقد طلبت معاودة الاتصال من بيتر هان...».

«معك ابنته، أبي في المستشفى إنه مصاب بكورونا، لذا توليت أمر هاتفه، ماذا تريدين؟».

«أنا أستحم، هل يمكنني الانتهاء ومعاودة الاتصال بك؟».

تنهدت المرأة بشكل مبالغ فيه وقالت: «حسناً، بالطبع».

«لم يظهر رقم على شاشتي، هل يمكنك...».

أعطتها المرأة رقمها فكتبته بيني على البخار المتجمع على مرآة الحمام، وكررته عدة مرات للتأكيد وهي تفتح الماء وتضع رأسها تحت الدوش، لقد سارعت في إزالة الصابون وقالت لنفسها إنها ستنهي الاستحمام في وقت لاحق، لفت نفسها بمنشفة وعاودت الاتصال بذلك الرقم.

«معك شونا، ما الأمر سيدة دال؟».

أخبرتها بيني أن هولي استلمت قضية اختفاء ابنتها، وقالت إنها ستقدم تقريراً بآخر المستجدات في تمام الساعة التاسعة من ليل الأمس، لم تتصل بها هولي ومنذ ذلك الوقت ولغاية صباح هذا اليوم لم تجب هولي على بيني، وحوّلت إلى البريد الصوتي في كل مرة اتصلت فيها.

«لا أعرف ما يمكنني فعله ل...».

قاطعها صوت رجل وقال: «أعطني إياها».

«لا يا أبي، لقد قال الطبيب...».

«أعطني الهاتف اللعين».

قالت شونا: «إذا أخرت تعافيه...».

ثم اختفت وسعل رجل في أذن بيني وذكرها بموظفة الاستعلامات، قال لها: «معك بيت، أعتذر نيابة عن ابنتي فهي تحاول حماية والدها العجوز».

سمعت صوتاً خافتاً يقول: «يا إلهي، هل صحيح ما أسمع؟».

كررت بيني ما قالته، ولكنها أنهت كلامها هذه المرة بالقول: «لعل شكوكي ليست في مكانها ولكنني أصبحت أتوتر من غياب أي شخص منذ اختفاء ابنتي».

قال بيت: «ربما ليست في مكانها ولكن ماذا لو كانت في مكانها؟ لا تتأخر هولي أبداً وهذه عادتها، أريد...».سعل سعالاً جافاً وقال: «أرغب بإعطائك رقم جيروم روبينسون فهو يعمل معنا أحياناً، إنه... اللعنة، لقد نسيت، إن جيروم في نيويورك، يمكنك الاتصال به إن شئتِ، ولكنني أُفضل الاتصال بأخته باربرا، أنا متأكد أنها وجيروم يمتلكان مفتاح شقة هولي، لديّ مفتاح آخر ولكنني في...».سعل مجدّداً وقال: «في كاينر، قالوا لي إنني سأمكث يوماً آخر وعليّ حجر نفسي في المنزل مع شونا، أعتقد أنه بوسعي إرسال المفتاح لك مع ممرضة».

وقفت بيني في المطبخ وتصبب الماء منها على الأرض، تناولت قلماً من جانب المذكرة النهارية: «آمل ألا أضطر لهذا، أعطني هذين الرقمين».

أعطاها بيتر الرقمين فدّونتهما، أمسكت شونا بالهاتف وقالت بشكل جاف: «وداعاً». وعادت بيني إلى وحدتها من جديد.

جرّبت الرقمين وبدأت برقم باربرا لأنها في البلدة، ولكنها قوبلت بالبريد الصوتي في كلتا الحالتين، تركت لهما رسالة ثم عادت إلى الحمام لتنهي ما بدأته، وانتابها للمرة الثانية شعور أن خطباً ما قد حصل ولربما وقعت مصيبة كالمصيبة الأولى. من عادة هولي أن لا تتأخر أبداً

7

رددت هولي ما سمعته: «أكلتماهم؟».

لا وجود لسفاح ريد بانك، شقّ عليها أن تُصدق الأمر، ليس هناك سوى أستاذي جامعة عجوزين يعيشان في منزل فيكتوري قديم بالقرب من جامعة مرموقة.

تقدم رودي بحماسة واقترب منها كثيراً، سحبته إيم من لباسه وتألمت كثيراً، لم يبدُ أن رودي انتبه لهذا.

قال: «تأكل كل الثدييات بني جنسها، ولا يحرم هذا الأمر إلا في فصيلة الإنسان العاقل، يا لسخافة هذا القانون الذي يعارض كل الحقائق الطبية».

«رودي».

تجاهلها لأنه تاق للتوسع في الشرح، لم يقوما بهذا مع أي من ضحاياهما، ولكن

هذه السجينة لم تعد من الماشية، فلا داع للقلق من انتشار الأدرينالين في جسدها قبل موعد قتلها.

«حرم هذا الأمر منذ أقل من ثلاثمئة عام، ولغاية الآن تتمتع بعض القبائل – العريقة– بفوائد اللحم البشري».

«رودي، ليس هذا الوقت...».

«هل تعرفين عدد السعرات الحرارية في جسد الإنسان البالغ متوسط الوزن؟ مئة وستة وعشرون ألفاً!». بدأت وتيرة صوته ترتفع حتى قاربت الصوت الذي تعود مخاطبة طلابه به في صفوف التغذية وعلم الأحياء «يعالج اللحم والدم البشري داء الصرع والتصلب الجانبي الضموري وعرق النسا! كما أن الدهن البشري الصحي يعالج تصلب الأذن الوسطى الذي يعتبر السبب الرئيسي للطرش، وكذلك فإن قطرات الدهن السائل الدافئ في العين تشفي شبكية...».

«كفى يا رودي».

نظر إليها شذراً وأكمل: «يضمن اللحم البشري طول العمر، انظري إلينا إن كنت تشكين، على الرغم من أننا في أواخر الثمانين إلا أننا سليمان معافيان».

تساءلت هولي إذا كان رودي قد إن دخل في حال هلوسة بسبب الزهايمر أو أنه فقد عقله نسبياً، وربما أنهيعاني من الأمرين معاً، لقد راقبت كيف نزلا الدرج بحذر شديد وكأنهما إناءا مينغ متحركان.

قالت إيميلي: «دعونا ندخل في صلب الموضوع، من أخبرت عن الأمر؟ من يعرف أنك هنا؟».

لم تجبها هولي.

ابتسمت إيميلي بخبث وقالت: «آسفة، لقد أخطأت في صياغة الجملة، لا أحد يعرف مكانك في الوقت الحالي وإلا لكانوا جاؤوا للبحث عنك».

صرخ رودي وقال: «الشرطة، وي–وي». لقد قلّد صوت صافرة الإنذار الحقيقية ورفع يده في الهواء، قالت إيميلي: «اعذري زوجي، إنه منزعج وهذا ما يجعله ثرثاراً، وأنا منزعجة أيضاً، ولكنني فضولية في الوقت ذاته، من يعرف أنك هنا؟».

لم تجبها هولي.

رفعت إيميلي عبوة المياه وقالت: «لا بد أنك عطشى».

لم تجبها هولي.

«قولي لي من أخبرت... هذا في حال أخبرت أحداً في المقام الأول، لعلك لم تخبري أحداً، لم يأتِ أحد للبحث عنك، وهذا يرجح أنك لم تخبري أحداً بالفعل».

لم تجبها هولي.

قالت لرودي: «دعنا نذهب، لدينا هنا وضيعة عنيدة».

قال رودي لهولي: «لا تفهمين الأمر، لا يمكن لأحد أن يفهم الأمر».

«ما رأيك في منحها بضع ساعات لتفكر في الأمر يا عزيزي؟».

قال رودي: «نعم». شعر بالتشوش لبعض الوقت، ولكنه عاد إلى صوابه الآن ولو بنسبة قليلة «لن نحتاج لاعترافها إلا إذا أتى شخص ما، أليس كذلك؟».

قالت إيميلي: «لا، لا أعتقد هذا».

قالت هولي: «سأموت أليس كذلك؟».

قالت إيميلي: «ليس بالضرورة، أعتقد أنه ليس لديك أي دليل، كما أرجح فكرة أنك قدمت إلى هنا كي تحصلي على دليل، لقد التقطت صوراً لشاحنتنا بهاتفك ولكن هاتفك دُمّر، ربما سنطلق سراحك بما أنك لا تملكين أي دليل».

فكّرت هولي: تتكلم وكأن هذه الزنزانة غير موجودة.

رفعت ذراعها وأظهرت ضماد إيس: «وفي الكفة الأخرى... لقد آذيتني».

فكّرت هولي في رفع سترتها لتريها الكدمة وفكرت في أن تقول لهما: لقد تعادلنا لهذه الناحية، إلا أنها لم تفعل أياً من هذين الأمرين.

ولكنها قالت: «ربما لديكما شيء للعلاج».

قال رودي بحماسة: «لقد استخدمناه بالفعل، وضعنا كمادة من الدهن».

فكّرت هولي: من بوني دال،... وصدمتها فكرة أن تكون تلك هي الحقيقة المُرة... شعرت بشيء من الخيبة ليلا.

رفعت إيميلي عبوة المياه مجدّداً وقالت: «أخبريني بما أريد معرفته وسأعطيك هذه».

لم تقل هولي شيئاً.

قالت إيميلي بأسى لا يمكن تصديقه: «حسناً، الحقيقة هي أننا سنقتلك في جميع الأحوال، ولكن هل تودين الموت وأنت عطشى؟».

لم تجب هولي التي لم تصدق أنها لم تمت بعد.

قالت إيميلي وهي تسحب رودي إلى الدرج: هيّا يا رودي، تحتاج إلى بعض الوقت كي توازن الأمور»، تبعها رودي ولم يعترض.

«نعم، ولكن ليس الكثير».

«لا، ليس الكثير فلا بد أنها تموت عطشاً».

صعدا الدرج بحذر شديد، دعت هولي في قلبها أن يقعا على الدرج وقالت لنفسها: اسقطا، وتدحرجا على الدرج واكسرا رقبتيكما.

ولكن أُمنيتها لم تتحقق، أغلق الباب الفاصل بين العالم الخارجي وهذا القبو، ظلت هولي بمفردها ورأسها يكاد ينفجر وعانت من الظمأ بالإضافة إلى آلام مبرحة أخرى.

8

في تمام الساعة التاسعة كان هناك ازدحام في شارع ريدج وفي أماكن أخرى، نادت إيميلي رودي ليدخل من الشرفة ويتحدث إلى هولي في القبو، وفي تمام الساعة التاسعة أيضاً، اتصلت بيني بشونا وبيت هنتلي وتركت رسائل صوتية على هاتفي جيروم وباربرا روبينسون.

نزلت بربارا من غرفة الضيوف في منزل أوليفيا في تمام الساعة التاسعة حيث مكثت الليلة، ارتدت سروالاً قصيراً وسترة أعارتها إياها ماري دوشامب، لم تكونا في المقاس ذاته تماماً، ولكن السترة ناسبتها إلى حدّ ما، لم تتذكر باربرا آخر مرة نامت فيها إلى هذا الوقت، لم تصب بآثار الافراط في الشرب ولعل هذا لأن ماري قالت لها أن تأخذ حبتي تيلينول قبل الخلود إلى النوم –قالت لها: إن هذا دواء مضمون إلا إذا أسرفت في الشرب– ولعل السبب هو اكتفاؤها بالماء المكربن حين ذهب البعض بقيادة روزالين بوركهارت إلى حانة غرين دور، قالت روزالين إن هذه الحانة كانت ملاذ أوليفيا قبل إقلاعها عن الكحول في السبعينات من عمرها، أي بعد أول وعكة

صحية خطيرة ألمت بها.

كمعظم المراهقين اتجهت باربرا مباشرة إلى هاتفها، لاحظت أن بطاريته مشحونة بنسبة 26 بالمئة، تذكرت أنها نسيت شاحنها في المنزل، ورأت وهي ترتدي ملابسها أن لديها مكالمة فائتة ورسالة صوتية، اعتقدت أنها من الشركات المزعجة التي تود أن تسألها إن كانت ترغب بتجديد تأمين سيارتها (وكأنها امتلكت سيارة في الأساس) ولكن الرسالة مغايرة تماماً، إن الرسائل من زبونة هولي بيني دال.

تنامى قلق بربارا وهي تستمع إلى الرسالة، في البداية فكّرت باحتمال تعرض هولي لحادث. كانت صديقتها تعيش بمفردها ولطالما تعرض الذين يعيشون بمفردهم لحوادث مختلفة، من الوارد أن يتزحلقوا في الحمام أو على الدرج أو النوم ونسيان السيجارة مشتعلة (عرفت باربرا أن هولي عادت للتدخين مجدّداً)، أو أن يتعرضوا للاعتداء تحت المبنى، لعل السرقة هي أهون المصائب على عكس الضرب أو الاغتصاب.

حين نزلت ماري على الدرج ببطء لأنها لم تكتفِ بالماء المكربن ليلة البارحة كانت باربرا تتصل بهولي، وصلت لها رسالة مسجلة تقول لها إن بريد هولي ممتلئ.

لم ترتح باربرا لهذا.

قالت لماري: «عليّ الذهاب لأتبين مكان شخص، إنها صديقة لي».

لا تزال ماري ترتدي ثياب البارحة وشعرها الأشعث ينتشر فوق كتفيها ولكنها سألت باربرا إن أرادت شرب كوب قهوة قبل أن تذهب.

قالت باربرا: «ربما في وقت لاحق»، لقد ازداد قلق باربرا مع كل ثانية لأنها لم تفكر في الحوادث وحسب، بل بقضية هولي الحالية، أمسكت حقيبتها ووضعت هاتفها فيها وغادرت في سيارة أمها.

9

عاود رودي الخروج إلى الشرفة وانضمت إليه إيميلي، حدّق إلى الشارع من دون تركيز، فكّرت إيميلي: إنه يذهب ويعود ولا يثبت على حال واحد.

ولكنه سيذهب يوماً ما ولن يعود مجدّداً.

كانت واثقة أن غيبني ستخبرهما في النهاية بما يريدان معرفته، ولكن إيم لم تعتقد أن بوسعها الانتظار، وهذا يعني أن عليها التفكير عنها وعن رودي، لم ترد ابتلاع السيانيد مع أنها استعدت لفعل هذا إذا اضطرت، لأنها فضّلت الانتحار على رؤية اسميهما في كل الصحف- والأخبار ليس في أميركا وحسب -بل في شتى أنحاء العالم، لا بد أن سمعتها التي حفظتها برموش عينيها ستنهار مع سمعة رودي، قالت لنفسها: الأستاذان آكلا لحوم البشر، هذا ما سينعتوننا به.

ما من شك أنها فضّلت السيانيد على ذلك، ولكن إن أتيحت لها فرصة فهي تريد الاستفادة منها، وإذا أرغما على التوقف عن فعلتهما فهل سيكون هذا مروعاً؟ لقد شعرت مع الأيام أنهما خدعا نفسيهما كل هذا الوقت، تذكرت جملة من كلمتين بفضل دراستها لعلم التغذية والمعجزات، لقد خطرت هذه العبارة نفسها للمرأة المتداعية والعطشى في القبو.

ولكن الوقت يمضي في هذه الأثناء وربما لن يحتاجا انتظار غيبني كي تتحدث.

«رودي؟».

قال: «نعمم؟» وهو ينظر إلى الشارع.

طقطقت أصابعها أمام عينيه وقالت: «رودي، ركّز معي».

التفت إليها وقال: «كيف حال ظهرك يا عزيزتي؟».

«أفضل بقليل»، كان هذا صحيحاً وربما كانت نسبة التحسن تصل لستة من عشرة «عليّ القيام بشيء ما وعليك البقاء هنا ولكن لا تنزل إلى الأسفل، إذا أتت الشرطة من دون مذكرة تفتيش لا تسمح لهم بالدخول واتصل بي، هل تفهم ما أقول؟».

«نعم»، بدا أنه يفهمها تماماً ولكنها لم تثق بذلك.

«أعد ما قلته لك».

ردّد كلماتها من دون هفوات.

«اسمح لهم بالدخول إذا كان معهم مذكرة تفتيش، ثم اتصل بي وابتلع إحدى الحبتين، هل تتذكر أين وضعتهما؟».

«بالطبع»، أجابها بتأفف: «إنهما في جيبي».

«تماماً، أعطني حبة»، وأضافت بسبب نظرته المرتابة (يا له من رجل رقيق!):

«تحسباً لأي طارئ».

ابتسم لسماعه هذا وقال بطريقة إيقاعية: «إلى أين أنت ذاهبة يا صغيرتي، يا صغيرتي؟».

«لا يهم، لا تشغل بالك بهذا، سأعود ظهراً على أبعد تقدير».

«حسناً، هذه هي حبتك، تعاملي معها بحذر».

قبّلت زاوية فمه ثم عانقته لتمده بالطاقة؛ كانت تحبه كثيراً، وأيقنت أنهما وقعا في هذا المأزق بسببها.

لولاها لكان رودي سيتابع أبحاثه ويمضي فترة تقاعده بكتابة الردود في العديد من المجالات (كما أنه سيرمي المجلات والدفاتر أحياناً من شدة قرفه)، وبالطبع سيمتنع عن نشر فوائد تناول لحوم البشر، فهو كان على درجة من الذكاء الكافي (حينها) ليعرف كم كانت هذه الأبحاث ستضر بسمعته، ذات مرة تذمّر قائلاً: «سينعتونني بهاريس صاحب الاقتراح المتواضع»، (لقد قرأ بحث جوناثان سويفت الهزلي انصياعاً لإلحاحها الشديد)، فهي من أرغمته على التحول من المجال النظري إلى المجالي التطبيقي ولديها القضية المثالية: ذلك الشاب الشاذ الذي كان يتحدث اللغة الإسبانية وتجرأ على معارضتها بخصوص ورشة الشعر، لقد سرت بتناول دماغ الشاب الشاذ الألمعي.

فكّرت: لقد نفعهما الأمر في الواقع، وضعت حقيبة هولي على طاولة القهوة في غرفة المعيشة بالإضافة إلى قبعتها، اعتمرت إيميلي القبعة، وفتشت حقيبتها ومن بين حاجيات هولي (بما فيها أقنعة وسجائر -لم يغب التناقض بين الأقنعة والسجائر عن إيميلي) وأخرجت ما يشبه بطاقة دخول، وضعتها في جيبها ووضعت مسدس المرأة التي آذت معصمها على الرف.

لقد دمرت هاتف غيبني، ولكن إيميلي حرصت على إزالة شريحته، ثم وفي الميكروويف بدافع الحرص، لم تعانِ إيم في فتح الهاتف لأنه لم يكن عليها سوى وضع بصمة إصبع الشابة الغائبة عن الوعي على الشاشة، وكررت الأمر حين فتحت خدمة المواقع في خيارات الخصوصية، رأت أن آخر مكانين زارتهما غيبني قبل مجيئها إلى هنا هما مكتبها ومنزلها، لم تجرؤ إيميلي على العودة إلى الشقة في وضح النهار،

ولكنها اعتقدت أن المكتب هو الخيار الأفضل لأن تلك الشابة المزعجة كانت قد أمضت كثيراً من الوقت هناك.

لدى غيبني (التي اقتربت نهايتها) شريك اسمه بيت هنتلي، ولكن حين وجدت إيميلي هنتلي على الفيسبوك اكتشفت مفاجأة سارة، كانت التعليقات والرسائل كافية لإخبارها بما تريده: إنه مصاب بالكورونا، تواجد في المنزل ونقل إلى المستشفى، كُتب آخر تعليق منذ ساعة وكتبته أنثى اسمها إيزابيل غاينز: ستعود غداً إلى المنزل، وستستعيد عافيتك في غضون أسبوع أو أسبوعين! بأمان الله أيها العجوز المتذمر... ووضعت رمز دب.

لو أن غيبني عملت لصالح أم الفتاة التي تقمصت شخصية بابا نويل لكانت أخذت وقتاً لكتابة التقرير، وعلى كل حال-فإن غيبني بحد ذاتها ستصبح قريباً عبارة عن كتلة من اللحم في كيس قمامة- ربما استطاعت إيميلي الحصول على النسخة الأساسية... أو مسحها عن حاسوب غيبني...

إنها فرضية بعيدة المنال، ولكنها تستحق الالتفات... ومع الوقت فإن سجينتهما ستزداد عطشاً وتغدو أكثر إنصياعاً، قالت إيميلي لنفسها: ربما اشتاقت إلى تدخين سيجارة ثم ابتسمت، كان هذا موقفاً صعباً ولكنها شعرت بحيوية عارمة أنستها ألم ظهرها، عزمت على المغادرة، ثم أعادت التفكير بالأمر، أخذت من الفتاة التي تقمصت شخصية بابا نويل حلوى مطهوة رمادية اللون وعليها مزينات حمراء ثم تناولتها بشراهة.

يا لها من لذيذة!

اكتشفت أن السرّ في لحم البشر يكمن في فضولك تجاه هذا الأمر وسرعان ما تُعجب بطعمه، كما أنك ستحبه في النهاية إلى أن تصل إلى مرحلة لا يمكنك الرجوع منها.

بدلاً من الدخول إلى المطبخ للوصول إلى المرأب سلكت الطريق الأطول لتتكلم مع رودي مجدّداً: «ردد ما أمليته عليك».

فعل هذا من دون أن يخطئ بحرف.

«لا تنزل إلى الأسفل يا رودي فهذا هو الأمر الأهم، لا تنزل قبل أن أعود».

قال: «نظام الأصدقاء».

«هذا صحيح، نظام الأصدقاء»، ومشت على ممر السيارات لتستقل السوبارو.

10

إلى جانب عطشها وألم رأسها المبرح وآلامها الأخرى كانت هولي خائفة، لقد أوشكت على الموت عدة مرات، لكن لم يسبق لها أن كانت قريبة من الموت إلى هذا الحدّ، لقد فهمت أنهما سيقتلانها من دون شك وأن نهايتها وشيكة، وكما قالوا في الأفلام القديمة التي تعشقها هولي: إنها تعرف الكثير عنهما.

لم تكن واثقة من ماهية الصندوق المعدني في نهاية القبو، ولكنها ظنت أنه كان يشبه قطاعة الخشب، فالخرطوم يخترق الجدار ليصب في الجهة الثانية للباب الصغير في منطقة العمل، فكّرت: هكذا كانا يتخلصان من بقايا الجثث، وحده الله يعرف كيف أوصلا القطاعة إلى هنا.

نظرت إلى لوح الأدوات على الجدار البعيد، ولاحظت أن هناك شيئين لا ينتميان إلى المعدات، فالشيء الأول عبارة عن خوذة لقيادة الدراجة وإلى جانبه حقيبة، ارتخت ركبتا هولي حين رأتهما، وجلست على الفراش وشهقت حين شعرت بالألم في أضلاعها، تحرك الفراش قليلاً ورأت طرف شيء تحتها، فرفعته لترى ما هو تحته.

11

لدى باربرا مفتاح لشقة هولي، ولكن ليس لديها مفتاح البوابة. لذا ركنت سيارتها في الشارع ونزلت على المنحدر وتسللت عبر القضبان، وسرعان ما رأت شيئاً لم ترتح له، فسيارة هولي مركونة في المرأب قرب المنحدر، ولكن مرأب هولي أبعد من ذلك، وهناك شيء آخر: فالدولاب الأيسر الأمامي يتخطى الخط الأصفر، أي أنه يعتدي على المكان المجاور، لم يسبق لهولي أن ركنت سيارتها بهذه الطريقة، فبعد أن تركن سيارتها تترجل منها وتعاين أي غلط في طريقة ركنها للسيارة.

كانت مستعجلة.

لعل هذا صحيح، ولكن المكانين المخصصين لها أقرب إلى المصعد والدرج، صعدت باربرا الدرج لأنها لا تستطيع أن تستقل المصعد ما لم يكن لديها بطاقة،

صعدت بسرعة لأنها كانت متوترة جداً، استخدمت مفتاح هولي، وفتحت الباب ومدّت رأسها.

«هولي؟ هل أنت هنا؟».

لم تجبها هولي، لم تلحظ باربرا سوى رائحة دخان خفيفة للغاية، كان هناك شمع معطر في كل غرفة، والمنفضة الوحيدة كانت نظيفة وموضوعة على الشباك بجوار المجلى، كم تبدو في الواقع جميلة!!.

ولكن ماذا عن السيارة؟

لقد انزعجت من الطريقة المستهترة وغير الصحيحة التي ركنت فيها السيارة.

وردتها مكالمة هاتفية من جيروم: «هل حددتِ مكانها؟».

«لا، أنا في شقتها الآن، لا يعجبني الوضع يا جي». أخبرته عن السيارة واعتقدت أنه سيتجاهل الأمر، ولكن الوضع لم يعجب جيروم هو الآخر.

«حقاً؟ تحققي من السلة الصغيرة قرب الباب الأمامي فهي عادة ما ترمي مفاتيحها فيها حين تدخل المنزل، لقد رأيتها تفعل هذا آلاف المرات».

تحققت باربرا من السلة، ولم ترَ سوى مفتاح سيارة هولي الإضافي ولم يكن هناك أثر لحلقة المفاتيح، ولم ترَ بطاقة المصعد الخاصة بها، «لعلها في حقيبتها الكبيرة».

«ربما، ولكن كيف ركنت سيارتها في الأسفل، ولم تترك المفتاح في المنزل؟».

قالت باربرا: «ربما استقلت الحافلة؟».لكنها لم تكن مقتنعة بما قالته.

«لا يوجد الآن نظام محدد للحافلات بسبب كورونا، لقد اكتشفت هذا عندما أردت ركوب حافلة إلى المطار».

قالت: «يا لك من مسكين». عبارة لطالما تبادلاها كدعابة في ما بينهما.

«أنا قلق للغاية يا با، أعتقد أنني سأعود قريباً».

«كلا يا جيروم».

«بلى يا باربرا، سأبحث عن أقرب طائرة، إذا عثرت عليها قبل أن أستقل الطائرة اتصلي بي أو راسليني».

«ماذا عن رحلتك إلى مونتوك! لعلك تحظى بفرصة لمقابلة سبيلبيرغ».

«في الحقيقة، لم أفضل آخر فيلمين له، لقد بدت على ما يرام حين اتصلت بها

البارحة ولكن...».تابع حديثه قبل أن يتسنى لها الكلام «ربما القضية هي السبب، لقد تركت لي السيدة دال رسالة أيضاً، لقد بدت قلقة للغاية، ربما صادفت هولي الشخص الخطأ أثناء تحقيقها بشأن اختفاء بوني والآخرين، كما أضيف الشخص كاسترو الذي اختفى منذ تسع أو عشر سنوات إلى القائمة أيضاً».

«ربما، ولكنني لست متأكدة». ولكن باربرا متأكدة من أن هولي لن تركن سيارتها بهذه الطريقة أبداً، فهذا يدل على استهتار وهولي أبعد ما تكون عن الاستهتار.

«هل جرّبت الاتصال بهاتف المكتب؟».

«نعم، لقد اتصلت وأنا في طريقي إلى هنا وحوّلت إلى البريد الصوتي».

«ربما عليك الذهاب إلى هناك لتتأكدي من أنها ليست... لا أعرف».

ولكن باربرا عرفت ما قصده: لتتأكدي من أنها ليست ميتة.

«لعلنا نبالغ في استنتاجاتنا يا جي، ربما هناك تفسير منطقي لهذا الوضع ستعود إلى بيتها تجر أذيال الخيبة».

«تحققي من المكتب، وأرجو أن تعلميني حين تعرفين مكانها».

غادرت ونزلت الدرج بسرعة.

12

في الوقت الذي تكلمت فيه بربارا مع أخيها في شقة هولي الخالية، كان رودني هاريس جالساً على الشرفة يُخطط للرد الذي سيرسله إلى غات، وهي مجلة مهمة مختصة بطب المعدة والأمعاء والكبد، في آخر عدد منها قرأ مقالاً كتبه جورج هوكينز عن العلاقة المكتشفة بين البواب[1] وداء كرون، إن هوكينز حائز على درجة الدكتوراه ولكنه حرف مقالات كتبتها ماريرون ديلونغ... وذلك الشخص الآخر الذي لم يستطع رودي تذكر اسمه في هذه اللحظة، ولذا كانت استنتاجات هوكينز خطأ للغاية.

أكل رودي حصته من كرات لحم الشابة دال المقلية واستمتع بالقرمشة التي كانت تتمتع بها، قال لنفسه باعتداد: ستدمره ردودي.

تذكّر أن لديهما سجينة في القبو، لم يستطع تذكر اسمها، ولكنه تذكر نظرة الرعب

(1) فتحة بين المعدة والمعي. المترجم

على وجهها حين أخبرتها إيم أنهما استطاعا كبح تداعيات سنهما المتقدم، لقد سر لفكرة تدمير آرائها وأفكارها واحداً تلو الآخر بقدر ما سر بكتابة الرسالة لغات التي كانت ستدمر وهم الأستاذ جورج هوكينز، لقد نسي أن إيميلي أمرته بألا ينزل إلى القبو، لكنه اعتبر أن كلامها هو كلام مغفلين، كانت المرأة لاتزال في الزنزانة بحق الله!

نهض ودخل المنزل، وتناول كرة أخرى من اللحم، كانت مفيدة للغاية في تصفية الذهن.

13

شعرت هولي بالخوف يسري في جسدها عندما سمعت خطوات هاريس على درج القبو، تساءلت هل حانت نهايتها، وصل إلى أسفل الدرج ووقف لبرهة وكان سارحاً في عالمه الخاص، لا يزال يرتدي رداءه والبيجاما، أخرج شيئاً بنياً ودائرياً من جيب ردائه ووضعه في فمه، لم ترد هولي تصديق أنها كرة من لحم بيني دال، ولكنها رجحت هذا الاحتمال، قبضت راحة يدها اليمنى وأرختها بشكل يتزامن مع نبض شرايين صدغيها وغرزت أظافرها القصيرة في راحة يدها.

«هل هذا ما أفكر فيه؟».

ابتسم ابتسامة خبيثة، ولكنه لم يقل شيئاً.

«هل هي مفيدة في معالجة الآلام؟ لأنني أتألم كثيراً».

قال: «نعم، لديها تأثير رباني». وتناول كرة أخرى «إنها رائعة حقاً، فبعض الباباوات على دراية بفوائدها، إن الفاتيكان يتستر على الأمر، ولكن هناك سجلات تثبت الموضوع».

«هل يمكنك إعطائي كرة؟». أثارت فكرة تناول قطعة من ابنة بيني دال اشمئزازها، ولكنها حاولت تصنع التوسل والأمل.

ابتسم وأخرج كرة من جيبه وتوجّه صوبها، ولكنه توقف وحرّك إصبعه في وجهها وكأنه كان والداً أمسك بطفله وهو يرسم على الجدار، قال: «لا، لا، لا، ربما لا يا آنسة... ما كان اسمك؟».

«هولي، هولي غيبني».

نظر رودي إلى المكنسة التي يستخدمانها لدفع الطعام والماء للمساجين، ثم أشاح بوجهه، فهو على وشك أن يعيدها إلى جيبه، ولكنه غيّر رأيه ووضعها في فمه.

«إذا لم ترد مساعدتي فلمَ نزلت إلى هنا يا سيد هاريس؟».

«البروفيسور هاريس».

«آسفة يا بروفيسور، هل أردت التحدث إليّ؟».

لم يبرح مكانه ونظر إلى لا شيء، أرادت هولي أن تلوي رقبته، ولكنه لا يزال أسفل الدرج، أي على بعد عشرين أو خمسة وعشرين قدماً، تمنت لو أن ذراعيها تصلان إلى هذا الطول.

أوشك أن يصعد الدرج، ثم تذكّر لمَ نزل والتفت إليها مجدداً، «دعينا نتحدث عن الكبد، أي عن الكبد البشري الذي تم إيقاظه، هلا بدأنا؟».

«حسناً». لم تعرف إلى أي مدى تستطيع استمالته ليتقدم أكثر، ولكنها كانت تستطيع التفكير في شيء ما، إذا لم يصعد إلى الطابق العلوي، أو لم تنزل زوجته ذات العقل الصاحي إلى الأسفل «كيف يمكنك تنشيط الكبد يا بروفيسور؟».

«عن طريق تناول كبد آخر بالطبع». نظر إليها باستخفاف وتابع «يعتبر كبد العجل من أفضل الأنواع، ولكنني أعتقد أن لحم الخنزير يعادله جودة، لم نجربه بسبب الجزيئات البروتينية المسببة للعدوى، فلا داعي لتغيير الأمور...».

أنهت هولي جملته بقولها: «إلا إذا حصل خطب ما». كان رأسها يؤلمها جداً لدرجة أن عينيها كانتا تؤلمانها، كما أن عطشها ازداد قوة ولكنها مثّلت تعبير: أنا متشوقة جداً للتعلم، قبضت يدها، وأرختها ثم قبضتها وأرختها مجدّداً.

«هذا صحيح، صحيح مئة في المئة. لا ضرورة لإصلاح ما هو غير مُعطل، هذا أمرٌ بديهي، أعتقد أن كبد الإنسان هو المثالي ومن البديهي أن هناك مشكلة في إطعام شخص كبداً طازجاً يعود لشخص آخر... وتكمن هذه المشكلة في...».ثم حدّق إلى الفضاء.

قالت هولي: «إنك ستحتاج إلى سجينين».

«نعم، نعم هذا من المسلمات. هذا أمر بديهي للغاية. ولكن الكبد... ماذا كنت أقول؟».

قالت هولي: «كنت تتحدث عن تنشيطه، ربما... يمكنك تجهيزه؟».

«بالضبط، إن الكبد أشبه ما يكون بالكأس المقدسة الحقيقية، أي القربان المقدس، هل تعرفين أن كبد الإنسان يحتوي على الأحماض الأمينية التسعة الضرورية؟ كما أنه غني بالليزين».

قالت هولي: «الذي يحمي من بادرات القروح». فهي معرضة للإصابة بها بنسبة كبيرة.

قال هاريس بصوت عالٍ: «لا يعد هذا شيئاً أمام فوائده التي لا تعد ولا تحصى». أراد أن يرفع صوته حتّى يصل إلى عتبة الصراخ التي أرغمت العديد من الطلاب على ترك صفوفه «يعالج الليزين التوتر والجروح، يُعتبر الكبد منجماً لليزين، وهو يُنشط الغدة الصعترية المسؤولة عن إنتاج الخلايا التائية، هل تريدين معرفة إسهاماته في علاج كورونا؟ كورونا!». قهقه وقال: «من كان محظوظاً وتناول كبد إنسان منشطاً ضحك في وجه كورونا كما فعلت أنا وزوجتي. وماذا عن الحديد؟ يعد كبد الإنسان غنياً بالحديد أكثر من كبد العجل... والخروف... والخنزير... والغزال... والمرموط... وكبد أي مخلوق آخر، كما أن نسبة الحديد في كبد الإنسان تفوق مثيلتها في كبد الحوت الأزرق الذي يصل وزنه إلى مئة وخمسة وستين طناً! يخفف الحديد من الوهن وينشط الدورة الدموية وخصوصاً في الدمااااغ!». ضرب رودي على جبهته التي ظهر عليها وعاء دموي كان ينبض بشدة.

فكّرت هولي: أنا أتحدث إلى عالم مجنون فعلاً، ولكنها لم تكن تتحدث إليه بل تستمع إليه، وبما أن رودني لم يعد يلقي محاضرات توهم جمهوراً من الأشخاص غير المؤمنين به.

«وحتى الكمية القليلة من كبد الإنسان فإنها تحتوي نسبة هائلة من الفيتامينات الضرورية لإنتاج الخلايا الحمر ولاستقلاب الخلايا! انظري إلى بشرتي أيتها الشابة الصغيرة، انظري إليها وحسب».

أمسك رودني بخده، وشده وكأنه طبيب أسنان يتحضر لحقن حقنة بنج في لثة المريض: «إنها ناعمة، ناعمة كبشرة الطفل، وهذه فوائد الكبد فقط»، توقف عن الكلام ليلتقط أنفاسه ثم تابع: «أما بالنسبة إلى تناول أنسجة الدماغ...»

قالت هولي: «هذا محض هراء»، لقد خرجت الجملة منها من دون خطة أو استراتيجية، لقد ضاقت ذرعاً بكلامه، لقد أزاحت فكرة مجاراته عن كاهلها.

اتسعت عيناه وحدق إليها، إنه يتحدث إلى جمهور وهمي، ويحاول إقناعهم، وها هي طالبة ليس لها أي قيمة تتجرأ على تحديه: «ماذا؟».

أجابته: «هذا الكلام محض هراء». أمسكت بالقضبان بيدها اليمنى، أما اليسرى، وشدت بيدها اليمنى فوق صدرها، كما وضعت وجهها بين قضيبين وحدقت إليه، كما أنها نحت تهذيبها الذي تعلمته منذ نعومة أظفارها «أعتبر هذا الطب مجرد كلام فارغ كالأساور النحاسية والبلورات السحرية، بشرة ناعمة؟ هل نظرت في المرآة مؤخراً أيها البروفيسور؟ وجهك مليء بالتجاعيد كغطاء سرير غير مرتب».

«اخرسي»، احمرّت وجنتاه ووصل الدم إلى رأسه بسرعة: «اخرسي أيتها... أيتها البغيضة».

فكّرت: سيقتلانني لا محالة، ولكنني سأخبر هذا الرجل عدة حقائق قبل أن أموت.

«بالنسبة إلى الأثر الكبير على الدماغ... أنت تعاني من مرض الزهايمر أيها البروفيسور وهو في مرحلة متقدمة، لا يمكنك تذكر اسمي، وربما لن تستطيع تذكر اسمك في غضون أشهر أو أسابيع».

تقدّم نحوها وهذا ما تمنته هولي عندما طلبت منه إعطاءها إحدى كرات اللحم المروّعة، ولكنها لم تلحظ ذلك الآن، لقد نسيت عطشها حتى بسبب غضبها منه ومن زوجته ومن وضعها الميؤوس منه.

«تعتقد أنك وزوجتك أفضل من الجميع، لعلكما كنتما أفضل منهم لفترة معينة، ولكنكما لستما الوحيدين اللذين يقرأان مجلات علمية، هذا يُسمى...»

«توقفي، إن هذه مجرد أكاذيب، أكاذيب قذرة».

لم يرد منها أن تقول ما هو على دراية به، ولكنها عزمت على فعل ذلك، كانت ستلتزم الصمت حين تموت ولكنها لم تمت بعد.

14

عندما كانت هولي تقول لرودني هاريس أنه ليس الوحيد الذي يقرأ المجلات

العلمية دخلت إيميلي إلى مبنى فرانكلين، فهي تستخف بفكرة الأقنعة الواقية، ولكنها سُرّت لأنها تضع قناعاً الآن كما أنها أنزلت قبعة هولي لتغطي عينيها، اتجهت إلى دليل المبنى وتحققت منه، كان مكتب فايندرز كيبرز في الطابق الخامس إلى جانب فرنتشر إنبورتس إينك وديفيد أند دوترس للتدقيق الحسابي الجنائي.

دخلت إيميلي المصعد وضغطت على الرقم 5، وحين خرجت تحققت من أن الردهة خالية وعرّجت على إلى باب مكتب فايندرز كيبرز: وكالة تحقيقات، وبما أنها جلبت مفاتيح هولي سرت لأنها وجدت الباب مقفلاً، وهذا يعني أن لا وجود لموظفة استقبال، فهي ستمثل دور المرأة العجوز الآسفة التي نزلت في الطابق الخطأ إن رأت موظفة استقبال، بدأت البحث بين مفاتيح هولي وجرّبت تلك التي تشبه القفل آملة أن لا يخرج أحد من مكتب فرنتشر إنبورتس إينك أو ديفيد أند دوترس لاستخدام الحمام.

لقد تطابق المفتاح الثالث مع القفل فدخلت ردهة الاستقبال، سمعت صوت المكيف الخافت، وتحققت من الحاسوب على المكتب الصغير، وأملت أن يكون في وضع السبات ولكنها لم تكن محظوظة، فتحت الباب الأيمن ونظرت إلى ما يبدو مكتب رجل بالنظر إلى الملصقات الرياضية المُعلقة على الجدار.

كان المكتب الآخر لغيبني، توجّهت مسرعة إلى حاسوب هولي، ضغطت مفتاحاً عشوائياً وأملت أن تنتشله من سباته، كان في وضع السبات فعلاً ولكنه طلب كلمة مرور ليكشف الخبايا التي كانت فيه، جرّبت عدة كلمات مرور بما فيها هوليغيبني بالأحرف الكبيرة والصغيرة ثم فايندرز كيبرز ولورين باكالفان، لكن محاولتها ذهبت سدى.

نظرت إلى المكتب فوجدته أنيقاً ومنظماً وفارغاً باستثناء دفتر ملاحظات، هناك رسمة لأزهار مع بعض الخرابيش على الصفحة العليا، بالإضافة إلى اسم إيماني الذي لم يعنِ شيئاً لإيميلي، ولكن منطقة إيلم غروف للمقصورات عنت لها الكثير، ذهبت إيميلي إلى هناك لتزيل بعض الأشياء من مقصورة الوضيعة كراسلو لجعلها تبدو وكأن مالكتها قد غادرتها، لم ترتح إيميلي لهذا، لكن منسوب قلقها ارتفع حين قرأت ما طبع في الأسفل: بيلرينغير وجي. كاسترو عام 2012.

كيف توصلت تلك الوضيعة إلى كل هذه المعلومات؟

مزقت إيم الورقة الأولى والتي تليها من باب الاحتياط، كورتهما ثم وضعتهما

في جيبها، تحققت من دروج المكتب واحداً تلو الآخر، على أمل أن تعثر على تقرير مكتوب، لم تجد واحداً، وكانت على يقين بأنها لن تطمئن إلا إذا كان التقرير مكتوباً باليد، وعندما لم تجد ورقة عليها كلمة مرور هولي، تملكتها نوبة غضب يائس.

فكّرت: علينا تأمين خطة هروب غير حبوب السيانيد، لمَ لم نفكر بهذا؟

بدا الجواب بديهياً: لأنهما مسنان ولا يمكن للمسنين الركض بسرعة لمسافات طويلة.

ربما ليس هناك تقرير، ربما ترددت تلك المرأة الغبية فيما يخص ما توصلت إليه إلى حدّ أنها لم تكتبه أو تخبر أحداً به.

فكّرت إيميلي بأن الذي نفكر به هو السيناريو الأفضل، عزمت العودة إلى المنزل وعندها سيطلق رودني النار على الوضيعة غيبني كما سبق له أن أطلق على الوضيعة كراسلو، كانا سيمررانها في قطاعة الخشب لتسحق عظامها وتهرس باقي أعضائها بما فيها كبدها الملوث بالنيكوتين، ثم سيتوجهان إلى بحيرة ماري كيثر ليسقطا فيها كيس القمامة الأسود الذي يحتوي على ما تبقى من هولي غيبني، وبعد هذا كانا سيتأملان حدوث الأفضل لهما، هل كان لديهما خيار آخر؟ الانتحار بالطبع ولكن إيميلي ظلت على أمل عدم وصول الأمر إلى هذا الحدّ.

عثرت على خزنة الجدار التي كانت مخبأة خلف لوحة لسهل وجبل، جرّبت الضغط على المقبض، فلم يحدث شيء، وهي أصلاً لم تتوقع حدوث شيء، دوّرت قرص الأرقام بشكل عشوائي ثم أعادت تعليق اللوحة وأوقفت عمل الحاسوب، شعرت أنها لم تُعد دفتر الملاحظات إلى مكانه الأصلي فعدّلت موضعه قليلاً، ثم عادت من حيث أتت، ومسحت كل شيء لمسته بدءاً من لوحة مفاتيح الحاسوب، أنهت رحلتها بمسح قبضة باب المكتب بعد أن وضعت قناعها ونظرت من العين السحرية لتتأكد أن ما من أحد في الخارج، مشت قليلاً في الردهة، ثم تذكرت أنها نسيت قفل الباب مرة أخرى، عادت وأقفلته وحرصت على مسح بصماتها عن قبضة الباب.

في المصعد أنزلت القبعة بحيث حجبت عينيها ولم تصادف سوى شخص واحد في الردهة، وبما أنها تخفض رأسها لم تلحظ سوى بنطال من الجيز وحذاء رياضي حين مرت باربرا روبينسون إلى جانبها في طريقها إلى المصعد، حان وقت العودة إلى

المنزل والتخلص من العقبة الأخيرة التي تبقت أمامهما.

عندما فتحت الباب لتخرج من المبنى شعرت بموجة من الألم أسفل ظهرها، وقفت إيميلي على الرصيف، وتأوهت وانتظرت قليلاً، وعندما خف الألم شكرت ربها على الحلوى التي أكلتها قبل مغادرتها المنزل، عبرت شارع فرانكلين لتصل إلى سيارتها وعرجت أكثر من أي وقت مضى.

خطرت لها فكرة أن هولي تصرخ في وجه زوجها في تلك اللحظة ولكنها دحضتها.

15

«يدعى هذا بالعلاج الوهمي أيها الجاهل والغ...».

تقدم مسرعاً نحوها، وصرخ عليها كي تغلق فمها، وقال لها إن لا وجود للعلاج الوهمي، وهو لا يعدو كونه تلاعباً بالبنود الإحصائية من قبل طاقم من العلماء المزيفين الخمولين -أمسكت به لحظة اقترابه منها، لم تُفكر في هذه اللحظة التي لم يسبق لها أن خططت لها، لم تفعل شيئاً سوى أنها أخرجت يدها اليمنى من بين القضبان وأمسكت بعنقه، آلمت هذه الحركة أضلاعها المكدومة، ولكن بسبب ارتفاع الأدرينالين المرتفعة لديها لم تشعر بشيء.

حاول الإفلات منها والنجاة بنفسه، ولكن هولي أحكمت قبضتها عليه، وسحبته إلى أن لامس ظهره القضبان، تهاوى رداء النوم الذي يرتديه أرضاً وكشف عن ثوب النوم السخيف الذي تُزينه سيارات الإطفاء.

«أفلتيني!». قالها بصوت أجش، وكررها بطريقة غير واضحة، «أفلتيني!».

تذكرت هولي ما بيدها اليسرى، فشدت عليه كثيراً لدرجة أنها جرحت يدها، إنه القرط الذهبي ذي الشكل المثلث، وهو القسم الثاني من القرط الذي سبق لها أن عثرت عليه بين الشجيرات بالقرب من ورشة إصلاح السيارات المهجورة، أخرجت يدها الأخرى من بين القضبان، وأمسكت قطعة القرط بحرص بين إبهامها وسبابتها ومررت أحد أطرافه الثلاثة على رقبة هاريس النحيلة وعلى طرفي فكيه، لم تُفكّر في ما أقدمت عليه، لم يكن الجرح عميقاً لأن القرط لم يكن حاد الحافة، بل بسماكة ورقة، وبالتالي ما كان الجرح ليسبب نزيفاً.

لكنها صادفت شرياناً نابضاً وغرزت الطرف أعمق فأعمق، ساعدها رودي عن طريق إمالة رأسه جانباً لأنه حاول رؤية ما الذي تجرحه به، جرح القرط وريده الوداجي، تلقت هولي أول دفقة من الدم الدافئ، ولطخت الدفقة الثانية وجهها، لقد دخل الدم إلى عينيها فشعرت به حارقاً ومؤلماً.

تحرك رودي بطريقة انعكاسية وأفلت من قبضتها، مشى مترنحاً باتجاه الدرج وهو يجر رداء النوم خلفه، وضع يده على رقبته والدم يسيل من بين أصابعه، ارتطم بالمكنسة التي أُسندت إلى الزاوية وتعثر بها، ارتطم رأسه بسياج الدرج عندما جثا على ركبتيه، خف سيلان الدم، استند إلى السياج ليقف على قدميه وواجهها، جحظت عيناه عندما حاول طلب النجدة وتمتم شيئاً لم تفهمه هولي، ولكنها اعتقدت أنه كان اسم زوجته، وقع رداء النوم على الأرض، شعرت وكأنها ترى أفعى تسلخ جلدها، خطا خطوتين نحوها وهو يحرك ذراعيه، ثم وقع على وجهه وسمعت صوت ارتطام جمجمته بالأرض الإسمنتية، تحركت أصابعه وحاول أن يرفع رأسه ولكنه لم يستطع، سال الدم على كامل الأرضية.

وقفت هولي مندهشة من هول المشهد، لا تزال ذراعيها ممدودتين من بين القضبان والقرط في يدها اليسرى ورودي مضرج بالدماء. في البداية، لم يخطر لها سوى سؤال السيدة ماكبيث: ولكن من يظن أن هذا العجوز تجري في شرايينه هذا القدر من الدماء؟

ثم فكرت: أين زوجته؟

تراجعت خطوة ثم خطوتين، ثم تعثرت بقدمها وهوت على الفراش، صرخت من شدة تألمها، فوقع القرط من يدها.

ها هي تجلس منتظرة إيميلي.

16

لم تولِ باربرا أي اهتمام بالمرأة التي مرت إلى جانبها في ردهة مبنى فرانكلين، فكّرت في سلسلة ديداكشن بليز وهي عبارة عن سلسلة كتب بوليسية اعتاد جيروم أن يقرأها يمنحها إياها، ليست متأكدة من كون هوسها هي وجيروم في مجال عمل هولي

(وهي تعني أخاها على وجه الخصوص) له علاقة بتلك الكتب، ولكن لعل هذه الكتب هي الملهم الأول.

هناك ثلاثون أو أربعون لغزاً في كل سلسلة، وكل لغز يُعرض على مدى صفحتين إلى ثلاث صفحات، لقد ورد في السلسلة شخصية مستكشف سري يدعى داتش سبايغلاس، كان داتش يأتي إلى مسرح الجريمة، ويستكشفه، ويتحدث إلى بعض الناس ثم يحل اللغز (الذي يدور بشأن عملية سرقة في معظم الأحيان أو بشأن عملية حرق متعمد أو ضرب على الرأس وأحياناً يحل قضايا قتل)، لطالما توصل داتش إلى النتائج في الطريقة نفسها: «كل الأدلة هنا! إن الأجوبة بين راحتي يديك! أعطني استنتاجاً، من فضلك؟!». يستطيع جيروم حل القضايا معظم الوقت، ولكن باربرا عجزت عن ذلك في معظم الأحيان... ولكن حين قلبت الكتاب لتقرأ ملخص القضايا رأت أن الحلول بديهية للغاية.

عندما كانت باربرا تستقل المصعد اعتقدت أن حوادث الاختفاء التي تبحث هولي عن حقيقتها تشبه الألغاز التي شغلها أمر حلها عندما كانت في التاسعة أو العاشرة، كانت القضايا أقذر وأخبث من الألغاز، ولكنها تشبهها في نواحٍ عديدة، كل الأدلة هنا! إن الأجوبة بين راحتي يديك، أوشكت باربرا أن تصدق هذه المقولة، تمنت لو أنها تمكنت من قلب الكتاب وقراءة الحل، ولكن ليس هناك كتاب، لم يكن هناك شيء سوى صديقتها المفقودة.

مشت في الردهة وفتحت باب مكتب فايندرز كيبرز بواسطة نسختها من المفاتيح: «هولي؟».

ليس هناك جواب، ولكن شعوراً غريباً انتاب باربرا بأن أحداً هنا، أو أن أحداً قد خرج من هنا منذ وقت قريب، لم تشم شيئاً ولكنها شعرت أن أحدهم تطفّل على المكان.

«هل من أحد هنا؟».

لم يجبها أحد، ألقت نظرة خاطفة على مكتب بيت وتحققت من خزانة المعاطف، وعندما كانت على وشك دخول مكتب هولي ووقفت في مكانها لبرهة ولم تبعد يدها عن المقبض، خشيت أن تجد هولي جاحظة العينين ومقتولة في كرسيها، أجبرت نفسها

على فتح الباب، وحاولت أن تقنع نفسها أنها لن تعثر على هولي، وأنه لا يجدر بها الصراخ إذا عثرت عليها حقاً.

لم تكن هولي في الداخل، ولكن شعور باربرا أن أحداً كان هنا منذ وقت قريب لم يفارقها، نظرت إلى مكتب هولي ولم ترَ شيئاً سوى دفتر اعتادت هولي الرسم عليه وتدوين الملاحظات أو الأمرين معاً وكانت الورقة الأولى فارغة، رأته موضوعاً بطريقة سوية وهذه كانت من عادات هولي، ضغطت باربرا زراً على لوحة مفاتيح الحاسوب فلم يحدث شيء، لم تكن هولي توقف حاسوبها عن العمل على الإطلاق، ولطالما ضبطته على وضع السبات، اعتادت قول إنها تكره الانتظار حيث إن الحاسوب يأخذ فترة طويلة ليقلع.

شغّلته باربرا وحين ظهرت شاشة ابدأ استخدمت باربرا تطبيقاً على هاتفها لتصل من خلاله إلى كلمة السر التي تفتح جميع الحواسيب المكتبية: Qxtt4#%ck أدخلتها ولم يحدث شيء سوى صدور الصوت المزعج السريع الذي ينبئ بأن الحاسوب قد رفض كلمة المرور، أعادت الكّرة ظناً منها أنها أخطأت في كتابتها، ولكنها قوبلت بالنتيجة نفسها، قطّبت حاجبيها ثم ضحكت حين فهمت الأمر، فكلمة المرور تتغير تلقائياً كل ستة أشهر، وهذه خاصية تضمن الأمان، وهذا يعني أن كلمة السر Qxtt4#٪ck لم تعد صالحة منذ الأول من تموز، نسيت هولي أن تعطي باربرا كلمة السر الجديدة ونسيت باربرا المنهمكة بأمورها الخاصة أن تسألها عنها، ربما أعطتها لجيروم ولكنها شكّت في ذلك لأنه هو الآخر كان منهمكاً في أموره الخاصة.

استنتاج، من فضلك؟!

لم تصل باربرا إلى أي استنتاج، نهضت وعندما أوشكت على المغادرة انتابها حدس دفعها إلى إزالة اللوحة عن الجدار، كانت خزنة الشركة خلفها، وعلى الرغم من أنها كانت مغلقة ومقفلة إلا أن هولي رأت شيئاً زاد من قلقها، فلقد اعتادت هولي أن تصفر قرص الأرقام بعد أن تستخدم الخزنة، وهذا أحد تصرفاتها النابعة من الوسواس القهري.

ليست هذه عادة بيت، كما أنه لم يزر المكتب منذ شهر، جرّبت مقبض الخزنة ولكن الخزنة كانت مقفلة، وهي لا تعرف الشيفرة لذا لم يكن بوسعها التحقق من

محتواها، لم تستطع سوى تصفير قرص الأرقام وإعادة تعليق اللوحة ثم الاتصال بشقيقها.

17

ركنت إيميلي سيارتها السوبارو في ممر السيارات الخاص بها وخرجت بسرعة هائلة وشعرت بموجة أخرى من الألم تعصف بظهرها.

لقد واجهت صعوبة في تصديق أنهما يكبحان مدّ الشيخوخة، وهذا ما اتفقا على الاعتقاد به عندما كانا يأكلان خورخي كاسترو.

فكّرت: ليس للاعتقاد علاقة بهذا الأمر بل هو العلم، العلم موجود في عملهما. أما تشكيكها فهو نابع من توترها، فهذه فترة وستمضي وستتبعها فترة تعافٍ.

صعدت الدرجات الأمامية، وكانت تضع راحتي يديها أسفل ظهرها، لم ترَ رودي على الشرفة بل رأت كوب القهوة نصف ممتلئ ودفتر ملاحظاته، تصفحت الدفتر فشعرت بالاكتئاب فقد رأت أن خطه أصبح مهزوزاً بعد أن كان أنيقاً، كما أنه لم يلتزم بأسطر الدفتر الزرقاء وكأنه يكتب ملاحظات عشوائية على دفتر ما.

توقعت أن تعثر على رودي في غرفة المعيشة أو في المكتب، لكنها لم تعثر عليه في أي منهما، وحين دخلت المطبخ وجدت باب القبو مفتوحاً، سرى الخوف في جسدها، فاقتربت من الباب وقالت: «رودي؟».

أجابتها المرأة، تلك الوضيعة المتطفلة: «إنه في الأسفل يا أستاذة وأظنه ألقى محاضرته الأخيرة».

18

في نهاية المطاف أخبر جيروم باربرا أنه لن يعود بالطائرة، كانت هناك رحلة في الساعة الواحدة إلا ثلث ظهراً، وحين اتصل ليحجز مقعداً أخبروه أنها متوقفة عن العمل حالياً بسبب كورونا، لقد أصيب الطيار ومساعدوه بالكورونا.

«سأحاول استئجار سيارة فالمسافة ليست ببعيدة، أعتقد أنها عبارة عن خمسمئة ميل تقريباً، يمكن أن أصل إلى الديار عند منتصف الليل أو قبل ذلك إذا لم يكن هناك

ازدحام».

«هل أنت متأكد أنك في السن المناسب لاستئجار سيارة؟». أرادت أن تكون إجابته نعم، لأنها أرادته أن يكون معها.

«لقد بلغت السن القانونية من شهرين، كما أستطيع الحصول على حسم بفضل بطاقة أوثورز غايلد، أليس هذا رائعاً بشكل لا يُصدق؟».

«هل تريد أن تعرف ما الذي لا يصدق؟ أعتقد أن أحدهم اقتحم المكتب، أنا موجودة في المكتب الآن». أخبرته كيف كان عليها تشغيل الحاسوب من قائمة ابدأ بدلاً من الاكتفاء بكبس زر، وأخبرته أن قرص أرقام الخزنة لم يكن يشير إلى الصفر، «هل لديك كلمة السر التي حُدّثت في بداية الشهر؟».

«يا إلهي، لا، لم أقصد المكتب ولو لمرة واحدة في الآونة الأخيرة إذا كنت منشغلا بكتابي كما تعلمين».

كانت باربرا تعرف الوضع تماماً: «ربما أطفأت حاسوبها حيث أخبرتها أنه كان يسحب طاقة مع أنه في وضع السبات، ولكنني لا أجد مبرراً لعدم تصفير قرص أرقام الخزنة، أنت أدرى بطبع هولي».

سأل جيروم: «ولكن ما الذي سعى إليه المقتحم من دخول المكتب؟»، ولكنه أجاب على سؤاله بقوله «ربما كان أحدهم خائفاً مما كانت على وشك التوصل إليه وأراد أن يعرف إن كنت قد كتبت تقريراً أو تحدثت إلى موكلتها، عليكِ أن تتحدثي مع السيدة دال وتقولي لها أن تتوخى الحذر».

«ليس لديّ رقم...» ولكن باربرا تذكرت الرسالة التي تركتها بيني دال، لا بد أن رقمها كان محفوظاً في جهات اتصالها.

«لا عليك، لديّ رقمها ولكنني قلقة بشأن هولي أكثر من قلقي على والدة بوني دال».

«وأنا أيضاً يا أختي، ماذا عن الشرطة؟ ماذا عن إيزابيل غاينز؟ ماذا عساي القول؟ لقد ركنت سيارتها في المكان الخطأ، أي على الخط الأصفر ونسيت تصفير قرص أرقام الخزنة، لذا عليكم الاتصال بالحرس الوطني؟».

«حسناً، حسناً، لقد فهمت مقصدك، ولكن إيزي في مقام صديقتنا، هل تريدينني

أن أتصل بها؟».

«لا، سأتولى الأمر، ولكن قبل هذا أعلمني بكل تفاصيل القضية».

«لقد قمت بالفعل بـ...»

«أجل، ولكنني كنت منغمسة في أموري، لذا أخبرني مجدّداً، فأنا أشعر أنني على وشك معرفة كل شيء، لا يمكنني... أنا مستاءة للغاية... أخبرني بمجريات القضية مجدداً، من فضلك».

أخبرها مجدّداً بتفاصيل القضية.

19

نزلت إيميلي الدرج، وتوقفت في منتصف الطريق عندما رأت زوجها ممدداً على الأرض غارقاً في بركة من الدماء، وصرخت قائلة: «ماذا جرى؟ ماذا جرى؟».

قالت هولي: «لقد نحرت عنقه». كانت تستند إلى الجدار الإسمنتي في الجهة البعيدة من الزنزانة بالقرب من المرحاض، كانت هادئة للغاية «هل تودين سماع مزحة اختلقتها؟».

نزلت إيميلي الدرجات الباقية راكضة، لقد تعثرت بالدرجة الأخيرة وفقدت توازنها، مدّت يديها كي لا تهوي، وسمعت هولي صوت طقطقة عظام في ذراعها اليسرى -المسنة والهشة- لعلها كسرت، لقد ولولت هذه المرة ولم تكتف بالصراخ الناجم عن شعورها بالألم لا الذعر، زحفت إلى رودي وحرّكت رأسه، لقد بدأ دمه بالتخثر، وسمع صوت انسلاخ حين حررت وجنته من بركة الدماء.

«دخل مليونير جديد إلى الحانة وطلب ماي-تاي...».

«ماذا فعلتِ؟ ماذا فعلتِ برودي؟».

«ألم تسمعيني؟ لقد نحرت عنقه». انحنت هولي وأمسكت بالقرط الذهبي «بهذا السلاح، كان لبوني، إذا كان هناك وجود لحالة انتقام من القبر فعلي القول إن هذه الحادثة خير مثال على ذلك».

نهضت إيميلي... بسرعة، لم تولول أو تصرخ هذه المرة بل ناحت من الألم حين ثار ظهرها عليها وتدلت ذراعها اليسرى بوضعية غير طبيعية.

فكّرت هولي: لقد كسرت من المرفق، هذا جيد.

«يا إلهي، يا إلهي، كم هذا مؤلم».

قالت لها هولي: «أتمنى أن تكسري جمجمتك السخيفة»، ثم رفعت القرط الذي تلألأ تحت الضوء الوهاج «تعالي إلى هنا يا أستاذة ودعيني أريحك من مأساتك التي تبدو بالغة، ربما لن تتأخري على زوجك في طريقه إلى الجحيم».

وقفت إيميلي محنية الظهر وأصبح شعرها أشعث بعد أن كان مرتباً في الصباح معانقاً وجهها، قالت هولي لنفسها إن هذا يكمل طابع المشعوذة الذي تتصف به، تساءلت فيما إذا كان هدوؤها دليلاً على فقدانها الصواب، لم ترجح هذا الاحتمال لهذا السبب: كانت ستموت في حال استطاعت إيميلي هاريس الصعود إلى الطابق الأول والنزول إلى القبو.

فكّرت: لقد نلت من أحدهما على الأقل وتذكرت قول بوغي في فيلم كازابلانكا: «ستكون باريس لنا دوماً».

صعدت إيميلي الدرج بحذّر مفرط، وأمسكت بالدرابزين، نظرت خلفها مجدّداً لترى زوجها القتيل لا هولي، ثم صعدت ببطء وهي تلهث بشدة.

صرخت هولي وراءها: «دخل مليونير جديد إلى الحانة وطلب ماي-تاي، اسقطي والوي عنقك أيتها الوضيعة، اسقطي».

ولكن إيميلي لم تسقط.

20

اعتقدت باربرا أن هناك حلاً للغز اختفاء هولي في الوجه الثاني للكتاب وهذا إن اعتبرنا أن بيني دال هي هذا الوجه، هناك إعلان عن امرأة مفقودة على عمود في الشارع قرب مرأب مبنى فرانكلين، لقد تلاشى الحبر بعد ثلاثة أسابيع من عوامل الطقس، لقد تطاير قسم منه مع نسيم الصباح، ولكن تمكنت باربرا من رؤية وجه الفتاة المبتسم.

فكّرت: ماتت، لقد ماتت هذه الشابة، أرجو ألا تكون هولي قد ماتت هي الأخرى.

اتصلت برقم بيني دال، وعندما رنّ الهاتف نظرت إلى صورة المرأة الشقراء المبتسمة، لم تكن أكبر من باربرا بكثير.

أجيبي على هاتفك يا سيدة دال، أرجوك أجيبي.

«معك باربرا روبينسون يا سيدة دال».

«هل وصلتك رسالتي؟ هل عثرت عليها؟ هل هي على ما يرام؟».

لم تعرف باربرا إن كانت تسأل عن بوني أو هولي ولكن الجواب سيكون نفسه في الحالين: «لا تزال مفقودة، أعرف أن هولي وعدتك بالتواصل معك ليلة البارحة، هل أرسلت لك التقرير؟ هل تحققت من بريدك الإلكتروني؟».

«لقد تحققت بالفعل ولم أجد شيئاً».

«هل يمكنك التحقق مجدداً؟».

طلبت منها بيني دال الانتظار، وقفت باربرا وراقبت في غضون ذلك صورة ابنة هذه المرأة المفقودة، فوجدتها شقراء ومواطنة أميركية تشبه المشجعات، وهذا يعني أنها حلم كل الشبان، انتظرت وهي تتصبب عرقاً.

لم تكف عن التفكير برمز الدخول، قالت لنفسها: عذراً، رقم خطأ.

عادت بيني وقالت: «لا، لا شيء».

إذا كان هنالك تقرير فلا بد أنه محفوظ في حاسوب مكتب فايندرز كيبرز، شكرت باربرا بيني واتصلت ببيت هنتلي، أجاب على الهاتف بنفسه بعد أن كان أسرع من ابنته في تناوله أن تعيد له هاتفه.

«أنا باربرا يا بيت وقبل أن تسألني عنها فأقول لك إنها لا تزال مفقودة»، أخبرته عن سيارة هولي المركونة بطريقة غير صحيحة في المرأب، ثم طرحت السؤال الجوهري: هل لديك كلمة سرّ حاسوب الشركة التي حدثت تلقائياً في الأول من تموز؟

كان عليها الانتظار بينما أصيب بيت بنوبة سعال قبل أن يستطيع الإجابة: «بالطبع لا، لأن هولي هي من تهتم بكل هذه الأمور».

«هل أنت متأكد من أنها لم تعطك إياها؟».

«نعم، كنت سأكتبها لو أعطتني إياها، وقبل أن تسأليني: ليس لديّ أرقام قرص الخزنة أيضاً، لقد أعطتني إياها منذ عدة أشهر ودوّنتها، ولكنني أضعت الورقة التي دوّنتها عليها، أنا لا أستخدمها على أي حال، آسف يا صغيرتي».

لقد خاب أمل باربرا ولكنها لم تتفاجأ، شكّرته وأنهت الاتصال به، ثم حدّقت

إلى صورة الشابة تحت إعلان اختفائها، لقد تفوق الحر على مانع تعرّقها وكان العرق يتصبب من إبطيها.

لم تعتقد أن هناك نسخة احتياطية في الخزنة على أي حال، لقد كانت هولي حريصة على وضع كل شيء في الصندوق -وهذا الاسم الذي كانت تطلقه على حاسوبها- إلى أن تنتهي القضية، كانت تكره إعادة الطباعة بعد إحداثها أي تغيير أو إضافات، وكانت هذه إحدى عاداتها الغريبة، إذا كتبت التقرير وحفظته على الكلاود فسيبقى هناك إلى أن يأتي خبير معلوماتية -بمهارات عالية للغاية- ويتمكن من فتح حاسوب فايندرز كيبرز لكنها الآن ليس لديها وقت للانتظار، ولعل الأوان سيكون قد فات حينها.

قال جيروم إن عليها الاتصال بإيزابيل غاينز، وقالت له باربرا إنها ستفعل ذلك ولكن ما هدفها من هذا؟ لقد فقدت هولي منذ أقل من أربع وعشرين ساعة، ليس هنا دماء أو آثار في شقتها أو مكتبها، وليس بوسعها الطلب من إيزي أن تضع إشعار بولو على سيارة هولي لأنها في مرأب شقة هولي، ومركونة بشكل خطأ، ولكن الناس يفعلون هذا طوال الوقت.

ولكن ليس هولي، لم تفعل هذا على الإطلاق.

قررت باربرا أن تعود إلى المنزل الذي لم يعد والداها إليه بعد ولم ترد إزعاجهما بهذا الخبر وهما في العمل، لم ترد سوى أن تتكلم مع جيروم، وحين عادت إلى المنزل اتصلت به، وصلتها رسالة تقول: ليس بوسعه الرد لأنه كان يقود، قالت باربرا لنفسها: هذا جيد ولكن لم يكن ينتابها أي شعور جيد تجاه أي شيء.

21

فكّرت هولي: ربما ستنهار في الطابق العلوي بسبب ذراعها المكسورة وألم ظهرها... فالأمر محتمل، ولكنها لم تعتقد أنها محظوظة إلى هذا الحدّ.

انتظرت قليلاً، وحين بدأت بالتفاؤل ظهرت فردة حذاء، ثم أخرى، ثم نهاية ثوب المرأة المجنونة.

نزلت ببطء شديد وهي تلهث وتمسك بالدرابزين بيدها اليمنى، أما يدها اليسرى فتتدلى إلى جانبها، كان وجهها شاحباً وكأنها جثة، وضعت مسدساً في زنار ثوبها، على

الرغم من أن هولي لم ترَ سوى النهاية ولكنها كانت ستميز هذا المسدس أينما كان، عزمت إيميلي على قتلها بمسدس بيل هودغز عيار0.38.

وصلت إيميلي إلى نهاية الدرج وقالت بصوت أجش: «لقد خرّب فضولك كل شيء أيتها الوضيعة».

«لاحظتُ أن كل شيء يتدهور قبل وصولي إلى هنا»، تراجعت هولي ببطء إلى أن ارتطمت بالجدار وقد رفعت يديها، راغبة في أن تأتي نتيجة تلك الحركة في صالحها، هذا هو تأثير العلاج الوهمي يا إيميلي إذ إن التوقعات تساعد كيمياء الجسم، أنا على دراية بهذا الموضوع الذي صار عندي بمثابة الوسواس القهري، كما أنني قرأت الإحصائيات، لقد عرف العلماء تأثير العلاج الوهمي منذ سنوات، وأعرف أن زوجك يعرف هذا معرفة عميقة».

لو توقعت هولي أن تستفز الغضب الذي قاد تصرفات زوجها المتسرعة لكان أملها سيخيب، ولو أملت أن تطلق إيميلي النار على معدتها وهي تنتشل مسدس 0.38 لكان أملها سيخيب أيضاً، وفي الواقع لم تعتقد هولي أنها كانت تشعر بأي شيء، ولكن حواسها كانت متيقظة إلى أبعد حد؛ وربما إلى حدّ غير طبيعي، رأت كل شيء وسمعت كل شيء حتى حركات عضلات عنق إيميلي وهي تتنفس بسرعة، تساءلت هولي إن كان الجميع وخصوصاً الذين يتجلى لهم ملاك الموت لديهم هذا التركيز الخارق للطبيعة وكأن هذه كانت آخر محاولة للدماغ في توثيق كل شيء قبل زواله.

نظرت إيميلي إلى زوجها، وقالت: «واحسرتاه على رودي المسكين، عرفته حق المعرفة».

قالت هولي وهي تستند إلى الجدار وتضع يديها على السطح الإسمنتي: «يا لسخرية القدر، آكلة لحوم بشر تقتبس شكسبير، تستحقين جائزة غينيس لـ...»

«اخرسي، اخرسي».

لم تنوِ هولي السكوت، فهي إنسانة مسالمة معظم حياتها، قالت لها والدتها: تحدثي حين يطلب منك التحدث، وقال لها خالها هنري: يجب الاكتفاء برؤية الأطفال لا سماعهم. سامحهما الله. لا، اللعنة عليهما، في غضون ثوانٍ أرادت هذه المرأة إسكاتها إلى الأبد، ولكنها رغبت باختتام المشهد تماماً كالمشهد الختامي الذي بلغه رودي.

«حاولت أن أقول لك دعابة اختلقتها، دخل مليونير جديد إلى حانة و...»

«اخرسي».

رفعت إيميلي المسدس وأطلقت النار، مع أنه مسدس من عيار صغير إلا أن صوته كان مصماً في هذا القبو، اندلعت شرارة من أحد القضبان التي لم يثبتها حداد (لقد شاهد رودي مقطع فيديو على يوتيوب واتبعه بدقة فائقة)، رأت هولي شريحة تتطاير من الجدار الإسمنتي فوق المرحاض، فكرت: لم يتسنَ لي وقت حتى للانحناء.

«-وطلب ماي-»

«اخرسي».

انزلقت هولي يساراً على الجدار عندما أطلقت إيميلي النار مجدّداً.

لم يحصل ارتطام هذه المرة حيث عبرت الطلقة بين القضبان وأحدثت ثقباً في الخرسانة في المكان الذي كانت تقف فيه هولي منذ ثانية، اهتز المسدس في يد إيميلي، ففكّرت هولي: إنها عسراء ولقد كسرت يدها اليسرى، كانت تطلق النار بيدها الضعيفة.

«وطلب ماي-تاي، هل تتابعيني للآن؟ إنها مزحة رائعة برأيي، ذهب الساقي ليعد المشروب وسمعت المرأة صوتاً يقول: «تهانينا يا هولي! أنت تستحقين...»

اندفعت إيميلي إلى الأمام لأنها أرادت الاقتراب أكثر، ولكنها تعثرت برداء رودي وسقطت مجدّداً، حطت إحدى ركبتيها على مؤخرة البروفيسور المرحوم، أما الركبة الأخرى فحطت على الأرض، التوى جسدها عند خصرها وصرخت من شدة الألم وضغطت على المسدس دون قصد، اخترقت الطلقة رأس رودي ولكنه لم يشعر بها بالطبع.

فكّرت هولي: لا تنهضي، لا تنهضي، لا تنهضي.

لكن إيميلي نهضت مجدّداً مع أنها صرخت من شدة الألم، ولم تستطع الوقوف منتصبة القامة، لم تعتقد هولي أنها تشبه المشعوذات الآن بل أحدب نوتردام، كانت عيناها مجمعتين وتجمعت بقايا طعام بيضاء اللون عند زاويتي فمها، لم ترد هولي التفكير بما قد تناولته هذه المرأة، وفكرت أنها أرادت أن تستمد بعض القوة قبل أن تنزل لإنهاء حياة هولي بمسدس معلمها الذي رفعته الآن.

قالت هولي: «هيّا، أرني ما لديك».

انزلقت يساراً على الجدار، وانحنت في الوقت ذاته، وشعرت أنها هشة كتماثيل أمها الصينية، لقد تأخرت هذه المرة، وكانت إيميلي محظوظة بعض الشيء، شعرت هولي بمسحة حارقة على طول ذراعها اليمنى فوق المرفق، قرأت هولي الكثير لشكسبير واستذكرت هاملت: إصابة، إصابة واضحة تماماً، تبيّن أنها مجرد خدش ولم يؤلمها كثيراً على الأقل في الوقت الحالي.

«قال هذا الصوت: تهانينا يا هولي! تستحقين كل سنت من المال، ولكن حين تلفتت حولها لم ترَ أحداً ثم سمعت صوتاً من الطرف الآخر يقول...»

«اخرسي، اخرسي، اخرسي».

قبيل أن تطلق إيميلي النار مجدّداً جثت هولي على ركبتيها وسمعت صوت الطلقة فوق رأسها وأوشكت أن تقسمه إلى قسمين، ولكنها شعرت أنها قسمته بالفعل.

قالت هولي وهي تقف على قدميها: «آسفة أيتها الأستاذة ولكن هذه الأسلحة لا تنفع إلا في مسافات قريبة»، شعرت بدمها الدافئ وهو يغمر كم سترتها، احتاجت لبعض الدفء الآن لأنه دليل على الحياة «كما أنك تطلقين النار بيدك الضعيفة أيضاً، دعينا ننهِ هذه المسألة، سأسهل عليك الأمر، دعيني فقط أُنهي مزحتي».

مشت إلى مقدمة الزنزانة، ومدّت رأسها عبر القضبان، لامست القضبان الباردة وجنتيها: «فقال ذلك الصوت الآخر: تبدين جميلة الليلة على نحو خاص يا هولي، ولكن حين تلفتت حولها لم ترَ أحداً أيضاً! عاد الساقي مع مشروبها و...»

اندفعت إيميلي إلى الأمام، وضغطت ماسورة مسدس بيلي القصيرة على جبهة هولي وضغطت على الزناد.

سُمع صوت طقطقة حين سقطت المطرقة على حجرة الرصاص التي تركتها هولي فارغة كما علّمها بيلي... لأن هذا النوع من المسدسات لم يملك تقنية السلامة مثل مسدس غلوك الذي كان يستعمله عندما كان يعمل في الشرطة.

مرت برهة استوعبت فيها إيميلي الصدمة قبل أن تخرج هولي يديها من بين القضبان وتمسك برأس إيميلي وتلويه إلى اليسار بكل ما أوتيت من قوة، سمعت هولي صوت طقطقة حين انكسرت ذراع المرأة المسنة.

ولكن ما سمعته الآن كان صوت قرقعة مكتومة، ارتعشت ركبتا إيميلي وانزلق

رأسها من بين يدي هولي حين سقطت على الأرض، ولم يتبق بين أصابع يد هولي اليسرى سوى بعض خصل الشعر الأشيب، كانت قذرة وملمسها يشبه شبكة العنكبوت فأبعدتها عنها، سمعت نفسها تتنفس الصعداء وتوشك على فقدان إحساسها بالواقع، ما كان يجدر بها أن تسمح لهذا بالحدوث لذا صفعت نفسها على وجهها، اندفع الدم من ذراعها المجروحة وتناثر على قضبان الزنزانة.

لقد انتهى المطاف بإيميلي في جلسة تشبه القرفصاء. أما ساقاها فاستقرتا أسفل مؤخرتها، ولكنهما كانتا ملتويتين في جهتين متعاكستين، واستند وجهها على القضبان، وارتفع أنفها الذي لامس أحد القضبان فأصبحت تشبه الخنزير، وبدت عيناها وكأنهما تحدقان إلى جهتين متعاكستين كساقيها، ركعت هولي وأمسكت بالمسدس، وجدته فارغاً ولكنه لا يزال مفيداً، فيما لو كانت إيميلي لا تزال على قيد الحياة، وفيما لو أبدت أي حركة تدل على ذلك (وشكت هولي أن يكون هذا صحيحاً) فإن هولي عازمة على ضرب رأسها به.

عدت هولي إلى الستين، ولكن إيميلي لم تتحرك، مدت يدها ووضعتها على عنق إيميلي، إن الحركة الغريبة التي تحرك بها رأسها إلى اليسار أعلم هولي بكل ما تريد معرفته (وما عرفته منذ البداية) ولكنها أبقت أصابعها مدة ستين ثانية ولم تشعر بشيء، كما أنها لم تشعر بالنبضات السريعة الأخيرة للقلب المحتضر.

نهضت هولي وتنفست الصعداء ولكنها لم تستطع التوازن، أرخت ثقلها وجلست على الفراش.

لا تستطيع هولي أن تصدق أنها لا تزال على قيد الحياة، ولكنها صدّقت هذا الأمر حين أقنعتها أوجاع أضلاعها وذراعها بذلك، بالإضافة إلى عطشها، وقد شعرت أن بوسعها شرب مياه البحيرات الخمس كلها.

مات الزوجان المسنان، لقد نحرت عنق أحدهما وكسرت عنق الآخر، أما هي فتجلس الآن في زنزانة لا يعرف بأمرها أحد، كان سيأتي أحد ما في نهاية المطاف... ولكن متى؟ وكم يستطيع الإنسان العيش من دون شرب المياه؟ لم تعرف، ولم تستطع تذكر آخر مرة شربت فيها.

رفعت كمّ سترتها فأنّت من الألم حين لامس القماش جرحها، لقد تبيّن لها أنه

ليس مجرد خدش، رأت جرحاً بعرض إنشين فوق مرفقها الأيمن وتمكنت من رؤية لحم ذراعها، ولكنها لم تتمكن من رؤية العظم فافترضت أن هذا مؤشر جيد، ولكن الجرح كان ينزف، أدركت أن النزيف سيزيد من عطشها الذي كان يتفاقم الآن إلى درجة... ماذا؟ ماذا بعد التفاقم؟ لم تستطع التفكير بالكلمة التالية كما لم تستطع التفكير في عدد الأيام التي يستطيع الإنسان أن يعيشها من دون ماء.

فكّرت: لقد قتلتهما من خلف القضبان، لا بد من تدوين هذا في موسوعة غينيس للأرقام القياسية.

خلعت هولي سترتها، شعرت وهي تخلعها بأنها عملية بطيئة ومؤلمة ولكنها تمكنت من إنهائها، ربطتها حول جرحها -وهي عملية بطيئة أيضاً- وعقدتها بأسنانها، بعد ذلك أسندت ظهرها إلى الجدار وبدأت مرحلة الانتظار.

قالت بصوت أجش: «دخل مليونير جديد إلى الحانة وطلب ماي-تاي، ذهب الساقي ليعدّ المشروب وسمعت صوتاً يقول: تستحقين هذا المال يا هولي تستحقين كل سنت منه، تلفتت ولم ترَ أحداً، ثم سمعت صوتاً من الطرف الآخر يقول: لقد قتلتهما من خلف القضبان، ستدخلين موسوعة غينيس للأرقام القياسية، تهانينا. أنت نجمة.

هل تحركت إيميلي؟ بالطبع لا، لا بد أنها تهذي، أدركت هولي أن عليها التزام الصمت لأن الكلام سيزيد من عطشها، ولكنها اضطرت لإنهاء دعابتها اللعينة حتّى وإن اقتصر جمهورها على جثتي عجوزين.

عاد الساقي وقالت له: لا أنفك أسمع أشخاصاً يقولون لي عبارات جميلة، ما الخطب؟ وقال الساقي... قال...

غابت عن الوعي.

22

في الوقت الذي غابت فيه هولي عن الوعي (قبل وصولها لذروة مزحتها)، وقفت باربرا في المكتب الذي أصبح لجيروم، نظرت باربرا إلى خريطة مابكيست وإلى النقاط الحُمر التي حددت أماكن حوادث اختفاء متنوعة، وأضيفت إليها النقطة التي وضعتها بنفسها والتي أشارت لاختفاء خورخي كاسترو في خريف عام 2012، وضعت باربرا

هذه النقطة على شارع ريدج مقابل منزل أوليفيا، قالت أوليفيا: هل قلت لك إنني رأيته لوهلة قبيل اختفائه؟ لقد كان يركض، لطالما ركض ليلاً من وإلى الحديقة، حتى في المطر، وأتذكر أن السماء أمطرت في تلك الليلة، وهناك شيء أكيد: لم أرَه مجدداً.

تتبعت باربرا طريقاً من حرم جامعة بيل إلى شارع ريدج ثم إلى الحديقة وملعب الأولاد، ماذا لو أن المكان هناك؟ رأت مرأباً قريباً وإذا وجدت شاحنة تشبه التي تظهر في الأشرطة الأمنية التي عرضت في المتجر...

لقد شعرت بشيء غريب، هل تعلق بالشاحنة؟ أو بشارع ريدج؟ أو بكليهما؟ لم تعرف ولكنها تأكدت أن داتش سبايغلاس سيكتشف الأمر حالاً.

وردها اتصال من جيروم، طلب منها تحديثات وأخبرته عن الاتصالات التي قامت بها والاتصال الذي لم تقم به بإيزي غاينز، قال لها إنها محقة على الأغلب بعدم إجرائها لهذا الاتصال، وطمأنها أنه سيصل بسرعة حيث وصل إلى نيوجرسي بالفعل، ولكنه لم يرد تجاوز السرعة المسموح بها، أي الانطلاق بسرعة تزيد عن خمسين ميلاً في الساعة، لم تضطر باربرا إلى سؤاله عن السبب، فهي تعرف الجواب: لأنه أسود وهي تعرف أنه لم يرد المخاطرة في التحدث عبر الهاتف وهو يقود، ركن السيارة أمام مكان للاستراحة للاتصال بها وأراد إكمال طريقه.

وقبل تمكنه من إنهاء المكالمة اعترفت له باربرا بأعظم مخاوفها: «ماذا لو كانت ميتة يا جي؟».

مرت لحظة صمت، ولكنها استطاعت سماع ضجيج السيارات المحيطة به، ثم قال لها: «إنها حيّة، إن ماتت كنت سأشعر بذلك، عليّ إنهاء المكالمة يا باربرا، سأصل بحلول الساعة الحادية عشرة».

قالت باربرا: «سأتمدد قليلاً، ربما سيخطر في بالي شيء ما، أشعر أنني على دراية بأمور أكثر مما أعتقد، هل سبق لك أن شعرت بمثل هذا الأمر؟».

«في أغلب الأوقات».

دخلت باربرا غرفتها وتمددت على سريرها، لم تظن أنها ستستطيع النوم، بل ربما مكنها الاسترخاء من تصفية أفكارها، أغمضت عينيها، وفكّرت في أوليفيا وقصصها العديدة، تذكرت أنها سألت الشاعرة العجوز عن صورتها المشهورة مع بوغارت أمام

نافورة تريفي، وسألتها عن ملامحها وابتسامتها المتفاجئة، قالت أوليفيا: لو بدوت متفاجئة فاعلمي أن السبب هو وضعه ليده على مؤخرتي.

خلدت باربرا للنوم.

23

رأت هولي نفسها في الغرفة الصيفية لدار رعاية المسنين في رولينغ هيلز، لم يكن فيها أحد سوى والدتها وخالها، كانا يجلسان إلى إحدى الطاولات ويشاهدان مباراة بولينغ على التلفاز الكبير ويشربان الشاي المثلج من كأسين طويلتين.

سألت هولي بصوت أجش: «هل يمكنني أن أشرب قليلاً؟ أنا عطشى للغاية».

عاينا الأرجاء ثم ألقيا التحية عليها وهما يمسكان بالكأسين الطويلتين ويشربان منهما، رأت شرائح ليمون تعلو الكأسين المليئتين، فكّرت هولي في مدى رغبتها بمد لسانها ولعق قطرات الشراب التي سالت من الكأسين، استعدت للعقها من الأسفل إلى الأعلى ولعق شرائح الليمون وشرب الكأسين معاً.

قال هنري وهو يرتشف شرابه: «لم تستطع التعامل مع كل هذا المال، كل ما فعلناه صب في مصلحتك».

قالت شارلوت وهي ترتشف من كأسها: «أنتِ هشة». شربت كأسها برُقيّ! كيف لم تتجرعه؟ قررت هولي أن تشرب الكأسين معاً فيما لو سمحا لها بذلك.

مدّت شارلوت كأسها لهولي: «يمكنك الحصول عليها».

مدّ خالها هنري يده أيضاً وقال: «يمكنك الحصول على هذه أيضاً».

وقالا معاً مثل الأطفال: «شرط أن توافقي على التخلي عن كل هذا الخطر الأحمق والعودة إلى المنزل».

انتزعت هولي نفسها من هذا الحلم، ووجدت نفسها في زنزانة قبو آل هاريس، لا تزال أضلاعها تؤلمها، وشعرت أن أحداً قد لطخ جرحها بالبنزين وأشعله، إلا أن أوجاعها كانت ثانوية أمام عطشها الذي لم يرحمها، لقد توقف جرحها البليغ عن النزف، كما أن لون الدم الذي لطخ عصابتها تحوّل إلى البني، اعتقدت أن نزع سترتها عن الجرح سيؤلمها كثيراً، وكانت تعلم أن هذه الحال ليست هي مشكلتها الحقيقية

الآن.

نهضت على قدميها، واتجهت صوب القضبان، رأت جثة رودني هاريس ممددة عند الدرج، لم تعد إيميلي في وضعية القرفصاء بل أصبحت ممددة على جانبها، لا بد أنها تركت باب المطبخ مفتوحاً لأن الذباب أتى لتفحص دم رودي المراق، فقد وجد الذباب أمامه وليمة كبيرة.

فكّرت هولي: سأبيع روحي لقاء كوب من البيرة... مع أنني لا أحب البيرة.

فكّرت في نهاية حلمها والأنشودة الطفولية: حالما توافقين على التخلي عن كل هذا الخطر الأحمق والعودة إلى المنزل.

أكدت لنفسها أن أحداً ما سيأتي إلى هنا، لا بد أن أحداً ما سيأتي إلى هنا في نهاية المطاف، ولكن السؤال في أي حال ستكون عندما يحصل ذلك، هل ستكون حية أم تكون قد فارقت الحياة، وحتى الآن ورغم كل أوجاعها، ورغم الجثتين الممددتين خارج الزنزانة المحتجزة فيه وعطشها الملحّ...

قالت بصوت أجش: «لا أندم على شيء... على الإطلاق».

ندمت على شيء واحد وهو الاختفاء وراء المناشير الكهربائية.

فكّرت هولي: عليّ تعلم تعزيز ثقتي بنفسي، سأعمل على هذا الأمر.

24

حلمت باربرا هي الأخرى، دخلت إلى غرفة معيشة أوليفيا كينغسبري في شارع ريدج، رأت أوليفيا على كرسيها المعتاد تقرأ كتاباً -كتاب أدريين ريتش: الغوص إلى الحطام- وتتناول شطيرة.

وضعت كوب شاي ساخن للغاية على الطاولة بالقرب منها.

صرخت باربرا وقالت: «اعتقدتُ أنك ميتة، قالوا لي إنك متتِ».

قالت أوليفيا بعد أن أنزلت كتابها: «هذا هراء، أنا عازمة على الاحتفال بعيد ميلادي المئة، هل أخبرتك حين اعترض خورخي كاسترو على شيء في اجتماع لتحديد مصير ورشة الشعر؟ لم تختف ابتسامة إيميلي الصفراء عن وجهها ولكن عينيها...».

رنّ هاتف باربرا وتلاشى الحلم، يا له من حلم رائع لأنها رأت فيه أن أوليفيا على

قيد الحياة ولكن الواقع مغاير تماماً، أمسكت هاتفها ورأت صورة لأمها المبتسمة على الشاشة، ولاحظت أن الساعة تشير إلى الرابعة والنصف، لا بد أن جيروم وصل الآن إلى بنسلفانيا.

«مرحباً...». اضطرت للتنحنح قليلاً، «مرحباً يا أمي».

«هل أخذت قيلولة؟».

«أردت التمدد وحسب، لقد راودتني أحلام شبيهة بأحلامك بعد وفاة جدتي آني، لم أرد الاستيقاظ».

«نعم، هذا جيد». مررت باربرا أصابع يدها عبر شعرها وحاولت استذكار ما قالته أوليفيا في الحلم قبل أن يوقظها رنين الهاتف، وكانت هذه الفكرة أشبه بالفكرة التي راودتها عن الشاحنة في سجلات المراقبة، بدا الأمر مهماً.

فكّرت: لا بد أن داتش سيعرف الأمر ويكتشفه برمته.

«هولي؟».

«ماذا؟».

«سألتك هل تواصلتِ مع هولي أو عرفتِ مكانها».

«لا، أبداً، ليس بعد»، لم ترد أن تَطلع تانيا على مخاوفها، ربما كانت ستخبرها بالأمر بعد عودة جيروم وليس قبل ذلك.

«لا بد أنها خارج المدينة لتتدبر أمور والدتها»، أخفضت تانيا صوتها وقالت: «لن أقول هذا لهولي أبداً، ولكن شارلوت غيبني لم تمت بسبب كورونا بل بسبب الغباء».

ابتسمت باربرا عندما سمعت ما قالته أمها وقالت: «أعتقد أن هولي على دراية بهذا الأمر يا أمي».

«اتصلت لأخبرك أنني سأخرج مع والدك لتناول العشاء في مطعم راقٍ وغالٍ».

قالت باربرا: «هذا رائع! أي مطعم؟».

أخبرتها تانيا باسمه ولكن باربرا لم تركز معها، شعرت وكأن شرارة قد انبثقت من رأسها، أي واحد منهما؟

«الموعد الفعلي».

«حسناً، هذا جيد».

ضحكت تانيا وقالت: «هل سمعتني؟! قلت إنه احتفال مبكر بعيد زواجنا لأنه سيسافر في الموعد الفعلي، تركت لك مالاً لتطلبي عشاء إذا أردت، تحققي من درج المطب...»

«استمتعي بوقتك يا أمي، عليّ الذهاب، أحبك جداً».

«أحبك أيض...»

ولكن باربرا كانت قد أنهت المكالمة وعاينت مراسلاتها مع هولي، ها هي الرسالة: أي واحد منهما؟

أرسلت باربرا هذا السؤال لأنها عرفت اثنين من الرجال في الصورة التي أرسلتها هولي لها: كاري دريسلر والبروفيسور هاريس، في حصة الرياضة انجذبت كل الفتيات للشاب كاري، أما البروفيسور هاريس فرأته يغسل سيارته حين قصدت إيميلي هاريس لتُعرّفها إلى أوليفيا كينغسبري، وفي ذلك اليوم الشتوي الدافئ رأت بابي مرأب آل هاريس مفتوحين، ورأت شاحنة، هل اكتشف أنها رأتها وسارع لإغلاق باب المرأب؟ بقصد إخفائها؟

فكّرت باربرا: هذا هراء، أنت تختلقين الأمر.

ربما ولكنها عرفت الآن ما قالته لها أوليفيا قبل اتصال أمها، لقد عرفت الأمر لأن أوليفيا قالت: لم تختف ابتسامة إيميلي الصفراء ولكن عينيها... أشارتا أنها أرادت قتله.

دشّن اختفاء خورخي كاسترو سلسلة حوادث الاختفاء تلك.

همست باربرا لنفسها وقالت: «لقد جننت، فقط لأنه عرف كاري دريسلر... وعرفت كاسترو... ولم تحبه...»

هل أخبرتك أنني رأيته قبيل اختفائه؟

كررت باربرا ما قالته: «لقد جننت، إنهما مسنان».

ولكن... بوني دال، آخر حادثة اختفاء، هل يمكن...؟

توجّهت بسرعة إلى مكتب جيروم، وشغّلت الحاسوب وبحثت عما أرادته واتصلت بماري دوشامب.

«هل تتذكرين حين أخبرتنا أوليفيا عن حفلة عيد الميلاد التي أقامها آل هاريس؟ وكيف أرسلا عدة أشخاص يرتدون زي بابا نويل ليقدموا المقبلات والبيرة؟».

ضحكت ماري وقالت: «نعم، ولكنهم ارتدوا زي الأقزام، اعتقدت أوليفيا أن هذا خير مثال لإيميلي هاريس -قالت إنها أرادت إضفاء روح عيد الميلاد رغم كل الظروف ورغم كورونا، تناولنا المقبلات وشربنا البيرة -شربت ليفي علبتين رغم تنبيهاتي- ولكنها لم تشارك في حفلة الزوم».

«لقد أرسلت فتاة شقراء إلى منزلكما، متقمصة شخصية بابا نويل شقراء جميلة».

«هذا ممكن...» خاب أملها لأن ماري لم تتذكر بشكل دقيق.

«هل ستتعرفين إليها إذا أرسلت لك صورتها؟».

«ارتدوا أزياء تنكرية متكاملة يا بارب بالإضافة إلى اللحية البيضاء».

قالت باربرا: «أحقاً هذا، اللعنة، حسناً، شكراً على كل...»

«انتظري لحظة، شعرت التي زارتنا بالبرد لأنها قادت دراجتها، لذا أعطتها أوليفيا شراباً كحولياً، أتذكر هذا لأن أوليفيا قالت: يمكنك الحصول على الويسكي إذا نزعت لحيتك، ونزعتها فعلاً، كانت جميلة للغاية وبدت أنها استمتعت بوقتها، أعتقد أن بوسعي التعرف إليها».

«دعيني أرسل لك الصورة، لا تقفلي الخط».

لقد حرصت أم بوني دال على إبقاء صفحة ابنتها على الفيسبوك والإنستغرام فعّالتين، فأرسلت باربرا لماري صورة لبوني على دراجتها وهي ترتدي بلوزة فاضحة وسروالاً قصيراً.

«هل وصلتك؟». مستحيل أن تكون هي.

«نعم، إنها هي، إنها متقمصة شخصية بابا نويل عيد الميلاد التي أرسلت إلينا، لماذا؟».

«شكراً يا ماري».

أنهت باربرا المكالمة وشعرت بالخدر، ربما لم تعنِ معرفة البروفيسور هاريس بكاري شيئاً بالإضافة لمعرفة إيميلي هاريس بخورخي كاسترو وعدم حبها له، ولكن بوني هي الضحية الثالثة، وإذا أضفنا الشاحنة...

أوشكت على الاتصال بجيروم، ولكنها صرفت النظر في اللحظة الأخيرة، لا بد أنه سيعزم على زيادة سرعته مما سيورطه مع شرطة المرور، ومثل كل السود في

المدينة، عرفت باربرا تماماً بما حصل مع مالك داتون حين أوقفته شرطة المرور.

ما الذي يُفترض بها القيام به؟

بدا الجواب بديهياً: عليها التوجه إلى المنزل رقم 93 في شارع ريدج، وعليها التحقق من وجود هولي هنالك، وفي حال عدم وجودها هناك فإن ذلك يرتب عليها أن تعرف إن كانا يعرفان مكانها أم لا.

لعل آل هاريس ليس لهما علاقة بحوادث الاختفاء، إذ لم تستطع باربرا إيجاد سبب منطقي يربطهما بها، فهي لم تسمع من قبل عن قتلة متسلسلين عجائز، ولكنها تأكدت من شيء واحد: توصلت هولي إلى ما توصلت إليه باربرا، ولا بد أنها ذهبت إلى هناك.

لم تخفْ باربرا من رودي وإيميلي، ولكن لا بد من وجود شخص آخر متورط معهما بالتأكيد، لذا فإن عليها توخي الحذر.

ذهبت إلى خزانتها ووقفت على رؤوس أصابع قدميها وأزاحت أوينغو وبوينغو، وهما دميتان تعوّدت وضعهما على سريرها، لم تعد بحاجة إليهما إلى جانبها في الليل لحمايتها من وحش البوغي، ولكنها لم تستطع التخلص منهما حيث اعتبرتهما من آثار طفولتها الحميمة.

وضعت علبة حذاء خلفهما، أخرجتها وفتحتها، لم تستطع طلب مسدس من هولي بعد ما جرى مع شيت أوندوفسكي، لا بد أنها كانت سترفض وتنصحها بالذهاب لتلقي العلاج النفسي، لذا طلبته من بيت بعد أن جعلته يقسم على كتمان السر، أعطاها مسدساً أوتوماتيكياً عيار 0.22 يمكن وضعه في حقيبة اليد، وحين عرضت أن تدفع له ثمنه أشاح بوجهه وقال: «لا تردي نفسك به يا حلوتي، ولا تطلقي النار على أحد»، فكر في هذا ملياً ثم أضاف: «إلا إذا استحقوا هذا».

لم تعتقد باربرا أنها ستطلق النار على أحد في هذه الأمسية ولكن التهديد مسموح، أرادت معرفة مكان هولي، إذا أنكر آل هاريس معرفتهما بمكانها وشعرت أنهما يكذبان... نعم، كانت ستلجأ إلى التهديد.

حتى لو اضطرت لقضاء مدة في السجن.

فكّرت باربرا: لست أول شاعرة تدخل السجن.

في طريقها إلى الخارج أخذت قبعة فريق إينديانز من السلة قرب الباب الأمامي ووضعتها على رأسها ثم توقفت فجأة.

فكّرت في حاسوب هولي الذي لم تجده على وضع السبات، وفي قرص أرقام الخزنة، وتذكرت امرأة صادفتها في ردهة مبنى فرانكلين، كانت تتجه إلى الخارج في الوقت الذي كانت تتوجه فيه باربرا إلى المكتب.

تذكرت أن المرأة عرجت واعتمرت قبعة فريق تشبه القبعة التي ارتدتها باربرا للتو.

أخفضت المرأة رأسها مما سمح لبازبرا قراءة ما كتب على واجهتها: كولومبس كليبيرز.

لم تتأكد أن هذه المرأة هي إيميلي هاريس، ولكن باربرا كانت واثقة أن هولي لديها قبعة كليبيرز، هناك العديد من الناس في المدينة يعتمرون قبعات إينديانز ليدز، والبعض يعتمرون رويالز ليدز ولكن قبعة كليبيرز؟ من النادر أن يعتمرها أحد، هل صعدت هذه المرأة -التي يمكن أن تكون إيميلي هاريس ويمكن ألا تكون- إلى الطابق الخامس؟ هل اصطحبت معها مفاتيح هولي بالإضافة إلى قبعتها؟ هل أطفأت الحاسوب بعد تشغيله؟ هل حرّكت قرص أرقام الخزنة؟ لم ترجح هذا ولكن...

ولكن.

لقد أزعج هذا الأمر باربرا إلى درجة قررت معها أن تعمل على أن تجعل آل هاريس لا يتوقعون قدومها قبل أن تطرق بابهما وتنهال عليهما بالأسئلة: أين هي؟ أين هولي؟

25

اعتلت دراجتها، وتوجهت إلى شارع ريدج، ربطتها إلى المكان المخصص للدراجات في المرأب المجاور لملعب الأولاد في الحديقة، تحققت من ساعتها ورأت أنها الخامسة وعشر دقائق، صعدت باربرا التل متجاوزة منزل أوليفيا، مرتدية بنطالاً مماثلاً لبنطال هولي الفضفاض والسخيف وغير المثير ووضعت مسدسها من عيار 0.22 في أحد جيبيه الكبيرين وهاتفها في الجيب الآخر.

قررت أن الجولة الاستطلاعية ليست فكرة سيئة، غطت نصف وجهها بالقبعة،

وأخفضت رأسها، وتجاوزت المنزل رقم 93 وكأنها في طريقها إلى الجامعة، ألقت نظرة خاطفة إلى يسارها ورأت شيئاً غريباً: وجدت باب آل هاريس الأمامي مفتوحاً، ولم ترَ أحداً على الشرفة، كل ما رأته هو طاولة عليها كوب قهوة كبير، لقد أتاحت لها نظرتها الخاطفة رؤية شعار ستارباكس.

مشت إلى المنزل رقم 109 ثم التفت عائدة، وعندما أخفضت رأسها هذه المرة رأت أمام المزراب شيئاً تعرفه تمام المعرفة، رأت قفازاً مغطى برسومات تعبيرية متنوعة، كان من الطبيعي أن تتعرف إليه، فقد كانت قد أهدت علبة من هذه القفازات إلى هولي.

اتصلت باربرا ببيت هنتلي، وطلبت من الله أن يجيب عن اتصالها، لقد أجاب على الاتصال بالفعل.

«مرحباً يا جميلتي، هل حددت مكا...»

«هل بوسعك الإصغاء إليّ يا بيت؟ ربما كان الأمر غير مهم الآن، ولكني سأتصل بك بعد خمس دقائق، وإن لم أتصل بك فتواصل مع إيزابيل غاينز اطلب منها أن تستدعي الشرطة إلى المنزل رقم 93 شارع ريدج، اطلب منها أن تأتي أيضاً، هل دوّنت هذا؟».

«لماذا؟ ماذا حدث؟ هل لهذا الأمر علاقة بهولي؟».

«أعد لي العنوان، ردده عليّ».

«93 شارع ريدج، ولكن لا تفعلي أي شيء غ...»

«خمس دقائق، إن لم أتصل بك تواصل مع السيدة غاينز لترسل الدعم»، وضعت هاتفها في جيب بنطالها الأمامي الأيسر، وأخرجت المسدس من جيبها الأيمن، هل هو مُذخّر؟ لم تتحقق منه، ولكنها تذكرت بيت وهو يقول لها إن المسدس الفارغ لن يفيدك إذا استيقظت ووجدت لصاً في المنزل، لقد شعرت أنه ثقيل ورجّحت أنه مُذخّر.

صعدت درجات الشرفة ووضعت المسدس خلف ظهرها ورنّت الجرس، ولأن الباب كان مفتوحاً سمعت صداه بوضوح، ولكن أحداً لم يأتِ، رنّت الجرس مجدّداً: «مرحباً؟ هل هناك أحد في المنزل؟ بروفيسور هاريس؟ إيميلي؟».

سمعت شيئاً، ولكنه خافت للغاية، ربما هو صوت شخص وربما هو صوت راديو رفع أحدهم صوته بعد أن وضعه بالقرب من أعلى نافذة مفتوحة، دفعت باربرا الباب

فانفتح أكثر، نظرت إلى أرضية الردهة المكسوة بالخشب، إنها كئيبة كسابق عهدها! هل لاحظت ذلك خلال زيارتها السابقة؟ لم تستطع التذكر بوضوح، كل ما تذكّرته هو انبعاث رائحة رطوبة من الخشب، كما أن مذاق الشاي كان مروعاً.

«مرحباً؟ هل هناك أحد في المنزل؟».

نعم، لقد سمعت صوتاً بالتأكيد ولكنه خافت للغاية، لم تستطع فهم ما قاله وربما صرخ بأعلى ما لديه، ترددت باربرا عند الشرفة وقالت لنفسها: تعالي إلى مهجعي، هذا ما قاله العنكبوت للذبابة.

نظرت خلف الباب ولم ترَ أحداً يختبئ هناك، عضت على شفتها وتصبب العرق من ذقنها، كما شدت على المسدس الصغير ولكنها لم تضع إصبعها على الزناد كما علّمها بيت، انتقلت باربرا حينها من الردهة إلى غرفة المعيشة.

«مرحباً؟ مرحباً؟».

تمكنت من سماع الصوت بشكل أوضح الآن، لا يزال خافتاً وأجش، ولكنها اعتقدت أنه صوت هولي، وهناك احتمال للخطأ بهذا الشأن، ولكنها تأكدت إن الصوت يقول: «ساعدوني! ساعدوني!»

ركضت باربرا إلى المطبخ ورأت باباً مفتوحاً في أقصى طرف قرب الثلاجة، رأت قفلاً متدلياً أسفل المقبض، ورأت درجات تؤدي إلى قبو وشيئاً غريباً في الأسفل، قالت لنفسها إن ما تفكر به مستحيل على الرغم من تعرفها إليه.

«هولي؟ هولي!»

«في الأسفل!» كان صوتها أجش للغاية «في الأسفل!».

نزلت باربرا نصف المسافة وتوقفت، وجدت جثة أمامها، رأت البروفيسور هاريس ممدّداً على الأرض في بركة من الدم الجاف تقريباً، أما زوجته فكانت ممدّدة أمام شيء يشبه الزنزانة، وخلف قضبان الزنزانة وقفت هولي غيبني وسترتها الملطخة بالدماء ملفوفة على ذراعها، كما التصق شعرها بوجنتيها.

هناك لطخ من الدم على وجهها، ولأنها خلعت سترتها كي تستخدمها كضماد استطاعت باربرا رؤية كدمة كبيرة للغاية وامتدت على جانبها كالحبر تماماً.

حين اكتشفت هولي من أتى لنجدتها انهارت دموعها، قالت بصوتها المبحوح:

«باربرا، باربرا! حمداً لله، لا أُصدق أنك هنا».

تلفتت باربرا حولها وقالت: «أين هو يا هولي؟ أين الرجل الذي قتلهما؟ هل لا يزال في المنزل؟».

قالت هولي: «لا وجود لأي رجل، ولا وجود لسفاح ريد بانك، لقد قتلتهما بنفسي، أحضري لي بعض الماء يا باربرا، من فضلك، أنا...»

وضعت يدها على عنقها وكحت قليلاً: «من فضلك».

«حسناً، نعم». لم ينفك هاتفها عن الرنين، لا بد أن المتصل بيت أو إيزابيل غاينز «طالما أنكِ متأكدة من أنني لن أتعرض لهجوم مفاجئ فسأذهب لجلب الماء».

قالت هولي: «لا، لقد فعلا كل شيء بنفسيهما»، صدمت باربرا حين بصقت على جثة إيميلي هاريس.

التفت باربرا لتصعد الدرج وتحضر بعض الماء، اعتبرت هذه أولويتها ولم تحتج للقيام بأي اتصال لأن بيت سيرسل الشرطة، وجب على الشرطة القدوم، يا إلهي! وجب عليهم القدوم بأسرع ما يمكن.

سمعت صراخاً مبحوحاً، «باربرا!»، بدت هولي أنها فقدت صوابها أو أنها على وشك فقدانه «أحضري لي الماء من الصنبور! لا تفتحي الثلاجة! لا تفتحي الثلاجة!!»

ركضت باربرا مسرعة إلى المطبخ، لم تملك أي فكرة عما حدث هنا، لم تكن تُفكّر إلا بشيء واحد: الماء.

وجدت خزائن على طرفي المغسلة، وضعت باربرا مسدسها عليها وفتحت إحداها، وجدت صحوناً، فتحت واحدة أخرى فوجدت كؤوساً، ملأت كأساً ونزلت على درج القبو ثم غيّرت رأيها وملأت كأساً أخرى.

نزلت الدرج وهي تحمل كأسين بيديها، أحاطت شبكة من الدماء بالبروفيسور هاريس فمرت بجانبها.

وقفت أمام جثة إيميلي ومدت يدها لتمرر كأساً من بين القضبان، انقضت هولي على الكأس فسال بعض الماء على الأرض، إلا أنها تجرعت الباقي، رامية الكأس الفارغة خلفها، ومن ثم مدّت يدها بين القضبان وقالت: «المزيد»، أصبح صوتها أوضح.

أعطتها باربرا الكأس الأخرى، شربت هولي نصفها، وقالت: «لذيذ، لذيذ للغاية».

«قلت لبيت أن يرسل الشرطة إذا لم أعاود الاتصال به، بالإضافة إلى المحققة، كيف يمكنني إخراجك يا هولي؟».

أشارت هولي إلى لوحة المفاتيح ثم أشاحت بوجهها، «لا أعرف الشيفرة يا باربرا...»، توقفت ومسحت وجهها، «كيف... لا عليك، هذا موضوع لاحق، اذهبي إلى الطابق العلوي وقابليهم».

«حسناً، سأعاود الاتصال ببيت وأخبره...»

«هل رأيت معك مسدساً؟ هل لديك مسدساً؟».

«نعم، بيت...»

«لا تظهريه حين تأتي الشرطة، تذكّري فتى داتون».

«ولكن ماذا...»

«لاحقاً يا باربرا، وشكراً لك، شكراً جزيلاً لك».

صعدت باربرا الدرج وحرصت ألا تدوس في بركة دماء رودني هاريس، نظرت خلفها ووجدت هولي تشرب ما بقي في كأسها الثانية، أمسكت بالقضبان بيدها الأخرى وكأنها تحاول تمالك نفسها.

ماذا حصل هنا؟ ماذا حصل هنا بحق الجحيم؟

في المطبخ سمعت صوت سيارات الشرطة ولكنه لا يزال خافتاً، رأت مسدسها من عيار 0.22 على المغسلة وتذكرت أن هولي نبّهتها من إظهار سلاحها أمام الشرطة، تذكري فتى داتون، أمسكت به ووضعته في صندوق الخبز فوق طرد من الكعك الإنكليزي.

قبل أن تغادر المطبخ لم تستطع مقاومة فتح الثلاجة ورؤية ما بداخلها، لقد جهّزت نفسها لكل شيء، ولكنها لم ترَ شيئاً يتطابق مع إنذار هولي، وجدت بعض الحليب والبيض والزبد واللبن والخضراوات وعلبة تابيروير فيها ما يشبه جيلي التوت وبعض اللحم الأحمر في غلاف بلاستيكي، لعله كان ستيك، كما أن هناك عدة أكواب من البارفيه مزينة بكريما الفانيليا مع بعض الفراولة.

بدت شهية للغاية.

أغلقت الثلاجة، وتوّجهت إلى الخارج.

26

ركنت سيارة شرطة المدينة عند الرصيف وخفت صوت الإنذار، لحقت بها سيارة سيدان من دون لوحة، وأوشكت على الاصطدام بسيارة الشرطة حين ركنت، وعندما تذكرت كلام هولي وبسبب بشرتها الداكنة وقفت باربرا على درجة الشرفة العليا ورفعت يديها وأظهرت راحتيها لتبين أنهما خاليتين.

مشى شرطيان يرتديان الزي الرسمي باتجاه المنزل، قال الشرطي المتقدم الذي وضع يده على مسدس الغلوك: «ماذا يجري هنا؟ ما هي هذه الضرورة القصوى؟».

سأل الشرطي الآخر: «هل أنت منتشية يا عزيزتي؟».

وقبل أن تدافع باربرا عن نفسها -ستلاحظ لاحقاً أن سؤاله هذا ليس سخيفاً تماماً وليس عنصرياً بل كان بسبب رؤيته لها وهي تحت تأثير الصدمة- أغلق باب السيارة الأخرى وركضت إيزابيل غاينز فوق الفسحة الخضراء، كانت ترتدي بنطال جينز وسترة بيضاء عادية، وضعت شارة الشرطة حول رقبتها ومسدسها الغلوك على ركبتها، قالت للشرطيين: «تراجعا قليلاً، أعرف هذه الشابة، أنت باربرا أليس كذلك؟ أخت جيروم».

أجابت باربرا: «نعم، إن هولي في القبو محتجزة في زنزانة، لقد مات الأستاذان المسنان اللذان عاشا هنا و... و...». انهمرت دموعها.

«هوّني عليك». وضعت إيزي ذراعها حول كتفي باربرا المرتجفتين.

«لقد فهمت أنهما ماتا... وماذا أيضاً؟».

«لقد قتلتهما هولي».

27

سمعت هولي صوت خطى وأصوات قادمة من الأعلى، تذكرت كيف نزلت إيميلي الدرج عازمة على قتلها بمسدس بيل، فسرت قشعريرة في بدنها، لا بد أن حذاء تلك المرأة المسنة سيتراءى لها في أحلامها، ولكنها لم ترَ حذاء هذه المرة، بل جزمة من نوع سويد، كما أن الرجل كان يرتدي بنطالاً بدلاً من ثوب، توقف رجلان حين رأى صاحب الجزمة الجثتين.

نزلت إيزابيل الدرج ببطء ووصلت إلى نهاية الطريق وهي تستل سلاحها، رأت

هولي وهي تقف خلف القضبان ووجهها مضرج بالدماء، كما لاحظت أنها لفت سترة ملطخة بالدماء حول ذراعها، وكذلك فإنها رأت المزيد من الدم الجاف على صدرها فوق حمالة صدرها.

«ما الذي حدث هنا بحق الجحيم يا هولي ؟ ما مدى إصابتك؟».

قالت: «بعض الدماء مني ولكن معظمها منهما». ثم أشارت بإصبعها المرتجف إلى الرجل الميت الذي يرتدي ملابس نوم عليها سيارات إطفاء، «يمكنني إخباركم بكل شيء حالما تخرجونني من هنا، ولكن كيف يمكنني إخبارها؟». أسندت جبهتها على القضبان.

تقدمت إيزي وأمسكت بيد هولي الباردة، وقف الشرطيان على الدرج وحدقا إلى الجثتين، سمعت باربرا التي وقفت على عتبة الباب أصوات سيارات شرطة تقترب من المنزل.

قالت إيزي: «تخبرين من يا هولي؟ تخبرين من بماذا؟».

قالت هولي والدموع تنهمر من عينيها كما لم يسبق لها أن انهمرت: «بيني دال، كيف يمكنني إخبارها يوماً بما حل بابنتها؟ كيف يمكنني إخبار أي واحد من أهل الضحايا؟».

28

بحلول الساعة السادسة عجّ شارع ريدج بسيارات الإطفاء وشاحنتين مختصتين بمسارح الجرائم وسيارة محقق الوفيات العائلية وسيارة إسعاف مفتوحة البابين ونقالتين جاهزتين، ركنت شاحنة كتب عليها شعار فرع إطفاء مقاطعة أبسالا باللون الذهبي، خرج معظم سكان الحي لمشاهدة العرض، وطلب من باربرا روبينسون إخلاء المنزل ولكن سمح لها بالوقوف على الفسحة الخضراء أمام البيت، أو بالأحرى لقد أُمرت بذلك، اتصلت بجيروم وبيت وأخبرتهما أن هولي أصيبت وأنها تعتقد أن إصابتها طفيفة، كانت هولي بأمان وهذا هو المهم، لم تخبرهما باربرا أن هولي لا تزال محتجزة في قبو آل هاريس حتى لا ينهالا عليها بأسئلة لم يكن بإمكانها في حالتها تلك أن تجيب عنها، فكّرت في الاتصال بوالديها ولكنها لم تتصل، قررت التحدث إليهما في وقت لاحق

لتسمح لهما بالاستمتاع بعشاء ذكرى زواجهما.

صدرت تمتمات نمت عن هلع شديد من حشد المقيمين مقابل الشارع حين أخرجت جثتان مغلفتان على النقالتين، أتت شاحنة مقاطعة أخرى إلى شارع ريدج وركنت في منتصف الشارع لاستقبالهما.

تلقت باربرا اتصالاً من جيروم، فجلست على العشب لترد عليها، وأخذها البكاء بعيداً.

مكتبة
t.me/soramnqraa

29

بعد عشرين دقيقة جلست هولي في أقصى زاوية من الزنزانة مقابل المرحاض، ضمت ساقيها ودفنت وجهها بين ذراعيها، عمل رجل يرتدي قناعاً واقياً على قطع القضبان فتطاير الشرر في القبو، وقفت إيزي غاينز في نهاية القبو لتعاين قطاعة الخشب ونادت أحد فنيي مسرح الجريمة، وأشارت إلى خوذة بوني وحقيبتها وطلبت منه حزمهما.

تهاوى قضيب فولاذي على الأرض الإسمنتية وتلاه قضيب آخر، اقتربت إيزي من الحداد وهو يعمل فوضعت يدها فوق عينيها لتحميهما: «متى ستنتهي؟».

«أعتقد أن بوسعنا إخراجها بعد عشر أو عشرين دقيقة، لقد أبلى صانع هذه الزنزانة بلاء حسناً فهي متينة للغاية».

عادت إيزي إلى الورشة وجرّبت فتح الباب هناك، وجدته موصداً، أشارت بيدها إلى واحد من رجال الشرطة ضخمي الجثة -فاق عدد رجال الشرطة الذين ارتدوا اللون الأزرق الاثني عشر شرطياً ولم يفعلوا شيئاً سوى تفحص المكان.

قالت: «عليك الإطاحة بهذا الباب، أنا متأكدة من أنني سمعت شخصاً في الداخل».

ابتسم وقال: «أمرك يا سيدتي».

دفع الباب بكتفه فتهاوى مباشرة، ترنح الشرطي في مشيته قليلاً، تبعته إيزي ورأت قابس ضوء قرب الباب، فأنيرت عدة مصابيح فلوريسنت، وعندها وقفا في مكانيهما وقد اعتلت الدهشة وجهيهما.

سأل الشرطي الضخم: «ما هذا بحق الجحيم؟».

أدركت إيزي تماماً ما هذا رغم أنها لم تصدق ما رأته عيناها: «أعتقد أنها طاولة عمليات».

«وماذا عن الكيس؟». أشار إلى الكيس الكبير الذي تدلى من نهاية الأنبوب، كان يشبه قطرة الدمع التي تنزل من العين بسبب الحمل الذي وجد فيه، لم ترد إيزي التفكير في هذا الحمل ناهيكم عن رؤيته...

قالت: «اترك الأمر لمختصي الطب الشرعي وشرطة العاصمة». وفكّرت في قول هولي: كيف يمكنني إخبارها يوماً بما حل بابنتها؟

30

بعد أربعين دقيقة خرجت هولي إلى شرفة آل هاريس وقد أسندها مسعف من طرف وإيزابيل غاينز من طرف آخر، ولكنها اعتمدت على نفسها إلى حدّ كبير، نهضت باربرا وركضت إليها وبعد أن عانقتها خاطبت إيزي «أريد مرافقتها إلى المستشفى».

لم ترفض إيزي طلبها بل قالت إنها سترافقها بدورها.

أرادت هولي المشي إلى سيارة الإسعاف، ولكن المسعفين أصرّوا على وضعها على نقالة قبل نزولها على درجات الشرفة، تجمعت سيارات وسائل الإعلام إلى جانب مع السيارات الرسمية ولكنها توقفت إلى جوار التل خلف شريط الشرطة، كما طافت مروحية فوق مسرح الجريمة.

نُقلت هولي إلى سيارة الإسعاف، حقنها المشرف الطبي بشيء ما، حاولت مقاومته ولكنه قال إنه سيخفف الألم، جلست إيزي بالقرب من أحد جانبي النقالة وباربرا بالقرب من الجانب الآخر.

قالت هولي: «من فضلكما لتمسح واحدة منكما وجهي، لقد بدا الدم يجف بطريقة مزعجة».

أشاحت إيزي بوجهها وقالت: «لا يمكننا فعل هذا قبل أن نصورك ونأخذ منك مسحات».

انطلقت سيارة الإسعاف، بعد أن أطلقت العنان لصافرة الإنذار، تمسكت باربرا جيداً حين انعطفت السيارة عند سفح التل.

قالت إيزي: «هناك قطاعة خشب في القبو، لدى والدي واحدة مثلها في ورشته خارج البلدة ولكنها أصغر بكثير».

«نعم، لقد رأيتها، هل لي بالحصول على شراب من فضلكم؟».

قال أحد المسعفين: «هناك مبرد فيه شراب غاتوريد».

قالت هولي: «حمداً لله».

عثرت باربرا على المبرد وفتحت شراب غاتوريد بنكهة البرتقال ووضعتها في يد هولي الممدودة، نظرت هولي إليهما من فوق وجنتيها الداميتين وهي تشرب بنهم.

فكّرت باربرا: تبدو وكأنها لطخت وجهها بطلاء من أجل التمويه قبل دخول حرب، وأعتقد أن هذا منطقي لأنها خاضت حرباً بالفعل.

«يصب أنبوب القطاعة في كيس ضمن...»، توقفت إيزي، أوشكت على توصيفها بغرفة العمليات، ولكنها لم تشعر أن هذا صحيح»... غرفة التعذيب الصغيرة تلك، هل صحيح ما فكّرت به بشأن محتوياتها؟ حيث تنبعث رائحة نتنة منها».

أومأت هولي برأسها وقالت: «ربما لم تتسنَ لهما الفرصة للتخلص من... من البقايا هذه المرة، لا أعرف كيف تصرفا مع الجثث الأخرى، ولكنني أعتقد أنهما ألقيا بالبقايا في البحيرة، ستكتشفين الأمر».

«وماذا عن الجزء المتبقي منها؟».

«تحققي من الثلاجة».

فكرت باربرا في قطع اللحم الملفوفة بكيس بلاستيكي وأكواب البارفيه ورغبت في الصراخ بأعلى صوتها.

قالت هولي لإيزي وباربرا: «عليّ إخباركما بشيء»، لقد نفع الشيء الذي حقنها به المسعف، رغم أنها لا تزال تشعر بألم في ذراعها وأضلاعها ولكنه خف قليلاً، فكّرت في المعالج النفسي الذي قابلته وهي صغيرة «عليّ أن أشرككما بالأمر».

أمسكت إيزي بيدها وشدت عليها: «ليس الآن، عليّ سماع كل ما حصل ولكنني أريد منك أن تهوّني على نفسك حالياً».

«لن أتكلم عن القضية، لقد اختلقت دعابة لم أستطع قولها لأحد، حاولت إلقاءها على المرأة... أقصد إيميلي قبل أن تقتلني ولكن الأمور... تعقدت».

قالت باربرا وهي تمسك بيد هولي: «هيّا، قوليها الآن».

«هناك هناك مليونير... أقصد نفسي، إنها قصة طويلة... دخلت إلى حانة وطلبت ماي-تاي، ذهب الساقي ليعد المشروب وسمعت صوتاً يقول: تستحقين هذا المال يا هولي، تستحقين كل سنت منه، تلفتت حولها ولم ترَ أحداً، كانت الزبونة الوحيدة في الحانة، ثم سمعت صوتاً من الطرف الآخر يقول: تبدين في غاية الجمال يا هولي، عاد الساقي وقالت: «إنني أسمع أصوات أشخاص يقولون لي أشياء جميلة ولكن حين أنظر صوب مصدر الصوت فإني لا أرى أحداً، فقال الساقي...»

نظر إليها المسعف الذي أعطاها الحقنة وابتسم، قال: «لعلنا نطلب ثمن الشراب ولكن الجنون مجاني».

فتحت هولي فمها وسألته: «هل تعرفها؟».

قال المسعف: «بالطبع، إنها قديمة، لا بد أنك سمعتها في مكان ما ونسيت».

قهقهت هولي.

31

في غرفة المعالجة في مستشفى كاينر أخذت عدة مسحات من هولي لإجراء فحص للحمض النووي وصوّرت، مسحت باربرا الدم عن وجهها برفق، كما أن الطبيب المناوب عاين جرح الطلقة وقال عنه إنه «سطحي إلى حدّ ما». وقال إن الوضع سيكون مختلفاً لو بلغت الرصاصة العظم، فما كان من إيزي إلا أن ترفع لها إشارة النصر.

نزع الطبيب السترة التي استخدمتها كضماد، فعاود الجرح النزف، نظّف الجرح وبحث عن شظايا (لم يعثر على أي شظية) ثم ضمده، ثم أكد أن لا داعي للقطب (حمداً لله!) ثم شد الضماد.

قال إنها ستحتاج إلى حمالة وستهتم إحدى الممرضات بالأمر، إضافة إلى علبة من المضادات الحيوية، وذلك لأن الطبيب مشغول بمعالجة وحدة عناية مركزة تزدحم بمرضى الكورونا غير الملقحين.

قالت إيزي: «حجزت لك غرفة هنا». ثم ابتسمت، «لقد كذبت عليك، حجز لك رئيس الشرطة غرفة هنا».

«هنـاك أفـراد يحتاجـون إليهـا أكثـر مني». بدأ شـعور التخدير الناجـم عن الحقنة يتلاشى حين نزع الطبيب السترة عن الدم المتخثر في جرح ذراعها -وعندما انتهى من تطهيره ومعاينته زال التأثير تماماً.

قالت إيزي بحزم: «ستبقين هنا، إن معاينة الجروح الناجمة عن طلقات النار إلزامية في هذه المدينة وتصل مدتها إلى أربع وعشـرين سـاعة، اشـكري الله أنهم لم يلقوا بك فـي رواق أو كافتيريـا، يجلـس العديـد مـن الناس في الاروقة ويسـعلون حتّى الموت، ستعطيك ممرضة -أو طبيب متدرب وسيم إن كنت محظوظة- مزيداً من المسكنات، غداً سنبدأ باستجوابك، ستتكلمين كثيراً».

نظرت هولي إلى باربرا وقالت: «أعطني هاتفك يا بارب، عليّ الاتصال ببيني».

مدت باربرا يدها لتخرجه من جيبها، ولكن إيزي أمسـكت بيدها كشـرطي مرور: «بالطبع لا، لا تعرفين حقاً إذا ما كانت بوني دال قد فارقت الحياة».

قالت هولي: «أنا متأكدة من هذا، وأعرف أنك متأكدة مثلي، رأيت خوذتها الواقية».

«نعم، ورأيت اسمها على الحقيبة».

قالت هولي: «هناك قرط أيضاً في الزنزانة التي احتجزاني فيها».

«سنعثر عليه، لعلنا عثرنا عليه بالفعل، يعمل فريق من ستة رجال على معاينة القبو في الوقت الذي نتكلم فيه، وهناك فريق من مكتب التحقيقات الفدرالي في طريقه إلى هنا، سننتقل إلى كامل المنزل فور انتهائنا من القبو، سنمشطه بدقة».

قالـت هولـي: «إن شـكله مميـز حقـاً، كما أن زواياه حـادة، وجدت إحدى قطعتي القـرط الأخـرى خـارج المتجر المهجور الذي اختطفاها من أمامه «عثرت على القطعة الأخـرى أسـفل الفـراش، لا بـد أن بونـي تركتـه هنـاك، اسـتخدمت القـرط لنحر عنق البروفيسور هاريس».

ثم أغمضت عينيها.

30 تموز 2021

1

في تمام الساعة العاشرة نُقلت هولي على كرسي مدولب إلى غرفة اجتماعات مركز كاينر، لم تحتج إلى الكرسي ولكن هذه تعليمات المستشفى، كان عليها إجراء فحوصات لضغط الدم والحرارة على مدى ثماني ساعات قبل السماح لها بالمغادرة، انتظرتها إيزي وشريك إيزي محامي المقاطعة جورج واشبورن مكتنز الوجنتين بالإضافة إلى شخص في الخمسينيات من عمره ارتدى بذلة رسمية وعرّف عن نفسه باسم هيربيرت بيل من مكتب التحقيقات الفدرالي. اعتقدت هولي أنه أتى بسبب قضية الاختطاف إذ لا وجود لجانب فدرالي للقضية، أخبرها بيل هودغز أن العملاء الفدراليين أحبوا التدخل في القضايا المهمة والصعبة، وخصوصاً في نهاياتها، وقال متهكماً إنهم يعشقون الظهور على التلفاز، وظهرت باربرا وجيروم وبيت هنتلي عبر تطبيق زوم، لأن هولي أصرت على حضورهم.

نهض شريك إيزي واستقبل هولي ومدّ لها يده: «أنا محامي مقاطعة أبسالا ألبرت تانتليف»، دفعت له هولي بمرفقها السليم بدلاً من يده، ابتسم لها وكأنه يساير طفلة صغيرة ولامس مرفقها «أعتقد أننا نستطيع التخلي عن الأقنعة بما أننا ملقحون ويبدو أن التهوية جيدة للغاية».

قالت هولي: «أُفضّل وضع قناعي»، إننا في مستشفى وهي مزدحمة بالمرضى.

«كما تريدين»، ابتسم لها مجدّداً وعاد إلى مقعده «المسرح لك أيتها المحققة غاينز».

فتحت إيزي -التي أبقت قناعها تضامناً مع ضيفة الشرف على الأرجح- جهاز آيبادها وعرضت على هولي إحدى قطعتي القرط الملطخة بالدماء ضمن كيس بلاستيكي خاص بالأدلة «هل يمكنك تأكيد أن هذا هو القرط الذي استخدمته لنحر

عنق رودني هاريس؟».

انحنى العميل بيل فوق يديه المتشابكتين، كانت عيناه زرقاوين وثاقبتين ولكنه ابتسم قليلاً كنوع من التقدير.

قالت هولي: «نعم»، عرفت تماماً ما عليها قوله الآن بفضل بيت: «تصرفت على هذا النحو دفاعاً عن النفس لأنني خفت على حياتي»، وقالت لنفسها: كما أنني كرهت ذلك الحقير.

قال محامي المقاطعة تانتليف: «يا له من جواب دقيق».

سألت إيزي: «هل معك القسم الآخر من القرط؟».

«نعم، في أعلى درج من مكتبي في مقر عملي، يمكنني عرض صورة له ولكن الزوجين هاريس أخذا هاتفي بعد صعقي بالكهرباء، ولكن بيني معها صورة فقد أرسلتها لها في بريد إلكتروني، هل تكلم معها أحد؟».

قالت باربرا: «نعم، لقد اتصلت بها».

أدار تانتليف رأسه لينظر إلى الشاشة التي تتصدر قاعة المؤتمرات ولم يبتسم: «لا يحق لك بذلك يا آنسة روبينسون».

قالت باربرا: «ربما، ولكنني فعلت هذا بجميع الأحوال»، أرادت هولي أن تصفق لها «كانت في غاية القلق على هولي فأخبرتها أنها على ما يرام، لم أخبرها بأي شيء آخر».

سألت هولي: «ماذا عن الثلاجة؟ هل وجدتم...»، توقفت عن الكلام، ربما لأنها لم ترد إنهاء الجملة أو لأنها لم تعتزم ذلك.

قالت إيزي: «عثرنا على قطع من اللحم في البراد والثلاجة، لا شك أنها قطع لحم بشري، وجدنا بقايا جلد على بعضها».

قال جيروم الذي جلس قرب باربرا في غرفته المخصصة للكتابة: «يا إلهي، ما هذا بحق الجحيم؟ هل هذا صحيح حقاً؟».

قالت إيزي: «أجل، يعمل فريق على مسح الحمض النووي منها في الوقت الذي نتحدث فيه وأخبرونا أن هذا هو الاحتمال الأكبر، كما عثرنا على عدة أكواب من شيء يشبه الحلوى، قال الطبيب الشرعي الخاص بالمقاطعة إنها تتضمن أنسجة من الدماغ

والأم الجافية وبعض أوتار العضلات»، توقفت قليلاً وتابعت: «بالإضافة إلى الكريما المخفوقة حسب اعتقاده».

خيّم الصمت، قالت هولي لنفسها: هذا صحيح... ولتعطيهم مهلة لاستيعاب الأمر وضعت يدها على قناعها لتكبح موجة من الضحك الناجم عن الذعر.

سأل شريك إيزي: «هل أنت على ما يرام سيدة غيبني؟».

«نعم».

تابعت إيزي: «كما عثرنا على عصي من اللحم المجفف كسليم جيم أو جاك لينك لم يُحدد مصدرها بعد، ربما صُنعت من لحم بشري، ووجدنا كرات لحم في علبة تابيروير، ربما تعود بعض أو جميع هذه العناصر لبوني ري دال، وهذا ما سيؤكده لنا فحص الحمض النووي، عثرنا على ثلاجة إضافية صغيرة في خزانة المؤن الخاصة بآل هاريس، هناك الكثير من اللحم أيضاً، بدا معظمه لحم بقر وأضلاع ولحم خنزير مقدد ودجاج، ولكن في أسفل الثلاجة...»، عرضت لهم على الآيباد صورة للحم مجفف «لا نعلم ماهيته حتّى الآن، وإلى ماذا يتبع، ولكننا متأكدون من أنه لا يعود لخروف».

قال تانتليف: «يا إلهي، وليس لديّ أحد لأقاضيه»، رمق هولي بنظرة تشبه الاتهام «لقد قتلت المجرمين».

تحدث بيت هنتلي عبر شاشة غرفة المؤتمرات، شعرت هولي أنه قد تحسن ولكن بدا أنه خسر كثيراً من الوزن، حوالى ثلاثين رطلاً، اعتقدت هولي أن هذا أفضل له، ولكن الطبيعة البشرية أقوى من ذلك «ما خطبك يا تانتا؟ لقد كانا آكلي لحوم بشر! ربما لم يتسنَ لهما وقت ليأكلاها ولكنهما عزما على قتلها بالتأكيد».

«لم أقصد...»

رنّ هاتف إيزي فوجه تانتليف نظرة الاتهام إليها هذه المرة: «أعتقد أننا اتفقنا على ضبط أجهزتنا على وضع الصامت ونحن...»

«أنا آسفة ولكن عليّ الإجابة على هذا الاتصال، إنه من دان أرونسون الذي يعمل مع فريق الطب الشرعي، طلبت منه موافاتي بالتفاصيل إذا توصلوا إلى شيء مهم... مرحباً؟ دان؟ ماذا لديك؟».

أصغت إليه وبدت عليها ملامح الاشمئزاز، عبرت هذه الملامح عن شعور هولي

في منتصف الليل حين اضطرت لاتخاذ قرار الاتصال على الرغم من معرفتها بانشغال فريق التمريض، أتت ممرضة وعملت على تهدئتها خلال أسوأ نوبة هلع أصابتها ثم أعطتها حبة فاليوم من مخزونها الخاص، أنهت إيزي الاتصال «عثر فريق دان على ما يتعدى الاثني عشر مرطباناً غير محدد في حمام آل هاريس، يعتقد...»، تنحنحت قليلاً « لا يوجد هناك طريقة أخرى حقاً لإخباركم بهذا، يعتقد أنهما اعتادا على استخدام الدهن البشري كنوع من المراهم، لعلهما أملا بتسكين أوجاعهما».

قالت هولي: «اعتقدا أنه نافع»، ثم قالت لنفسها؛ وربما نفعهما حقاً لفترة ما، لا أدري تماماً، ولكن هذه هي الفطرة البشرية.

قالت إيزي: «أخبرينا كل شيء يا هولي، من البداية حتى النهاية».

هذا ما فعلته هولي، بدأت باتصال بيني الأول، استغرقت أكثر من ساعة، لم ترتجف سوى مرة – عندما ذكرت محاولات إيميلي إطلاق النار عليها حيث شعرت أنها تُشبه إناءً صينياً هشاً، توقفت للحظة كي تتمالك نفسها، سألها شريك إيزي واشبورن إن أرادت استراحة، فرفضت وقالت إنها تفضل إكمال ما حدث وفعلت هذا تماماً.

«عرفت أن المسدس لم يحتوِ سوى على خمس طلقات فقد علمني بيل ألا أملأ الفراغ تحت المطرقة، وضعت الفوهة على جبهتي، سمحت لها بهذا لأنني وددت رؤية تعابير وجهها حين تضغط على الزناد ولا يحدث شيء، لقد أرضتني مفاجأتها للغاية، حين رأيت التعبير الذي أريده مددت يدي من بين القضبان وأمسكت برأسها ثم كسرت عنقها اللعين».

قاطع بيت حاجز الصمت بكلمة واحدة: «جيد».

تنحنح تانتليف قليلاً: «هناك أربع ضحايا وفقاً لكلامك، أو خمسة إذا أضفنا أورتيغا».

قالت باربرا بسخط: «كاسترو، خورخي كاسترو، عثرت على صفحة الفيسبوك الخاصة بفريدي مارتن، إنه حبيب كاسترو واقتنع أنه...»

قال تانتليف: «ليس لديك صلاحية التدخل في هذه القضية، أطلب منك بكامل الاحترام التنحي جانباً».

قالت هولي: «تنح أنت جانباً، دعها تتكلم».

تأفف تانتليف ولكنه لم يعترض، تابعت باربرا.

«اقتنع السيد مارتن منذ البداية أن كاسترو قد قتل، قال إن لكاسترو أقارب في دايتون ونوغاليس وإيل باسو ومكسيكو سيتي، لم يتواصل خورخي مع أي منهم».

قالت هولي: «إنه الضحية الأولى، أنا متأكدة من هذا، وبالحديث عن الأقارب؛ كيف سنخبر أقارب الضحايا الباقين؟»، اعتقدت أن أقرباء إلين كراسلو في جورجيا لن يكترثوا بشكل أو بآخر، ولكن لا بد أن إيماني من ساحة المقطورات فضلت معرفة هذا التفصيل.

كما أن والد ووالدة بوني فضلا معرفة مصير ابنتهما، ولكنها فكّرت في فيرا ستينمان على وجه الخصوص حيث ستجد مبرراً للشرب حتى الموت.

قال جورج: «لم نعلم أحداً بعد»، أومأ برأسه لتانتليف، «إنها قضيته بموازاة رئيس الشرطة».

تأفف تانتليف مطولاً: «سنعطي فريق التحقيق أطول وقت ممكن ولكن لا يمكننا التحفظ على هذه المعلومات مطولاً، لا بد أن أحداً ما سيذكر شيئاً، هناك مؤتمر صحفي سيعقد قريباً وأنا لست متحمساً له».

قالت هولي وبدت مصرة: «ولكن عليكم إخبار ذوي الضحايا أولاً».

أجابت إيزي قبل أن يستطيع تانتليف الإجابة: «بالطبع، بدءاً من بيني دال».

تحدث جيروم واعتقدت هولي أنه يفكر بأم بيتر ستينمان أيضاً: «هل تستطيعون إبقاء موضوع أكل لحم البشر طي الكتمان؟».

وضعت إيزي غاينز يديها على جبهتها وكأنها تحاول ضبط ألم رأسها: «لا، ستتشكل لجنة محلفين عليا وخاصة، ولكن هذا الخبر سينتشر لا محالة، فهو ضخم للغاية، على الأقارب معرفة الأمر قبل رؤيته على التلفاز».

انتهى الاجتماع بعد فترة قصيرة، شعرت هولي بإرهاق شديد، عادت إلى غرفتها الخاصة المميزة وأغلقت الباب ثم تمددت على سريرها وبكت حتى خلدت إلى النوم، حلمت بإيميلي هاريس وهي تضغط بفوهة ماسورة مسدس بيل على جبهتها وتقول: «لقد ملأت الحجرة الأخيرة أيتها الفضولية الساقطة، انطلى المقلب عليك هذه المرة».

2

أيقظتها ممرضة -ليست الممرضة التي أعطتها الفاليوم- عند الساعة الثانية والربع ظهراً وقالت: «اتصلت المحققة غاينز بمقر الممرضات، وقالت إنها تحتاج إليك». ناولت هولي الهاتف بالإضافة إلى منديل يحتوي مطهراً.

قالت إيزي: «أنا في كنيسة المستشفى، هل يمكنك النزول؟».

جلست هولي على الكرسي المدولب واتجهت إلى المصعد، وحين وصلت إلى الطابق الثاني تبعت الاتجاهات إلى الكنيسة غير المنتمية لأية طائفة.

لم تجد فيها سوى إيزي التي جلست على مقعد في الصف الأمامي، ولاحظت أنها تحمل في يدها سبحة.

توقفت هولي بالقرب منها وقالت: «هل أخبرتِ بيني؟».

«أجل». كانت عينا إيزي حمراوين ومنتفختين.

«لاأعتقد أن الأمور سارت على ما يرام».

أدارت إيزي رأسها ونظرت إلى هولي نظرة تعيسة لم تستطع هولي التمعن فيها، ولكنها تمعنت فيها لأن إيزي فعلت ما كان على هولي فعله بنفسها «كيف تخيلت سير الأمور بحق الجحيم؟».

لم تقل هولي شيئاً، وبعد ثوان أمسكت إيزي بيد هولي: «علمتني هذه القضية درساً يا غيبني، حين تعتقدين أنك رأيت أسوأ ما يمكن للناس فعله اعرفي أنك على خطأ، ليس هناك نهاية للشر، أخذت ستيلا راندولف معي، عرفت أنني سأحتاج إلى مساعدة في هذه المهمة وهي مرشدة القسم النفسية وتعنى بالصحة العقلية، وهي تتحدث إلى الشرطيين في الحوادث التي يتخللها إطلاق نار بالإضافة إلى أمور أخرى أيضاً».

«أخبرت بيني أن بوني توفيت و...؟».

«ثم أخبرتها عن سبب موتها وعما فعلاه بها، حاولت تجميل الحقيقة... أعتقد أن هذه هي الكلمة المناسبة... ولكنها أدركت ما تكلمت عنه، لم تفعل شيئاً سوى الجلوس والتزام الصمت لدقيقة والشد على يديها المتشابكتين في حضنها والنظر إليّ، كامرأة تحضر خطبة مهمة للغاية، ثم بدأت بالصراخ، حاولت ستيلا معانقتها، ولكن دال دفعتها بشدة لدرجة أن ستيلا تعثرت بوسادة ووقعت أرضاً، بدأت دال تخدش وجهها

ولكنها لم تخترق جلدها -لأن أظافرها قصيرة- ولكنها خلفت آثاراً حمراء كبيرة على وجنتيها، عانقتها بوضعية الدب لردعها من فعل ذلك، ولكنها لم تكف عن الصراخ، هدأت قليلاً في نهاية الأمر أو لعلها أنهكت وحسب، ولن أنسى صراخها طوال حياتي، لقد أخبرت آلاف الناس عن حوادث موت، ولكن الجهة الأخرى... هل تعتقدين أن المختطفين كانوا صاحين حين قتلوا؟».

«لا أعرف». قالت لنفسها: ولا أريد معرفة هذا، «هل قالت شيئاً...عني؟».

«نعم، إنها لا تود رؤيتك مجدّداً».

3

رأى صفين من المنازل التي بدت مهجورة في شمس الظهيرة الحارقة، لم يمش أحد على الرصيف المتهالك، اعتقد جيروم أن شارع سيكامور (حيث لم يرَ أي شجرة سيكامور) يبدو كخلفية لفيلم مريب، رأى سيارة فيرا ستينمان من نوع شيفروليه في مكانها المعتاد بالإضافة للملصق الذي كتب عليه: ماذا كان سكوبي ليفعل؟ تمنى جيروم معرفة ما عليه فعله أو قوله.

فكّر: لعلها ليست في المنزل، رجّحت السيارة وجودها في المنزل، ولكن السيارة معطلة على حدّ علمه، ولعل رخصة القيادة قد سحبت من والدة بيتر ستينمان الثملة.

فكّر مجدداً: عليّ الخروج من هنا، لا تزال لديّ فرصة للهرب.

ولكنه طرق الباب، تأكد من شيء واحد: على فرض أنها لم تصفع الباب في وجهه حالاً وجب عليه النظر إلى وجهها مباشرة وإخبارها بأكثر كذبة صادقة قالها في حياته.

فتح الباب ولم تكن فيرا ترتدي ملابس مناسبة، لأنها لم تتوقع قدومه، ولكنها بدت على ما يرام في بنطالها الفضفاض الأبيض وسترتها القصيرة البيضاء أيضاً، بدت واعية أيضاً... ولكنها بالطبع بدت واعية في آخر مرة جاء فيها إلى هنا.

«يا إلهي، أنت جيروم أليس كذلك؟».

«نعم، جيروم روبينسون».

«لا أتذكر الكثير عن آخر مرة جئت فيها إلى هنا، إلا أنني أتذكر الطبيب حين قال: لقد أنقذ هذا الشاب حياتك».

لم يدفع بمرفقه لها بل مدّ يده، فصافحتها بحزم.

«أفهم من ملامح وجهك أنك لا تحمل لي أخباراً جيدة يا جيروم».

«لا يا سيدتي، جئت كي لا تسمعي الخبر من أحد آخر».

«لأن لدينا رباطاً قوياً أليس كذلك؟». بدت هادئة للغاية، ولكن بدا وجهها شاحباً شحوب الشمع «سواء رغبت به أم لا».

«نعم يا سيدتي، أعتقد أن هذا صحيح».

«لا أريد سماع أخبار سيئة على عتبة الدرج، ادخل وادعوني بفيرا بالله عليك».

دخل وأغلقت الباب، لا يزال المكيف يصدر صوتاً مزعجاً ولا تزال غرفة المعيشة تبدو قديمة ولكنها مرتبة ونظيفة.

«في حال تساءلت عن وضعي فأنا واعية، لا أعرف كم سأبقى على هذا النحو، ولكنني تابعت حضور الاجتماعات، حضرت ثلاثة حتّى الآن، وذهبت إلى كفيلي وجهّزت نفسي لطلب السماح، وجدت لاحقاً أنني لم أضطر إلى ذلك فارتحت كثيراً، هل مات؟ هل مات بيتر؟».

«نعم، أنا آسف للغاية يا فيرا».

«هل تعلق الأمر بالجنس؟ بالجنس المريض؟».

«لا».

«من قتله؟».

«زوجان مسنان: رودني وإيميلي هاريس، قتلا أربعة أشخاص آخرين على حدّ علمنا، ستوافيك الشرطة بالتفاصيل، يمكنك القول لهم إنني جئت إلى هنا أولاً، قولي إنني أردت إخبارك بنفسي لأنني... في الواقع...»

«لأنك أنقذت حياتي ولدينا ذلك الرابط القوي»، لا تزال هادئة للغاية ولكن عينيها ترقرقتا بالدموع «نعم، نعم، نعم».

مدت يدها إلى الخلف وأمسكت بذراع الأريكة أمام التلفاز وجلست، ولكنها فشلت تقريباً في فعل ذلك.

جثا جيروم أمامها وكأنه حبيب يستعد للتقدم لمحبوبته، أمسك بيديها الباردتين كالثلج، لم يخطط لأي من هذا فلقد ارتجل جميع تصرفاته، هل قالت إن لديهما رباطاً

قوياً؟ اعتقد أنها محقة للغاية على حدّ علمه، وقد شعر هو بمثل هذا الرباط في أعماقه، لقد تمالك نفسه وشكر ربه على هذه القدرة.

«كان الزوجان هاريس مختلين، سيُكشف عن أعمالهما السيئة ولكن عليك معرفة شيء واحد»، حان وقت الكذب، ربما لم يعد كلامه كذباً لأنه لم يعرف أي شيء حيال الموضوع «لقد قتلاه بسرعة، وما حدث لجثته... أقصد ما فعلاه... حصل بعد موته، كان قد غادر هذا العالم بحلول ذلك الوقت».

«إلى المكان الذي سنذهب إليه جميعنا؟».

«نعم، إلى المكان الذي سنذهب إليه جميعنا».

«هل عانى؟».

«لا».

شدت على يديه وقالت: «هل تقسم على هذا؟».

«نعم».

«هل تقسم بحياة أمك؟».

«نعم».

«كيف تعرف هذا؟».

«من تقرير الطب الشرعي».

أفلتت يديه وقالت: «أحتاج إلى شراب».

«بالطبع ولكن لا تشربي، من أجل ابنك».

ضحكت فيرا وهي ترتجف: «من أجل ابني؟ هل تسمع ما تقول؟».

«نعم، سمعت ما قلته بوضوح».

«عليّ الاتصال بكفيلي، هل يمكنك البقاء معي إلى أن يأتي؟».

قال جيروم: «نعم»، وبقي معها فعلاً.

مكتبة
t.me/soramnqraa

4 من آب 2021

جلست هولي في المنزل تشاهد برنامجاً كوميدياً على نيتفلكس ولكنها لم تركّز عليه، لقد أرادت تضييع الوقت ريثما يأتي وقت تناول مسكناتها (ولعلها ستزيد الجرعة) ثم رنّ جرس المنزل، وجدت إيزابيل غاينز ومعها: هيربيرت بيل وعميل آخر من مكتب التحقيقات الفدرالي اسمه كورتيس روغان، وكان قد عمل كمشخص في مجال القتلة المتسلسلين فانضم لفريق مكتب التحقيقات الفدرالي.

سألت إيزي هولي إن كانت قد قرأت عدد ذلك اليوم، قرأت هولي العنوان على جهاز الآيباد: هل كانا **آكلي لحوم بشر**؟ وكفاها هذا، «أعتقد أن على محامي المقاطعة القيام بذلك المؤتمر الصحفي الآن».

«حدد مع رئيس الشرطة مورفي موعداً في الظهيرة، لن تكون التغطية محلية وحسب، أعتقد أن راندال مورفي شكر ربه لأنه كان في مينيبوليس حين اختطف القتلى عدا بوني دال، أتينا إلى هنا بسبب ما وجده فريق الطب الشرعي وفريق مكتب التحقيقات الفدرالي ضمن خزانة غرفة نوم آل هاريس».

«ماذا؟» فكّرت ماذا بعد؟

قال هيربيرت بيل: «مذكرات تعود للمرأة، بدأت كتابتها منذ تشرين الثاني عام 2012 قبيل مقتل خورخي لويس كاسترو، لقد عمل العميل روغان على دراستها».

قال روغان: «طريقي طويل، هناك آلاف الصفحات»، إنه رجل لطيف وشعره خفيف ويضع نظارة من دون إطار «إن كتاباتها مثيرة للاهتمام».

قالت إيزي: «كتاباتها مروعة للغاية، لقد قرأت ما يكفي للبت بأنها تفوقت على زوجها بالجنون حتّى الآن».

قال روغان: «أعتقد أن الدراسة المكثفة ستثبت هذا، لا أعتقد أن رودني هاريس فعل أكثر من... ما هي الكلمة المناسبة؟ حرق الفتيلة؟ لا أعتقد أنه فعل شيئاً أكثر من التأفف من غباء زملائه وانتقاد تحريم تناول لحم البشر».

سألت هولي: «أقنعته باختطاف أول ضحية أليس كذلك؟ أقنعته باختطاف كاسترو ليطبق زوجها نظرياته، أي من التجريد للتطبيق، وكل هذا لأن كاسترو لم يعجبها».

قالت إيزي: «لم يعجبها؟». ثم ضحكت، «يا إلهي يا هولي، ليست لديك فكرة، لقد كرهته للغاية ولم تكتف عند هذا الحدّ -لقد كرهت الجميع، كانت إيميلي مريضة نفسية تحت ستار الأستاذة الجامعية المحترمة، دعيني أعرض عليك مثالاً عن السيدة هايد التي مثلت دور الأستاذة جيكيل».

أدارت جهاز الآيباد إلى هولي، ظهرت على الشاشة صورة من مذكرة، تحمل سطراً متكرراً لمرات كثيرة كطفل أمر بتكرار جملة: لن أرمي الأوراق في الصف، كان السطر: أكره ذلك الإسباني،

أكره ذلك الإسباني اللعين،

أكره ذلك الإسباني الشاذ،

أكره ذلك الإسباني الشاذ البغيض... وهكذا دواليك.

قالت إيزي: «كتبت أربع صفحات على هذا المنوال».

قال روغان: «تجدين في هذه المذكرات أن إيميلي هاريس لم تحضر اجتماعات قسم اللغة الإنكليزية، ولم أبدأ بعد».

قالت إيزي: «إليك مثال آخر»، فتحت إيزي صورة أخرى على جهازها، كتبت على هذه الصفحة كلمة الزنجية مراراً وتكراراً بأحرف كبيرة، بالإضافة إلى نعوت أخرى تدل على الاحتقار.

قال هيربيرت بيل: «نعتقد أنها أخفت مذكراتها الحانقة عن زوجها أيضاً، ولكننا لن نتأكد من هذا إلا إذا ذكرت هذا التفصيل في مذكراتها».

قال روغان: «هذه مذكرات قيّمة للغاية».

قالت هولي: «يمكن استخدام وصف آخر لها».

«أقصد هذا من وجهة نظر نفسية، هناك شيء واضح، لقد شاركت في... تناول الأستاذ كاسترو لترضي زوجها الذي أصرّ على ذلك، ولكنها وصفت ذلك الفعل بالمعجزة التي داوت ظهرها ومفاصل زوجها، هناك اعتقادات خيالية أخرى بما فيها زيادة القدرة العقلية، وتعتبر هذه إعلانات تدخلها إلى الجحيم مباشرة، إلا أن مفعول

الدواء زال في نهاية المطاف».

قالت هولي: «ففعلاها مراراً وتكراراً».

قالت إيزي: «كان يجب الإمساك بهما بعد كاسترو، أو بعد دريسلر، إن خطة الكرسي المدولب ذكية بما فيه الكفاية وعملا على صياغة خلفية مُحكمة ولكن طريقتهما في التخلص من الجثث عبثية».

قالت هولي بهدوء: «كانا مسنين وهذا أمر غير متوقع في نطاق القتلة المتسلسلين أو آكلي لحوم البشر على وجه الخصوص».

قالت إيزي: «لو لم تأتي في الوقت الصحيح يا هولي فلا بد أنهما ما يزالان على قيد الحياة الآن ويتناولان طعامهما المحرم، لا بد أن بعض الناس سيقولون: «أحقاً هذا، إنه مخبول إلى حد ما، وهي عاجزة تقريباً، ولكنهما على ما يرام».

«اكتشفت باربرا الأمر أسرع مني».

«هذا صحيح إلى حدّ ما، ولكنك قمت بالأعمال التمهيدية».

قالت هولي: «وساعدتنا صديقتها أوليفيا كينغسبري، تلك الشاعرة المسنة، أعتقد أنها هي التي ساعدت باربرا على إكمال الصورة».

نظر بيل إلى روغان وأومأ إليه برأسه، نهضوا وقال بيل: «ستتعرضين لغزو صحفي يا سيدة غيبني».

«لن تكون المرة الأولى»، ثم قالت دون سابق إنذار: «ولكن الجنون مجاني».

تفاجأ كل من بيل وروغان، ولكن إيزي ضحكت وانضمت إليها هولي، إن الضحك شعور رائع للغاية.

18 آب 2021

هناك شرفة في شقة هولي تتسع لكرسيين وطاولة صغيرة، جلست هولي على هذه الشرفة في تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء تحتسي كوب قهوة، أرادت تدخين سيجارة ولكن الرغبة لم تعد جامحة إلى هذا الحدّ، لم تدخن سيجارة منذ ثلاثة أسابيع، وهي لا تنوي تدخين واحدة مجدّداً بعون الله.

كان الطقس دافئاً ولم يكن خانقاً، حتّى أن موجة الحر التي خيّمت على المدينة طوال شهر تموز وأول أسبوعين من شهر آب بدا انحسارها جلياً.

تعوّدت هولي قضاء هذه الساعات في المكتب وهي ترتدي بذلة رسمية وتضع القليل من مساحيق التجميل ولكن هذا الصباح –وكثير من الصباحات التي تلت إقامتها في كاينر لمدة يوم– ارتدت لباس نوم وخف، أشار هاتف المكتب وموقعه إلى أن المكتب مغلق بسبب العطلة، وسيفتح مجدّداً في السادس من أيلول، لم تشعر هولي أن مكتب فايندرز كيبرز سيفتح مجدداً.

زار بيت الذي تعافى تماماً ابنه وكنته في ساغيناو، وخطط للعودة في نهاية الشهر إلا أنه أعرب عن نيته التقاعد، إذا تلقى راتبه التقاعدي من قسم الشرطة، وهو ما اعتبرته هولي مردوداً جيداً بعد خدمة دامت لخمس وعشرين سنة، وإذا ما تحقق هذا الأمر فإن هولي كانت عازمة على إضافة مبلغ لائق مقابل حصته من الشركة، وفي حال قررت بيع مكتبها (واستطاعت فعل ذلك لقاء مبلغ جيد) فستتمكن من إعطائه مبلغاً محترماً.

أما بالنسبة إليها فهي شخص مليونير حديث قادر على شرب ماي–تاي في أي حانة فاخرة من حانات المدينة، في الواقع تستطيع شراء حانة فاخرة إذا أرادت ذلك ولكنها لا تريد. في الأسابيع التي تلت حادثتها في قبو آل هاريس خطرت لها مراراً وتكراراً فكرة التقاعد والعيش بالمال الذي أخفته عنها أمها بمعاونة خالها.

قالت لنفسها إنها صغيرة جداً على التقاعد ولعل هذا صحيح، كما قالت لنفسها إنها لن تعرف ماذا ستفعل بحياتها ولعل هذا صحيح أيضاً، ولكنها لم تنفك عن التفكير

بمـا قالتـه إيـزي غاينز ذلك اليوم في كنيسـة المستشـفى بعـد إخبارها لبيني دال -بغض النظر عن تعديل الكلمات- بأن ابنتها لم تقتل وحسب بل أكلت.

أو علـى الأقـل أكلـت أعضاؤهـا الجيـدة أما الباقية فانتهى به المطاف بقوام يشـبه الدهان الأحمر، بالإضافة إلى قطع من العظم ضمن كيس بلاسـتيكي في نهاية أنبوب قطاعة خشب.

قالت إيزي: حين تعتقدين أنك رأيت أسوأ ما يمكن للناس فعله، اعرفي أنك على خطأ ثم أضافت: ليس هناك نهاية للشر.

اعتقـدت هولـي أنهـا تعرف هذه المعلومات أكثر من إيزي، إن الشـر الحقيقي هو الدخيل الذي تقمص شخصية تيري ميتلاند.

بالإضافة إلى الدخيل الذي تقمص شخصية شيت أوندوفسكي، وانطبق هذا على بريدي هارتسفيلد الذي عثر على طريقة لارتكاب فعلته المشينة (كما اعتاد بيل القول) حتى بعد تثبيطه، لقد ثبطته هولي بنفسها.

ولكن رودني وإيميلي هاريس أسوأ منهم.

لماذا؟ لأنهما ليسـا خارقين للطبيعة، ولأنكم لا تسـتطيعون القول إن شـرهما أتى من الخارج ومواساة أنفسكم بفكرة وجود قوى خارجية خيرة تترصد بقوى الشر.

إن شـر آل هاريس مبتذل وهمجي، كأم تضع ابنها في ميكروويف لأنه لم يكف عن البكاء، أو كطفل عمره اثنتا عشرة سنة يطلق النار على نصف زملائه.

لم تعتقد هولي أنها راغبة بزيارة عالم يحوي الكثير من الشـخصيات كرودني أو إيميلي وهي أسوأ من زوجها بكثير: كانت صاحية العقل وفي الوقت ذاته كانت مختلة عقلياً.

لقد وضّحت مذكرات إيميلي كثيراً من الأشياء، اكتشفوا لم اختطف التي ستينمان بعـد إليـن كراسـلو مباشـرة، كانـت إليـن نباتية ورفضـت تناول الكبد (الذي سـمي في المذكرات بالكأس المقدس)، رفضت تناوله في أقصى حالات ظمأها، لم يحافظ أي مـن المختطفيـن علـى موقفهـم فـي النهاية، لم تعتقد هولي أن بوسـعها المقاومة أيضاً، ولكن إلين نجحت في ذلك وليباركها الله على هذه الفعلة، في النهاية أطلق رودني النار عليهـا كثـور متمـرد، بعد مقتلها ملأت إيميلـي صفحات مذكرتها بالمذمات والإهانات

وأقل وصف شنيع كتبته كان: زنجية متخلفة ووضيعة سحاقية.

كما اكتشفوا الاسم المزيف الذي استخدمته إيميلي في المقطورة:

ديكيسنون تيماً بإيميلي ديكينسون.

اضطرت هولي تذكير نفسها أن تلك المرأة التي كتبت كل تلك الأمور الحانقة كانت عضواً أكاديمياً محترماً وحازت على عدة جوائز بالإضافة لارتيادها مكتبة راينلدز، كما اعتبرت عضواً مؤثراً في قسم اللغة الإنكليزية حتى بعد تقاعدها، تلقت عام 2004 وساماً يعلنها امرأة ذلك العام، فأقيمت مأدبة تحدثت فيها إيميلي عن قوة النساء.

أخبرتها إيزي شيئاً آخر: إن المسدس الذي استخدمه رودي في قتل إلين كراسلو من نوع روغير سيكيوريتي-9 له مخزن يتسع لخمس عشرة رصاصة، كانت إيميلي ستحظى بعشر فرص أخرى لإطلاق النار على هولي لو اختارت ذلك السلاح بدلاً من مسدس بيل... كما أن الزنزانة كانت ستحد من قدرة هولي على تفادي الطلقات.

قالت إيزي: «ولكننا وجدناه في الطابق العلوي، وأضيفي إلى ذلك ذراعها المكسور وظهرها المتألم، وهذا من حسن حظك».

نعم، يا لحسن حظها، إنها هولي غيبني المحظوظة التي لم تنفد بجلدها وحسب بل أصبحت مليونيرة، تستطيع إغلاق مكتبها والانتقال إلى مرحلة أخرى من حياتها إن رغبت في ذلك، أي حياة يظهر فيها آل هاريس بخبر على التلفاز يمكن إخفاؤه أو الانتقال منه إلى فيلم رومنسي.

رنّ هاتفها الشخصي وليس هاتف المكتب، لقد رنّ هاتف المكتب كثيراً بعد شهرة هولي أو بتعبير أدق: اعتلاء هولي منصة الشهرة مجدّداً، ولكن الاتصالات تناقصت تدريجياً لحسن الحظ، نهضت ودخلت مكتبها وهي تحمل كوب القهوة، ظهرت صورة باربرا روبينسون على شاشة هاتفها.

«مرحباً باربرا، كيف الحال؟».

عم الصمت، ولكن هولي سمعت أنفاس باربرا فقلقت عليها: «هل أنت بخير يا بارب؟».

«نعم... نعم، غادرت أمي وأبي المنزل وجيروم...»

«عاد لنيويورك مجدداً، أعلم هذا».

«لذا اتصلت بك، احتجت للاتصال بأحد ما».

«ما الأمر؟».

«لقد فزت».

«فزت بماذا؟».

«ببينلي، جائزة بينلي»، بعد نقل باربرا لهذا الخبر بدأت بالبكاء «سأهديها لأوليفيا، يا إلهي كم أتمنى رؤيتها إلى جانبي لتشاركني هذا الإنجاز».

«هذا رائع للغاية يا باربرا، هناك جائزة مالية أيضاً أليس كذلك؟».

«خمسة وعشرون ألف دولار، ولكن هناك حق للامتياز، هذا ما وردني في البريد الإلكتروني، كما أن كتب الشعر لا تلاقي رواجاً هائلاً».

قالت هولي: «لا تقولي هذا لأماندا غورمان».

ضحكت باربرا في خضم بكائها: «إن الحالتين غير متشابهتين، تنم قصائدها عن التفاؤل كالقصيدة التي قرأتها في الاحتفال، ولكن قصائدي... في الواقع...»

قالت هولي: «مختلفة».

أعطتها باربرا بعضها لتقرأها وأدركت هولي ماهيتها: إن قصائدها عبارة عن طريقة للتعايش والتأقلم.

بالإضافة إلى أنها مجهود من باربرا للمحافظة على قلبها الصافي والكريم رغم الذعر الذي صادفته في المصعد في السنة المنصرمة، أي ذعر شيت أوندوفسكي، ناهيكم عن الذعر الذي شعرت به حين رأت صديقتها في زنزانة ووجهها ملطخ بالدماء وأمامها جثتان.

لقد رأت هولي أكثر من هذا وخاضت تجربة مريرة حيث احتجزت في زنزانة ولم تتخذ الشعر ملجأ، إن أفضل شيء توصلت إليه (دعونا نواجه الأمر) اعتبرته فاشلاً للغاية، ولكنها بدأت تستمتع بأفلام الرعب واعتبرت مشاهده غير المؤذية بداية لتغلبها على مخاوفها، لا بد أن البعض يعتقد هذا شاذاً ولكنه ليس على هذا النحو في الواقع.

قالت هولي: «عليك إخبار جيروم، جيروم أولاً ثم والديك».

«حسناً، سأخبره حالاً، ولكنني سررت بإخبارك أولاً».

«هذا فخر لي في الواقع». لم تكن سعادتها توصف.

«هل عرفت معلومات جديدة؟ بخصوص... ذلك الأمر».

وصفت باربرا تلك الحادثة هذه الأيام بتعبير: ذلك الأمر.

«لا، في حال قصدت... لا أعرف كيف أصفها... سلالتهما فلعلنا لن نعرف أبداً، من الجيد أننا استطعنا إيقافهما عند هذا الحد قبل...»

قالت باربرا: «أنت، أنت من أوقفتهما».

أدركت هولي أن كثيراً من الناس ساهموا في هذا الأمر من لاكيشا ستون إلى إيميليو هيريرا في جيت مارت ولكنها لم تقل هذا.

قالت: «وفي النهاية، أعتقد أن الأمر مبتذل بعض الشيء، لقد داسا على خط حرج لم يكن من السهل الإمساك بهما، وأدت المعالجة الوهمية دوراً أيضاً، تداعى عقله للغاية وبطريقة أو بأخرى تداعى عقل زوجته أيضاً، كان سيكتشف أمرهما في نهاية المطاف، ولكن ليس قبل ارتكابهما جريمة أخرى أو جريمتين بالأحرى، يبدأ معظم القتلة المتسلسلين بزيادة الوتيرة في مرحلة ما وهذا ما حصل معهما، دعينا نقل إن الأمور بخواتيمها... إلى حدّ ما».

قالت لنفسها: أفضل تصديق هذا في الواقع.

«أفضل التحدث عن جائزتك الكبرى، هل أنت أصغر من يفوز بها؟».

«نعم، وبفارق ست سنوات. كتبوا لي في الرسالة أنهم وجدوا أسلوبي إضافة لطيفة للشعر، هل يمكنك تصديق هذا؟».

«نعم، يا بارب، يمكنني تصديق هذا، وسررت جداً من أجلك، اذهبي الآن وقومي باتصالاتك».

«حسناً، أحبك يا هولي».

قالت هولي: «وأنا أحبك كثيراً».

أعادت الهاتف إلى شاحنه، واتجهت إلى المطبخ لتصب مزيداً من القهوة، وقبل وصولها إلى المطبخ رنّ هاتف المكتب مجدّداً، لم تجب على ذلك الهاتف منذ نهاية تموز وتركت المجيب الآلي أو خدمات الهاتف تولي أمور الاتصالات، إن معظم الاتصالات عبارة عن دعوات للمقابلات وبعضها من صحف شعبية تعرض أموالاً طائلة، استمعت إلى الرسائل ولكنها لم تجب على أي منها فهي لم تحتج إلى مالهم.

وقفت الآن بالقرب من مكتبها وحدّقت إلى الهاتف، الذي كان سيحول الاتصال إلى المجيب الآلي بعد خمس رنات وقد قطع ثلاث منها.

قالت هولي لنفسها: حين تعتقدين أنك رأيت أسوأ ما يمكن للناس فعله اعرفي أنك على خطأ، ليس هناك نهاية للشر.

وأضافت: هذا هو الاتصال، هذا هو الاتصال الذي أنتظره.

إذا أجابت عليه ستستطيع الإجابة عليه ومتابعة عملها في مجال التحقيق ولكن هذا تطلب ملامسة الشر مجدّداً الذي ليس له نهاية.

وإذا لم تجب عليه فسيحول إلى المجيب الآلي، وهذا يعني أنها لم تفكر في قرار التقاعد والعيش بأموالها وحسب بل عزمت عليه.

أكمل الهاتف أربع رنات.

تساءلت كيف كان بيل هودغز سيتصرف، ولكن هناك سؤال أهم من ذلك: كيف أراد بيل هودغز منها أن تتصرف؟

أجابت على الاتصال عند الرنة الخامسة.

«مرحباً، معكم هولي غيبني، كيف يمكنني المساعدة؟».

14 آب -2021 2 حزيران 2022

ملاحظة

مـع أن هولـي تبعـت أحـداث قصة إن كان ينزف إلى حدّ كبير في المجموعة التي تحمل الاسم نفسه، إلا أن القراء المخلصين وطلاب الحدث الحالي يمكنهم ملاحظة طفرة على الأقل في سير الأحداث.

أدت جائحـة كورونـا دوراً كبيـراً في هولي –وفي الواقع اعتمدت عليها عدة نقاط مـن القصـة– ولكـن الجائحـة لم تذكر أبداً في قصة إن كان ينزف مع أن أحداثها جرت في كانون الأول عام 2020 أي وقت تفشي الجائحة في أميركا حيث توفي قرابة خمسة وستين ألف شخص. وذلك لسبب بسيط، حين كتبت إن كان ينزف عام 2019 لم تكن كورونا في الحسـبان، لا أحبذ ذكر أحداث واقعية في أحداث أعمالي الخيالية، ولكن هذا يحدث بين وقت وآخر، لو استطعت تغيير إن كان ينزف كنت سأفعل ذلك، ولكن هذا سـيتطلب مني إعادة كتابة قصة كاملة، وكما تعودنا القول في ماراثون القلوب في أيام الجامعة: إذا وضعت لعبتْ، أردت القول إنني مدرك للمفارقة.

ارتحـت حيـن عرفت أن نسـبة كبيرة من المواطنيـن الأميركيين –لكن ليس معظم الأميركيين– معارضون للقاح، لا بد أن هؤلاء الناس يعتقدون أن ذكر كورونا في هولي هو نوع من أنواع الإقناع (هناك عبارة أدبية تصف هذا النوع وأنا أُحبها كثيراً: يعتلي هذا المنبـر ويلقـي المواعـظ)، ولكـن الحال ليس على هذا النحـو، أعتقد أن الخيال يمكن تصديقـه حيـن تنخـرط فيـه أحداث وأفراد مـن العالم الحقيقي وحتى أسـماء علامات تجارية معروفة، ماتت والدة هولي بسـبب كورونا، كما أن هولي بحدّ ذاتها مهووسـة بالأمـراض إلـى حـدّ كبيـر، وهذا ما يوضح لي أن عليها اتخـاذ مواقف قوية بخصوص كورونـا، إضافـة إلـى اتباعها التعليمات الصحية وأخذها لجميع الاحتياطات (باسـتثناء التدخين)، أنا أوافقها الرأي في هذا الموضوع، ولكنني أعتقد أنني لو اخترت شخصية

معادية للقاح لدور البطولة أو لدور شخصية مهمة كنت سأمثل هذه الآراء بشكل منصف.

أما شخصية رودني هاريس، فهي خير مثال على شخصية تتنافى مع تفكيري، كل معلومة ورواية تاريخية مثلها رودي عن آكلي لحوم البشر حقيقية في الواقع، أما استنتاجاته فكانت خطأ كفكرة أن تناول الكبد البشري يمكنه معالجة مرض الزهايمر، ولكن لم يستطع أحد لوم رودني على اختلاقه للبيانات، لأنه بدا جلياً أنه ليس سوياً من الناحية الذهنية مثل طائر السامك، وبعد التفكير ملياً بالموضوع وجدت أن هذه المقارنة مجحفة بحق هذا الطائر.

لقد تولت المبدعة روبين فورث أمر الأبحاث كالعادة، لقد أعطتني تقريراً كاملاً عن آكلي لحوم البشر، ولكن هذا كان أقل إسهاماتها، فهي راجعت ثلاثية السيد مرسيدس ووضعت جدولاً زمنياً كاملاً لهولي غيبني، تطلب مني هذا إعادة كتابة بعض الأمور، ولكنه أنقذني من التناقضات، أعتقد أنني أبليت بلاء حسناً باستثناء: تبين أن الخال هنري لديه أولاد غابوا عن هذه القصة. أرجوكم أظهروا الشكر والامتنان لملكة البحث روبين بخصوص كل الأمور الصحيحة، ولوموني على الخطأ شخصياً.

وأريد تقديم الشكر على مساعدتي باللغة اللاتينية (حيث لغتي ركيكة بعض الشيء) إلى تيم إنغرام وبيتر جونز من جمعية الكلاسيك للجميع، وهي جمعية خيرية تدعم عملية تعليم العديد من المواد الكلاسيكية، يمكنكم العثور عليها على الفيسبوك أو غوغل.

مات صديقي الأزلي ووكيلي تشارلز «تشاك» فيريل في أوائل العام 2022، لقد خف شعور الفقدان الذي انتابني بعد وفاته بمساعدة شريكته ليز دارانسوف التي تولت أمور الكتاب والقصة كي أستطيع تمالك نفسي واختلاق المزيد من الأفكار، وهذا شيء أجيده تماماً، وعلى الرغم من حزن ليز فإنها لم ترتكب أي خطأ، كنت سأضيع لولاها، وينطبق هذا الأمر على مساعديها في الوكالة إيريك إيملينغ وميشيل مورتايمر، أتقدم بالشكر الجزيل منهم جميعاً.

أما كريس لوتس، فهو المسؤول عن إدارة حقوقي القانونية وعن نشر كتبي في العالم، إنه رجل عظيم بكل ما تعنيه الكلمة.

أما الرجل العظيم الآخر فهو راند هولستون، وهو الذي يتولى حقوق تحويل الكتب

إلى أفلام ومسلسلات، أعرفه منذ أربعين سنة وأعده أحد أعز أصدقائي وشركائي.

حررت نان غراهام هذا الكتاب، وهي التي كانت دائماً صائبة في تغييراتها وأنقذت اقتراحاتها -الجارحة أحياناً- العمل رغم كل الصعوبات والحواجز التي مر بها، يُقال إن الشيطان يكمن في التفاصيل، ولكن عندما يأتي الأمر لتفاصيلي الخاصة لطالما كانت نان ملاكاً رحيماً، من الرائع وجود شخص محترف مثلها في فريقي.

شكراً لمولي المعروفة باسم سليلة الشر التي ترفع من معنوياتي دائماً.

إلا أن الشكر الأكبر هو لزوجتي الروائية تابيثا كينغ التي لا تكف عن دعمي، لا يمكنني التعبير عن مدى امتناني لرفيقة دربي، إن تابي هي من أقنعتني بكتابة أصعب مقطع في الكتاب: آخر محادثة لجيروم مع فيرا ستينمان، أحبك يا عزيزتي.

آخر شيء قبل أن أودعكم، أردت تأليف هذا الكتاب لأستطيع كتابة مشهد واحد كان جلياً في عقلي: حضور هولي جنازة أمها عبر زوم، لم أحظَ بفرصة لكتابة هذا المشهد مع الأسف ولكنني أردت اختبار هذه التجربة لأنني أحببت هولي منذ البداية، وأردت اللقاء بها مجدداً، ثم قرأت في يوم ما مقالاً عن جريمة شرف، لم أعتقد أنني سأجعل منه محور قصتي، ولكنني أحببت العنوان الذي كان بهذا المعنى: يعتقد كل الناس أنهم أزواج مسنون لطيفون إلى أن تبدأ الجثث بالظهور في الباحة الخلفية.

قلت لنفسي: زوجان قاتلان، هذا ما أريد الكتابة عنه، لقد كتبت بالفعل ما قرأتموه، أتمنى أن تكون كتابتي قد حظيت باستحسانكم، وشكراً لكم مجدّداً على مرافقتي في عالم مظلم آخر.

النهاية

مكتبة
t.me/soramnqraa

telegram @soramnqraa

تُعتبر رواية هولي لستيفن كينغ عودة مجيدة لشخصية هولي غيبني، الشخصية المحبوبة التي يتفاعل معها القراء بشغف. فقد شهد القراء تحوّل هولي ببطء من كونها شخصية خجولة ولكنها شجاعة وأخلاقية في رواية السيد مرسيدس لتصبح شريكة بيل هودغز في رواية صائدو الكنوز، ولينتهي بها المطاف محققة خاصة ذكية وقوية في بعض الأحيان في رواية الغريب.

في هذه الرواية تجد هولي نفسها في موقف صعب، فهي تواجه زوجين فاسدين بشكل لا يمكن تصوّره، يتمتعان بمهارة كبيرة في التنكر والتخفي. عندما تتصل بيني دال بوكالة المحققين فايندرز كيبرز، تتردد هولي في قبول القضية، لأن شريكها بيت يعاني من فيروس كوفيد-19، ولأن والدتها توفيت مؤخراً، وكان يفترض بها أن تكون في إجازة. لكن صوت بيني دال المفعم باليأس يجعل من الصعب على هولي رفض مساعدتها. قرب المكان الذي اختفت فيه بوني دال يعيش الأستاذان رودني وإيميلي هاريس، وهما زوجان متقدمان في العمر ومخلصان لبعضهما البعض. مع ذلك، فهما يحتفظان بسر خطير في قبو منزلهما، وربما يكون لهذا السرّ علاقة باختفاء بوني. سيكون من الصعب تحديد ما يخططان له، فهما يتمتعان بالذكاء والصبر ولا يرحمان أبداً. يفترض بهولي أن تستدعي كل مواهبها لتتفوق ذهنياً عليهما، وتحبط مخططاتهما الشريرة.

تقدم رواية هولي قصة مثيرة تجمع بين التشويق وتحقيق العدالة، مع مزيج من الشخصيات المركّبة والمؤامرات الخفية. ستأسر هذه الرواية القرّاء وتأخذهم في رحلة غير متوقعة مع هولي غيبني، البطلة القوية والمذهلة التي يعشقها الجميع.

صدر للمؤلف أيضاً عن الدار:

ISBN: 978-614-01-3640-3
9 786140 136403

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com